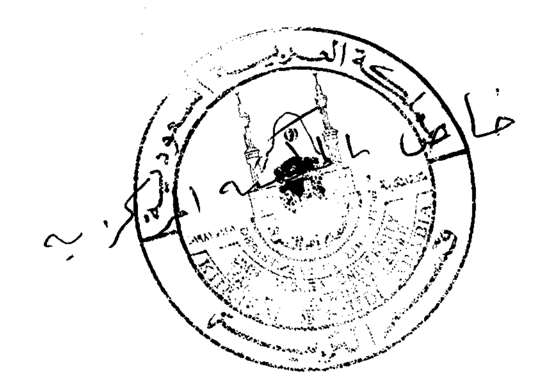


بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية
جامعة ام القرى
كلية التربية
مكة المكرمة

أثر العلمانية

فى التربية والتعليم فى العالم الاسلامى

بحث مكمل

لمتطلبات الماجستير فى التربية

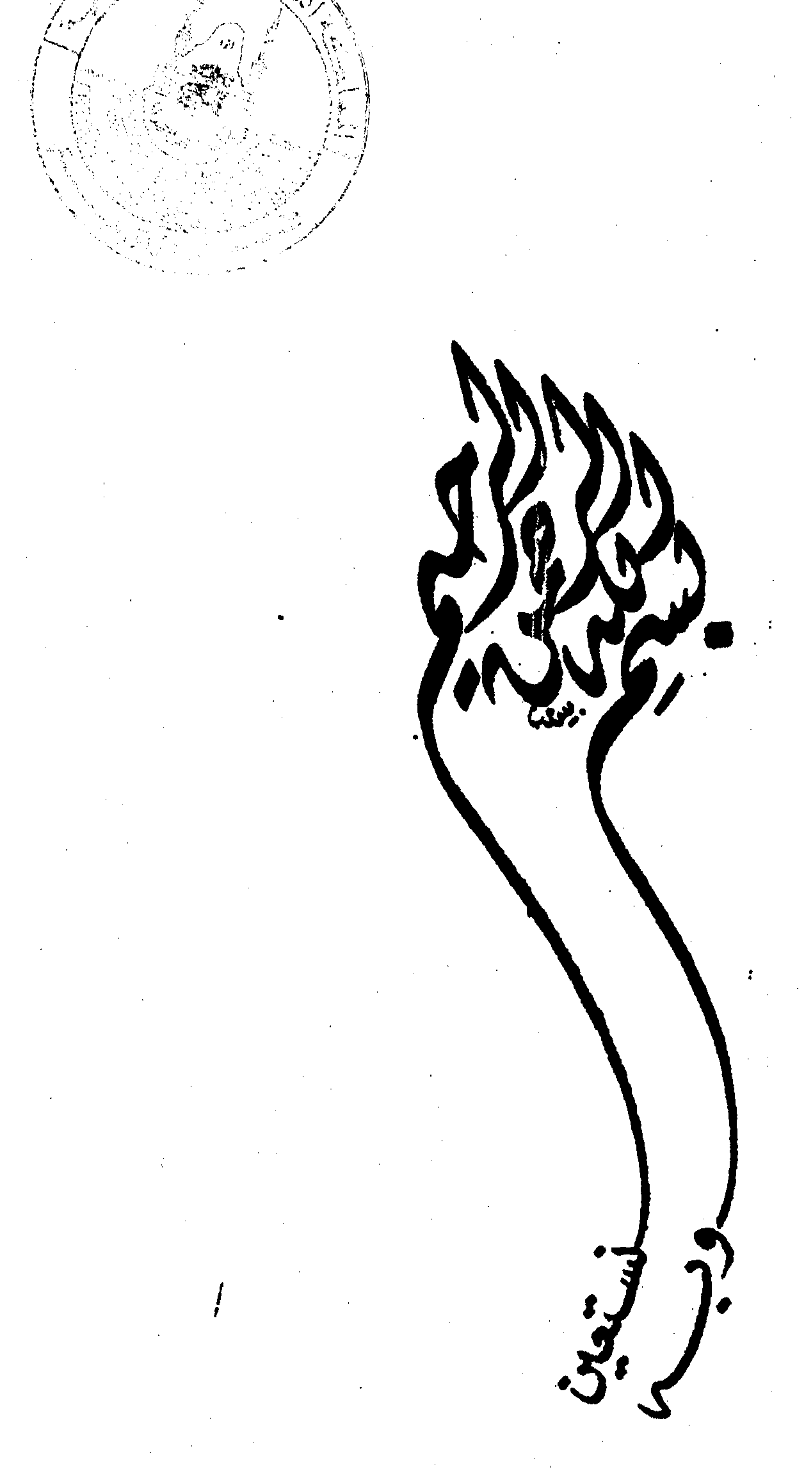
اعداد الطالب

محمد بن عبد العزيز السديس

اشراف الدكتور

بشير حاج التوم

لعام ١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

«... ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون»

الجاثية «١٨»

«... ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين»

البقرة «١٤٥»

«... ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين»

القصص «٥٠»

«... وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك»

المائدة «٤٩»

«... أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون»

المائدة «٥٠»

المحتـــوى

الباب الثانـــي




المقدّمة

المقدمه :

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادى له.

واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له ، واشهد ان محمداً عبده ورسوله .

" يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاه ولا تموتن الا وانتم مسلمون " ال عمران : ١٠٢ .

" يأأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا " النساء : ١ .

" يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما" الاحزاب: ٧٠، ٧١.

وبعد : فقد انعم الله على هذه الامه واكرمها بأن بعث فيها خاتم رسله وافضلهم باكمل شريعة واقومها ، فاخرجهم الله بذلك من الظلمات الى النور ، من عبادة غير الله من الاوثان بانواعها - حجرا او بشرا او نظما الى عبادة الله الواحد الاحد ، ومن جور الاديان - المحرفه او البشرية - الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والاخره . واعتنق هذا الدين رجال نشروه في انحاء المعموره وهيمن هذا الدين عن طريقهم على ثلثى الارض المعموره في ذلك الزمان في اقل من نصف قرن ، واستمر الدين مهيمنا على شئون الحياة عدة قرون .

ولم يكف اعداء الاسلام من اليهود والنصارى منذ بزوغ شمس الاسلام على الجزيرة من تدبير المكايد ضد نبى الاسلام واتباعه ومن تجهيز الجيوش العسكرية لسحق كيان المسلمين والقضاء على وجودهم ولعل اكبر الحملات العسكرية ضد المسلمين هى الحملات الصليبيه التى بدأت حملتها الاولى عام ١٠٩٩م وبدأت حملتها التاسعه عام ١٢٧٠م .

" وبعد الفشل الذريع قررت اوروبا تغيير استراتيجيتها ، واخذت

تستعد لحملة جديدة في عالم الاسلام .

وكانت خلاصة التفكير الجديد ان يتعلم الغرب علوم المسلمين ثم يهزمهم باسلحتهم وفنونهم ذاتها .

وسمي الاوربيون الحرب الجديده ب " الصليبيه الروحيه " spritual crusade.

وكانت غاية الصليبيه الروحيه ان يتعلم الاوربيون علوم المسلمين فيشوهو العقائد الاسلامية وتاريخ الاسلام .. "(١)

وهكذا بدأ الاوربيون حرب المسلمين فكريا وعقديا عن طريق التبشير والاستشراق ونجح المبشرون والمستشرقون .

على ان القضية ليست مقتصره على ماعملة اعداء المسلمين بل وقع انحراف من المسلمين ساعد على نجاح حركتي التبشير والاستشراق بدأ الانحراف منذ ان دخلت الفلسفات اليونانيه والهنديه وغيرها الى المسلمين فاعتنق افكارها بعض المشبوهين ، اوبعض المسلمين قليلى العلم والفقه لدين الله ، ثم اتسع الانحراف حتى شمل المجتمع الاسلامي كله ،وبذا فقد المسلمون في القرون الاخيرة خاصة القرنين التاسع عشر والعشرين ذاتيتهم التى تميزهم عن غيرهم من الامم ، واتصلوا وهم على هذه الحالة من فقدان الذاتيه باوروبا عن طريق المدرسين الاجانب والبعثات المرسلة الى اوربا في وقت كانت فيه اوربا تموج بالافكار اللادينيه " وكانت فرنسا بعد الثورة الفرنسيه قد اتخذت العلمانيه نظاما لها في الحيـاه ، ونقل المدرسون الاجانب الموفودون الى العالم الاسلامي ، والمبتعثون من ابناء المسلمين بعض الافكار ال" لادينيه " بغية اصلاح حال البلاد الاسلامية وقد جهل المبتعثون الاسباب الكامنه وراء مايعاني منه المسلمون من انحطاط فكري وعلمي وعقدي فكان التشخيص الخاطئ سببا في العلاج الخاطئ الذي اتى بمضاعفات جديده . لقد خيل لهؤلاء ان داء فقدان الذاتيه - المتمثل في الانحطاط الفكري والعلمي والعقدي - الناشئ عن الانحراف عن مفاهيم الاسلام في العقيدة والسلوك ، يمكن معالجته باستعاره انظمه البشر التى سنها الكفار من اليهود والنصارى ، الذين لم يعرفوا دينا صحيحا بل ماعرفوه وماكانوا يدينون به هو الدين المحرف - كما سيتضح ذلك بالنسبة للنصارى في ثنايا البحث .

---

(١) تاريخ فلسطين القديم : ١٨٩ هامش "٢" .

وهكذا كان الانحراف عن مفاهيم الاسلام او بعضها عاملاً مهماً في التهيئة لقبول المسلمين للانظمه والافكار المخالفة للاسلام .

ومن ثم انتشرت في الساحة الاسلاميه شتى المذاهب والافكار وطبقت جميعها فمنها الاشتراكية والوطنيه والقومية والديمقراطيه والليبراليه - التحرريه -

وفى التربية والتعليم خاصة انتشرت مذاهب وفلسفات تربوية " لادينيه " فمنها الفلسفة الواقعيه ، والفلسفه الطبيعيه ، والبراجماسيه ، والوضعيه المنطقيه وغيرها .

لقد رأيت - وانا أعلم شيئا من النتائج السيئه التى احدثها اعتناق بعض المسلمين لمثل هذه الافكار والنظريات والفلسفات - ان اختار للدراسة الخاصة - بعد ان انهيت متطلبات الدبلوم - مذهبا فكريا كان ومازال له اثار سيئة كثيرة على العالم والعالم الاسلامي بخاصة ، وكان ان وفقني الله لاختيار مذهب "العلمانيه " وقد دعاني لاختيار هذا المذهب سببين هما .

١- غموض المدلول الحقيقي لهذا المذهب او المصطلح بالنسبة لجمهرة كثيرة من المثقفين في العالم الاسلامى ، نتيجة للمغالطة التى قام بها العلمانيون الغربيون فى اول العهد بالدعوة الى العلمانية والتى قام بها العلمانيون في العالم الاسلامى والتى كانت ترتكز على الادعاء بان العلمانية تعنى العلم ومشتقاته وليست تعنى عزل الدين عن توجيه الحياة ومن ثم خُدِع الناس بهذه المغالطة .

٢- ان بين المدلول الاصطلاحي للعلمانيه - عزل الدين عن توجيه الحياه - وبين الواقع الاسلامي المعاصر توافقا تاما ذلك ان الواقع الاسلامى المعاصر - للاسف - عزل الدين فيه عن توجيه الحياة ، وحصر فى الشعائر التعبدية فليس للدين هيمنه على شئون الاقتصاد وكمثال على ذلك انتشار المصارف الربويه في العالم الاسلامي ، كما انه ليس للدين هيمنه على قوانين العقوبات والا فما معنى عدم اقامة القصاص على القاتل ، او حد الخمر على السكارى ، او حد الزنا على الزناة فى اكثر البلاد الاسلامية اليس ذلك عزلا للدين عن توجيه الحياه ؟

لقد كنت شغوفا بتتبع ماتصدره المطابع من الكتب عن العلمانيه - جهد طاقتى - واقتنيت عددا من هذه الكتب وقرأت بعضها من امثال كتاب سقوط العلمانيه للاستاذ انور الجندى ، وتهافت العلمانيه للدكتور عماد الدين خليل

ورسالة العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق للدكتور محمد البهي وغيرها واستفدت من هذه الكتب ونقلت عن بعضها نصوصا ، ثم نوقشت رسالة الماجستير المقدمة من الاستاذ سفر بن عبد الرحمن احمد للحصول على درجة الماجستير في العقيدة من كلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز فرع مكه ، وكان ذلك بعد ان سجلت في هذا الموضوع بفصل دراسي واحد ، واقتنيت نسخة من الرسالة واستفدت من بعض المراجع التى رجع اليها الباحث ونقلت نصوصا من افكاره . ثم سمعت بمناقشة رسالة في الماجستير فى الموضوع نفسه بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنوره ، ولكني لم اطلع عليها .

لقد سجلت في هذا الموضوع تحت اشراف استاذى الفاضل الدكتور/ بشير حاج التوم ، وكان ذلك في بداية الفصل الدراسي الثاني لعام ٩٨/١٣٩٩هـ . وقدمت المخطط للاستاذ المشرف مقسما اياه الى تمهيد وبابين وخاتمه .

وقد تضمن التمهيد الحديث عن

١- تعريف وتحليل لمفهوم العلمانية وشيء من تاريخها في الغرب .

٢- العقائد السائده قبل وبعد ميلاد المسيح .

٣- العقيده والشريعة التى ارسل بها عيسى عليه السلام .

اما الباب الاول فقد تحدثت فيه عن عوامل العلمانيه في العالم الغربي والعالم الاسلامي وذلك في فصلين .

الفصل الاول : خصصته لعوامل نشوء العلمانيه فى الغرب وقسمته الى مبحثين

المبحث الاول : خصصته للعوامل الاساسيه لنشوء العلمانيه وقسمته الى ثلاثة مطالب .

المطلب الاول : خصصته لبيان تحريف النصرانيه - عقيدة وشريعة -

المطلب الثاني : وخصصته لبيان البدع التى استحدثها رجال الكنيسه .

المطلب الثالث: وخصصته للحديث عن طغيان رجال الكنيسه .

المبحث الثاني : عوامل مساعده ، وتحدثت فيه عن فرضيه التطور واثرها فى الفكر والعلم والفلسفه في العالم الغربي .

اما الفصل الثاني : فقد خصصته لعوامل انتقال العلمانيه الى العالم الاسلامي وقسمته الى مبحثين ايضا .

المبحث الاول : وخصصته للعوامل الداخليه التى ساعدت على انتقال

مطلبين
العلمانيه الى العالم الاسلامي وقسمته الى مطلبين .

المطلب الاول خصصته للعوامل الذاتيه التى تمثلت في

ا- الانحراف الذاتي للمسلمين واثره في تقبل العلمانيه

ب- مفكرون كان لهم أثر في انتقال العلمانيه الى العالم الاسلامي

جـ- المستغربون وأثرهم في نقل العلمانيه الى العالم الاسلامي

المطلب الثاني : وخصصته للحديث عن نصارى العرب وأثرهم في انتقال العلمانيه الى العالم الاسلامي .

المبحث الثاني : وخصصته للحديث عن العوامل الخارجيه التى ادت الى انتقال العلمانيه الى العالم الاسلامي وتمثلت في :

أ - قوى الاحتلال واثرها في نقل تطبيقات الفكر العلماني

ب- التبشير - التنصير - واثره في نقل الفكر العلماني

جـ- الاستشراق واثره في نقل الفكر العلماني

واما الباب الثاني فقد تحدثت فيه عن اثر العلمانيه في المجالين التربوى والتعليمى في العالم الاسلامي ، وذلك في فصلين اثنين .

وتحدثت في الفصل الاول عن اثر العلمانيه في التربية وقسمته الى مبحثين

المبحث الاول : خصصته للحديث عن بعض الافكار والمذاهب التربوية التى اعتنقها بعض التربويين واثرها في التربية والتعليم .

المبحث الثاني : وخصصته لمناقشة بعض افكار التربويين التى سطروها في كتبهم .

اما الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن آثار ومظاهر العلمانية في التعليم الرسمي وجعلته في مبحثين .

المبحث الاول : وخصصته للحديث عن الجهود الفكريه والعمليه التى بذلت لعلمنه التعليم منذ اوائل عهد الاستعمار الى اوائل عهد الاستقلال

المبحث الثاني : وخصصته للحديث عمن الوضع التعليمى بعد الاستقلال وقد قسمته الى خمسة مطالب هي :

المطلب الاول : وتحدثت فيه عن اهداف التعليم من خلال ماصدر عن المؤتمرات والدول من قرارات .

المطلب الثاني : وتحدثت فيه عن نصيب المواد الشرعيه من الخطط الدراسيه .

المطلب الثالث : وتحدثت فيه عن الاختلاط في التعليم

المطلب الرابع : ونقلت فيه نماذج من مقررات دراسيه

المطلب الخامس : وتحدثت فيه عن آثار التعليم العلماني على الدارسين ، وعلى المجتمع الاسلامي ، وعلى التعليم الاسلامي عموما وتعليم علوم الشرعيه واللغة على وجه الخصوص .

اما الخاتمة فقد تضمنت الحديث عن :

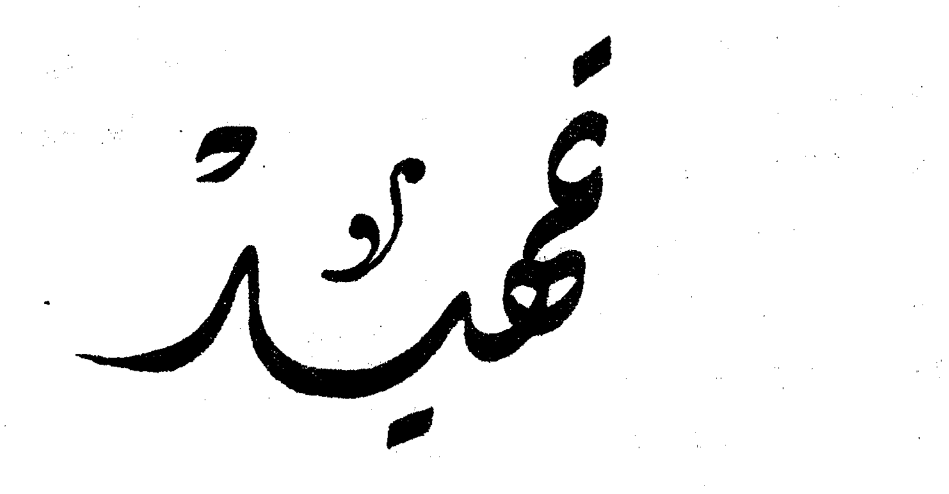
١- هل يوجد لدى دعاة العلمانيه اى مبرر لدعوتهم ؟

٢- حكم الدعوه الى العلمانيه في العالم الاسلامي .

٣- كيف السبيل للتخلص من العلمانيه واثارها ؟

وأسأل الله ان يتقبل مني هذا العمل المتواضع وان يجعله خالصا لوجهه الكريم .

واننى اذ احمد الله واشكره على ماوفقنى اليه في هذا البحث ، لاتقدم بالشكر والعرفان من بعد الله لمعالى مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الذى اتاح لى فرصة مواصلة الدراسة العليا ، ولسعادة عميد كلية التربية ولسعادة استاذى الفاضل الدكتور بشير حاج التوم على مابذله من توجيهات مفيدة حتى استوى هذا البحث على سوقه ، ولكل من اعاننى باعارة كتب ، او ترجمة نصوص من الانجليزيه الى العربيه . والصلاة والسلام على اشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .


تمہید

تمهيد للدراسة يشتمل على :

١ - تعريف وتحليل لمفهوم العلمانية وشيء من تاريخها في الغرب .

٢ - العقائد السائدة قبل وبعد ميلاد المسيح عليه السلام .

٣ - العقيدة والشريعة التي أرسل بها عيسى عليه السلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ـ تعريف العلمانية وتحليلها وبيان تاريخ منشوءهـــــا

تعريف العلمانية : العلمانية كـ الرهبانية فى الوزن اللفظى ، والرهبانيـــة هى نظام للعبادة المتواصلة ابتدعه النصارى ونعى الله عليهم ذلك .

" ... ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها " ٥٧ / ٣٧

فالرهبانية وصف للعبادة المتواصلة ، والرهبانى هو الشخص المتبتـــل المنقطع عن الناس فى الدير لاداء شعائر تعبدية ابتدعها ابتغاء لرضوان اللـه ولكنه لم يرعها حق رعايتها .

فهل العلمانية وصف للعلم ؟ وهل العلمانى هو الملتزم بالاسلــــوب العلمى فى دراساته وابحاثه ؟ أم أن العلمانية ليست وصفا للعلم . هذا هـــو ما سأجليه فى الصفحات الاتية .

ولا يمكننا ذلك الا بمراجعة مفردات اللغتين ـ الانجليزية والفرنسيـــة عن طريق الرجوع الى القواميس الانجليزية العربية والفرنسية العربية . فمـــاذا تقول هذه القواميس والمفاهيم ودوائر المعارف ؟

تقول دائرة المعارف البريطانية عن هذه اللفظة (Secularism)

" الدنيوية : العلمانية : هى حركة فى المجتمع ابتعدت كثيرا عن العالم الآخر، واتجهت الى هذا العالم " العالم الدنيوى ".(١)

وورد فى المعجم الدولى الثالث الجديد عن اللفظة السابقة مايلى :

"العلمانية : الدنيوية هى وجهة النظر ـ فى الحياة او أى قضية خاصة ـ المرتكزة على ان الدين او الاعتبارات الدينية يجب ان تهمل او تستثنى عن قصد ـ او هى

---

(1) Ency Britannica Vol.Ixp. 19.)

نظام من التقاليد الاجتماعية يعتمد على اساس ان القواعد الاخلاقية والسلوك يجب ألا تحدد بشكل كامل بالرجوع الى الدين .

والعلمانى : الدنيوى : هو الشخص الذى يتبع الامور الدنيوية ويدعو لها (كل فلسفة فى الحياة اما ان تكون دينية او دنيوية) كما يقول والتر موبرلى .

القاعدة الدنيوية للانسانية لا ترجع مفاهيمنا الى افتراضات غير معروفة

دنيوية الامور : عمل الامور دنيوية - حالة كونه دنيويا (جعل المدارس تهتم بالامور الدنيوية) " زيادة ثقافتنا الدنيوية ".

دنيوى تعنى :

(١) احتفالات دنيوية (لكاهن الابرشيه)

(٢) علمانى .(١)

وورد فى معجم اكسفورد شرحا لنفس المادة . ما يلى :

" العلمانية : الصفة منها علمانى : وتعنى دنيوى او مادى ، ليس دينيا او روحيا :

أمثلة ذلك : تعليم دنيوى - فن دنيوى - موسيقى دنيوية - القوة الدنيوية - انظمة الدولة غير المطابقة للكنيسة .

العلمانية : الرأى القائل بان الاخلاق والتعليم يجب ان [illegible] على الدين .

العلمانى : هو الشخص الذى يعتقد بالعلمانية او يكون من دعاتها ومؤيديها " .(٢)

---

(1) Webster's third new internaatienal Die; (2053) (2) oXferd sdvancer's Dicofeurrent English (785) .

وورد فى قاموس العالم الجديد شرحا لنفس اللفظة مايلى :

" العلمانية : (١) ـ الحياة الدنيوية : دستور من الانظمة والاعمـــال التى لاتعتبر او تعارض اى شكل من اشكال العقيدة الدينية والعبادة .

(٢) ـ الاعتقاد بان الدين وقضايا الكنيسة يجـــب أن لا تتدخل فى امور الدولة وخاصة تعليم الجمهور "[1] .

وورد فى قاموس " المورد " مايلى :

" ١ ـ (أ) دنيوى (interests) Secular

(ب) غيردينى Drama

(جـ) مدنى ، اكليركى (Jurisdiction)

٢ ـ عالمى ، غير قانونى ، غير منتسب الى رهبانية (Priests)

الدنيوية : عدم المبالاة بالدين او بالاعتبارات الدينية . (Secularism)

١ ـ شىء دنيوى الخ . . (Seculatity)

٢ ـ الصفة الدنيوية او المدنية الخ . .

أ ـ يدنوى : يجعله دنيويا (Secularize)

ب ـ يعلمن ينزع عنه الصفة او السيطرة الاكليركية .

جـ ـ يشبع بالنزعة الدنيوية[2] (Secularization)

---

(1) Websters Newworld Dictic (1288) .

(٢) المورد (قاموس عربى انجليزى) ؛ ٨٢٧ .

ويقول " البرت الريحاني وزملاؤه " :

" علمانية ؛ ءال : حركـة اقترنت بالثورة الفرنسية ومفادها فصـل الدين عن الدولة : عن التشريع والتعليم والمراسم "(١) .

وورد في الكنز مايلي :

" دنيوية : علمانية (Secularism)

دنيوى : يتعلق بالدنيوية (Secularist)

دنيوية : علمانية . عالمية (Secularity) "(٢)"

وورد في المنهل مايلي :

" دنيوية ،علمانية ، عالمية (Secularite)

عالمي ، علماني ،دنيوى (Seculier) "(٣)"

وهكذا يتضح مما سبق ان مدلول هذه اللفظة (Secularism) يعني قيام احوال الفرد والمجتمع واخلاقياتهم وتعاليمهم على غير اساس ديني ، ويعني ان لا يكون " للكنيسة " ومن يمثلها اى تدخل في شئون الدولة .

ومن هذا يتضح ان هذه اللفظة لاتؤدى معنى العلم في اشتقاقـتـه الا اذا فهم العلم على انه يعني انكار الدين ، اوعدم الاعتراف بدور واهماله في الفرد والمجتمع .

لكن ماهو اللفظ الذى يعني اطلاقه ، العلم ومشتقاته ؟

لابد لنا لمعرفة ذلك من الرجوع الى المعاجم الانجليزية العربية والفرنسية العربية فماذا تقول هذه المعاجم والقواميس ؟

---

(١) البرت الريحاني وزملاؤه : الموسوعة العربية : ٥٠٦

(٢) جروان السابق : الكنز : ٦١٩ .

(٣) المنهل " قاموس عربي فرنسي " : ٩٤٥ .

ورد فى مجمع اللغات مايلى : " فرنسى　　　　　انجليزى

"علم اختصاصى عال Science　　　　Science

النسبة الى العلم (Seientifique)　　(Scientific) "(١)

وورد فى قاموس الياس " انجليزى ، عربى " :

" مختص بعلم (Scientific)

رجل علم (Scientist) "(٢)"

وورد فى الكنز مايلى :

"علمى : مدروس علميا ، مبحوث علميا : (Scientific)

دقيق علميا ، منسوب الى العلم . (٣)

وهكذا يتضح الاختلاف بين الفاظ العلم ومشتقاته ، والالفاظ التى تعنى اللادينية ويتضح لنا مدى المغالطة التى ترتكب فى ترجمة اللفظية سواء عند رجال الفكر الغربيين المناهضين للكنيسة ورجالها ، اوعند المتأثرين بهم من دعاة اللادينية فى العالم الاسلامى سواء كانوا افرادا او منظمات أو دولا .

والذى دعا الغربيين الى هذه المغالطة هو محاولة اجتذاب تاييد الناس عموما الى هذه الحركة لان احدا مهما كان اتجاهه الفكرى لا يمكن أن يعارض الدعوة الى العلم ، وهكذا استطاع رواد الفكر الغربى اللادينى انشاء حركة مضادة للكنيسة ورجالها ، ثم للدين بصفة عامة ، واصبح الدين النصرانى بل وكل دين فى حس من تأثر بهؤلاء يعنى مايضاد العلم ويعاديه ، ولا ريب ان رواد للفكر اللادينى فى الغرب شبهة فى خروجهم على الكنيسة ورجالها

---

(١) مجمع اللغات : ٦٣٤ ، ٦٣٥ .
(٢) قاموس الياس الحديث : ٤٥٤ ، ٤٥٥ .
(٣) الكنز : مصدر سابق : ٦٠٨ .

بسبب ما رأوه منهم من معاداة للعلم ورجاله الامر الذى وصل بهم الى حد تمزيق كتب بعض علماء الطبيعة ، بل واحراق وتعذيب بعض رجال العلم . وهكذا حصل الفعل المضاد للكنيسة ورجالها ثم عمم على كل دين .

أما المتأثرون بالغربيين فى العالم الاسلامى فاننى لا أجد لهم شبهة كالشبهة التى تشبث بها الغربيون للدعوة الى العلمانية " اللادينية " فلئن انحطت الامة الاسلامية فى العصور المتأخرة من الناحية العلمية فان ذلك ليس بسبب ما تعتنقه من دين ، فهذا كلام الله سبحانه وتعالى بين ايديهم - لم يتعرض للتحريف كما تعرضت التوراة والانجيل فهو محفوظ بحفظ الله - لم يحارب العلم بل دعا اليه على ان يكون سائرا على المنهج الذى وضعه الله للعلم وهو ان يؤدى الى التفكر والتدبر فى آلاء الله ، والانتفاع بحصيلة العلم وتوجيه نتاجه فيما ينفع البشرية لا فيما يدمرها .

وعلى هذا فان سبب الانحطاط العلمى فى العالم الاسلامى هو سلوك المسلمين وتصرفهم ومنهم بعض علماء الدين لا شك ، وليس الاسلام بقرآنه وسنته . ولقد كان لبعض الافراد والمنظمات التى نشأت فى اواخر القرن الماضى وفى هذا القرن ، صلة مباشرة او غير مباشرة بالمنظمات اليهودية بل كانت المنظمات اليهودية توجه هؤلاء الافراد والمنظمات بطريق مباشر او غير مباشر وليس أدل على ذلك من أن احزابا كحزب تركيا الفتاة وحزب الاتحاد والترقى الذين اسسا فى اواخر عصر الدولة العثمانية كانا مدفوعين من قبل يهود الدونمه فى سالونيك بتركيا . (١)

(١) انظر فى بيان ذلك الكتب التالية : أ - اسرار الانقلاب العثمانى
ب - القومية والغزو الفكرى   جـ - يهود الدونمه
د - اسرار الماسونية .

وكذلك كان للنصارى المحليين المدعومين من الصليبية العالمية دور في نقل العلمانية الى العالم الاسلامى . (١)

ومن المؤسف حقا ان رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يصرح بانه يسعى لاقامة الدولة الديمقراطية العلمانية . فقد اجاب عن سؤال الصحفية الايطالية وماذا عن الدولة الفلسطينية ؟ فقال :

" . . نعم لقد قلت هذا الكلام ومن على منبر الامم المتحدة في شهر تشرين الثانى ١٩٧٤م وقلت ايضا ان مثل هذا الكلام يبدو الان وكأنه الحلم ولكنه حلم يستحق النضال ويستحق التضحيات . فاذا كان بناء الدولة الديمقراطية العلمانية المنفتحة على جميع المواطنين تعاملهم بمساواة في الحقوق والواجبات بالرغم من تعدد مذاهبهم وعقائدهم . . اذا كان بناء مثل هذه الدولة لا يستحق النضال والتضحية فاى دولة اذن تستحق النضال والتضحية . . "(٢)

أما عن تاريخ الدعوة الى العلمانية والمراحل التى مرت بها العلمانية ومميزات كل مرحلة وخصائص الفكر الفلسفى العلمانى فى اوربا فاوضحه فى الفقرات الاتية :

١ - تاريخ الدعوة اليها : جاء فى دائرة المعارف البريطانية بعد تعريف لفظ (Secularism) مايلى :

---

(١) انظر البحث الخاص بنصارى العرب واثرهم فى انتقال العلمانية فى هذا البحث .

(٢) مجلة الدعوة الصادرة بالرياض عدد ٧٤٥ فى ٢٨/٥/١٤٠٠ هـ ص ١٠ .

" ففي الفترة الوسطى كان هناك اتجاه قوى لدى رجال الديـــن لاحتقار القضايا الانسانية والاتجاه نحو عبادة الله والايمان بالحياة الاخرة . وكرد فعل لهذا الاتجاه ظهرت العلمانية " " فى عصـــر النهضة وكرست نفسها فى تطوير القضايا الانسانية عندما بـــدأ الانسان يعير اهتماما اكثر للمنجزات الثقافية الانسانية . وبامكانية وصوله الى الكمال والرفعة فى هذا العالم . وظهر بشكل واضـــح الاتجاه نحو العلمانية خلال التاريخ الحديث وصور هذا الاتجـــاه على انه معاد للمسيحية وغير دينى .

وفى اواخر النصف الثانى من القرن العشرين ظهر دعاة يدعون الـــى المسيحية الدنيوية . قالوا بان على المسيحية أن لا تهتم فقـــط بالاشياء المقدسة والعالم الاخر . لكن على الانسان ان يجد فـــى هذا العالم الدنيوى الفرصة ليدفع القيم المسيحية . وقالوا : بـــان المعنى الحقيقى لرسالة المسيح يمكن ان يكتشف ويكمل فى قضايا كـــل فرد من خلال الحياة الريفية المتحررة "(١) .

وقد ذكر البرت الريحانى أن العلمانية اقترنت بالثورة الفرنسيـــة كما مر ذكره .

٢ ـ المراحل التى مرت بها الـ[illegible] ينية " : مر الفكر العلمانـــى الاوربى كما ذكر ذلك الدكتور محمد البهى بمرحلتين :

" ١ـ مرحلة العلمانية المعتدلة . وهى مرحلة القرنين السابع عشـــر والثامن عشر .

٢ـ مرحلة العلمانية المتطرفة : وهى مرحلة القرن التاسع عشـــر وقد بلغت قمتها فى التطرف فى الفكر المادى التاريخى "(٢) .

---

(1) Ency. Britannica Vol .Ixp. 19 .

(٢) العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق (ملحق مجلة الفكر الاسلامى ص ١٠ .

ومن رواد هذه المرحلة "فيرباخ " و " ماركس " و " لينين "(١) .

٣ - مميزات كل مرحلة : امتازت كل مرحلة من المرحلتين بمميزات تميزها عن الاخرى اوجزها فى الآتى :

أ - مميزات المرحلة الاولى : تميزت هذه المر... تى :

١- اعتبر فيها الدين مسألة شخصية لاعلاقة للدولة بها .

٢- ان على الدولة مع عدم التدخل فى تدين الاشخاص ان تحمى الكنيسة . . خاصة فى جباية الضرائب التى تفرضها الكنيسة .

٣- ان العلمانيين الايطاليون يسلب المسيحية كدين من كل قيمة لها ولكنهم يؤكدون على الفصل بين الدين والدولة .

٤- ان العلمانيين ينكرون بعض تعاليم المسيحية ويطالبون باخضاع تعاليم المسيحية الى العقل ، والى مبادىء الطبيعة وقد نشأ عن ذلك المذهب المعروف باسم : (Deism) وهو مذهب يعترف بوجود الله كأصل للعالم ولكنه ينكر : الاعجاز ، والوحى ، وتدخل الله فى العالم . ومن اتباع هذا المذهب :

(١) فولتير : (١٦٩٤ - ١٧٧٨) فى فرنسا .

(٢) شفتسبرى (١٦٧١ - ١٧١٣) فى انجلترا .

(٣) ليسنج (١٨٧٢ -) فى المانيا .

(٤) الفيلسوف الانجليزى لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤)

(٥) الفيلسوف الانجليزى هوبز (١٥٨٨ - ١٦٧٩) . "٢"

---

(١) المصدر السابق : ٢٢ - ٠٣٦ "٢" نفس المصدر ١٣ - ١٤ .

(ب) مميزات المرحلة الثانية : تميزت المرحلة الثانية بميزة واحدة هـي الغاء الدين اوالمسيحية . واختلف فلاسفتها فى من يحل محـل الله فى العبادة ، بين قائل انها (جماعة العمل) وقائل (الدولـة والمجتمع) وقائل انه (الحزب) .

يقول الدكتور محمد البهى فى ذلك :

"وفى : مرحلة العلمانية المتطرفة ، اوما تسمى بمرحلة اليسار المتطرف فى مدرسة هيجل نرى :

أولا : ان "علمانية فيرباخ - وهى التى تتمثل فى مذهبه الانسانـي الالحادى هى : الغاء الدين : باى دين ، وليست فصـلا بينه وبين الدولة بمفهوم العلمانية فى مرحلتها الاولى واحلال "الانسان العام" (جماعة العمل) فى العبادة محل الله .

وثانيا : ان علمانية ماركس - وهى التى تتمثل فى المادية التاريخيـة الالحادية - هى هدم الدين كمقدمة ضرورية لقيام عالم يكـون فيه الانسان سيد نفسه . وتنتهى سيادة الانسان الى سيادة المجتمع والدولة . ووضعهما بالنسبة للافراد هو وضع المعبـود الخالق من الافراد المخلوقين .

وثالثا : ان علمانية لينين ينتهى أمرها الى الغاء المسيحية كدين ووضع "البلشفية" - وهى الماركسية اللينينية - كدين جديد - بدلا منها وهذا الدين الجديد يجب ان يكون فى خدمة (الواقع) الـذى هو (الحزب) والحزب يأخذ الآن فى هذا الدين الجديـد مكان "العبادة" عوضا عن الله فى المسيحية ، ومكان القداسـة عوضا عن الكنيسة ". (١)

---

(١) العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق : ٣٧ ، ٣٨ .

- خصائص الفكر الفلسفى العلمانى :

لعل اهم خصائص الفكر الفلسفى العلمانى هى :

١ - أن دافع العلمانية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر كان هـو: التنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة ولذا كان الفصل بين السلطتين هو: الحل الفلسفى ،والرسمى لهذا التنازع .

٢ - أن الدافع عليها فى القرن التاسع عشر ، فى مدرسة هيجل هـو الاستئثار بالسلطة . ولذا : كانت العلمانية غير مساوية لمفهوم الفصل بين الكنيسة والدولة . بل كانت الغاء " للثنائية ، بهدم الدين كمقدمة ضرورية للوصول الى السلطة المنفردة " التى هى : سلطة " جماعة العمل " او " المجتمع " او " الدولة " او " الحزب " حسب تحديد بعض هؤلاء اليساريين المتطرفين .

٣ - ان البحوث الطبيعية والتقدم العلمى بالتدريج من نهاية القرون الوسطى هى التى جرأت ارباب هذا الفكر العلمانى على الخروج على وصاية الكنيسة ، وعلى الاستقلال فى النشاط الانسانى وحركة المجتمع عن اى راى يصدر منها ." (١)

---

(١) العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق : ٣٨ ، ٣٩ .

٢ ـ العقائد السائدة قبل وبعد ميلاد المسيح :

لابد لنا من القاء نظرة عجلى فاحصة على العقائد التي كانت سائـــدة قبل وأثناء وجود المسيح عليه السلام ، ذلك كيما نعرف هل لهذه العقائد أثر على المسيحية ـ المحرفة ـ التي بشر بها بولس ، وغيرهم ممن يدعون رسلا ؟ أم ان هذه العقائد لم يكن لها تأثير يذكر على المسيحية ؟ وسوف أشير هنـــا فقط الى هذه العقائد والمذاهب التي كانت سائدة ، واما الاشارة الى تأثيرها أو عدمه فسيكون في موضعه من هذا البحث .

وعلى هذا فيمكنني أن اقول بأن العقائد والمذاهب التي كانت سائـدة في العصر المشار اليه تتلخص فيما يلي :

١ ـ الديانة اليهودية .

٢ ـ العقيدة الميثرائية .

٣ ـ الافلاطونية الحديثة .

٤ ـ الوثنية المصرية .

٥ ـ الوثنية الرومانية .

٦ ـ الافكار الفلسفية ، كالرواقية .

١ ـ الديانة اليهودية :

وكان أول انبيائها المنزل عليهم كتابا موسى عليه السلام ، ثم داود ، فقد أنزل على موسى التوراة ، وانزل على داود الزبور ، وكون كل من داود ، وسليمان دولة حكما فيها بشرع الله ، وكان موطن هذه الديانة فلسطين ، ثـم أرسل الله عيسى عليه السلام اليهم . وقد انحرفوا انحرافات شتى في العقيـدة والتشريع فقد ادعوا ان عزيزا ابن الله ، وعبدوا العجل ، وقد أوضح الله ذلك عنهم في القرآن الكريم " وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون " التوبة : " ٣٠ " . فالله يقرر ان اليهود والنصارى بقولهـــم

هذا يتشبهون بالذين كفروا الذين جعلوا البشر آلهة ، وهكذا يتضح أن اليهود تأثروا بالوثنيين وان النصارى تأثروا بالوثنيين واليهود . كما سيمر ذكر ذلك .

٢ - العقيدة الميترائية :

" وهي عقيدة وثنية قديمة نشأت في فارس ، ومثرا هذا أو " متراس " كما يسميه بعض الكتاب " ١ " ، هو - كما يزعم وثنيوا فارس - إله الشمس ، وهو من أكبر الآلهة - في زعمهم - في الدين السابق للدين الزردشتي ، مع " أنيتا " آلهة الخصب والارض ، " وهو ما " الثور المقدس " ٢ " الذى مات ثم بعث حيا ، ووهب الجنس البشرى دمه شرابا ليسبغ عليه نعمة الخلود " .

وبحلول القرون الاولى للمسيحية انتشرت عبادة - ميترا - في جميع ارجاء الدولة الرومانية " " ٣ "

ومن طقوس هذه العقيدة الوثنية - الكهانة ، والمذبح ، وتقديم الضحية البشرية قربانا لله كفارة عن الخطيئة ،فهي ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء لا سترضاء الالهة " ٤ " .

وقد كانت هذه العقيدة في سعة انتشارها بين عامة الشعب في الدولة الرومانية تضارع المسيحية " ٥ "

---

١) انظر تاريخ العالم : ٣/٤٠٣ .

٢،٣) قصة الحضارة : ٢ / ٤٢٥/٣/٤٣٦

٤) معالم تاريخ الانسانية : ٣/٧٠٦ .

٥) نفس المصدر : ٣/٧٠٨ .

٣ - الافلاطونية الحديثة :

وهي فلسفة المعاصرين لنشأة الديانة المسيحية ، نشأت في الاسكندرية على يد "امينوس" ثم تلميذه " افلوطين " "١" .

وتتلخص عقيدتهم الفلسفية في أن العالم يرجع في تكوينه وتدبيره الى ثلاثة عناصر ، او الى ثالوث مقدس :

أ - المنشيء الأول .

ب - العقل الذى تولد منه كما يتولد الولد من ابيه .

جـ - والروح الذى يتصل بكل حي ومنه الحياة . "٢"

٤ - الوثنية المصرية :

كانت الآلهة في الوثنية المصرية من الحيوان ثم صارت الآلهة في آخر الأمر بشرا - أو اصبح البشر آلهة - وكان المصريون الوثنيون يألهون الرجال والنساء المتفوقين ،كما هو شأن اليونان . وكان من ضمن الآلهة :

١ - ايزيس والدة حورس . وهي الام العظمى .

٢ - حورس (الذى كان ابنا لسيرابيس) وهو اله الشمس .

٣ - سيرابيس الذى هو في الوقت نفسه حورس "٣" .

يقول صاحب كتاب قصة الحضارة مايلي :

" وكانت هذه الآلهة - رع (أو أمون كما يسميه أهل الجنوب) وأوزير ، وايزيس وحورس - اعظم ارباب مصر - ولما تقادم العهد امتزع رع وآمون واله آخر

---

١) محاضرات في النصرانية : ٤٢ ، وانظر ترجمة (امينوس) وافلوطين في نفس الكتاب ص ٤١ .

٢) قصة الحضارة : ٢/١٥٩ ، ١٦٠ ومعالم تاريخ الانسانية : ٣/٧٠٩ بالفاظ مختلفة .

هو مفتاح فأصبحت ثلاث صور ، ومظاهر لإله واحد أعلى يجمعها هي الثلاثة " "١"

٥ - الوثنية الرومانية :

وهي ديانة الدولة الامبراطورية الرسمية ومن عقائدها مايلي :

١ - التثليث : (جوبيتر ، مارس ، كوبرينوس) جاء في كتاب تاريخ العالم مايلي : " . . . وكانت تقام على ذلك التل - تل الكابيتول - عبادة قوامها ثالوث من الآلهة تعبر عن هذا الاتحاد المكون من " يوبيتر او يتيموس ماكسيموس " . . ومن مارس الذي غدا آنئذ اله الحرب الخاص بمستوطنة پالاتين ، ومن نظيره " كويرينوس " اله الكويرينال " "٢" وكان لهذه الآلهة الكهنة الخاصين بهم . "٣"

٢ - عبادة الامبراطور : جاء في تاريخ العالم مايلي : " . . وأخيرا كانت هناك نزعة عمرت زمنا طويلا في النصف الشرقي من الامبراطورية وهي تألية الحاكمين والرجال البارزين والسمو بهم الى مستوى المنقذين ممن هم فوق البشر ، "٤"

وجاء في نفس الكتاب : " وكان تأليه الحاكم تقليدا هلنستيا مأخوذا عن بلاد الشرق " "٥"

٣ - تقديس الصور والتماثيل وعبادتها :

ومنها تصوير الاشخاص الاحياء في صورة آلهة "٦"

---

١) قصة الحضارة : ٢ / ١٦٠ ، ١٦١ .
٢) تاريخ العالم : ٣ / ٣٩٧ .
٣) نفس المصدر : ٤٠٠ .
٤) نفس المصدر : ٣ / ٥٨٧ .
٥) نفس المصدر : ٣ / ٥٨٨ .
٦) نفس المصدر : ٣ / ٦٨١

٦ - الافكار الفلسفية : ومن اهمها الفلسفة الرواقية التى اعتنقها الرومان واستنكروا الابيقورية لما كانوا يرونه فيها من تعاليم لا تتفق مع الرجولة وتنزع الى الاثرة وكان الفلاسفة الرواقيون ينقسمون الى قسمين :

الاول : ينزع الى الانقطاع عن الدنيا والتحرر منها وانكار الذات .

والثانى : ينزع الى المشاركة الفعالة فى الحكومة العالمية وهو ما يسمونه "مدينة الله على الارض" (١) .

ويرى بعض الباحثين أن القول بان الله واحد ومتعدد فى وقت واحد (التثليث) هى نظرة تمت الى الفلسفة الرواقية بسبب وثيق . نعم إن عقيدة (الثالوث المقدس) المعروفة ترجع فى تخطيط أصولها الى يولس ولكن نلاحظ أن هذه الاصول مبسوطة فى "ستكا" الرواقى . (٢) .

فإذا نحن نظرنا فى هذه العقائد وأردنا استنباط عقيدة واحدة منها ذات اسس لقلنا إنها تقوم على الاسس الاتية :

١ - الاعتقاد بالتوراة والايمان بها - اى التوراة المحرفة - ومن التحريف التحريف فى العقيدة باعتقاد ان عزيز بن الله وكذا التحريف فى التشريع.

٢ - إعتقاد الفداء والخلاص من الخطايا والوساطة بين الله والناس. وهذا ماخوذ من الميثرائية .

٣ - التثليث - اى الاعتقاد بأن الالهة ثلاثة - تعالى الله عما يقول الكافرون - وهذا ماتدين به الوثنية المصرية والرومانية وبعض الفلاسفة الرواقيين .

٤ - الحلول - اى تجسد الاله فى شكل بشرى - وهذا ماتدين به الوثنية المصرية والرومانية .

٥ - تقديس الصور والتماثيل وهذا ماتدين به الوثنية الرومانية .

٦ - الهروب من الحياة - الرهبنة - وهذا ماتدين به احدى النزعتين فى الفلسفة الرواقية فاذا نحن امعنا النظر فى هذه الاسس الفيناها نفس الاسس التى تقوم عليها

---

(١) انظر تاريخ العالم : ٣/٥٨٩ .
(٢) انظر كتاب الفلسفة الرواقية : ٢٧٨ .

النصرانية المحرفة كما سيتضح لنا ذلك عند الحديث عن تحريف النصرانية .

٣ - العقيدة والشريعة التى ارسل بها عيسى عليه السلام

الحديث عن العقيدة والشريعة التى أرسل بها عيسى عليه السلام يستلزم أن اتحدث عن المسيح عليه السلام الذى اتخذه النصارى الها - وفى ذات الوقت زعموا أنه صلب - لتعرف ما هو حكم القرآن الذى انزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو مصدق لما انزل على موسى - التوراة - ولما انزل على عيسى - الانجيل - ومهيمنا عليهما "(١) . فهو اذا حجة على اليهود والنصارى فماذا ورد فى القران عن الوهية عيسى ؟ وماذا ورد فى القران عن المعجزات التى أيد بها ؟ ثم ماذا ورد فى القران عن قضية الصلب ؟

سوف اتحدث عن هذه القضايا مرتبة .

اما عن الوهية عيسى عليه السلام فإنه زعم باطل نفاه الله عن عيسى فى آيات كثيرة من القرآن . اكتفى هنا بذكر آيتين تنفيان عنه الالوهية وتقرران انه بشر . قال تعالى " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار " المائدة ٥ : ٧٢

وقال تعالى : " قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا " ال عمران : ١٧١ .

ولكنه خلق خلقاً خاصاً من ام بلا أب كما خلق آدم من تراب . فكيف كان ذلك ولماذا ؟

---

(١) انظر سورة المائدة : ٤٨ .
(٢) انظر ايضا سورة المائدة : ٧٣ - ٧٧ و ١١٦ ، ١١٧ وسورة التوبة : ٣٠ ، ٣١ .

آ - مولد عيسى عليه السلام :

خلق الله المسيح عليه السلام من أم بلا أب ليجعله عبرة ومعجزة خارقة للاسباب التى يعرفها الناس . قال تعالى " .. ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكونن من الممترين" آل عمران : ٥٩ ، ٦٠ .

وام المسيح عليه وعليها افضل الصلاة والسلام هى : مريم ابنة عمران ، وعمران هو احد عظماء بنى اسرائيل ، كانت زوجته عاقرا تقدمت بها السن دون ان ترزق بولد ، وتبعا للطبيعة البشرية كانت زوجة عمران تأمل ان تكون أما فاتجهت الى الله سائلة داعية ونذرت ان حقق الله رجاءها ورزقها ولد أن يكون محررا اى لاعمل له الا خدمة بيت المقدس والعبادة "(١).

وقد حقق الله لها ما ارادت فحملت وقد مات زوجها اثناء حملها ولكنها لم تحمل بذكر بل حملت بانثى وهى تود ان يكون ذكرا لانه اقوى من الانثى فى الخدمة ولذلك حين وضعتها قالت : "رب انى وضعتها أنثى " وتألمت لذلك ولكن الله سبحانه وتعالى تقبل منها نذرها وانبتها نباتا حسنا ، اى ان الله هيأ لها من يربيها تربية حسنة وهو زكريا الذى كفلها ، وهو زوج خالتها او زوج اختها -على روايتين والاصح الثانية كما قال ابن كثير . (٢)

وسميت هذه البنت مريم واصطفاها الله من بين نساء العالمين فى ذلك العصر لتكون اما لعيسى عليه السلام وامرها بالعبادة المستمرة له سبحانه تهيئة لها بولادة عيسى عليه السلام وبعد ان بلغت مريم مبلغ النساء بشرتها الملائكة بعيسى (٣) ثم ان مريم عليها السلام حملت بعيسى عليه السلام من غير ان يكون لها زوج وولدته . (٤)

ب - بعثة عيسى والمعجزات المؤيدة له فى دعوته :

بعث عيسى عليه السلام وهو فى حوالى الثلاثين من عمره كما تذكر الاناجيل الاربعة المعتبرة عند النصارى وكما ورد فى بعض الاثار لكن لم يرد فى القرآن الكريم ولا فى الاثار الصحاح بيان لسنه عند بعثه لبنى اسرائيل وقد بعث عليه السلام

---

(١) انظر المسيحية : ٢٧ .
(٢) تفسير ابن كثير : ١/٣٦٠ وانظر نص الايات (٣٥ - ٣٧ من سورة آل عمران)
(٣) سورة ال عمران : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥/٤٧ .
(٤) سورة مريم : ١٦ - ٣٦ .

بالعقيدة التى بعث بها الانبياء قبله ؛ وبالشريعة التى أنزلت على بنى اسرائيل فى التوراة ومن ضمن مابعث به ايضا الامر بهجر الملذات التى استغرقت نفوس اليهود : بعالم الاخرة وقد أيده الله لهذا بمعجزات خارقة هامة ذكرها القران وتتلخص فى ست معجزات جاء ذكرها فى سورة آل عمران وهى :

١ - انه يصور طيرا من طين ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ؛ فالخالق الحقيقى هو الله ولكن جرى الخلق على يد عيسى ليكون هذا برهانا على قويا على صدق نبوته .

٢ - انه يحيى او يخرج الموتى من قبورهم باذن الله ، والمحي هو الله تعالى حقيقة بيد ان الطريقة للاحياء جرت على يد عيسى عليه السلام ليكون ايضا برهانا على صدق نبوته .

٣ - ابراؤه عليه السلام للاكمه - وهو الذى لا يبصر بسبب عدم وجود عين له - والابرص وهو الذى يصاب بمرض جلدى يصير فيه بعض الجلد مخالفا فى لونه لبقية الجلد - وهما مرضان لم يعثر لهما على دواء حتى الان - ولكن عيسى بقدرة الله شفاهما فكان هذا دليلا وبرهانا قويا على صدق نبوته .

٤ - انه كان ينبؤهم بامور شخصية من احوالهم من الاكل والادخار وفى هذا ايضا دليل على صدق نبوته .

٥ - انه كلمهم فى المهد حين وضعته امه عليها السلام واتت به قومها فرموها بالزنى فاشارت اليه بان كلموه فكلمهم وفى هذا معجزة عظمى فالمعهود ان الانسان لا يتكلم فى المهد ، وقد اجرى الله ذلك ليكون دليل براءة لامه عليها السلام مما اتهمت به من البغى والعياذ بالله .

٦ - انزال المائدة من السماء بعد الحاح الحواريين لتطمئن قلوبهم الى صدقه فكان ذلك دليلا اخر على صدق نبوته .(١)

ولكن ماهى الحكمة أولماذا كانت المعجزات - او الايات التى اجراها الله على يد عيسى تتجه نحو هذا الاتجاه ؟

الاجابة على ذلك تتلخص فى الاتى :

---

(١) انظر فى تفصيل ذلك سورة آل عمران : ٤٩ والمائدة : ١١٠ - ١١٤ وسورة مريم : ٢٨ - ٣١ .

ان أهل زمانه عليه السلام من بني اسرائيل خاصة ـ قد عم فيهم انكار الروح سواء في أقوالهم أو افعالهم ، فجاء عليه السلام بمعجزات " وهي أمور خارقة للعادة يجريها الله على يد انبيائه مقرونة بالتحدى سالمة من المعارضة "١" لتصديقه في نبوته ولاعلاء شأن الروح والبرهنة على وجودها رغم انهم لا يرونها ، فالطين يصور على شكل طير ، ثم ينفخ فيه عيسى فيكون طيراً باذن الله ، وماذلك الا لان هناك أمراً آخر غير الجسم يدخل في خلق هذا الطائر وغيره من المخلوقات تكون به الحياة ـ وهذا هو الروح ـ وهكذا بقية المعجزات . فكانت معجزات عيسى عليه السلام من جنس دعوته ، التي تتلخص في تربية الروح والدعوة الى الايمان بالبعث والنشور ، ذلك لان بعض اليهود كان ينكر البعث والنشور يوم القيامة ، وكذلك الدعوة الى افراد الله بالعبادة ، وقد كان اليهود يدعون ان عزيزا ابن الله وهذا يقتضي انهم يؤلهونه ، كما انهم عبدوا العجل كما ورد ذلك في القرآن الكريم .

٨ / هل صلب المسيح أم لا :

أجمعت الاناجيل ـ المحرفة ـ ويكفي في بعدها عن الحق أنها اناجيل وليست انجيلا واحدا ـ على أن عيسى عليه السلام قد صلب لفداء النوع الانساني من جراء الخطيئة التي ارتكبها ابو البشر آدم عليه السلام في أكله كما يقولون من شجرة المعرفة . ولكني فيما يتعلق بعيسى عليه السلام ـ كما قلت في أول الفقرة "ثالثا" ـ سوف أتحدث عن هذه الامور من خلال مايقرره القرآن . فماذا يقرر القرآن في هذه القضية هل صلب عيسى أم لا ؟

يقول الله تعالى : " ... وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما (١٥٦) وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وماقتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨) النساء .

---

(١) هذا هو تعريف المعجزة عند علماء المسلمين .

وقال تعالى " ... فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون " (٥٢) ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين " (٢٥٣) ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (٥٤) اذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم اليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون " (٥٥)"..... آل عمران ،

ففي هذه الآيات الدلالة الواضحة الاكيدة بل التصريح الجازم بأن اليهود - قاتلهم الله - لم يقتلوا المسيح عليه السلام ولم يصلبوه - وان كانوا تآمروا على قتله مع الحاكم الروماني بيلاطس - عن طريق صلبه . الا أن الله أنجى نبيه عيسى عليه السلام من مكرهم بأن رفعه اليه ، وأوحى الله اليه قبل رفعه بما كاده له اليهود كما أوحى اليه بأنه سيتوفاه ويرفعه اليه ويطهره من الذين كفروا ، وانه سيجعل الذين يتبعونه فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم يحكم الله بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه .

وهكذا اتضح لنا مما سبق باستعراض نصوص القرآن أن عيسى عليه السلام كان بشراً من البشر فُضِّلَ بالرسالة ولكنه خلق من ام بلا اب لاقامة الدليل على اليهود الماديين الذين عم فيهم انكار الروح على وجود الروح ، ومن ثم كانت المعجزات التى اجراها الله على يديه مما يعلى شان الروح كما اتضح لنا ان عيسى عليه السلام لم يصلب وان كان اليهود عزموا على الفعل وباشروه - ولكن الله رفعه اليه - . وان تبين لنا ذلك فما العقيدة وما الشريعة التى ارسل بها عيسى عليه السلام الى قومه ؟ ذلك ماستعرفة فى الفقرة التالية .

- العقائد والشرائع التي ارسل بها عيسى عليه السلام، من المعلوم أن عيسي عليه السلام أرسل الي بني اسرائيل كما أرسل قبله رسل كثيرون الى بني اسرائيل منهم - موسي - ، وقبله يعقوب ويوسف ، وبعده داود وسليمان ويونس وزكريا ويحيي ، (١)

قال تعالي :

" واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين " سورة الصف (٦) .

وبعد بعث الرسل عليهم السلام من آدم الي نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم بالتوحيد ومحاربة الشرك قال تعالي : " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت . . " سورة النحل (٣٦) .

فالرسل كلهم بعثوا الي اقوامهم ، ونبينا صلي الله عليه وسلم بعث الي الثقلين الانس والجن بالدعوة الي عبادة وحده ، واختلفوا في الشرائع التي ارسلوا بها حسب حال الامة التي يبعث فيها النبي وحاجتها الي تشريعا ليست لديها أو لتعديل بعض التشريعات بالتخفيف أو التشديد كما حصل لبني اسرائيل - تشديدا عليهم من قبل عيسي - وتحقيقا عليهم بالشرائع التى أرسل بها عيسي ، أو لتأكيد الالتزام بما سبق من التشريعات السابقة أو بعضها كما حصل مع عيسى عليه السلام - وسوف يتضح ذلك خلال هذا البحث ان شاء الله .

العقائد :

من الحقائق التي ذكرها القرآن أن اليهود كانو قد اشركوا بالله - فادعوا أن عزيرا ابن الله - تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا - وعبدوا العجل ، واتخذوا احبارهم أربابا لهم من دون الله ، لانهم كانوا يشرعون لهم فيأخذون بذلك ، والتشريع من خصائص الله وليس من خصائص البشر مهما كانوا .

يقول الله تعالى في هذه القضية -العقيدة : " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار " سورة المائدة (٧٢) .

---

(١) انظر هذا سورة البقرة : ٢٤٦ - ٢٥١ ، وسورة غافر : ٣٤ وسورة آل عمران : ٣٦ - ٣٩ . فهي توضح ترتيب ارسالهم فأولهم يعقوب ، ثم يوسف ، فموسى ، فداود ، فسليمان ثم زكريا ثم يحيى وآخرهم عيسى عليهم السلام .

" ... ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم " آل عمران ٥١

وقال تعالى : " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الارض جميعا " سورة المائدة ١٧ .

فهذه الآيات تقرر ما يلي

١) ان المسيح عليه السلام دعا بني اسرائيل الى عبادة الله وحده وحذرهم من الشرك الذي وقعوا فيه وبين لهم جزاء المشرك .

٢) ان المسيح عليه السلام قرر لهم أنه عبد الله وأن الله سبحانه وتعالى ربه وربهم .

٣) الحكم على من أله عيسى ابن مريم عليه السلام بالكفر ، وتقريراً أنه ليس اله بدليل أنه لا أحد يملك منع الله من إهلاك المسيح وأمه ومن في الارض جميعا .

الشرائع التي ارسل بها المسيح عليه السلام :

وحديثنا عن الشرائع التي أرسل بها عيسى عليه السلام - أيضا - من خلال القرآن فنحن نجد ان القرآن يقرر مايلي :

١) أنّ الانجيل المنزل على عيسى عليه السلام يتضمن الهدى والنور الالهي والتصديق بالتوراة ، والموعظة للمتقين قال تعالى :

" وقفينا على آثرهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونورٌ ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين " سورة المائدة (٤٦) .

٢) ان الانجيل قد تضمن مجموعة من الاحكام الربانية ، قال تعالى :

" وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون " سورة المائدة (٤٧) .

وكانت الأفكار الموجودة في الانجيل بعضها مكمل وبعضها معدل للاحكام الموجودة في التوراة ، يدل على ذلك ماتضمنه قوله تعالى :

" . . . ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون " (٥٠) ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم " ٥١ " آل عمران .

كما يدل على ذلك ما تضمنته هذه الآية : " قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين " (٦٨) سورة المائدة .

فهذه الآية تدعو اهل الكتاب عامة الى العمل بالتوراة والانجيل معا ويضاف اليهما جميع ما انزل عليهم من ربهم ، ولولا انها يكمل بعضها بعضا لما أمرهم باقامتها جميعا .

ولا شك أن العمل بها يؤدى بهم الى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فإن التوراة والانجيل بشرتا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وماحرم عليهم - المشار اليه في الآية - والذى احله لهم عيسى كان قد حرم عليهم في شريعة الله المنزلة على موسى والرسل من بعده ، لعقابهم وتأديبهم بسبب ظلمهم .

قال تعالى : " . . . فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا " (١٦٠) واخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما (١٦١) النساء .

وقال تعالى : " وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ماحملت ظهورهما او الحوايا وما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون " (١٤٦) الانعام .

ومع ذلك احتال اليهود - قاتلهم الله على أكل ماحرم عليهم - بأكل ثمنه كما ورد في الحديث الذى أخرجه الجماعة " عن عطاء بن ابي رباح قال سمعت جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

عام الفتح : " ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام ، فقيل يارسول الله : أرأيت شحوم الميتة فانها يدهن بها الجلود وتطلى بها السفن ويستصبح بها الناس فقال : لا هو حرام . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : قاتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه واكلوا ثمنه ."(١)

وقد ورد توضيح بعض ماكان عند اليهود من الشرائع ـ التى ارسل بها موسى وبقيت بعد عيسى مثل رجم الزانى وقطع يد السارق فى السنة النبوية "(٢).

كما تضمن كل من التوراة والانجيل ـ المنزلة على موسى وعيسى عليهما السلام ـ الحث على الجهاد بالنفس والمال . قال تعالى فى سورة التوبة :
" ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم " التوبة : ١١١ . فهذه الاية تنص على ان الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال مما حثت عليه الكتب المنزلة قبل القران ـ التوراة والانجيل ـ بنى اسرائيل ، وان الله وعد المجاهدين من اهل الكتابين والقرآن بالجنة .(٣)

كما تضمنت التوراة التى جاء الانجيل مصدقا لما فيها ـ باحكام القصاص فى الجنايات كما فى قوله تعالى : " وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون " المائدة : ٤٥ .

وهكذا يتبين من هذه الاية ان الله كتب عليهم هذه الاحكام المتعلقة بالجنايات يقتص فيها من الجانى للمجنى عليه ، وهى من الاحكام التى ثبتت بشريعة الله المنزلة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم تتغير . ومن هنا نستنتج ان الاحكام التى تكون فيها مصلحة لكل زمان ومكان بقيت واحدة فى الشرائع كلها ومن امثلتها (حد الزنا وهذا يتعلق بالعرض وحد السرقة وهذا يتعلق بالمحافظة على اموال الناس ، والقصاص فى الجنايات وهذا يتعلق بحماية الانفس) .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٥١ (٢) جامع الأصول فى احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم : ٣/ ٥٤١ - ٥٤٨ و ٣/ ٥٦١ - ٥٦٣ (٣) انظر تفسير ابن كثير : ٤/ ١٥٥ وتفسير فى ظلال القرآن : ٤/ ٣١٧ .

الباب الأول

عوامل العلمانية فى العالم الغربى والعالم الإسلامى .

الفصل الأول

عوامل نشوء العلمانية فى العالم الغربى .

الفصل الثانى

عوامل إنتقال العلمانية الى العالم الاسلامى .

الفصل الاول

عوامل نشوء العلمانية فى العالم الغربـــــى

المبحث الاول : عوامل أساسية :

المطلب الاول : تحريف النصرانية .

أ - تحريف العقيدة .

ب - تحريف الشريعة .

المطلب الثانى : البدع التى استحدثها رجال الكنيسة .

أولا : بدعة رجال الدين "الاكليرس".

ثانيا : بدعة الرهبانية .

ثالثا : بدعة صكوك الغفران وحق الحرمان وحق التحلة .

المطلب الثالث : طغيان رجال الكنيسة .

١ - تعريف الطغيان ٢ - اسباب طغيان رجال الكنيسة

٣ - أنواع الطغيان :

أولا : الطغيان الدينى لرجال الكنيسة .

ثانيا : الطغيان السياسى لرجال الكنيسة .

ثالثا : الطغيان الاقتصادى (المالى) لرجال الكنيسة .

—•—

المطلـــــب الاول : تحريف النصرانيـــــة

" تحريف العقيدة "

عرفت أوروبا الوثنية - المسيحية منذ القرن الاول للميلاد باعتبارها عقيدة شرقية واعتنقها بعض الرومان "(١)

لكن الدولة الرومانية كانت تضطهدهم وتستخدم شتى الاساليب لذلك طوال القرون الثلاثة الاولى (٢) حتى اذا حكم قسطنطين اعتنقت الدولـــة الرومانية الدين النصرانى باعلان هذا الامبراطور اعتناقه للنصرانية ، وكـــان يرمى من وراء عطه هذا الى هدف سياسى .

فهل اعتنق الرومان النصرانية وتأثروا بها أم أثروا هم فيها ؟ وما هـــو بالتالى السبب أو الاسباب التى جعلت الدين الجديد يحظى باقبال شعوب الدولة الرومانية عليه ؟

والاجابة على ذلك تتطلب منا الرجوع الى مصادر التاريخ ومصادر التاريخ تؤكد فيما يتعلق بالتساؤل الاول أن الرومان أثروا فى النصرانية سواء فـــى الحقائق أو الطقوس . وهكذا تحولت النصرانية من ديانة سماوية الى ديانـــة وثنية "(٣)

على أن ذلك لا يعنى أننى أدعى أن دخول الشعوب الرومانية فـــى النصرانية هو الذى كان له الاثر الوحيد ،فى تحول النصرانية من ديانة سماوية الى ديانة وثنية . بل هو واحد من عوامل عدة كان لها أثر فى هذا التحـــول يمكن ايجازها فى الاتى :

---

(١) بدليل أن بولس قد سافر الى روما ، وقتل بها عام ٦٤ م انظر : قصـــة الحضارة : ٢٦٨/١١ ، وانظر : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ٥٢ .

(٢) انظر نماذج من الاضطهاد فى : محاضرات فى النصرانية : ٣١ - ٣٥ والمسيحية : ٧٠ - ٧٦ . واضمحلال الامبراطورية الرومانية : الفصـــل الخامس عشر . وغيرها من الكتب .

(٣) تاريخ العالم : ٤٠٣/٣ وانظر نفس الجزء ص ١٨٤ لمعرفة تأثـــر المسيحية بالوثنية الاغريقية فى مسألة تطهر الروح من الخطيئة ، وكلام بعض النقاد فى العقائد التى تأثرت بها المسيحية . وانظر كتاب : المسيحية - لشلبى لمعرفة تأثر النصرانية بالرومان فى استعمارات أوضاع رجال الدين . وتقسيم الناس الى طبقتين أحداهما رجال الدين وهم المنقطعون للعبادة ومعرفة الدين : ص ٧٩ ، ٨٠ .

١ـ دعوة بولس لتأليه المسيح عليه السلام ودوره فى نشر هذا المعتقد .
٢ـ أن المبشرين بالمسيحية ومنهم بولس ـ قد صانعوا ـ من يدعونهم
فقد كان لا يطلب منهم صورة معينة للصلاة ، كمثال على ذلك (١)

٣ـ دور قسطنطين بعد قرون ثلاثة فى تغليب رأى القائلين بالتثليث
على مفكرى ذلك فى مجمع نيقيه وهو أول المجامع النصرانية عن طريق فرض ذلك بما
يملك من سلطان سياسى .

٤ـ اختفاء الانجيل الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام .

أما السبب أو الأسباب التى جعلت شعوب الدولة الرومانية تقبل على
اعتناق النصرانية ـ المحرفة ـ فيمكن تلخيصها فيما يلى :

١ـ اشتمال النصرانية ـ المحرفة ـ على بعض ما يعتقده الوثنيون .
٢ـ وعدها للناس بالخلاص من الآلام والظلم والفقر فى عالم آخر ، مع عدم
تحقيق العدل فى الدنيا* ، أو محاولة تحقيقه ، وهذا يؤدى الى الهروب
من عالم لا يحبونه .

٣ـ اشتمال النصرانية ـ بعد تحريفها من قبل بولس ـ على ما يرضى
ميول رجال الفلسفة الاغريق والرومان .

٤ـ اعجاب الوثنيين بصمود النصارى للاضطهاد . (٢)

وبعد أن أوضحت كيف أثرت العقائد السائدة فى عهد المسيح
وقبله ، فى المسيحية ـ تحريفا ـ الذى نتج بسبب دخول بعض معتنقى هذه
العقائد ، ومنهم بولس ، وقسطنطين ـ أود أن أوضح أثر كل منهما فى تحريف

---

(١) انظر فى هذا الكتاب : الله واحد ام ثالوث : ٨٨
(٢) انظر تفصيل ذلك فى : افكار ورجال : ٢٠٢ - ٢٠٥ .
(*) انظر فى ذلك رسالة بولس الى اهل أفسس ٦ : ٥-٧
وانظر رسالته الاولى الى تيموثاوس ٦ : ١ اذ يقول فيها "ذكرهم
أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا" نقلاً عن المسيحية
ص ٩٦

النصرانية ثم أعقب ذلك ببيان أثر المجامع المسكونية فى التحريف أيضا . فأقول ومن الله استمد العـــون :

دور بولس فى التحريف : بعث الله المسيح عليه السلام على حين فترة من الرسل فى بيئة طيئة بركام هائل من الوثنيات ـ التى ذكرت بعضها فيما سبق ـ ولينتشل قومه اليهود ـ من هذه الوثنيات ويهديهم الى توحيد اللــه الذى دعا اليه اسلافه من الانبياء عليهم السلام .

" ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت .. "
النحل : ٣٦ .

ولا ريب لدينا نحن المسلمين أنه عليه السلام قام بتبليغ الرسالة الـــتى حملها اياها من قبل ربه جل وعلا خير قيام ، وكان على قومه شهيدا عليهــــم ما دام فيهم فلما توفاه الله حدث فى اتباعه من التحريف والانحراف والنكــوص عما جاء به ما لم يدر بخلد انسان (١)

وقد استغرقت عملية التحريف هذه ـ فى العقيدة والشريعة ـ قرونـــا كثيرة حتى وصلت النصرانية الى ما هى عليه الآن . وكانت البداية فى هــذا مبكرة جدا بعد رفع المسيح عليه السلام وفى وقت مازال الحواريون فيه على قيد الحياة ، وذلك على يد رجل يهودى اسمه " شاوول " وتسمى بـ" بولس" بعد أن زعم اعتناق النصرانية .

من هو بولس : كان لبولس هذا شأن كبير فى النصرانية فهى فى واقـع الحال تنسب اليه أكثر مما تنسب لأحد غيره ، فى نظر المؤرخين الغربيـين المؤسس الحقيقى للمسيحية بعد رفع عيسى عليه السلام*

وقد أوضحت المصادر الدينية للنصرانية انتمائه العقدى ، ومكان مولده وتربيته اذ جاء فى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر أعمال الرسل ، علــى

---

(١) انظر سورة المائدة : ١١٦ ، ١١٧ .

(*) انظر فى هذا معالم تاريخ الانسانية : ٣/٧٠٥-٧٠٧ والاسفار المقدسة : ٧٢ ومحاضرات فى النصرانية : ٧٨ .

لسانه أنه يهودى ولد فى طرسوس ،وتربى فى القدس . اما ما جاء فى آخر الاصحاح مما يدل على أنه رومانى - وثنى - فلا يناقض ما قررت اذ أنه ادعى الرومانية حين مده رجال السلطة لجلده بالسياط معتقدين أنه من أتباع عيسى عليه السلام ، فادعى الرومانية ليطلقوسراحه ،فأطلق سراحه بناء على دعواه . لكن المحقق باعترافه ، أنه يهودى ،غير أنه ادعى أنه رومانى - وثنى - ليجد فى ذلك المخرج الذى ينجيه من التعذيب فتم له ما أراد بهذه الحيلة . ويرجح أنه يهودى أنه أرسل من قبل الكهنة فى القدس على رأس جماعة الى دمشق ليحمل الرسائل الى يهود دمشق وليقبض على المسيحيين، كما ورد فى الاصحاح الثانى والعشرين .

وينتمى بولس أو " شاوول " الى طائفة [illegible] (1)* وهى طائفة تتميز عن غيرها من الفرق اليهودية بفروق اعتقادية لعل من أهمها أنهم أشد الفرق أتباعا للأهواء (٢)

وتعنى كلمة "فريسى" المنشق .

" ... وفريس معناه " المنشق " ولعل مرجع هذا المعنى الى أنهم انشقوا عن مسلك عامة اليهود التابعين لتعاليم التوراة ، أو أنهم انشقوا عن الطائفة اليهودية التى تسمى " الصادوقية " التى كانت أول من ثار ضد الفرنسين الذين يتبعون أهواءهم " (٣)

وهم أكثر عددا من الصدوقيين فى ما مضى تاريخهم وحاضره ،ومبادئهم وآرائهم اكثر شيوعا بين سواء الشعب وغلبته الذين لا يخالطون الاجانب" (٤)

---

(١)* انظر : الكتاب المقدس : ٢/٢٣ .

(٢) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة : ٥٥ ، ٥٦ .

(٣) التلمود تاريخه وتعاليمه : ٣٢ وانظر الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة : ٥٥ ، ٥٦ .

(٤) الأسفار المقدسة : ٥٥ ، وحياة المسيح : ٤٩ .

ويبدو أن بولس كان ينفذ تعاليم المحكمة اليهودية العليا المسماه " صانهدرين "* أو " سنهدرين " اذ كان أستاذه " عمائيل " أحد أعضاء هذه المحكمة (١)

اضطهاد بولس للنصارى : عرف بولس " شاوول " بعداوته لعيسى وأتباعه واضطهاده لهم فى عهد عيسى وبعد رفعه. وخير ما يذكر هنا هو اعتراف بولس بذلك فهو يقول :

" سمعتم بسيرتى قبلا فى الديانة اليهودية ، انى كنت أضطهد كنيسة الله بافراط وأتلفها ، وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من أترابى فى جنسى اذ كنت أوفر غيرة فى تقليدات آبائى " (٢)

ولعل من أسباب اضطهاده وقومه اليهود لاتباع المسيح ما كان يوجهه المسيح عليه السلام من تقريع شديد لليهود وخاصة الفريسيين ، يكشف به كفرهم ونفاقهم وتحريفهم للتوراة وابتداعهم أحكاما فاسدة ما أنزل الله بها من سلطان . (٣)

الكيفية التى اعتنق بها بولس النصرانية : هذا الشخص الذى كان من أعداء المسيح وأتباعه فى حياته وبعد رفعه تحول فجأة ودون مقدمات الى النصرانية ، بل أصبح الشخصية الأولى التى كان لها دور أعظم وأكبر من دور المسيح عليه السلام فى العقائد والشرائع التى يعتنق النصارى كثيرا منها الآن ،بل لم يحظ أحد فى تاريخ الكنيسة النصرانية بمثل ما حظى به من التقديس والاجلال .

(*) " صانهدرين " أو " سنهدرين " تعنى بالعبرية " المحكمة العليا - وهو الباب الرابع من رسالة المثناه " نيزيكين " ويعالج حسب معناء اللفظى - موضوع المحكمة اليهودية العليا وقواعدها ودستورها .

(١) محاضرات فى النصرانية : ٨٩ .

(٢) الكتاب المقدس " رسالة بولس الى أهل غلاطيه : ١ : ١٣، ١٤ وانظر اعتراف بولس باضطهاد النصارى ايضا فى رسالة أعمال الرسل الاصحاح الثانى والعشرون : ٢/٨ ص ٣١٦ .

(٣) الاسفار المقدسة فى الاديان السابقة : ٥٥

يقول الشيخ أبو زهره عن اعتناق بولس للنصرانية :

" ... ولكن سفر الأعمال يقول ان ذلك الرجل الذى كاد للمسيحية هذا الكيد وآذى أهلها ذلك الايذاء ، قد انتقل من الجبت والطاغوت الى المسيحية فجأة من غير مقدمات تقدمت ذلك الانتقال ، ولا تمهيدات مهدت له "(١)

وتذكر رسالة أعمال الرسل " متى وكيف اعتنق هذا الرجل المحتال النصرانية فتقول :

" ... وفيما هو منطلق وقد قرب من دمشق أبرق حوله بغتة نور من السماء (٤) فسقط على الأرض وسمع صوتا يقول له شاول شاول لم تضطهدني (٥) فقال من أنت يارب . قال أنا يسوع الذى أنت تضطهده أنه لصعب عليك أن ترمى المهماز (٦) فقال وهو مرتعد متذهل يا رب ماذا تريد أن أصنع (٧) فقال له الرب قم وادخل المدينة وهناك يقال لك ما ينبغى لك أن تصنع . أما الرجال المسافرون معه فوقفوا مبهوتين يسمعون الصوت ولا يرون أحدا (٨) فنهض شاول عن الأرض ولم يكن يبصر شيئا وعيناه مفتوحتان فقادوه بيده وأدخلوه الى دمشق (٩) فلبث ثلاثة أيام لا يبصر ولا يأكل ولا يشرب (١٠) وكان بدمشق تلميذ اسمه حنينا فقال له الرب فى الرؤيا حنينا فقال هأنذا يا رب (١١) فقال له الرب قم فانطلق الى الزقاق الذى يسمى القويم والتمس فى بيت يهوذا رجلا من طرسوس اسمه شاول فهوذا يصلى ..

(٢٠) وللوقت أخذ يكرز فى المجامع بيسوع أنه هو ابن الله (٢١) فدهش كل الذين سمعوه وقالوا اليس هذا هو الذى كان يبيد فى أورشليم الداعين بهذا الاسم وانما جاء الى هنا ليسوقهم موثقين الى رؤساء الكهنة (٢٢) وكان شاول يزداد قوة ويخجل اليهود القاطنين بدمشق مبرهنا ان هذا هو المسيح ...

(٢٦) ولما اقبل الى أورشليم التمس أن يتصل بالتلاميذ لكنهم كانوا يخافون منه ولم يصدقوا أنه تلميذ (٢٧) فأخذه برنايا ودخل به على الرسل

---

(١) محاضرات فى النصرانية : ٨٥ ، ٨٦ .

وبين لهم كيف رأى الرب فى الطريق وأنه كلمه وكيف بشر باسم يسوع فى دمشق بجرأة (٢٨) فكان معهم فى أورشليم يدخل ويخرج ويبشر باسم الرب بجرأة"(١)

وهكذا يتضح كيف استطاع بولس أن يدعى الدخول فى النصرانية بهذه الطريقة العجيبة الغريبة التى لم تحدث فى تاريخ الدعوات ، واستطاع عن طريقها أن يدخل الشرك على أبتاع عيسى بادعاء الوهيته عليه السلام.

وبسرعة وبدون مقدمات ايضا يبدأ هذا الرجل المحتال يكرز أى "يدعو" بأن يسوع ابن الله ويدهش السامعون لكلامه لأنهم يعلمون أن هذا الرجل هو الذى كان يضطهد الذين يدعون الى دين المسيح .

ان السؤال الذى يبقى واردا على هذه القضية هو كيف اقتنع الذين سمعوا بولس يكرز بأن يسوع ابن الله بهذا الكلام ؟ بل كيف اقتنعوا به من شخص كان الى عهد قريب يضطهد اتباع عيسى عليه السلام وما كان مجيئه لدمشق الا لهذا الهدف ؟!

هل ألغى هؤلاء عقولهم ام ماذا حصل لهم حتى يصدقوا بهذه القضية وعيسى لم يمضى عليه زمن طويل من حين رفعه الله اليه ؟!

ثم كيف اقتنع برنابا الحوارى " المدعى عند النصار بهذه القضية التى دخل بسببها الشرك فى الديانة النصرانية ؟

ان هذا التصرف المدعى من برنابا يجعل الباحث يضع علامة استفهام كبيرة حول دعوى " صحبته لعيسى " وبالتالى حول صحبة من ادعت المصادر المسيحية انه من الحواريين ، وما من شك ان الحواريين الذين أشاد الله بهم فى القرآن كانوا يؤمنون بان عيسى عبد الله ورسوله ،فكل من ادعت المصادر المسيحية أنه من الحواريين ويعتقد بألوهية عيسى فهو قطعا ليس من الحواريين .

---

(١) انظر الكتاب المقدس : "العهد الجديد - اعمال الرسل : ج٢ ف٩ ص٢١٨
وهذه المرحلة الى دمشق هى الرحلة التى كلف بها من قبل كهنة اليهود فى القدس لتسليم رسائل ليهود دمشق واضطهاد النصارى
انظر نفس المصدر : ج٢ ف٨ ص٢١٦ .

هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فإن بولس حين أتى الى دمشق لم يكن معه الا من كان يهوديا خالصا غير مؤمن بعيسى ، ومن ثم تكون شهادة برنابا المزعومة لبولس أنه رأى الرب داحضة .

ويؤيد ما قلت أن برنابا نفسه الذى شهد لبولس برؤية الرب ـ أى عيسى قد اختلف مع بولس فى نهاية الامر مما دعاه الى كتابة انجيل اسماه باسمه (١)

---

(١) انظر انجيل برنابا : ٣ .

تأثير بولس على النصرانية - عقيدة وشريعة :

أ - تأثيره على العقيدة : يتضح تأثير بولس على العقيدة من قراءة النص السابق ذكره فى الفقرة السابقة والتى ادعى فيها بولس ألوهية عيسى عليه السلام كما يتضح من رسالته الى أهل رومية التى يقول فيها :

" (١) من بولس عبد اليسوع المسيح المدعو ليكون رسولا المعزوزلا نجيل الله (٢) الذى توعد به قيل على السنة أنبيائه فى الكتب المقدسة (٣) عن ابنه الذى صار من ذرية داود بحسب الجسد (٤) الذى حدد أن يكون ابن الله بالقوة بحسب روح القداسة بالقيامة بين الأموات وهو يسوع المسيح ربنا (٥) الذى نلنا به النعمة والرسالة لطاعة الايمان فى جميع الأمم لأجل اسمه (٦) وانتم ايضا من جملتهم مدعو ويسوع المسيح (٧) الى جميع من برومية من أحباء الله المدعوين ليكونوا قديسين النعمة لكم والسلام من الله أبينا ومن الرب يسوع المسيح "(١)

يقول المؤرخ ويلز - فى حديثه عن ما أضيف الى النصرانية من العقائد الوثنية السائدة فى ذلك العصر بفعل بولس الذى كان معتنقا خليطا منها - ما يلى :

" ... وظهر للوقت معلم آخر عظيم يعده كثير من الثقات العصريين المؤسس الحقيقى للمسيحية وهو شاؤل الطرسوسى أو بولس . ويظهر أن شاؤل اسمه اليهودى وأن بولس اسمه الرومانى .... - - - - - - - - - - -

والراجح أنه كان يهودى المولد وان كان بعض الكتاب اليهود ينكرون ذلك (*) ولا مراء فى أنه تعلم على أساتذة من اليهود بيد أنه كان متبحرا

---

(١) الكتاب المقدس " العهد الجديد رسالة بولس الى اهل رومية : ٢/١/ ٢٦٢ ج ف ص

* ١ ينكر الكتاب اليهود ذلك امعانا فى التضليل حتى لا يكتشف النصارى كيد اليهود لهم .

فى لاهوتيات الاسكندرية الهيلينية . . . . وهو متأثر بطرائق التفكير الفلسفى للمدارس الهيلينستية* وبأساليب الرواقيين على أن تمكنه من اللغة الراقية الرفيعة عظيم مدهش ، كان صاحب نظرية دينية ومعلما يعلم الناس قبل أن يسمع بيسوع الناصرى بزمن طويل . . . .

ومن الراجح جدا أنه تأثر بالمترائية . اذ هو يستعمل عبارات عجيبة الشبه بالعبارات الميثرائية . ويضح لكل من يقرأ رسائله المتنوعة جنبا الى جنب مع الاناجيل ، ان ذهنه كان مشبعا بفكرة لا تبدو قط بارزة قوية فيما نقل عن يسوع من أقوال وتعليم . الا وهى فكرة الشخص الضحية الذى يقدم قربانا لله كفارة عن الخطيئة فما بشر به يسوع كان ميلاداً جديداً للروح الانسانية ، أما ما علمه بولس فهو الديانة القديمة ، ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلبا لاسترضاء الاله . . . .

كان يسوع فى نظره حمل عيد الفصح تلك الضحية البشرية ، المأثورة المبرأة من كل عيب ودنس التى تعقبت فى اصرار ديانات الشعوب البيضاء الداكنة .

ان بولس الناصريين بقوة خارقة لانه جاءهم بتفسيره هذا المقنع تماما لكارثة الصلب . وكان تفسيره ذاك نوراً ساطعاً سلط على دياجير الحيرة المطلقة التى رانت على عقول الناس .

ولم ير بولس يسوع قط . ولا بد أنه استقى معرفته بعيسى وتعاليمه سماعاً عن التلاميذ الأصليين ومن الجلى أنه يدرك الشىء الكثير من روح المسيح ومبدئه الخاص بالميلاد الجديد . بيد أنه ادخل هذه الفكرة فى صرح نظام لاهوتى ، نظام يتسم بشديد البراعة والخفاء ، لا يبرح الى اليوم يستهوى العقول بصفة رئيسية . ومن الواضح أن عقيدة الناصريين التى وجدها على صورة مبدأ للحفز والاثارة وأسلوب للعيش قد تحولت على يديه الى مذهب " ايمان " ذلك بأنه وجد الناصريين ولهم روح ورجاء وتركهم مسيحيين لديهم بداية عقيدة . . "(١)

---

(١) معالم تاريخ الانسانية : ٣/٧٠٥ - ٧٠٧ .

(*) العصر الهلينستى : يحصر فى الفترة الواقعة بين القرنين السادس والرابع والقرن الاول قبل الميلاد - انظر فى هذا الكتاب : افكار ورجال : ١٤١ وارتبط هذا الاصطلاح دائماً بالدلالة على الحذلقة او الاكاديمية والتقليد والمهارات الفنية دون دعوة أو الهام . انظر نفس المصدر : ١٥

ويمكن أن نستنتج من هذا النص عدة استنتاجات هي :

أولاً :ـ ان بولس كان صاحب نظرية دينية قبل اعتناقة النصرانية ـ المزعومه ـ ولا شك ان هذه النظرية خليط من فكرة اليهودى ، والافلاطونية الحديثة ، والرواقية ، والميثرائية ، اذ هو متأثر بهذه الفلسفات اضافة الى فكره اليهودى .

ثانياً :ـ شخصيته التآمرية المحبة للاضطهاد والتعذيب ، فقد برز اسمه اكثر من غيره من اليهود فى عملية اضطهاد النصارى .

ثالثاً :ـ أنه هو الذى قدم التفسير الذى لا يزال يأخذ به النصارى حتى الآن لعقيدة الصلب المزعومة وهو تفسير مقتبس من الميثرائية .

بهذه الطريقة ـ مع غض الطرف عن دوافع هذا اليهودى الخفية ـ استطاع هدم عقيدة التوحيد النقية الصافية التى بعث بها عيسى وغيره من الانبياء قبله ، وبعده . وأوقع اتباع عيسى عليه السلام فيما كان قد حذرهم منه أبلغ التحذير :

" وقال المسيح يا بنى اسرائيل أعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار" المائدة : ٧٢ .

"وأسس باسم يسوع دينا لا يفقهه يسوع لو كان حيا "(١)

لكن السؤال الذى يطرح نفسه هو هل ثبت هدم التحريف بسهولة أم لا ؟

الجواب على ذلك بالنفى فقد شهدت القرون الثلاثة الأولى لبعثة المسيح صراعا عنيفا بين أتباع بولس ، ومنهم اثناسيوس(*) وبين منكرة

---

(١) حياة الحقائق : ٦٤ . وانظر كتاب : المسيحية : ٧٥ ، ٧٦ . لمعرفة كيف ادخل بولس تعاليم اليهود حول المنقذ والمخلص وكيف ادخل فى المسيحية الفكرة اليونانية عن اتصال الاله بالارض عن طريق "الكلمة" ابن الاله ، الروح القدس".

(*) أثناسيوس أو أثانسيوس هو رئيس الشمامسة فى الاسكندرية فى القرن الرابع وقد حضر مع الاسكندر رئيس أساقفة الاسكندرية لمجمع نيقيه وكان ضمن المناقشين لآريوس . انظر قصة الحضارة : ٣٩٥/١١ .

التثليث ،وعلى رأسهم فى القرن الرابع آريوس ،ولم تحسم القضية الا فى الربع الاول من القرن الرابع حين عقد مجمع نيقيه ،وكان ذلك لصالح مذهب التثليث رغم أنهم قلة فى المجمع .

وقد أوضح كرين ترنتن عقيدة التثليث التى انتصرت فى مجمع نيقيه فلقال :

" ... والثالوث " الله الابّ ، ويسوع الابن ، وروح القدس " طبقا لهذه العقيدة أشخاص حقيقيون عددهم ثلاثة لكنهم واحد أيضاً ، وبعمت المسيحية وحدانية تثليثها يسمو على الرياضيات "(١)

هل رأيت امرا عجيبا يصعب على العقل فهمه مثل هذا القول الآلهة ثلاثة فى عددهم ولكنهم واحد . أن العقل البشرى لا يتصور بل لا يتخيل أن يكون الثلاثة واحدا والواحد ثلاثة .

لقد ظل وسيستمر العقلاء من البشر فى الالحاح بالطلب الى رجال الكنيسة لاعطاء تفسير مقنع وواضح عن هذا اللغز المسيحى ، اذ كيف سيصدقون مهما استغفلهم رجال الكنيسة ان (١ + ١ + ١ = ١ ؟ و ١ × ٣ = ١) .

ورجال الكنيسة حتى هذا العصر لديهم اجابات جاهزة لمثل هذه الأسئلة المحرجة لهم فعلا فقد اجابوا من استشكل فى هذا وطلب تفسيرا له فى السابق ،وسيجيبون من يستشكل ذلك حالياً ، ومستقبلاً ، بأن هذا الأمر سر لا يستطيع العقل ادراكه .

فهذا القس " توفيق جيد " يقول :

" ان الثالوث سر يصعب فهمه وادراكه ،وان من يحاول ادراك سر الثالوث تمام الادراك كمن يحاول وضع مياه المحيط فى كفه ... "(٢)

وقد صرح " أوغسطين " وهو من كبار قساوستهم فى "كتابه "تعليقات على

---

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة : ٨٣ .

(٢) الله واحد ام ثالوث : ٧٠ وانظر ص ١٠ من الكتاب نفسه .

سفر التكوين " بأن ليس في الوسع التسليم برأى لا تؤيده الكتب المقدسة لأن سلطانها أقوى من كل سلطان أمر به العقل البشرى "(١)

وهذا القس هو الذى وضع للكنيسة دستورا تلتزمه ازاء كل حركة عقلية وسلم تمشيا مع المنطق " الثالوثى " بمعاقبة الطحد أى غير المقر بالتثليث بالنفى والجلد وفرض الغرامات "(٢)

هذا هو رأى رجال الكنيسة الشرقية والغربية أن الثالوث سر . وهكذا يتبين من هذه الأقوال أن رجال الكنيسة لم يضعوا حلا شافيا لهذا اللغز الا بالقول بأنه سر .

ان رجال الكنيسة باعتقادهم بالتثليث قد فتحوا على أنفسهم ثغرة واسعة جداً ليس لديهم القدرة على سدها الا بمثل الكلام السابق . وفعلا استغل هذه الثغرة فى العقيدة المسيحية ـ التى صنعها بولس وعممها قسطنطين ـ رجال الفكر اللاديني وكانت من أكبر العوامل التى ساعدت هؤلاء على الانتصار على هذه العقيدة المحرفة باسم العلم والبحث العلمى . واستطاعوا فى بعض مراحل صراعهم مع رجال الكنيسة اختراع منهج اسموه " النقد التاريخى للكتب المقدسة " وكان ابتداء ذلك منذ القرن السابع عشر . (٣)

وهكذا نجد أن التثليث عقيدة تتصف بأنها عقيدة مستغلقة على الفهم ، ويعلم رجال الكنيسة ذلك ولكنهم لم ولن يستطيعوا حل هذا اللغز .

بـ تأثير بولس على الشريعة :ـ يتضح تأثير بولس من خلال قراءة هذا النص الذى أنقله عن الدكتور احمد شلبى . اذ يقول :

" . . . ويمكن القول دون تردد ان رسائل بولس وحدها مصدر التشريع فى المسيحية وان التشريعات التى وردت فى الرسائل الأخرى كانت تكرارا

---

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة : ٨٣ . وانظر رأى أنسلم وتوما الاكوينى من القس فى القرنين الثانى والثالث عشر فى نفس المصدر : ٨٧ .

(٢) نفس المصدر : ٨٣ .

(٣) انظر قول رينان احد رواد منهج " النقد التاريخى للكتب المقدسة " فى نقد الاناجيل فى كتاب محاضرات فى النصرانية : ٢٢٧ .

وصدى لآراء بولس فى تشريعاته وعلى هذا لم يكتف بولس بان يضع مبادىء المسيحية وشعائرها بل شرع قوانين للمسيحيين يتبعونها فى حياتهم العامة فهو الذى أوصى بما تراه فى الكنائس من التسابيح والأغانى الروحية والمزامير والتراتيل وهو الذى يقول بعدم وجوب الختان ويدلل على ذلك بقولــه " دعى احد وهو مختون فلا يصير اغلف ، ودعى احد الى العزلة فلا يختتن ليس الختان شيئا وليست العزلة شيئا بل حفظ وصايا الله ".

ويجيز بولس الزواج للأساقفة بقوله : " يجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل أمرأة واحدة ،وليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة . ويتكلم بولس عن العلاقة بين الزوج والزوجة وعن واجب الزوجة ،ويقرر بوضوح أن الرجل أفضل من المرأة وانها خلقت من أجله ....." (١)

وبهذا يتضح أن النصارى قد رضوا بأن يشرع لهم بولس ، شرائع وعقائد لم يأذن بها الله سبحانه وتعالى جعلوه شريكا لله فى التشريع فصدق عليهم قوله تعالى " أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله " الشورى : ٢١

وصدق على بولس أنه أحد الطواغيت الذين أستباحوا لأنفسهم التشريع للبشر من عند أنفسهم .

" والطاغوت : كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون اليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله . (٢)"

وعند الامام مالك أن الطاغوت هو " ما عبد من دون الله " (٣)

---

(١) المسيحية : ١٠٥ ، ١٠٦ . وانظر : ١٠٧ من الكتاب لمعرفة اباحته لأكل الخنزير.

(٢) ،(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : ١٦ ، ٣٥١ .

ويجمل بنا أن نختم هذه الفقرة بما قاله " ويلز " فى كتابه " معالم تاريخ الانسانية " وهو يوضح ما اسهمت به كل نحلة من النحل التى كان يعرفها بولس فى الفكر المسيحى بعد بولس :

" .. على أن ما اسهمت به نحلة الاسكندرية فى الفكر المسيحى والطقوس المسيحية كان أعظم قدرا أو يكاد . اذ كان طبيعيا أن يجد المسيحيون فى شخصية جورس " الذى كان ابنا لسيرابيس وهو سيرابيس فى نفس الوقت " ، شبيها مرشدا لهم فيما يبذلون من جهود عليفة لتفهم ما خلفه لهم القديس بولس من خفايا . وقد كان الانتقال من هذا الى المطابقة بين شخصية مريم وايزابيس . ثم السمو بها مرتبة شبه قدسية - بالرغم مما سبق اقتبسناه من أقوال يسوع عن امه واخوته - خطوة طبيعية جدا كذلك ، وكان طبيعيا كذلك للمسيحية ان تقتبس وهى لا تكاد تعى ، الطرائق العلمية للديانات الشائعة فى ذلك الزمان . فاتخذ قساوستها طريقة الرؤوس الحليقة والزى الخاص بالكهنة المصريين ، لان ذلك كان يبدو الطريقة المثلى لتمييز القسيس وتتابعت البدع واحدة فى اثر الاخرى . وكانت نتيجة ذلك أن دفنت التعاليم الثورية الأصلية بطريقة تكاد تكون غير محسوسة تحت تلك " الاضافات المألوفة " (١)

---

(١) معالم تاريخ الانسانية : ٣ / ٧٠٩

الامبراطور قسطنطين ودورة فى التحريف :

لم يأخذ جمهرة النصارى بما أدخل بولس من التحريف فى النصرانية ـ عقيدة وشريعة ـ بل وجد معارضة له خاصة فيما يتعلق بالوهية عيسى عليه السلام حتى فرض قسطنطين التحريف كدين عام فى مجمع نيقية الذى حضره الفان وثمانية وأربعون أسقفا منهم فقط ثلاثمائة وثمانية عشر شخصا يقولون بالوهية عيسى . وقد عقد هذا المجمع بدعوة من قسطنطين أحد حكام الدولة الرومانية ،الذى اشترك فى الحكم مع " وليبسنيوس" منذ عام ٣١٢ ثم انفرد بالحكم من عام ٣٢٣ الى ٣٣٧ .وكان وثنيا .

أعلن اعتناقه للنصرانية عام ٣٢٣ ،لكنه لم يعمد الا فى فراش الموت عام ٣٣٧ ،وقد عمده " ايوسيبوس" المؤرخ الكنسى "(١)

والتعميد اعلان الدخول فى المسيحية عن طريق رش الماء على الجبهة أو غمس أى جزء من الجسم فى الماء ،ويكثر أن يغمس الشخص كله فى الماء ـ ويجب أن يقوم بهذه العملية كاهن "(٢)

ويذكر ول ديورانت قصة عجيبة توضح سبب اعتناق قسطنطين النصرانية وهى قصة لا تقل سخافة عن قصة دخول بولس فى النصرانية (٣) .

وقد كان لهذا الامبراطور الوثنى قسطنطين أثر كبير فى مناصرة عقيدة التثليث فى مجمع نيقية فانه لما اجتمع القسس المختلفون فى طبيعة المسيح وسمع قسطنطين مقال كل فرقة من ممثليها أمرهم بالمناظرة لينظر الدين الصحيح مع من ،واخلى دارا للمناظرة ولكنه لم يقف على الحياد بل مال الى رأى بولس وعقد مجلسا خاصا للاساقفة الممثلين لهذا الرأى وجلس فى وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه وقال " قد سلطتكم على مملكتى .... "(٤)

---

(١) قصة الحضارة : ١١/ ٣٨٤ - ٣٨٦ ومحاضرات فى النصرانية : ١٥٤ بتصرف يسير.

(٢) المسيحية : ١٤٦.

(٣) قصة الحضارة: ١١/ ٣٨٤-٣٨٦ . (٤) محاضرات فى النصرانية: ١٥٠

وهكذا استطاع هذا الوثنى أن يقرر عقيدة التثليث كعقيدة رسمية للدولة الرومانية عن طريق مناصره الثالوثيين على غيرهم . ومن المدهش فى الأمر أن يكون هو الحكم بين المتناظرين وهو لا يزال وثنيا ، اكتفى باعلان اعتناقه للنصرانية فكان ذلك مسوغا له ليكون حكما بين المتناظرين .

المجامع ودورها فى التحريف خاصة مجمع نيقية :

للمجامع المسكونية ـ العالمية ـ اثر كبير فى تقرير الانحرافات العقائدية والتشريعية التى أدخلت على دين عيسى عليه السلام . وقد بلغ عددها حتى عام ١٨٦٩م عشرون مجمعاً . ولعل من أهمها المجامع التالية :

١ـ مجمع نيقيه الذى عقد عام ٣٢٥ وتقرر فيه الوهية عيسى وسوف أفصل الحديث عنه بعد قليل . لأنه كان أول مجمع يقرر فيه التحريف كعقيدة رسمية .

٢ـ مجمع القسطنطينية الأول وفيه تقرر الوهية روح القدس وقد عقد عام ٣٨١ .(١)

٣ـ مجمع أفسس الأول وفيه تقرر أن المسيح اجتمع فيه الانسان والاله " الناسوت واللاهوت" لا الانسان فقط . وان مريم ولدت الاثنين . وقد عقد هذا المجمع عام ٤٣١ .(٢)

٤ـ مجمع خلقيدونيه أو خلقيدونية : وفيه تقرر عكس ما قرر فى مجمع افسس أى أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين لا طبيعة واحدة متحدة ، وقد عقد هذا المجمع عام ٤٥١ .(٣)

---

(١) محاضرات فى النصرانية : ١٥٩ ، ١٦٠ والمسيحية : ١٦٩ .

(٢) نفس المصدرين : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٩ .

(٣) نفس المصدرين : ١٦٤ - ١٦٩ - ١٦٩ ، ١٧٠ .

مجمع نيقيه ودوره في التحريف :

الحديث عن هذا المجمع - باعتباره أول مجمع يقرر فيه التحريف بصفة رسمية - يستدعي الحديث عن أسباب عقده وأهم قراراته . أما أسباب عقد المجمع فيمكن القول بأن هناك سببين عام وخاص ، اما السبب العام فهو اختلاف طوائف النصارى في شخص المسيح عليه السلام اختلافا لا يمكن معه اتفاق ، فمنهم من يقول أن عيسى رسول من عند الله فقط . ومنهم من يقول أن عيسى عليه السلام من الله بمنزلة الابن لأنه خلق من غير أب مع كونه مخلوقا لله لأنه كلمته . ومنهم من يقول أنه ابن الله له صفة القدم كما هي لله - تعالى الله عما يقول المشتركون علوا كبيرا - وكل يزعم أن عقيدته هي المسيحية الصحيحة التي جاء بها عيسى . ولكن الواقع أن هذه الآراء قد ظهرت بعد أن دخلت النصرانية طوائف من وثنى الرومان واليونان والمصريين وبقى عند كل من عقائده الأولى ما أثر في تفكيره . (١)

أما السبب الخاص : فهو رأى آريوس المنكر لألوهية المسيح . وكان هذا الرجل يقاوم ماتبثه كنيسة الاسكندرية من الوهية المسيح ، وكان لآريوس موافقون كثيرون فقد كانت كنيسة أسيوط على رأيه ، وله أنصار في الاسكندرية وفلسطين ، ومقدونية ، والقسطنطينية وأراد بطريرك الاسكندرية القضاء على هذه الفكرة فعمد الى لعنه وطرده من حظيرة الكنيسة ، بناء على رؤيا رأى فيها المسيح - كما زعم - يتبرأ من آريوس ويلعنه . كما أمر البطريرك بطرس بنفيه ، ولذا عقد المجمع للاتفاق على رأى في هذه القضية . (٢)

وقد حضر هذا المجمع الفان وثمانية وأربعون اسقفا ، يعتنقون آراء ستة حول طبيعة المسيح هل هو اله ام لا ؟ منهم ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفا يقولون برأى بولس وهو الوهية المسيح - تعالى الله عما يقول الكافرون علوا عظيما . (٣)

---

(١) ، (٢) محاضرات في النصرانية : ١٤٦ ، ١٤٧ بتصرف.

(٣) المصدر السابق : ١٤٩ ، ١٥٠ ، والمسيحية : ١٦٨ .

وقد انفض مجمعهم مقررا قرارات عدة فى العقيدة والتشريع :

١- القول بالتثليث وبألوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيرا عن خطيئة البشر .

٢- عدم التصريح لمن يترمل عن الكهنة بأن يتزوج مرة أخرى ، كى يكون كل منهم كما قال بولس " بعل امرأة واحدة " .

٣- تدمير الكتب المقدسة التى تتعارض مع القرارات السابقة وقرر اختيار أربعة أناجيل هى " لوقا ، ومتى ، ومقرقس ، ويوحنا " .

٤- لعن من يخالف هذه القرارات وحرمان آريوس واسقفين وغيرهما ممن يقول بقولهما . (١)

ثم صدر مرسوم آخر باحراق كتب آريوس وجعل اخفاء أى كتاب منها جريمة عقوبتها الاعدام . (٢)

وهكذا أصبحت العقيدة والشريعة يقررهما البشر من دون الله ، فوقع هؤلاء القساوسة فى الشرك الذى حذرهم عيسى منه ، كما ورد فى آيات القرآن ففى هذا المجمع قرروا ان عيسى اله ، وعيسى سينفى ذلك عن نفسه يوم القيامة .(٣)

وقرروا تحريم الزواج لمن يترمل من الكهنة ، فشرعوا من عند أنفسهم ما لم يأذن به الله واختاروا من الأناجيل التى كانت شائعة - وهى محرمة - أربعة أناجيل ، وهذا تحكم لا مبرر له اذ لم يذكر فى قراراتهم أى مبرر لاختيار هذه الكتب وحدها ومحاربة غيرها ولا بد من تبرير مثل هذا العمل والا كان عملا تسلطيا لا معنى له .

ولا شك أن هذا المجمع كان أهم المجامع تأثيرا فى المسيحية ، ولذلك قسم كثير من مؤرخى الفكر الغربى النصرانية الى قسمين متضادين تجمع بينهما فقط النسبة الى المسيح عليه السلام .

---

(١) المسيحية : ١٦٩ .

(٢) قصة الحضارة : ٣٩٥/١١ ومحاضرات فى النصرانية : ١٥٠ ، ومعالم فى تاريخ الانسانية : ٧٢٠/٣ وانظر محاضرات فى النصرانية : ١٥١-١٥٤ لمعرفة النقد الموجه الى قرارات هذا المجمع .

(٣) سورة المائدة : ١١٦ ، ١١٧ .

الأول ـ المسيحية الأصلية أو ما يسميه المؤرخون " مسيحية يسوع ".

الثانى ـ المسيحية الرسمية ، أو ما يسميه المؤرخون " مسيحية بولس "

ويريدون بها العقيدة التى فرضها هذا المجمع بتأثير من قسطنطين وهى خليط من عدة عقائد وثنية كما أوضحت سابقا . (١)

هذا هو ما يراه بعض مؤرخى أوروبا فى المسيحية . ولكن ما هو رأى رجال الكنيسة فى ذلك . يقول " ليكونت دى نوى " :

" لقد تجرأ أسقف كبير هو الدكتور وليام تابل أسقف كنيسة كنتربرى " الكنيسة الانجليزية الأولى " على القول بأن من الخطأ الفاحش أن نظن أن الله وحده الذى يقدم الديانة أو القسط الأكبر منها " (٢)

وهكذا يكون ما اعتنقته أوروبا من دين ليس هو الدين السماوى الذى نزل على عيسى بالانجيل موصى به من عند الله ، وانما هو دين مركب من العقائد السائدة فى عصر المسيحية الأولى .

تحريف الأناجيل :ـ لا ريب ان الله سبحانه وتعالى أنزل انجيلا واحدا على عيسى عليه السلام مكملا للتوراة التى أنزلها على موسى عليه السلام.(٣)

ومن المقطوع به أن القرآن الكريم فقط من دون الكتب السماوية السابقة هو الذى تكفل الله بحفظه . قال تعالى :

" انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " الحجر : ٩ . أما الكتب السماوية الأخرى ومنها الانجيل فقد وكل الله حفظها الى علماء دينها ، لأنها كانت شرائع خاصة بالأمم التى يرسل اليها المرسلون .

---

(١) انظر فى بيان ذلك كتابى : افكار ورجال : ٢٠٧ ، ومعالم تاريخ الانسانية : ٣/ ٧٢٠ ، ٧٢١ .

(٢) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين : ١٥ وانظر قوله الآخر ص ١٦ وقول اللورد هدلى ص ١٦ .

(٣) انظر سورتى الصف : ٦ وآل عمران : ٥٠ .

"انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ... " المائدة : ٤٤.

فعلى هذا كان الواجب على القسس - وهم علماء النصارى - المحافظة على الانجيل بنصه الذى أنزل به من أن تمسه يد التحريف ، بيد أنهم فرطوا فى ذلك بل هم ممن شاركوا فى التحريف . وهكذا لم يأتى زمن النبى صلى الله عليه وسلم الا وقد عرف الانجيل تحريفا كاملا ، بالزيادة عليه تارة وبالنقص منه تارة اخرى ، وبالكتمان ثالثة . ونزل القرآن مقررا ذلك قال تعالى :

" وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله . ويقولون على الكذب وهم يعلمون " آل عمران : ٧٨ . (١)

ويقرر محرروا دائرة المعارف البريطانية هذه الحقيقة اذ يقولون :

" ... لم يبق من أعمال السيد المسيح شىء ولا كلمة واحدة مكتوبة" (٢)

ويقول اللورد هدلى :

" ليس الانجيل الا مجموعة من كتب كتبت فى أوقات متباعدة عن بعضها" (٣)

هذا ما يقوله المعاصرون فماذا يقول أهل القرن الأول الميلادى ؟

يقول أحد شراح الاناجيل وهو آدم كلارك فى المجلد السادس من تفسيره للانجيل فى بيان تحريف انجيل المسيح ما يلى :

" هذا الأمر محقق أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة فى أول القرون المسيحية وكثرة هذه الأحوال الكاذبة الغير صحيحة هيجت لوقا على تحرير الانجيل ، ويوجد اكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية . وكان " فايرى سيبوس " جمع هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها فى ثلاث مجلدات " (٤)

---

(١) انظر ايضا سورة آل عمران : ٧٩ ، ٨٠ ، ١٨٧.
(٢) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين : ١٣.
(٣) نفس المصدر : ١٣.
(٤) اظهار الحق : ١/٢٩٢.

فهذا النص يقرر أن الانجيل فقز من واحد الى سبعين ،والمسيحية لا تزال فى أول عهدها مما دفع لوقا الى كتابة انجيله ـ المحرف ـ فأى هذه الأناجيل هو الانجيل الموحى به من الله الى عيسى ما دمنا مسلمين بأن الله جل وعلا لم ينزل الا انجيلا واحدا ؟

ان قراءة مقدمة انجيل لوقا تفسح لنا المجال الى الحكم على هذه الأناجيل ـ ومنها انجيله ـ بأنها جميعا ليست من عند الله . وهذه هى مقدمة انجيله :

"(١) اذا كان كثيرون قد أخذوا فى ترتيب قصص فى الأمور المتيقنة عندنا (٢)كما سلمها الينا الذين كانوا معاينين منذ البدء وخادمين للكلمة(٣) رأيت أنا أيضا بعد أن أدركت جميع الأشياء من الأول بتدقيق أن أكتبها لك بحسب ترتيبها ايها العزيز" تاوفيلس" لتعرف صحة الكلام الذى وعظت به .

فهذا النص صريح فى أن لوقا هو الذى كتب القصص بدافع شخصى .. ولم يزعم أنه كتبها بالهام أو أنه مسوق من الروح القدس . أو أن ما كتبه هو الحق المقدس . وعلى هذا فلا السبعون التى يكذبها آدم كلارك ولا انجيل لوقا الذى يصدقه وحى من عند الله ،بل لا ينسب أى واحد منها الى المسيح عليه السلام . اذ هى قصص وسير كتبها اتباع المسيح عن حياته ودعوته كما سمعوها ممن رأوا المسيح كما ذكر لوقا ذلك فى النص السابق ذكره .

ويرى غوستان لوبون أن هذه الأناجيل هى مجموعة أوهام وذكريات غير محققة بسطها خيال مؤلفيها . (١)

هذا ومن الأدلة على أن الانجيل محرف أمور منها :

---

(١) حياة الحقائق : ٦٢ .

١ـ أن الانجيل أصبح أناجيل كثيرة والله سبحانه وتعالى انما ذكر فى كتابه الكريم أنه أنزل انجيلا واحدا . (١)

٢ـ تأخر كتابتها عن زمن المسيح عليه السلام ، مع اختلاف المؤرخين فى زمن كتابة كل انجيل من الأناجيل التى اعترفوا بها وهى الأناجيل الأربعة "متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا". (٢)

٣ـ تناقضها فيما بينها ـ فيما تحمله من أخبار عن عيسى عليه السلام ـ وفى بقية نصوصها . (٣)

٤ـ فناء أكثرها فقد كانت سبعين انجيلا فاصبحت أربعة أناجيل . (٤)

٥ـ الترجمة وما يتبعها من خلل فى الألفاظ والمعانى . (٥)

٦ـ الاختلاف فى المؤلفين للأناجيل من حيث الادعاء بأنهم من الحواريين أولا . (٦)

٧ـ ما اعتراها من الاضافة والحذف . (٧)

٨ـ عدم الاعتراف بالأناجيل الحالية الا فى القرن الرابع . (٨)

٩ـ اعتماد بعضها دون البعض الآخر ومحاربته . (٩)

وقد اتضح لنا فيما سبق أن الأناجيل التى أقرها مجمع نيقيه هى أناجيل "متى ، ومرقس ، ولوقا ويوحنا" وأن ما عداها تحرم قراءته ويجب حرقه وابادته .

---

(١) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية : ٣٧ ، ٣٨ . واظهار الحق : ٢٩٢/١ . ومحاضرات فى النصرانية : ٤٨ .

(٢) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية : ٣٠ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٤ . ومحاضرات فى النصرانية : ٥٢ ، ٥٣ - ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٣ وقد قرر لويون أن أقدم انجيل هو انجيل مرقس الذى كتب بعد نصف قرن من رفع المسيح انظر حياة الحقائق : ٦٢ .

(٣) محاضرات فى النصرانية : ٩٩ . والمسيح فى مصادر العقائد المسيحية : ٧٨-١٠٣ .

(٤) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية : ٤٠ ، ٣٤ ، ٣٥ . والمسيحية : ١٧٧ .

(٥) المسيح : ٢٠ ، ٣٨ ، ٣٩ . والمسيحية : ١٨١ . ومحاضرات فى النصرانية : (٥ - ٥٨ .

(٦) المسيح : ٥٨ . ومحاضرات فى النصرانية ١٠٦ .

(٧) اظهار الحق : ٣٦/١ ، ٢ ، ٢٦٦ - ٣٣٦ .

(٨ ، ٩) محاضرات فى النصرانية : ٤٨ ، ١٥٣ . والمسيحية : ١٦٩ . والمسيح ٣٢ .

لكن هل حافظ رجال الكنيسة على هذه الاناجيل من أن تمسها يد تحريف ؟ الواقع الذى يشهد به التاريخ أنها لم تحافظ عليها ، بل كان للأباطرة والمجامع دور فى التحريف ، يشهد بذلك قول " لاندر" أحد مفسرى الاناجيل فى المجلد الخامس من تفسيره فهو يقول :

" حكم على الاناجيل المقدسة لأجل جهالة مصنفيها بأنها ليست حسنة بأمر السلطان أناسيطينوس فى الأيام التى كان فيها مسالة حاكما فى القسطنطينية فصححت مرة أخرى " (١)

ويقول الاستاذ سفر بن عبد الرحمن ما يلى :

" ... وهذا القول اعتراف بالغ الخطورة فهو يقرر ثلاث حقائق تاريخية :

١ـ أن مؤلفى الاناجيل مجهولون وظلوا كذلك حتى القرن الرابع الميلادى .

٢ـ أن لأهواء الحكام وميولهم يدا فيما تعرضت له الاناجيل من تحريف باسم التصحيح .

٣ـ أن التحوير والتعديل ظل يمارس فى الاناجيل دون شعور بالحرج مما يدل على أنه عادى مألوف " (٢)

هذا وقد ساق الشيخ رحمه الله الهندى فى كتابه القيم ـ اظهار الحق ـ خمسة وأربعين شاهدا على التحريف بالزيادة ، وخمسة وثلاثين على التحريف اللفظى بالتبديل وعشرون على التحريف بالنقص " (٣)

كما ثبت أن انجيل يوحنا كتب للرد على الذين كانوا ينكرون الوهية المسيح ، ولأن الاناجيل الثلاثة لم تنص على ذلك . (٤)

---

(١) اظهار الحق : ١/٢٩٦ .
(٢) العلمانية وأثرها فى الحياة الاسلامية : ٢٥ .
(٣) اظهار الحق : الجزء الاول . وانظر مثالا على الزيادة يتعلق بالوهية والتثليث ص ٢٥٧ .
(٤) محاضرات فى النصرانية : ٦٣ . وانظر فى نفس الصفحة كلام دبس الخورى ومؤلف مرشد الطالبين .

ب ـ تعريف الشريعـــة

للحديث عن هذا الموضوع الهام لا بد من معرفة مفهوم الدين وطبيعتـــه وهل كان له شأن في واقع الحياة عند الرومان الذين حملوا المسيحية المحرفـه ـ بعد مؤتمر نيقيه ـ هل كان له هذا الشأن قبل أن تعتنق الدولة الرومانية الديـن النصراني رسميا . وهل كانت الشريعة التى نزل بها عيسي مطبقة فـي واقع حياة المسيحيين قبل ان تعتنق هذا الدين الدولة الرومانيه باعتناق قسطنطين لها رسميا . ام لم تكن مطبقة ؟

فصل الدين عن الحياة عند الرومان : اما بالنسبة لمفهوم الدين وطبيعته عند الرومان فـان استقراء التاريخ يفيدنا بأن المجتمع الروماني " المستعمر " لم يكن يدين بديـن واحد ، ولا حتى فلسفة واحدة يؤمن بها ، بل هو غارق في جاهلية ذات اشكا ل مختلفة لكن يجمعها الاشتراك في الجاهلية ، ففيها تقديس الاساطرة وعبــادة الثالوت " يوبيتر ، مارس ، كويرينوس " وتقديس الصور والتماثيل والمدارس الفلسفيه كالرواقيه والابيقوريه وغيرها . فاذا اردنا ان نفصل ذلك بالنسبة للحكام والمثقفيـن وعامة الشعب قلنا ان الحكام لم يكن يهمهم الا الحفاظ علي حكمهم وارغام جمهـورة الناس علي تقديم القرابين الي تماثيلهم وان كانوا يشاركون عامة الناس في اعيادهـم الوثنيه وخدمة تماثيل الآلهه الكبيره .

أما الطبقة المثقفه فكانت تتنازعها الفلسفات الوثنيه كالفلسفه الاواقيـه ، والفلسفه الابقوريه ، وغيرها من الفلسفات الاخرى الوثنيه في افكارها وتصوراتهـا أما عامة الشعب فهي تميل الي التدين بفطرتها الا انها ترى التناحر والتنـازع بين الالهه والفلاسفه . مما جعلها تفقد الثقه فيها وبالتالي انصرفت الي الاستجابه الي ملذات الجسد البهيميه التى لا تحدها حدود .

وهكذا يمكن القول ان الروم لم يكونوا يعتنقون دينا واحدا اعتناقا جديـا يجعلهم يستمدون تصوراتهم وتشريعهم منه وحده ، يوضح ذلك ماقاله الاستاذ محمـد اسد .

" ان الرومانيين في الحقيقة لم يعرفوا الدين وان آلهتهم لم تكن سوى محاكاه شاحبة للخرافات اليونانيه : لقد كانت اشباحا سكتت عن وجودها حفظا للعرف الاجتماعي ، ولم يكن يسمح لها قط بالتدخل في امور الحياة الحقيقيه . بل كان عليها ان تنطق بالرجز علي السنه عرافيها اذا سئلت مثل ذلك ولكن لم يكن ينتظر منها ان تمنح البشر شرائع خلقيه " (١)

وعلي هذا يمكن ان نقرر ان المجتمع الروماني كان مجتمعا " لادينيا " يعاني من انفصام بين معتقداته الكثيرة وبين واقع حياته العملي .

يؤيد ذلك ما عبر عنه " سيسرو " اذ يقول :

" لما كان الممثلون ينشدون في دور التمثيل ابياتا معناها : ان الآلهه لا دخل لها في امور الدنيا يصغي اليها الناس ويسمعونها بكل رغبة " (٢) وما قاله الراهب " اوغستين - اواوغسطين " .

" ان الروم الوثنيين كانوا يعبدون آلهتهم في المعابد ويهتزأون بهم في دور التمثيل " (٣)

وقبلهم ابيقور الذى عاش في القرن الرابع قبل الميلاد يعلن اللادينيه صريحه فيقول . " ان الالهه لا يشغلون انفسهم بامور بنى البشر . نعم انهم موجودون لانهم يظهرون من آن لاخر للاشخاص . بيد ان مسائل العالم الارضي لا تعنيهم . وما من علامة تدل علي انهم " يعنون بعقاب الاثم ، واثابة الصالح ، ايمكن اعتقاد تدخلهم هذا مع ما نراه في هذا العالم ؟

ان جوبيتر يرسل الآن بالصواعق علي معبده ، فهل سحق ابيقور الذى يجدف به ؟ .... ان الآلهه يعيشون بعيدا عن العوالم . ولا يهتمون بشئونهم هم فلا تعنيتهم امورنا . انهم يعيشون حكماء سعداء ويعطوننا بهذا

---

(١) الاسلام علي مفترق الطرق : ٣٨ .
(٢،٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ١٨٠ .

المثال الذى يجب ان نسير علي منواله فلنعظمهم كمثل عليا يقتدى بها غير انــه يجب علينا ان لا نشغل انفسنا بما يريدونه منا فانهم لا يريدون منا شيئا ، هــم لا يعيروننا بالا . فلنفعل نحوهم كما يفعلون نحونا . (١)

ضمن هذا النص يتضح لنا التصور الخاطيء للالهه ـ تعالي الله عن ذلــك ـ والتصور الخاطيء لمهمة الدين في الحياة ، وواجب المخلوق تجاه خالقه . وهــو تصور يشارك ابيقور فيه معظم الرومان . بل ان الرومان ليتصورون الالهه تتصــارع في الفضاء كما يتصارع ابطالهم. (٢)

فاذا كان هذا هو تصورهم للاله انه لا يشرع ولا يتدخل في شئون الحيــاه فلابد انهم يحتاجون الي من يسن لهم قوانين وتشريعات في نواحي الحياة كلهـا اجتماعية ـ بدأ من الاسره ، واقتصاديه ، وسياسيه ، وذلك مايقوم به البشــر ، وهكذا وقعوا في شرك الطاعه والاتباع وظهر للوجود بسببه هذا مايسمي بالقانــون الروماني . اما نظمهم الاخلاقيه فقد اخذت من الابيقوريه .

حالة الشريعة المنزله علي عيسي عليه السلام حتى عام ٣٢٥ .

اما عن الحالة الشريعة المنزله علي عيسي حتى عام ٣٢٥م ، فلابد لنــا من معرفة ماهي مهمة الكتب السماويه ـ التى كان الانجيل ـ احدها ، ثــم تطبق ذلك علي واقع حياة نبي اسرائيل الذين ارسل اليهم عيسي عليه السلام .

اما عن مهمة الكتب السماوية فقد بينها الله تعالي في كتابه الكريم حيث قال " كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتـاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه .... " البقره : ٢١٣ .

فالتحاكم الي كتب الله المنزلة علي رسله في كل اختلاف وتطبيقها في كل نواحي الحياة واستمداد كل التشريعات منها هو الغايه من انزاله ، والكتب السماويه ـ كمـا تنص الايه ـ كتاب واحد بالنظر الي ان منزلها واحد ، وموضوعها واحد وهــو تقرير حقيقه واحده كبرى هي توحيد الله وعبادته وحده بالمعنى الشامل للعباده ـ

---

(١) المشكلة الاخلاقية والفلاسفه : ٦٧ - ٦٩ .
(٢) جاهلية القرن العشرين في الحديث عن جاهليه الرومان فقد ذكر معنى هذا الكلام ـ المصارعة بين الالهه .

- اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الظاهره والباطنه -

وهكذا كانت التوراة التى انزلها الله علي موسي وارسل عيسي باكما لها

" وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظه وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر اهلك يأخذوا باحسنها سأوريكم دار الفاسقين " الاعراف : ١٤٥ .

فهي شريعة كامله بالنسبة لعصرها - لأن الله لم يشأ ان تكون هي الشريعة الخاتمه - قام عليها دول ، كان ملوك بعضها انبياء كداود وسليمان عليهما السلام يحكمان بها وبالزبور ويسيرون الحياة كلها علي شرع الله وامره .

واستمرت التوراه منهجا للحياة كلها " انا انزلنا التوراه فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين سلموا اللذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون " المائده : ٤٤ .

فهذه الآيه تنص وتوكد علي انه لا يجوز لمؤمن بها ان يستمد تصوراته ولا تشريعاته من سواها .

ولكن الذى وقع في حياة بني اسرائيل ما يخالف ذلك انحراف لا يقره الله فارسل الله عيسي يذكرهم ويردهم الي جادة الحق " (١) وهو آخر رسل بني اسرائيل . واذا كان مبعوثا الي بنى اسرائيل خاصه فلم يكن الانجيل الذى انزل عليه ناسخا لشريعة موسي ولكنه كان مصدقا لها . (٢)

وكان ماجاء جديدا في الانجيل التخفيف علي اليهود - عن بعض التشريعات التى انزلت عقوبه موقته لليهود ولم تكن شريعه يراد لها الدوام من عند الله . (٣)

فعلي هذا كانت التوراه مع ما انضم اليها من الانجيل شريعه يلزم ان تطبق في واقع الحياه وعقيده يلزم ان تسير كل منهج للحياه . (٤)

---

(١) انظر سورة الصف : ٦

(٢) انظر سورة المائده : ٤٦

(٣) انظر في هذا سورة آل عمران : ٥٠

(٤) انظر في هذا سورة المائده : ٤٦ ، ٤٧

لكن ما حصل هو أن هذه الشريعة لم يكتب لها التطبيق العملي في واقع الحياة لسببين هما :

(١) أن هذه الشريعة لم يقم لها دولة تقيمها في واقع الحياة ، اذ أن عيسى عليه السلام قد رفعه الله اليه وهو ما يزال في المرحلة الأولى للدعوة ـ التي تشبه مرحلة الدعوة المكية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) أن عيسى عليه السلام قد بعث الى قوم قساة القلوب ، قتلة للأنبياء وكانت المنطقة التي بعث فيها ـ وهي فلسطين ـ جزء من مستعمرات امبراطورية الرومان الوثنية فكان محاطا بالأعداء من كل جانب ونتج عن ذلك اضطهاد شخص المسيح عليه السلام انتهى بالتآمر على قتله اليهود والرومان بتحريض من اليهود .

واذا كانت هذه هي أسباب عدم التطبيق العملي للشريعة المنزلة على عيسى حتى عام ٣٢٥ م . فهل طبقت هذه الشريعة بعد ذلك أم لا ؟ وهل جنت الكنيسة ورجالها والمسيحيون عموما مكاسب عقدية من جراء قرارات مجمع نيقية أم لا ؟

يعتقد رجال الكنيسة ان عام ٣٢٥م يمثل عام النصر على أعداء المسيح عليه السلام وانه يمثل عصر الحرية فيما يعملون وما يعتقدون ، بل يعتقدون انه يمثل بداية عصر السيادة المسيحية على الديانات الأخرى . بعد عصور الاضطهاد والهوان التي نال فيها المسيح عليه السلام أنواع من الاضطهاد وصلت الى حد تدبير قتله والشروع فيه . وهكذا لم يكونوا في تلك العصور يطمعون من هذه الامبراطورية بشيء ، ولكنهم في القرن الرابع وبعد مجمع نيقيه تصوروا انهم قد كسبوا كل شيء يكسبهم الامبراطور قسطنطين الذي أعلن دخوله في النصرانية وعمد وهو على فراش الموت .

لكن رجال الكنيسة نسوا قولة المسيح عليه السلام التي تعبر في صدق

عن حالهم وحال الامبراطور الوثني الذى كسبه رجال الكنيسه فيما ظنوا .

يقول" ٢٦ " فانه ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كلة وخسر نفسه ام ماذا يعطي الانسان فداء نفسه " (١)

ماذا ينفع المسيحية لابل الكنيسه علي الاصح اذا ربحت قسطنطين وامبراطوريته وخسرت دينها وتعاليمها ؟ - وكانت قد خسرتهما قبلا - الا انه بعد قسطنطين كان الخسران معطي الصفه العمومية - فبعد ان كان التحريف يحارب من قبل بعض طوائف النصارى ، اصبح من يحارب التحريف الذى قرر في نيقيه - محارباً .

لو ان رجال الكنيسه يتبعون ما انزل الله علي عيسي لكان اول عمل قاموا به بعد عصر الاضطهاد هو البحث عن ذواتهم ، يبحث انجيل عيسي المنزل عليه من ربه ، ونشره بين الناس وتحكيمه كما اراد الله في كافة شئون الحياة ، وكان في امكانهم - لو كانوا ربانيون - كما وصف الله بعض النصارى - ان يدعوا قسطنطين الي النصرانيه الحقه والا فلا حاجة بدخوله في المسيحيه ويكفي ان يعاملهم بالتسامح الذى كان معمولا به من قبل الامبراطوريه سابقا مع سائر الديانات ، وعند ذلك تمارس تطبيق ما انزل علي رسول الله عيسي من تشريع علي اتباعها في ظل هذا التسامح . لكن الذى حدث هو انه لا رجال الكنيسه كانوا مؤمنين بشريعه عيسي ايمانا جادا - بل كانوا محرفيين لها - منذ القرن الاول - يطمعون في هداية الناس ، ولا قسطنطين كان مؤمنا جادا - كما سيأتي بيان ذلك - يريد خلع الوثنيه واخلاص دينه لله ليقف موقف العابد لله امام معبوده المستحق للعباده وحده .

والواقع أن هناك رابط وثيق جمع بين رجال الكنيسه والامبراطور هذا الرابط هو المصلحة الدنيويه للطرفين ، وكان نصيب الامبراطور منها نصيب

---

(١) الكتاب المقدس انجيل متى : ج ٢ ف ١٦ / ٢٦

الاسد مقابل تنازل بسيط جداً .

يقول درابر في وصف حال الامبراطور وحال الكنيسه بما يلي :

" دخلت الوثنيه والشرك في النصرانيه بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيره ومناصب عالية في الدولة الرومانيه بتظاهرهم بالنصرانيه ، ولم يكونوا يحتفلون بامر الدين ، ولم يخلصوا له يوماً من الايام ، وكذلك كان قسطنطين فقد قضي عمره في الظلم والفجور ، ولم يتقيد بأوامر الكنيسه الدينيه الا قليلا في آخر عمره " ٣٣٧م "

وان هذا الامبراطور الذى كان عبداً للدنيا والذى لم تكن عقائده الدينيه تساوى شيئا رأى لمصلحته الشخصية والمصلحة الحزبين المتنافسين - النصراني والوثني - ان يوحدهما ويؤلف بينهما ، حتى ان النصارى الراسخين ايضا لم ينكروا عليه هذه الخطة ، ولعلهم كانوا يعتقدون ان الديانه الجديده ستزدهر اذا طعمت ولقحت بالعقائد الوثنيه القديمه ، وسيخلص الدين النصراني عاقبة الامر من ادناس الوثنيه وارجاسها " (١)

هذا فيما يتعلق بالامبراطور اما فيما يتعلق بالذين اعتنقوا المسيحية المحرفه - من العامه ، فانهم لم يتغير تصورهم السابق حين كانوا وثنيين عن الدين ودوره وغايته في الحياة البشرية ، وكان غاية التغير الحاصل في تصورهم هو احلال مسميات (الاب ، والابن ، وروح القدس) التي يؤمن بها النصارى محل " جوبيتر او يونو ، ومارس ، وكورنيوس) الثالوث الروماني الوثني اذ لم يكونوا - وهذا امر طبيعي - ينتظرون من الهة بولس وكنيسته من تشريع الا كما ينتظرون من الهتهم الجامده ، ولم يكن مقام الآب عند النصارى الا كمقام جوبيتر عند هؤلاء - الرومان المنتصرين - اذاً فالقضيه اصبحت تغيير مسمي فقط فبدلاً من ان يسمي الناس وثنيون صاروا يسمون مسيحيون .

وهذا امر طبيعي اذ لا يتصور من رجال الكنيسه بتصورهم الفاسد للـ

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ١٦٦ ، ١٦٧ .

سبحانه وشركهم بالله في العباده ،(١) والطاعة والاتباع ، ان يقتلعوا جذور الوثنيه الضاربه باطنابها في اعماق نفوس الرومانيين ، لان فاقد الشيء لا يعطيه ، بل ان الواقع في الباطل لا يمكن أن ينقذ غيره مما وقع هو فيه وهذا هو حال النصارى .

ولقد عبر احد مؤرخي الغرب عن هذه المسألة ادق تعبير حين قال :

" .... ولا بد ان المسيحيه لم تكن عند اكثر الناس غير ستار رقيق يختفي تحته نظرة وثنيه خالصة الى الحياة . ومن المقطوع به ان مبادئ الاخلاق في هذه المدنيه لم يطرأ عليها اى تحسن منذ ايام روما القديمه . والغريب ان هؤلاء القوم كانت تثيرهم المناقشات التى تتناول المسائل الغامضه في اللاهوت المسيحي وفيما وراء الطبيعه ، وهي المسائل التى تكاد تبدو لنا غير مفهومة ، ولا تخال كثيرين منهم قد عرفوا من امرها شيئا " (٢)

واذا كان رجال الكنيسه قد عجزوا عن اقتلاع جذور الوثنيه من نفوس الرومان - وهو أول خطوه في الطريق الصحيح الى الله - فمن باب اولى سيعجزون عن اقامة حياة الناس ، بنظمها واخلاقها على هدى الدين ،

واصبحت المراسم التعبديه التى كانت تؤدى في المعابد الوثنيه تؤدى بعد دخول الرومان في النصرانيه في كنائس، بل تزحزح رجال الكنيسه عن مركز التأثير في الناس الى مراكز التأثر بهم فدخلت نتيجة لذلك الخرافات والاساطير الوثنيه في تعاليم المسيحيه .. وطقوسها ، واختلطت بروايات الاناجيل وآراء المجامع الكنيسه ، وحصل ايضا امتزاج وتلاقح بين الشريعة المسيحيه والقانون الروماني . يوضح هذا ما قاله الفيلسوف الفرنسي اوغست بوان حين يقول :

---

(١) ما اقصده هنا هو الشرك في الشعائر التعبديه والتوجه الى غير الله بذلك واما مفهوم العباده فيوضحه تعريف شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله اذ يقول " العباده اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الظاهره والباطنه .

(٢) تاريخ العالم : ٤/ ٣٣٠ .

" ... يسوغ اطلاقنا اسم الديانة التركيبيه علي النصرانيه لما كان من تبني النصرانيه لمعتقدات سابقة كانت تزعم انفصالها عنها علي الخصوص ... " (١)

وقد كان بولس اول من تنازل عن الشريعة مقابل قبول الوثنيين للعقيده المسيحيه كما مر سابقا . وكما اوضحه بعض المفكرين الغربيين . (٢)

وقد اضحي هذا الانحراف منهجاً معتمداً عند الكنيسه بعد مجمع نيقيه اذ فصلت بين العقيده والشريعه ، وبين الدين والدوله وقسمت حياة البشر بعد هذا الي قسمين منفصلين :

الاول : ديني يكون من اختصاص الله ويحتوي فقط علي نظام للاكليروس (رجال الدين) . والرهبنه ، والمواعظ ، والتشريعات المتعلقه بالاحوال الشخصيه فقط .

الثاني : " دنيوي " وهو من اختصاص قيصر وقانونه ويحوي التنظيمات السياسيه والاقتصاديه والاجتماعية ، ونظم الحياة عامه وعلاقات الدوله بغيرها من الدول .

ولم يجد رجال الكنيسه غضاضة في هذا ، ولم يتحرجوا من ان يجعلوا قيصر شريكاً لله في التشريع ولا غرو فقد جعلوا من قبله بولس شريكاً لله في التشريع والعقيده .

ويرى بعض مؤرخي اوربا ان السبب الذى اوقع الكنيسه في هذا الشرك هو نظرتها القاصرة الي الحياة الدنيا بأنها متاع الغرور والشرور وان عيسي سوف يعود ليملأ الدنيا عدلا بعد ان ملئت ظلما فما الذى يدعوهم لتغيير واقع الحياة الدنيا التى يحيونها ، ولذا قبلوا قوانين الرومان وتشريعهم . (٢)

ولرجال الكنيسه مستندات نقلية من نصوص الاناجيل كما يزعمون يعللون بها تركهم لتطبيق شرع الله المنزل علي عيسي واتباع قوانين الرومان سوى ماعلل به المؤرخون ومنهم فيشر . ولابد من عرض نموذج لها ومناقشته ، واكتفي هنا بنموذجين .

---

(١) حياة الحقائق ٦٤ - ٦٦

(٢) أنظر في هذا الصدد كتاب : افكار ورجال : ١٨١

(٣) انظر في ايضاح ذلك كتاب : تاريخ اوربا في العصور الوسطي ١/ ١٠٩ ، ١١٠ .

اولهما : القول المنسوب الي المسيح عليه السلا (اوفوا مالقيصر لقيصر وما لله لله) . يزعم رجال الكنيسه ان المسيح عليه السلام قال هذا القول ، وهم يتعلقون به ويعدونه اصرح الحجج واقواها علي انحرافهم في الفصل بين الدين والدولة - كمبدأ عام ، وقد ظل هذا القول شعار رجال الكنيسه في اوربا كلما املى عليهم داعي الهوى مخالفة شرع الله والنكوص عنه ، وهكذا انحسر مفهوم الدين علي مر العصور حتى لم يبق له في حس الناس الا ساعه من الاسبوع خاليه من كل معنى .

فهل لهذا الدليل الذى تتشبث به المسيحيه - المحرفه - قيمة علميه ؟

مما لا ريب فيه ان كل ماروى عن المسيح من اقوال ليست منسوبه اليه يقينا ، بل ولا تنسب اليه بالظن الراجح ، ذلك ان رجال الكنيسه كما مر بيانه حرفوا الانجيل - بالاضافة والحذف - حتى طمست تعاليم عيسي التى انزلها الله اليه وحيا يوحي . وهذا القول الذى بين يدينا يمكن ان يقال فيه طرداً لهذه القاعدة انه لم يصدر عن المسيح ، وانما هو من اضافات المحرفين من رجال الكنيسه وبما ان البحث العلمي اثبت ان الاناجيل الموجوده ظنيه الثبوت ، ظنية الدلاله فكيف يجوز رجال الكنيسه لأنفسهم الاحتجاج بهذه الظنيات في مثل هذه القضيه الخطره ؟

هذا من جهة - فاذا تركنا ذلك وانتقلنا الي النظر الي هذا النص نظرة موضوعيه مجرده فاحصه فماذا نجد ؟ وماذا نستنتج منها ؟

ان هذه العبارة " اوفوا مالقيصر لقيصر ومالله لله " ظاهرها الامر بالشرك اذ هي تجعل قيصر شريكاً لله في التوجه اليه بالعمل ومن ينفذ مدلول هذه العباره يقع لا محاله في شرك الطاعه والاتباع . وهذه الدلاله - لهذه العباره - تكفي لنفي ان تصدر هذه العباره عن المسيح عليه السلام ، لان الانبياء عليهم السلام ، انما بعثوا في المقام الاول لانقاذ البشر من الشرك وتحذيرهم من الوقوع فيه فكيف يمكن ان يأمر نبي من الانبياء بالشرك ويدعوا اليه ؟ (١)

---

(١) الكتاب المقدس "انجيل متى" ج ف ٢٢/٢ ، ومرقس جـ ف ص ٢/١٢/٨١

هذا من اكبر المحال.

وهذا كاف لاسقاط حجيه هذه العبارة ، ولكن سنفترض جدلا علي سبيل التنزيل مع هوءلاء المدعين ان نسبتها الي المسيح صحيحه ، فهل يعني ذلك ان يفهم منها مافهمه رجال الكنيسه ويتخذ من ذلك الفهم قاعدة عامة مطلقه ؟ لننظر في سياق النص الذى وردت فيه هذه العبارة فقد يساعدنا علي فهمها . يقول متى في انجيله .

"١٥ حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمه (١٦) فارسلوا اليه تلاميذهم والهيرودسيين قائلين : يامعلم قد علمنا انك محق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي باحد ولا تنظر الي وجوه الناس (١٧) فقل لنا ماذا تظن هل يجوز ان تعطي الجزية لقيصر ام لا (١٨) فعلم يسوع شرهم وقال : لماذا تجربونني يامراؤون ، اروني نقد الجزيه ، فأتوه بدينار (٢٠) فقال لهم يسوع : لمن هذه الصورة والكتابه (٢١) فقالوا لقيصر حينئذ قال لهم اوفوا ماالقيصر لقيصر وما لله لله ، (٢٢) فلما سمعوا تعجبوا وتركوه وانصرفوا " (١)

من المعلوم ان المسيح عليه السلام واتباعه وهم قلة مضطهده من قبل اليهود والرومان ويتبنون دعوة جديده ناشئه - لم يكن في طاقتهم الاصطدام بالدولة الرومانيه ، ومواجهتها بالعداء السافر ، هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى لم يكن مطلوبا منهم في هذه المرحلة - مثل هذه المواجهة كما حصل فيما بعد للرسول (ص) واصحابه في مرحلة الدعوه المكيه - وذلك حتى لا يستثار عدو قوى يبطش بالدعوه ورجالها اول عهدها .

وقد لاحظ هذا قتله الانبياء - اليهود - فكادوا لعيسى عليه السلام ولدعوته بحيث تخرج الدعوه وصاحبها عن منهجها المقرر لمناوئه الاوضاع قبل اوان ذلك ، وبهذا يجد اليهود ذريعه للايقاع بعيسي واتباعه لدى الحاكم الروماني لذا سألوا هذا السوءال .

---

(١) الكتاب المقدس " انجيل متى " ج ف ٢٢/٢ ، ومرقس ج ف ص ٢/١٢/٨١

وواقع الامر ان عيسي عليه السلام وأتباعه وهم قلة ـ ليس في استطاعتهم اولا ، ولا في منهج الدعوة ثانيا ان يرفضوا دفع الجزيه لطاغيه الرومان قيصر ، الا ان هذا لا يعني ان عيسي عليه السلام يعترف لقيصر بحق مساواة الله وجعله شريكا لله في الوهيته كما فهم رجال الكنيسه المنحرفون .

اذاً فالمسيح وافق ـ علي فرض صحة العباره ـ علي اجراء موقت ـ تقتضيه طبيعه الدعوه المرحليه المشابهه لمرحله الدعوة المكيه .

ولو قدر لعيسي عليه السلام ،ان تبلغ دعوته من القوه مقدار ما بلغته دعوة الرسول صلي الله عليه وسلم عندما اذن لهم بالجهاد ، لاذن عيسي عليه السلام لقومه : برفض دفع الجزيه لقيصر ورفض كل وضع جاهلي ، بل لامرهم بجهاد الرومان وغيرهم من الوثنيين .

وبذا يتبين انه حتي علي افتراض ثبوت العبارة فانها لا يمكن ان يستنبط منها قاعدة كلية عامه دائمه يقضي تطبيقها الي اهمال شرع الله ، باهمال اقامته في واقع الحياه ، واقرار الطواغيت علي طغياتهم . بل تبقي ذات مدلول محدود موقت في مسألة فرعيه في مرحلة معينه .

٢ـ القول المنسوب الي المسيح : "ان مملكتي ليست من هذا العالم"

لقد فهم رجال الكنيسه من هذه العبارة علي افتراض صحة نسبتها الي المسيح ان الدنيا والاخره ضدان لا يجتمعان ، اذ الدنيا مملكة الشيطان ومستقر الشرور والاثام وعمل الانسان فيها لطلب رزقه او لتحقيق اقصي قدر ممكن من السعادة ، والتمتع بطيبات الكون كل ذلك ارجاس ، يغرى بها الشيطان لصرف الناس عن مملكة الله الخالده وهي الاخره .

ولذا فان الفقر والعنت مفتاح ملكوت الله ، وتدعي الاناجيل ان المسيح عليه السلام قال :

" ... (٢٤) وايضا اقول لكم انه لاسهل ان يدخل الجمل في ثقب ابره من ان يدخل غني ملكوت السموات "(١)

---

(١) الكتاب المقدس" انجيل متى" ج٢ ف١٩ . وانظر" انجيل مرقس" ج٢ ف١٠ ص٧٧

كما تدعي ان المسيح طلب من اتباعه ان يقصروا ادعائهم لله بطلب الكفاف يقول الانجيل حسب روايه متي .

" (١١) خبزنا كفافنا اعطنا اليوم (١٢) واغفر لنا ذنوبنا كما تغفر نحن لمن أساء الدنيا .

(١٣) ولا تدخلنا في تجربه لكن نجنا من الشرير . آمين " (١)

فالانسان حسب هذا المفهوم المعوج مطلوب منه ان يرضي بالكفاف فقط ، فاذا اصبح غنيا وتمتع بطيبات الدنيا ونعمها التى اودعها الله فيها فهذا الانسان سيعاقب بالحرمان من دخول ملكوت الله .

فاذا كان هذا هو حال الانسان في الدنيا كما فهمه رجال الكنيسة فلماذا يبذل الانسان طاقه جهده لاصلاح ماكان بطبيعته فاسدا فليتحكم الطواغيت بالناس وليستعبدهم ، وليعيشوا في هذا الكون فسادا كما يحلو لهم فسوف يحاسبهم المسيح في الآخره .

اما من يحرص علي جمع المال والتمتع بالحياه الدنيا فسوف يحرمهم هذا من دخول ملكوت الله اما المسيحي الكامل فهو الذى يرضى بالكفاف في كل شيء ليحصل له الدخول في ملكوت الله .

هذا مافهمه رجال الكنيسه من هذه العبارة المنسوبه الي المسيح - فقد فهمت من هذه العباره انها تؤدى الي نظره ضيقة للحياة الدنيا ، وبالتالي لمهمة وغاية الدين فيها ، يائسه من امكان اقامة الشريعه في واقع الحياة .

وهكذا حُرفت المسيحيه من عقيده شامله ذات منهج رباني كامل ، انزلت علي عيسي عليه السلام لازالة الواقع الجاهلي الذى يعيشه الناس واقامة واقع جديد محكوم بشريعة الله المنزله الي نظرة قاصرة للدنيا ، ورأت ان تنظيم شئون الحكم وتقويم كافة الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية او السياسية ، ليس من دين المسيحيه لان مملكة المسيح كما يقول ليست من هذا العالم لكن هذا لا ينفى ان رجال

---

(١) الكتاب المقدس " انجيل متى " ٢/٦/١٠

الكنيسه لم يطرسوا سلطات سياسيه ، او اجتماعيه ، فقد كان منهم مالم يحصل من اعتى الجبابره - كما سأوضح ذلك - الا ان هذه الممارسة كانت محدوده بنطـــاق ضيق هو نطاق المطامع الشخصيه لهوءلاء ، وكانت الرغبه في اشباع هذه المطامــع هي الدافع من وراء ممارسه السلطة . فقد كان البابا يهتم بالدرجة الاولي بتولــي تتويج الملوك والحصول منهم علي الضرائب ، أما الحكم بما انزل الله فليس مــــن مهماتهم . ذلك ان الحكم ليس من اختصاص هوءلاء الرجال بل هو من اختصـــاص القيصر ، لان مملكة المسيح ليست من هذا العالم .

هذا بيان لما فهمه المسيحيون من هذه العباره علي افتراض صحتها .

لكن هل هذا الفهم صحيح ام ان لها معنى آخر لو صحت ؟ لا يمكننـــا الاجابة علي ذلك الا اذا اوردنا السياق الذى وردت العباره فيه وها هو السياق كما ورد في انجيل يوحنا :

" ... (٣٣) فدخل ايضا بيلاطس الي دار الولاية ودعا يسوع وقـــال له : أأنت ملك اليهود ؟ (٣٤) اجابه يسوع أمن عندك تقول هذا أم آخـــرون قالوا لك عنى ؟ (٣٥) فاجاب بيلاطس : ألعلي انما يهودى ؟ . أمتــك وروءساء الكهنه هم اسلموك الي فما الذى صنعت (٣٦) اجاب يسوع " ان مملكــتي ليست من هذا العالم " ولو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يحاربـــون عنى لئلا أسلم الي اليهود . والآن فان مملكتي ليست من هنا " (١)

بيلاطس هذا هو الحاكم لفلسطين من قبل الرومان ، وقد دبر اليهـــود مكيده اخرى ضد المسيح اذا رأوا ما عرفوا به من حيل ومكراته بالامكان إستعـــداء "بيلاطس" علي المسيح عليه السلام عن طريق تلفيق تهمه ضده ، هي انه يدعــي انه ملك علي اليهود يهدف الي استقلال امته عن حكم الرومان المستعمرين ، وهذه تهمه كفيلة بتعريض المسيح للعقوبات القاسيه ، وهكذا سار اليهود في حبـــك هذه المكيدة فتظاهروا بالنصح للحاكم الروماني ، وحين احضر المسيح - كمـــا

(١) الكتاب المقدس "يوحنا" ج ١٨/٢ ف

تقول الاناجيل ـ الي بيلاطس تردد في ايقاع العقوبة به فهدده اليهود بشـــي مخيف وهو انه ان لم يوقع بالمسيح العقوبه فهو ليس محبا لقيصر ، وعدم حبه لقيصر سيدفع ثمنه غاليا ، وهذا يوحي لبيلاطس ان اليهود سيوصلون هذا الامر الي قيصر ومن ثم سيعاقب قيصر هذا الحاكم المتخاذل ، لا بل ان اليهود امعنوا فـــي التهديد فقالوا ليس لنا ملك الا قيصر . يقول انجيل يوحنا ان اليهود قالوا :

" ١٢) ان اطلقت هذا فلست محبا لقيصر . كل من يجعل نفسه ملكا يقـاوم قيصر " (١)

ويقول يوحنا ايضا ان اليهود قالوا :

" (١٥) ليس لنا ملك الا قيصر " (٢)

هذا هو موجز القصة كما رواها انجيل يوحنا ، فقد وردت هذه العبـــاره خلال التحقيق معه من قبل الحاكم الروماني ، والفهم السليم لها هو انه كان يقصد انني لست ملكا من الصنف الذي تتصوره انت واليهود علي مثال قيصر وكسرى ، ذلك ان الملك المتخيل الذي يعني العزه والمجد ليس لي منه حظ في هذه الحيـــاة ، وانما حظي منه عند الله في الدار الاخره .

كما انه لم يقل كما قال اليهود ليس لنا ملك الا قيصر ، ولو قال ذلك اوقريبا منه تصريحا او تلميحا لسلم من الاذى ولكنه لم يقل ذلك انه رسول من عند اللـــه ارسله الله ليهدم كل سلطان لغير الله في هذه الارض فكيف يعترف بذلك ، وحتى لو عجز عن هدم تلك الطواغيت فلن يقر ويعترف بها .

وهكذا يعمد رجال الكنيسه الي عبارات تنسبها الاناجيل الي المسيح عليه السلام قيلت في ظروف موقته وملابسات معينه ليقرروا منها قواعد عامه تؤســـس عليها الديانه .

---

(١) الكتاب المقدس " يوحنا " ج ١٩ / ف ٢
(٢) نفس المصدر : ج ١٩ / ف ٢

واذا سألت اخي القارئ هل اكتفي رجال الكنيسه بما ادخلوه في النصرانيه من تحريف كبير ؟ وهل اكتفوا بالانحراف الذى ساد سلوكهم حتى بعد تحريفهم ؟ فالجواب انهم لم يكتفوا بذلك بل زادوا عليه باختراع بدع لم ينزل بها الوحي علي عيسي عليه وعلي نبينا افضل الصلاة والسلام . وهذا ماسوف نعرفه في الفقره التاليه من البحث .

المطلب الثانـــى : بدع استحدثها رجال الكنيســـــة

لم يكتف رجال الكنيسة بتحريف المسيحية عقيدة وشريعة ،بل وصلوا الــى حد الزيادة وابتداع تعاليم لم ينزل بها وحى من الله وأصبحت من صلب تعاليم المسيحية وطقوسها . ولعل من أهم ما ابتدعه رجال الكنيسة ما يلى :

١ـ بدعة رجال الدين ، ٢ـ بدعة الرهبنة ، ٣ـ بدعة الادعاء بوجود اسرار مقدسة لا يعرفها الا رجال الكنيسة ، واحيانا تخفى عليهم ايضا . ٤ـ بدعة العشاء الربانى ، ٥ـ بدعة عبادة الصور والتماثيل ، ٦ـ بدعة ادعاء المعجزات لرجال الكنيسة ، ٧ـ بدعة صكوك الغفران ، وحق الحرمان ،وحق التحلة . وغيرها من البدع الكثيرة وسوف أتحدث عن ثلاث منها فقط وهى :ـ

١ـ بدعة رجال الدين ، ٢ـ بدعة الرهبنة ، ٣ـ بدعة صكوك الغفران وحق الحرمان ، وحق التحلة .

وبدعة رجال الدين هى اخطر البدع واعمقها أثرا ، اذ البدع الاخرى ناشئة عن ابتداع رجال الدين ، واضفائهم الشرعية عليها بقرارات مجامعهــم لهذا سوف يكون الحديث عنها أولا باعتبارها أم البدع الاخرى .

أولا :ـ رجال الدين " الاكليروس " "The clergy priestly order" (١)

تعددت النظريات الجاهلية لتاريخ الأديان ، ولحياة البشر الدينيــة ولنشأة بدعة رجال الدين ، ومن ضمن هذه النظريات الجاهلية ، نظــرة الفيلسوف الغربى " أوجست كونت " الذى نشأ فى النصف الأول من القــرن التاسع عشر ،اذ يرى أن تاريخ الفكر الانسانى ينقسم الى مراحل ثلاث هى :

١ـ مرحلة السحر والخرافة أو المرحلة اللاهوتية .

٢ـ مرحلة الدين أو المرحلة الميتافيزيقية .

٣ـ مرحلة العلم " الوضعية العلمية .

---

(١) قاموس إلياس العصرى (عربى انجليزى) : ٣٥ مادة "الاكليروس".

١- مرحلة السحر والخرافة :- ويرى أن الفكر البشرى كان فى أدنى أطواره ، وأن الناس كانوا يرون أن حياتهم مرتبطة بأسباب خفية لا يمكن ادراكها ، ولذا لجأ الانسان الأول الى السحر والشعوذة لاعتقاده أنهما القادران على التأثير فى مجرى حياته بطريقة غير محسوسة له . فلما ازداد فهم الانسان لحياته وكثرة آماله ومطامعه زاد تعلقه بالسحرة ليدفعوا عنه الأرواح الشريرة التى يعتقد أنها تسبب الضرر أو تجلب له النفع المتنوع ، ومن ثم أصبح هؤلاء السحرة يتمتعون بمراكز اجتماعية عليا لدى هؤلاء الناس ، فأصبحوا زعماء للقبائل وفرضوا لأنفسهم سلطانا ماديا على أتباعهم .

٢- مرحلة الدين :- انتقل الناس فى زعم " كونت " الى التدين حين انشغلوا بالزراعة ، فبنوا المعابد وأصبح بعض الكهان ملوكا يتوارثون الحكم وبقى البعض الآخر سدنة للهياكل والمعابد التى كانت تدر عليهم المال الوفير وتكسبهم الشرف الرفيع . وقد بقيت رواسب موروثة عن المرحلة الأولى من أبرزها طبقة رجال الدين الذين يتمثلون فى سدنة المعابد والهياكل - وهم يوازون السحرة والكهنة فى المرحلة الأولى ، وظل هؤلاء - رجال الدين - يقومون بنفس المهمة التى كان يتولاها أولئك السحرة والكهنة ولا يوجد فارق بينهما غير أن رجال الدين يستمدون سلطانهم من الدين أما السحرة والكهنة فكانوا يستمدون سلطانهم من السحر والكهانة. (١)

٣- مرحلة العلم الوضعى :- ويرى " كونت " أنها بدأت من عهده . "وفيها أخذ الانسان يفسر الأحداث باعتبارها عناصر خاضعة لقوانين عامة . يمكن ادراكها بالمطالعة أو بالمشاهدة العلمية . وفى هذه المرحلة فى رأيه لا تذكر " الأرواح والآلهة والقوى المطلقة ". (٢)

هذا هو أحد التعليلات الجاهلية - ولا يزال سائدا - لتفسير حياة البشر الدينية ، ولبيان كيف ظهرت طبقة رجال الدين .

---

(١) سلسلة تراث الانسانية : المجلد الأول والسادس عند الحديث عن كتاب اوجست كونت وفلسفته ، والحديث عن كتاب العقلية البدائية .

(٢) الاسلام يتحدى : ٢٦ .

وهو لا ريب تعليل قاصر وباطل ، لانكاره الوحى الربانى ، واغفاله عن عمد للفترات المنيرة الساحقة التى تخللت تاريخ البشر منذ خلقهم الله من أبيهم آدم وأمهم حواء ، وهى الفترة التى شهدت مبعث أنبياء الله ورسله ومنهم آدم ، وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم .

وهو بهذا التفسير يقصر نظره على ما أصاب البشرية من انحراف فى فترات معينة بعدت فيها عن منهج الله الذى أنزله على رسله عليهم السلام فطغت فيها الشركيات وتحول فيها من أتبع الانبياء بعد مدة الى سدنة للأوثان - ومشعوذين وكهانا ، كما حصل للجيل الثالث من قوم نوح حين عبدوا " ود ، ويغوث ويعوق ، ونسرا ". (١)

وكانوا كما يقول المفسرون رجالا صالحين فاتخذ الجيل الثانى لهم صورا ليتذكروهم فيقتدوا بهم فى صلاحهم ثم وسوس الشيطان للجيل الثالث أن هؤلاء كانوا يعبدون فى الجيل الثانى ، أو أنهم يستحقون العبادة والتقربهم الى الله زلفى .

والتصور الاسلامى للتاريخ البشرى - ينظر الى حياة البشر على أنها تمثل خطين متوازيين متحاذيين . خط مضىء يمثل البشر حين يهتدون بهدى الله بسلوك طريق الانبياء الذين يتتابعون لهداية البشر ورد من ضل منهم الى جادة الحق والصواب .

وخط آخر مظلم يمثل فترات الضلال التى تطرأ على حياة البشر حين يضلهم الشيطان وحزبه فبعد أن تكون الامة على الايمان تنحرف الى الكفر .

ومما يتميز به البشر عن غيرهم وجود الصراع بين أهل الهدى منهم وأهل الضلال .

---

(١) سورة نوح ي ٢٣ وانظر تفسير ابن كثير ٤/ ٤٢٦ ، ٤٢٧

ان التعليل الصحيح المباشر الذى يوضح الأصل الحقيقى لنشأة سلطان رجال الدين أو لنشوء هذه الطبقة هو أن الله عز وجل أنزل التوراة على موسى عليه السلام وأوكل الى الأحبار حفظها فى الصدور ، وحفظها فى واقع الحياة بالعمل بها .

" انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء . . . " المائدة : ٤٤ .

فكان مقتضى ذلك أن يوجد عدد منهم يعتنون بحفظ كتاب الله ، وشرحه وايضاح أحكامه ليسير عليها الفرد والمجتمع ، وقد أمر الله هؤلاء الأحبار - وهم علماء بنى اسرائيل - أن يكونوا ربانيين بما كانوا يعلمون الكتاب وبما كانوا يدرسون (١) ، كما نهاهم عن كتمان شىء منه أو تحريفه أو شراء شىء من عوض الدنيا الزائل به . (٢)

لكن الأحبار لم يأتمروا بما أمرهم الله به وأغرتهم مطامع الدنيا الزائلة واشتروا بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلاً واضاعوا الأمانة ، وفرطوا فى حفظ التوراة وفرضوا لأنفسهم سلطة دنيوية يأكلون بها أموال الناس بالباطل (٣) .

ولهذا استحقوا مقت الله وعقابه ، وكانوا قدوة سيئة لمن جاء بعدهم ثم بعث الله عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وأنزل عليه الانجيل فحذر أتباعه من اقتفاء أثر اليهود ودعا قومه الى التوجه الى الله وحده بالعبادة ونهى قومه عن التسلط كما تروى الأناجيل عنه ذلك . (٤)

---

(١) سورة آل عمران : ٧٩ .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٧ والبقرة : ٤٠ - ٤٢ .

(٣) انظر فى هذا سورة ال عمران : ٧٧ . وسورة المائدة : ٤٣ ، ٤٤ ، وسورة التوبة : ٣٤ .

(٤) الكتاب المقدس "متى " جـ ٢ ف ٢٠ ص ٣٧

ولكن القسس والرهبان لم ينصاعوا لما أمرهم به المسيح عليه السلام بل غرقوا فى أوحال الدنيا واستعبدوا أتباعهم المؤمنين وساعد وجودهم ضمن ولايات الامبراطورية الرومانية على تدعيم مراكزهم ، بل أنهم اقتبسوا من الانظمة السياسية للدولة الرومانية فكرة انشاء أنظمة وهياكل كهنوتية فأصبحت الهياكل الكنسية المنظمة تمثل هرما قمته البابا ، وقاعدته الرهبان وقد رعت الامبراطورية الرومانية هذا الهرم الكنسى واستمرت فى ذلك لانه لا يتعارض مع وجودها .(١)

وقد اخترع رجال الكنيسة بصفتهم المسيطرين على مقاليد السلطة الدينية من " الوساطة بين الله والخلق " واستمدوا منه مبررا لبقاءهم على قمة السلطة الدينية ، ومقتضى هذا المبدأ يذهب الانسان الى رجل الكنيسة " ليعبد الله بواسطته ويعترف امام رجل الكنيسة بذنبه فى الابرشية ، ومن ثم يقوم رجل الدين بالتوسط لدى الله ليغفر لهذا المذنب وليقبل توبته وعبادته ومن ثم نصب رجال الكنيسة أنفسهم أندادا لله سبحانه وتعالى ووقع أتباعهم بسبب هذا فى الشرك الاكبر وصدق عليهم قول الله تعالى : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الله الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون " التوبة : ٣١ .

وترتب على هذه المسألة أن زعم رجال الكنيسة لانفسهم حق تفسيرالاناجيل(٢) ومهزلة صكوك الغفران ، وحق الحرمان ، والتحلة .

ثانيا : الرهبانية وأثرها فى العالم المسيحى الغربى : «Monachism»

الحديث عن الرهبانية يتضمن الحديث عن ما يلى :-

---

(١) انظر فى بيان اقتباس النصارى هياكلهم التنظيمية الدينية عن الرومان كتاب : المسيحية : ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) انظر محاضرات فى النصرانية : ٢٠٣ .

(٣) قاموس الياس العصرى (عربى انجليزى) : ٢٦٥ مادة "رهب"

١- ما هى الغاية من وجود الانسان فى هذه الحياة ؟
٢- ما هى الرهبانية ؟
٣- متى نشأت وهل أمر الله بها أم لا ؟
٤- ما هى العوامل التى ساعدت على نشوء الرهبانية ؟
٥- الشروط الواجب توفرها فيمن يريد الرهبنة .
٦- نتائج الرهبانية على رجال الكنيسة وعلى المجتمع الغربى عامة .

١- الغاية من وجود الانسان : حدد الله الغاية من وجود الانسان فى العبادة له سبحانه بما شرع قال تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون" الذاريات: ٥٦

ومن ضمن ذلك الخلافة لله فى الأرض بعمارتها بطاعته وتنفيذ شرعه قال تعالى " واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون " البقرة : ٣٠ . وحتى لا ينسى الانسان الغاية من وجوده - وهى العبادة - ولتقوم عليه الحجة امام الله جل وعلا جعلها الله جزءاً أساسيا من تكوينه النفسى والروحى .

" فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله . . . " الروم : ٣٠ . كما أرسل الله الرسل الى الأقوام البشرية ليكونوا أنموذجا حيا لتحقيق هذه الغاية والدعوة اليها . لكن الشيطان أغوى الناس فضلوا الطريق فغفلوا عن غاية وجودهم وانقسموا فى الملذات العجلى ، أو تصوروا هذه الغاية على غير حقيقتها فضلوا فى أعمالهم . ومن التصور الخاطئ لهذه الغاية الاعتقاد بحقارة الدنيا الى درجة تسقط معها قيمتها التى جعلها الله لها ، والذى ينتج عنه الغلو فى تهذيب النفس الى حد التضييق عليها مع صرف النظر عن عمارة الكون بطاعته تعالى وتنفيذ شرعه التى هى جزء من الغاية الكبرى - عبادة الله .

ومن ثم تعد الرهبانية هى التطبيق العملى للتصور السلبى الخاطئ - الاعتقاد بحقارة الدنيا - وهذا التصور الخاطئ نشأ عن الجهل التام بطبيعة

الانسان ، ومهمته فى الوجود التى وضعها الله فى فطرته .

وهكذا تضل البشرية حين لا تهتدى بهدى الله فتغرق فى المادية التى يتسبب عنها الجفاف الروحى ـ الذى نراه فى هذا العصر ـ أو تغرق فى الرهبانية والتنسك الذى يصل الى حد تعذيب النفس الذى تحاربه الأديان كلها .

ما هى الرهبانية ؟ : يقول ابن منظور " صاحب لسان العرب " فى مادة " رهب " ما يلى :

" ... قال ابن الاثير : هى من رهبنة النصارى ، قال : ولعلها من الرهبة بالخوف كانوا يترهبون بالتخلى من أشغال الدنيا ، وترك ملاذها والزهد فيها ، والعزلة عن أهلها ، وتعهد مشاقها ، حتى أن منهم من كان يخص نفسه ويضع سلسلة فى عنقه وغير ذلك من أنواع التعذيب ، فنفاها النبى صلى الله عليه وسلم عن الاسلام ، ونهى المسلمين عنها ..... "(١)

فعلى هذا يمكن تعريفها بالاتى :-

هى البعد عن ملاذ الدنيا مما أباح الله من المآكل والمشارب والملابس والاكتفاء بالكفاف فى المعيشة وتعذيب النفس لتعويدها على تحمل المشاق والمتاعب .

٣ـ متى نشأت الرهبانية وهل نشأت عن أمر من الله أم لا ؟ : اختلف المؤرخون فى تاريخ نشأتها لكنهم اتفقوا على أمر واحد وهو أن النصارى كانوا مسبوقين بذلك من الهنود البوذيين . أما عن نشأتها عند النصارى فاختلفوا فى تاريخه .

فالمؤرخ ويلز يذكر انها نشأت فى العالم الغربى فى القرنين السادس والسابع ويذكر أن بندكت (٤٨٠ - ٥٤٤) يعد من أهم الشخصيات التى ساهمت فى تطور الديرية فى أوروبا . (٢)

---

(١) لسان العرب المحيط : ١٢٣٧/١ .

(٢) معالم تاريخ الانسانية : ٧٣٠/٣ ، ٧٣١ وانظرها بصرها مفصلة حديثه مفصلة ص ٧٣٤ وانظر فى بداية نشأت الرهبانية عند النصارى وكيف انتقلت اليهم من الشرق ونظم بعض الرهبانات العجيبة من كتاب تكوين العقل الحديث : ١/١٢٥-١٤٩ .

بينما يرى صاحب كتاب " تكوين العقل الحديث " أن " باشوميوس أولا ثم القديس باسليوس فى القرن الرابع الميلادى كانا أول من وضع القاعدة الكبرى للأديرة الشرقية . (١)

ولم يأمر الله بالرهبانية وانما نعى الله على الذين ابتدعوها من النصارى ولم يفوا بما الزموا أنفسهم به قال تعالى : " ... وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوا ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون" الحديد : ٢٧ . (٢)

٤ـ العوامل التى ساعدت على نشوء الرهبنة :ـ لكل حدث عوامل تؤدى الى ظهوره فما هى العوامل التى أدت الى ظهور الرهبانية ؟ يمكن تلخيص هذه العوامل فى الاتى :ـ

١ـ عقيدة الخطيئة الموروثة :ـ يعتقد المسيحيون أن آدم عليه السلام حين أكل من الشجرة المعرفة التى نهى عن الأكل منها عوقب بالطرد من الجنة وأنزل الى الأرض ولم يكتف الله ـ تعالى عن ذلك ـ بمعقوبة آدم وانما ظل البشر كلهم يتالهم من آثار تلك الخطيئة الشعور بالذهب والجرم لفعلة أبيهم آدم عليه السلام ، وقد رحمهم الله بانزال ـ ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ حتى يصلب فداء للبشر كلهم ، وليوضح للناس طريق الخلاص من هذه الخطيئة ولهذا كما يعتقد رجال الكنيسة ـ أصبح من المحتم على الانسان أن يقتل نفسه لمنحها الخلاص من هذه الخطيئة التى تلاحقه منذ آدم . (٣)

ولما كانت المرأة حسب ما جاء فى سفر التكوين من العهد القديم ـ هى التى أغرت الرجل ـ أى آدم ـ بالأكل من الشجرة . فان المسيحية المحرفة عادت المرأة عداء شديدا ، لأنها أصل الشر ومنبع الخطيئة فى العالم لهذا

---

(١) تكوين العقل الحديث : ١٢٧/١ (٢) انظر فى بيان معنى الآية تفسير
(٢) ابن كثير : ٨١/٤ ٥ - ٥٧ .
(٣) انظر فى قضية الخلاص الكتاب المقدس " متى " : ٢٠ ج ف ١٢ و " لوقا " فص ف ٢ ١٧ . ومن العجيب تناقض النصارى فى قضية الخلاص فهم يقولون أن عيسى نزل حتى يصلب فداء للبشر ، ويقولون ان اليهود صلبوا المسيح ويعادون اليهود لذلك ولم يبرئوا اليهود الا عام ١٩٦٤ م

فان الخلاص من الخطيئة الموروثة من عهد آدم لا تتم الا بانكار الانسان ذاته وقتله لكل ميوله الفطرية ، والا حتقار البالغ الحد للجسد وشهواته كلها لا سيما شهوة الجنس " النكاح ".

وقد ترتب على الشعور بالخطيئة الموروثة ـ أن أصاب القنوط الكثير ممن ينتسب الى المسيحية فقنطوا من رحمة الله فاذا ارتكب أحدهم ذنبا ضاق بالدنيا وذهب يعاقب نفسه بأنواع من العقاب ومن ضمن ذلك الاعتزال عن البشر فى الأديره .

٢ـ رد الفعل العنيف المتطرف للمادية :

بعث الله المسيح عليه السلام فى مجتمع يتكون من طائفتين متهالكتين على المتاع الدنيوى هما ، قومه اليهود أجشع بنى البشر وأشدهم تعلقا وتشبثا بالحياة أى حياة " ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ". والرومان الوثنيون الغارقون فى الحياة البهيمية والشهوات الدنسة ، فكان عيسى عليه السلام ـ بما أمره الله ـ يعظهم ويذكرهم بالآخرة ويضرب لهم الأمثال ويقص عليهم القصص المتنوع عن الأقوام السابقين وما أصابهم من جراء عبادتهم لملذات الدنيا وخلودهم اليها وغفلتهم عن الله وتنفيذ شرعه، ذلك حتى يردهم الى جادة الصواب برفعهم عن عبودية الدنيا وملذاتها الى عبادة الله وحده ، ويوضح لهم ما ينتظرهم فى الآخرة من النعيم ان هم استجابوا له ، ومن الأهوال والعذاب ان لم يستجيبوا له ليحسبوا لكل حسابه . فآمن به عليه السلام قلة من قومه واتعظت قلوبهم ورقت لما سمعوا لكنهم بمرور الزمن وكرد فعل للضغط المادى عليهم غلوا فخرجوا عن حدود ما أمرهم به المسيح عليه السلام وما تميله عليهم الفطرة السوية التى فطر الله الناس عليها ، فنسبوا الى المسيح ما لم يقله من أنه أمر شابا غنيا أن يبيع كل شئ ويعطيه للمساكين ليكون له كنز فى السماء .(١)

---

(١) انظر فى قصة الشاب الكتاب المقدس "متى " جـ ٢ ف ١٩ ص ٣٥

كما نسبوا اليه أنه أوصى تلاميذه بعدم اقتناء الذهب والفضة وغيرهما (١)

٣- تأثير الفلسفات والوثنيات القائمة :- عاصرت المسيح عليه السلام فلسفات ووثنيات قائمة كالرواقية والبرهمية والبوذية . ودخل في النصرانية بولس اليهودى والمحرف الأكبر للنصرانية وكان متشبعا بالفلسفات والوثنيات المعاصرة للمسيح ، فدخلت في المسيحية من ضمن ما دخلها من التحريف على يد اليهودى النظرة المتشائمة للحياة الدنيا ومتعها وبقى العالم فيما بين فترتى بعثة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام متعطشا الى دين صحيح يقيم الأمور على هدى شريعة الله ، وهذا ما لم تستطعه المسيحية بولس - كل ذلك ساعد على استبداد الحيرة والضلال عن الجادة الصحيحة بكثير من ذوى العقول المفكرة ، والمشاعر المرهفة فأبتكروا واعتنقوا الفلسفات التى تتم عن التهرب من الحياة وتقوم على الاستغراق فى عالم ما وراء المادة ، ولهذا راجت الرهبنة فى القرون التى تلت المسيح عليه السلام . (٢)

٤- الأوضاع الاجتماعية القاسية :- من المعلوم ان المجتمع الرومانى كان مجتمعا طبقيا "ظالما" يعانى فيه سكان المستعمرات البؤس والحرمان من الحقوق الانسانية العامة بسبب الظلم والطغيان ، وكانت الجيوش تتشكل من سكان المستعمرات مما جعلهم يقنطون من حياة الذلة والمهانة لذا رأوا أن خير وسيلة للتخلص من هذه المهانة - ولو أدى ذلك الى العيش الكفاف - هو دخول الأديرة حيث ينفق عليهم من التبرعات وأوقاف الكنيسة . (٣)

٥- الشروط الواجب توفرها فيمن يترهبن :

يشترط فيمن يريد الرهبنة شروط معينة منها :

١- العزوبية : وهى أهم الشروط للرهبنة ، اذ لا معنى للرهبنة مع وجود زوجة وينسب انجيل متى الى عيسى عليه السلام انه جعل الطلاق بدون علة زنا ، والزواج بثانية زنا والزواج بمطلقة آخر زنا ، وأنه فضل البقاء بدون زواج

---

(١) نفس المصدر "متى" : ج ٢ ق ١٠

(٢) انظر فى ذلك "معالم تاريخ الانسانية : ٣/٧٣٠ ، ٧٣١ .

(٣) انظر : قصة الحضارة : ١٤/١٥٠ .

للتلاميذ .(١) .

وقد كان من المشكلات المستغلقة على الكنيسة ورجالها مشكلة زواج رجال الدين - غير الرهبان - أو تسريبهم الاماء بحجة أن القس اذا تزوج يكون ولاؤه لزوجته وأولاده ، وأنه سينقل كرسيه لزوجه وأبنائه ، وهو مطالب بأن يكرس حياته لله ، وقد نادى "جريجورى" بمذهب التبتل بين رجال الدين تحت رقابة البابا وحده باعتباره خليفة المسيح فى الأرض ، وأعلن عن استعداده ، للعمل فى كل ما من شأنه أن يحقق استقلال الهيئة الكنسية ، ولو أدى ذلك الى فصم العرى العائلية بين المتزوجين من رجال الدين فى المانيا ، أو ترتب عليه اضعاف الكنيسة الالمانية الى أقصى حدود الاضعاف ...(٢) وهكذا الزم رجال الدين بعد جريجورى بالتبتل ، ويشرف على ذلك البابا لأنه خليفة المسيح فى الأرض .

فاذا كان التبتل قد فرض على غير رجال الدين من الرهبان وكان هذا حالهم ، يراقبون من قبل البابوات فما بالك بالرهبان أنهم يعانون من الرهبنة الشيء العظيم .

٢- ان يتحرر من يريد أن يكون راهبا عن متاع الدنيا ويعنى ذلك الرضا من الرزق بالكفاف وعدم الاهتمام بالمطالب الجسدية ولو ضروريا من مأكل ومشرب وملبس ونظافة واذا كانت مسيحية بولس المحرفة تأمر عامة النصارى باحتقار الحياة الدنيا وتعد هذا من أولى الواجبات فطبيعى أن تكون معاملة الراهب أقسى .

يقول صاحب كتاب "المشكلة الأخلاقية والفلاسفة" :

" ... ولنقرأ هذا السفر الطريف " محاكاة المسيح " انه سفر من أكبر أسفار التبتل المسيحى ولنطلب بين صحائفه مظاهر الحياة المسيحية بمعناها الصحيح ان ما نجده فيها ليعبر عن الحال بأبلغ عبارة :

---

(١) انظر في بيان ذلك الكتاب المقدس " متى " : ج ٢ ف ١٩ ص ٣٥

(٢) تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى : ١/ ١٤٧ وقصة الحضارة : ١٤/ ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

١- احتقار أساسي لكل علم . وحتى ليشمل ذلك علم الالهيات ،
٢- احتقار اصيل لكل ما تسميه خيرات هذا العالم الثراء ، والشرف والمركز الاجتماعي ، حتى المركز الوسط . وانه لحتم أن نستشعر دائما التواضع والندم وان نمارس عمليا ،على الدوام ،التضحية ،وكل مظهر عليه الرحمة . وان نشتغل اشتغالاً دائماً بالصلاة والسلام ، وأن نجمع حواسنا في صمت وذهول تام وتأمل دينى يتسى المرء فيه كيانه . يجب أن نقتل فينا كل ميل دنيوى يجب أن يموت عالم الرغبة . يجب أن نبدأ من هذا العالم الزائل ، ما سوف يكون لنا الوجود الابدى ."

ثم يقول معلقا :

"عظمة وعلاء ! ولكن قضاء مر قاس على الانسانية . وان التطبيق الكامل لمثل تلك المبادىء ؛ ليمكن أن يملأ الارض بأديرة فيها الرجال من جهة والنساء من جهة أخرى ،ينتظرون في طهارة وتأمل ، الزوال النهائي للنوع الانسانى "(١)

وفي هذا ما يكفى للتعليق على هذا الانحراف .

٣- أن يكون الراهب في عبادة متواصلة يطيها عليه الاب ، ويجب أن يطيعه لانه خليفة المسيح في الارض فاذا عصاه فقد عصا المسيح . بل يجب عليه إجهاد نفسه وتكليفها مالا تطيق ، من الصلوات والصيام وسائر شعائر التعبد فإن سئم ومل ، أو قصر في شيء من ذلك ، فان لذلك عقوبات رادعة . فقد كان من تعاليم "سانت كولمبان" وهو أحد مؤسسى الاديرة ما يلي :

"١- يجب أن تصوم كل يوم وتصلى كل يوم ،وتعمل كل يوم وتقرأ كل يوم ، وعلى الراهب أن يعيش تحت حكم آب واحد .

٢- ويجب أن يأوى الى الفراش وهو متعب يكاد يغلبه النوم وهو سائر في الطريق"

كما أنشأ نظام الحمد الذى لا ينقطع بايجاب تلاوة الاوراد على الرهبان بلا انقطاع ليلا ونهارا موجهة الى عيسى ومريم والقديسين .(٢)

---

(١) المشكلة الاخلاقية والفلسفة : ١١٤ ، ١١٥ .
(٢) قصة الحضارة : ٣٦٥/١٤ .

أما العقوبات فكانت بالجلد بالسياط ،فاذا سعل الراهب وهو يبدأ ترنيمه جلد ستة سياط ، وكذا اذا نسى درم اظافره قبل تلاوة القداس أو تبسم أثناء الصلاة ، وقرع القدح باسنانة أثناء العشاء الربانى . وكانت أثنا عشر سوطا اذا نسى أن يدعوا الله قبل الطعام . وغيرها من العقوبات . (١)

٤ـ التعذيب الجنونى للجسم والنفس : ـ لم يقتصر الأمر على العزوبة والتجرد من متاع الدنيا ـ حتى ما رحله الله ـ والعبادة المتواصلة ، بل وصل الأمر بهم الى تصرفات تشبه تصرفات المجانين بزعم أنهم بذلك يعبرون عن قوة ايمانهم !

يقول " ويلز " فى وصف له لمثل هذا التعذيب :

" ... وقد أرسل القديس " بندكت " أرسل رسالة لراهب منعزل اخترع درجة جديدة من الورع يربط فيها نفسه بسلسلة الى صخرة فى غار ضيق يثبط فيها من حماسته ويدعوة فيها أن يخفف من غلوائه . قال بندكت " كسر أغلالك لأن خادم الله الحقيقى لا يغل الى الصخور بالحديد ، وانما يربطه المسيح الى الهدى والبر " . (٢)

النتائج التى حصلت بسبب الرهبانية :

من سنن الله فى هذه الحياة أن كل عقيدة أو مبدأ لا يساير الفطرة البشرية التى فطر الله الناس عليها فإنه الى الخسران والفناء المحقق . ومصير من يعتنقه الشقاء والضياع ، ومن المعلوم المقطوع به أنه لا يستطيع أحد الاتيان بدين يوائم الفطرة البشرية الا من خلق البشر جل وعلا ، لذا كان المبتدعون ومخترعوا المذاهب البشرية المخالفة للفطرة أكثر الناس اساءة الى البشر ، والرهبانية احدى البدع التى ابتدعها البشر وليست موائمة للفطرة

---

(١) قصة الحضارة ج ١٤/٣٦٥ .

(٢) معالم تاريخ الانسانية : ٧٣٢/٣ وانظر صورا اخرى لهذا التعذيب فى " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ١٨٥ .

التى فطر الله الناس عليها ، ولذا لم يأويها الله جل وعلا بل نعى على من ابتدعها (٣) فهى بدعة ابتدعها النصارى قاصدين مرضاة الله لكنهم لم يرعوها حق رعايتها ولم يقوموا بما الزموا أنفسهم به من العبادة بل انخرط فى الرهبانية الفساق وطلاب المتع الدنيوية . فأصبحت الأديرة تمج بالفضائح العظيمة والدعارة التى لا تضارعها فيها أماكن الفساد . (١)

هذا فيما يتعلق بالرهبان . أما الأفراد العاديون فقد زالت ثقتهم بالدين ذلك لأنهم أصبحوا يرون الرهبان - وكانوا يعدون مثالا للطهارة - يغرقون فى الفجور وينالون من متع الدنيا مالا يناله غيرهم ، وهذا هيأ المناخ المناسب لنمو الفلسفات الاباحية والحركات الهدامة للأخلاق نموا قويا . وجعل بعض المفكرين الغربيين يصفون المسيحية بما يلى :

".. ان المسيحية نفاق منظم كما أتهمتها أجيال عديدة من النقاد العقليين المرة تلو الأخرى وأنها لم تكن عند أكثر الناس غير ستار رقيق يخفى تحته نظرة وثنية خالصة الى الحياة "(٢)

ثالثا : صكوك الغفران ، وحق الحرمان ، وحق التحلة (٣) Indulgence Paper

١- صكوك الغفران : ان الله سبحانه وتعالى - كما نعتقد نحن المسلمين - هو الذى يغفر الذنوب ونعلم كذلك ان رسل الله جميعا أوضحوا هذه الحقيقة ايضاحا كاملا لا لبس فيه وقد تضمنت آيات كثيرة من القرآن وصف الله بأنه غفور رحيم ، وبأنه هو المالك الوحيد لغفران الذنوب وحط الخطايا عن المذنبين .

ولكن رجال الكنيسة منذ أن انحرفوا عن ما أنزل الله على عيسى عليه السلام وهم فى انحدار وغلو فى تقدير مكانتهم ومنزلتهم حتى وصلوا آخر المطاف الى اقرار أن البابا يملك حق غفران الذنوب ، وذلك فى مجمع روما المنعقد عام ١٢٢٥ وكانوا قد انحرفوا بجعل الله ثالث ثلاثة ، وبفرض الترهين على

---

(١) انظر قصة الحضارة : ١٤/ ٣٧٢ ، ٣٧٣ .
(٢) تاريخ العالم : ٤/ ٣٣٠ .
(٣) قاموس الياس العصرى (عربى - انجليزى) ص ٨٠٤ مادة صك

رجال الدين ، وغيرها من الانحرافات - ثم لحق ذلك اقرار عصمة البابا عام ١٨٦٩ وهكذا ادعى رجال الكنيسة مشاركتهم الله سبحانه وتعالى فى ملكية غفران الذنوب بل أنهم ارتكبوا هذه المهزلة ، فوزعوا الجنة وعرضوها للبيع فى مزاد علنى ، وكتبوا وثائق للمشترين تتعهد فيها الكنيسية بغفران ذنوب المشترى للصك المتقدمه والمتأخرة ، وبراءته من كل جريمة أو خطيئة سبقت الصك ، أو تلحقه ، فاذا تسلم هذا المشترى الصك فقد ابيح له كل محظور على غيره ، وحل له كل محرم على غيره ممن لم يشتر صكا لغفران ذنوبه ، فليس عليه عقاب أن هو زنى ، أو سرق أو قتل أو شرب الخمر ، بل ليس عليه عقاب ان الحد وكفر بالمسيحية مادام هذا الصك بيده ، اذ المسيح هو الذى منحه اياه - لأن البابا هو ممثل المسيح على الأرض - والمسيح كما مر معنا فى أحد نصوص الأناجيل المحرفة هو الذى يحاسب الناس .

ولم يكتف رجال الكنيسة بمنحهم صكوكا لغفران ذنوب الأحياء ، بل وصل الحد بهم الى أنهم أعطوا صكوكا لغفران ذنوب الأموات ، ذلك أن الأحياء ممن حصلوا على صكوك لغفران ذنوبهم - رغبوا فى أن يحصلوا على صكوك لغفران ذنوب أقاربهم الموتى من آباء وأمهات وأخوة وأخوات وأبناء وبنات وغيرهم ، ذلك أن الانسان مجبول على حب الخير لأقربائه وخاصة فيما يتعلق بغفران ذنوبهم - فنحن المسلمين نسأل الله لموتانا المغفرة والرحمة لأنه هو المالك لهذا الأمر - أما عند النصارى بعد أن بدأت مهازل صكوك الغفران فان الذى يمنح ذلك هى الكنيسة ، وهكذا اتيح لمن يريد أن يشترى صك غفران لقريبه الميت ذلك - وليس عليه الا أن يكتب اسم من يريد غفران ذنوبه من أقاربه فى المكان المخصص لذلك وبعدها ينتقل المغفور له الميت الى النعيم مع المسيح والقديسين .

لكن هل صكوك الغفران تعطى من قبل الكنيسة تبرعا ودون مقابل أم أن هناك مقابلا يدفعه المغفور له ؟ واقع الحال أن هناك مقابلا يدفعه المغفور له ليحصل على غفران الذنوب والا لتمكن " العبيد " عند الاقطاعيين من الحصول على صكوك لغفران ذنوبهم ، ولكن ذلك لم يحصل وايضا لتمكن المريض المقعد الذى لا يستطيع الحصول على المال الذى يشترى به صكا لغفران ذنوبه

اذا فهؤلاء لم تشملهم رحمة رجال الكنيسة وظلوا محرومين من هذه المغفرة ولو بلغوا فى تقواهم وحبهم للمسيح وتعلقهم بالعذراء البتول مريم عليه السلام ما بلغوا .

وبهذا يتبين ان الغفران لم يكن يمنح الا لمن يدفع وهذا يعنى أن رجال الكنيسة احتالوا على الاستيلاء على أموال الناس أو جزءا منها بسن هذه المهزلة.

لكن السؤال الذى يطرح نفسه هنا ما السبب الذى دعا رجال الكنيسة الى عمل هذه المهزلة ؟ لقد كانت الكنيسة مع مطلع القرن الثالث عشر تجتاز مرحلة حاسمة فى تاريخها وكانت بحاجة الى المزيد من السلطة الدينية والنفوذ المالى لمواجهة أعدائها - المسلمين - فقررت عقد مجمع عام لبحث الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك فعقد المجمع الثانى عشر فى روما عام ١٢١٥ وفيه تقرر ان الكنيسة البابوية تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء مع مبدأ آخر كان شائعا وهو استحالة الخبز والخمر فى العشاء الربانى الى جسد المسيح ودمه . (١)

كما فرض المجمع على كل مسيحى أن يعترف امام قسيس الابرشية مرة كل عام حتى يستطيع الحصول على الغفران . (٢)

ولا ريب أن الناس بعد هذا أخذوا يتا فدون على الابرشيات لطلب المغفرة وللاعتراف بالذنب امام القساوسة فارتفع بذلك مركز رجال الكنيسة المعنوى المادى - كيف لا وقد جعلوا أنفسهم شركاء لله - تعالى الله عن ذلك - وبعد فترة اغرق رجال الكنيسة فى المغالاة لتثبيت مركزهم وتعبئة خزائنهم فقرروا اتخاذ وسيلة تضمن استمرار هذا التسلط باسم الغفران وبعد التفكير والتقدير توصلوا الى طريقة - مدرة للمال ، ورافعة لشأنهم المعنوى - تلك الطريقة هى كتابة الغفران للبشر على شكل صكوك تباع على كل طالب لها وتنص على غفران ابدى للذنوب المتقدمة والمتأخرة حتى تصبح حافزاً قوياً على دفع المبلغ المالى الذى تقرره الكنيسة أو القيام بخدمات للكنيسة . (٣)

---

(١) انظر نص قرار المجمع فى : محاضرات فى النصرانية : ٢٠٥ .
(٢) انظر فى بيان هذا : تاريخ العالم : ٥/٢٠٥ .
(٣) انظر صورة صك الغفران فى : محاضرات فى النصرانية : ٢٠٦

وقد كان من أسباب اعطاء صكوك الغفران ان الجنود الذين شاركوا في الحروب الصليبية سئموا تلك الحروب ورأوا أنهم منهزمون آخر الأمر وفقدوا ثقتهم في الكنيسة التي كانت قد وعدتهم بالنصر المحتم على المسلمين. فلما رأى رجال الكنيسة ان سلطانهم سيزول معنويا وماديا قرروا اعطاء كل من يشترك في الحروب الصليبية ويحارب المسلمين في فلسطين أربعين يوما يعطى صك غفران لذنوبه ، وكذا من يتكفل بنفقات محارب على أهله (١) .

ومما سبق يتضح أنه لم يكن يحظ بالحصول على صك الغفران ،الا أحد شخصين اثنين لا ثالث لهما -

١- شخص ذو مال بامكانه اشتراء الصك من رجال الكنيسة حسب تسعيرتهم المحددة .

٢- شخص يحمل سلاحه ويبذل دمه أو ماله لرعاية اسر الجنود المقاتلين وذلك على سبيل نصرة المسيحية والدفاع عنها .

أما من عدا هذين الصنفين فلا غفران لهم وتقتلهم الحسرة ان لا يجدوا ما ينفقونه للحصول على صك الغفران .

وهكذا يضحى الناس كلهم ورجال الكنيسة هم المستثمرون وهم الكاسبون الحقيقيون في هذه الدنيا ، وفي الآخرة لهم الجزاء الأوفى من الله ولا يظلم ربك احدا .

---

(١) انظر في بيان ذلك : قصة الحضارة : ٦٦/١٥ .

نتائج بدعة صكوك الغفران

كل حدث لابد له من نتائج معينه سيئة او حسنه ، ولا ريب ان لبدعة صكوك الغفران نتائج محدده وانها احدثت اصداء واسعة في العالم المسيحي ، واثارت ردود افعال مختلفة ، خاصة وقد ظهرت في وقت كانت اوربا فيه قد اتصلت بنور الاسلام من الاندلس ، وصقلية ، والحروب الصليبية - وبدأت العقول الخامله تفكر ، والفطر السليمه تفيق ويهمني في هذا المقام معرفة اثر هذه المهزلة علي المجتمع . فما هو اثرها ؟

الجواب على ذلك يتلخص في ان هذه المهزلة كانت سببا مباشرا في انطلاق الشراره الاولي التى اودت بالتعاليم الكنيسيه وقضت عليها ، ولا شك ان الاسلام كان له تأثير مباشر علي الثورة العنيفه ضد رجال الكنيسه مع عدواتهم للاسلام واهله - ومن ثم ساعدت هذه المهزلة علي هدم التعاليم الدينيه ، والاستهتار بكل المعتقدات ... - المسيحيه وغيرها - وساعدت علي انتشار فكرة انكار الجنه والنار . واستمرت هذه المهزلة حتى هذا العصر مستندا قويا يستند عليه اعداء الدين في الغرب ، اذ نشأ عن الكفر برجل الكنيسه الممثله للنصرانيه الكفر بالدين ذاته . (١)

وكان هناك امام الاوربي احد خيارين لا ثالث لهما - وضعهما له اعداء الدين - اما ان يؤمن بجدوى صكوك الغفران وعليه ان يكون قد حكم علي نفسه بالغباء والرجعيه والتخلف . واما أن يكفر بها فيجب عليه ان يكفر بالدين الذى نشأت صكوك الغفران في ظله فيكفر بما جاء به فيه وعلي الاخص مايتعلق بالايمان بالغيبيات ومنها الجنة والنار .

---

(١) وهذا مايوجد للاسف عند كثيرمن انحرف عن الاسلام عن ذراري المسلمين فحين يرون انحرافا من احد علماء الدين الاسلامي يتصورون ان هذا الفعل امر به الدين الاسلامي لذا فهم ينقلون القضيه من بغض من انحرف من علماء الدين الي بغض مايمثله هذا العالم . نسأل الله العافيه وماعلموا ان كل انسان يمثل نفسه فقط ، وان كان تأثير عالم الدين اشد من غيره لكن ذلك لا يوجب الانحراف .

" حق الحرمان ؛ وحق التخلـــه "

٢- حق الحرمان : ادعي رجال الكنيسه لانفسهم هذا الحق - حرمان الاشخاص المخالفين لهم في الآراء والمعتقدات من الجنه وطرد هم منها كأنهم آلهة مع الله سبحانه وتعالـــي وكان حق الحرمان هذا سابقا لحق الغفران مايدل علي ان رجال الكنيسه " غضبهـــم يسبق رحمتهم " بخلاف مايتصف به الله سبحانه وتعالي فقد ورد في حديث قدسي عـــن الله سبحانه وتعالي " ان رحمتي سبقت غضبي "

وقد كان أول حرمان فيما اعلم - قررته الكنيسه هو ماقرره مجمع افسس الثانـــي عام ٤٤٩ اذ اتخذ في هذا المجمع قرارات بحرمان بعض البطارقه ، ثم في مجمـــع خلقيدونيه عام ٤٥١ حيث لعن نسطور ود يسقورس واتباعهما ، ثم لعن وطرد اصحاب فكرة تناسخ الارواح في مجمع القسطنطينيه الثاني عام ٥٥٣م . (١)

وتوالي صدور قرارات الحرمان والطرد واللعن علي كل من يخالف رأى الاكثريـه سواء كان من رجال الكنيسه اوغيرهم ، فادعوا لانفسهم مالايكون الا لله فهو الـــذى يحرم ويلعن ويطرد من رحمته لايشاركه ولا ينازعه في هذا السلطان احد من خلقه .

وحق الحرمان هذا عقوبه معنويه وقوية التأثير في نفوس النصارى وهي كالشبـــح المخيف للافراد والشعوب في وقت واحد . وقد تعرض لها علي مر التاريخ الكنسي افـراد بلا حصر فمنهم الملوك - مثل فردريك الثاني ، وهنرى الرابع الالماني ، وهنرى الثاني الانجليزى " (٢)

ومنهم رجال الكنيسه المخالفين امثال آريوس ، ولوثر (٣) ومنهم الباحثـــون العلميون امثال كوبرنيق ، وجاليلو وغيرهم .

---

(١) انظر المسيحيه : ١٦٩/١٧٠

(٢) معالم تاريخ الانسانيه : ٨٩٢/٣ ، فيما يتعلق بفردريك الثاني ونفس المصدر ٩١٠/٣ فيما يتعلق بهنرى الرابع.

(٣) محاضرات في النصرانيه : ١٥١ حيث تجد ماذكره صاحب كتاب تاريخ الامه القبطيه عن مجمع نيقيه والمسيحيه ٢١٧ ، ومحاضرات في النصرانيه : ٢١٥ فيما يتعلق بحرمان لوثر.

هكذا ، يقرر البابا الحرمان ثم يرفعه علي حسب مزاجه ، الا انها الجاهلية المفرقه في التحكم والطغيان ، والعجب كل العجب كيف يرضخ شعب اوامة لمثل طغيان رجل يقرر حرمانها من نعيم الملكوت ، ثم يرفعه ، بل كيف يصدق هذا الشعب او هذه الامة بهذا الهراء ولكن البشر حين لا يهتدون بهدى الله يكونون كالانعام بل هم اضل سبيلا اسأل الله ان يحفظنا بالاسلام قائمين وان يحفظنا بالاسلام قاعدين ، وان يحفظنا بالاسلام راقدين .

٣- حق النحله : وهذا الحق ايضا من ضمن المدعيات التى ادعاها رجال الكنيسه زاعمين لانفسهم انهم يملكون ان يحلوا للانسان المسيحي التحلل من احكام الشريعه ، متى مارأت الكنيسه ان المصلحة ـ مصلحة الكنيسه في ذلك .

ونترك الحديث في هذه القضيه للمؤرخ الانجليزى ويلزفها نحن تراه يقول :

يقول : " .... وثمه دعوى اخرى ادعتها الكنيسه كانت هي ايضا اكثر سرفا وبعدا عن الحكمه هي قولها بأن لها " حق النحله " ومعنى ذلك ان البابا كان يستطيع في كثير من الاحيان ان يهمل قوانين الكنيسه في حالات فرديه خاصة ، فهو قد يأذن لابناء العم وابناء الخال ان يتزاوجوا ، وقد يسمح لرجل بأن تكون له زوجتان ، او يحل اى انسان من نذره ولكن اتيان هذه الامور ينطوى علي اعتراف بأن القوانين التى تتصل بها ليست قائمة علي اسس من الضرورة اللازمة والصلاح الفطرى ، وانهما في الواقع انما تنطوى علي التطبيق والمضايقه . فان شرع القوانين للبشر قاطبه مايلزم اكثر من كل انسان بالولاء للقانون . وهو دون الناس كافة ملزم ان يتصرف كأنما القانون سيف مسلط عليه وعلي كل الناس . ولكنه ضعف الانسانيه عامة ذلك الذى يوحى الينا بأن نتخيل أن الوديعه التى تسلم الينا لا دارا تها انما هي مما ملكت ايماننا " (١)

وصف واضح ، ونقد جرئ وجيد لمن زعموا لانفسهم حق النحله . ولقد ذكر الله سبحانه وتعالي عنهم ذلك وعد النصارى عابدين لهم بهذا الفعل فقال .

---

(١) معالم تاريخ الانسانيه ٨٩٦/٣

" اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون " التوبه : ٣١ .

وقد سمع عدى ابن حاتم (رضي) رسول الله صلي الله عليه وسلم يقرأ هذه الايه وكان قبل ان يسلم نصرانيا فقال يارسول الله انا لا نعبدهم - ظنا منه ان العباده تنحصر في الشعائر التعبديه - فقال صلي الله عليه وسلم اليسو يحلون لكم ماحرم الله فتحلونه ويحرمون عليكم ما احل الله فتحرمونه فقال عدى بلي يارسول الله فقال الرسول الله صلي الله عليه وسلم فتلك عبادتهم .

وبعد التحريف بالزيادة والنقصان ، والكتمان ، وبعد الابتداع في دين الله مالم يأذن به .

وبعد كل هذه الانحرافات التي انحرف فيها رجال الكنيسه هل بقي شيئا في الجعبه عنهم ؟ نعم . بقي الحديث من طغيانهم ، المتمثل في الطغيان الدينى ، والسياسي ، والمالي .

فلم يكتف رجال الكنيسه بتحريفهم للنصرانيه - عقيدة وشريعه ، ولا بانحرافهم ولا بما احدثوه من بدع بل مارسوا عمليا ابشع صنوف الطغيان ، الديني والسياسي والاقتصادى وهذا ماسوف نعرفه في الفقره التاليه من البحث .

المطلب الثالث: - طغيان رجال الكنيسه

سوف اتطرق في هذا الفصل للحديث عن امور عدة يمكن ايجازها في الاتي

١- ماهية الطغيان- تعريفه ٢- اسباب الطغيان ودواعيه ٣- أنواعه

١- تعريف الطغيان : يحسن بي أن انقل ماكتبه الامام ابن منظور في لسان العرب حيث قال .

" طغي : ابن سيده : طغي يطغي طغياً ويطغو طغيانا جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر . وفي حديث وهب : إن للعلم طغيانا كطغيان المال : اى يحمل صاحبه علي الترخص بما اشتبه منه الي مالا يحل له، ويترفع به علي من دونه ولا يعطي حقه بالعمل به كما يفعل رب المال وكل مجاوز قدره في العصيان طاغ .

وطغي ماء البحر : ارتفع وعلا علي كل شيء فاخترقه . وفي التزيل العزيز انا لما طغي الماء حملناكم في الجاريه . وطغي البحر : هاجت امواجه. وطغي الدم . تبيغ . وطغي السيل . اذا جاء بما كثير . وكل شيء جاوز القدر فقد طغي كما طغي الماء علي قوم نوح . وكما طغت الصيحه علي ثمود .

الليث : الطاغيه الجبار العنيد . ابن شميل : الطاغيه الاحمق المستكبر الظالم " (١)

من هذا التعريف نخرج بهذا التعريف المختصر وهو : الطغيان - : مجاوزة الحدود في التعامل مع الاشياء واشده ماجاوز الحد في التعامل مع الله سبحانه وتعالي بالعصيان . والطاغيه هو : المتجبر الظالم العنيد المستكبر بحمق .

واذا نحن نظرنا الي حديث بن وهب وطبقناه علي واقع رجال الكنيسه

---

(١) لسان العرب المحيطاعداد وتصنيف : يوسف خياط ونديم مرعشلي : ٣/ ٥٩٦/ ٥٩٧ وانظر ترتيب القاموس المحيط : طاهر احمد الزاوى الطرابلسي : ٣/ ٧١ .

وجدناه مطابقا لهم تمام المطابقة ، كما اننا نظرنا الي قول ابن منظور وكل ماجاوز قدره في العصيان طاغ ، وقول الليث وابن شميل وجدنا كل ذلك ينطبق تمام الانطباق علي حال رجال الكنيسة فهم قد جاوزوا القدر في عصيان الله ، وهم قد تجبرو، واستكبروا وظلموا بحمق .

٢- اسباب الطغيان ودواعيه : الطغيان مرض نفسي خطير ، يحيل من يمارسه الي مسخ شيطاني ، ومن المعلوم ان اعراض هذا المرض لا تصيب الا اذا نفس ضعيفه ، اتيح لها من الوسائل مايفوق قدرتها - مع خلوها من الوازع الديني الذى يكبح جماحها حين تتجه للطغيان في ادنى صوره قبل وصولها لا علي صوره كما ان الطغيان هو اكبر المتنفسات لكل من يشعر في داخل نفسه بالنقص فيسعى عن طريق الطغيان ستر نقائصه الداخليه التي يحملها .

واذا مارس الطغيان رجل كهنوتي ، فانه يكون اكثر ملائمه ومفعولية من ان يمارسه رجال يعتقد فيهم الناس الصلاح ، ويزعم لهم او يزعمون لانفسهم انهم (قديسين) ورسل سلام ومحبة وطلاب لما عند الله في الآخرة . لكنه اذا صدر عن هؤلاء ومارسوه فهذا هو البلاء المبين والطامة الكبرى . وهذا ماحدث من رجال الدين في اوربا الذين زعموا لانفسهم انهم رسل السلام والمحبه والتسامح وادعوا ان عيسى قال : " من لطمك على خدك الايمن فادر له الاخر ايضا . ومن اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضا ز ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين " (١)

وغيرها من النصوص الداعية الي المحبة والتسامح مع الاخرين تسامحا قد يزرى بالانسان ويسقط حقوقه .

ويمكننا تلخيص اسباب طغيان رجال الكنيسه - بعد الذى عرفناه عن احوال رجال الكنيسة واحوال المجتمع الغربي - في الاتي :

١- المركز الديني لرجال الكنيسه الذى فرض علي الناس عن طريق الاستدلال ببعض النصوص التى فسرت علي انها تعني رجال الكنيسه مثل القول المنسوب الي عيسي " انت بطرس . . . . "

٢- وراثة رجال الكنيسه عن أحبار اليهود الصفات الممقوته كاتباع الهوى وفرض الجبروت

٣- اذعان الناس وطاعتهم العمياء لكل مايقوله رجال الكنيسه اغرى رجال الكنيسة بالطغيان .

٤- ان المجتمعات التى انتشرت فيها النصرانيه كانت مجتمعات قد الفت العبوديه والخنوع والخضوع لغير الله - من سحرة وكهنة وحكام وآلهة من الاصنام - فساعد ذلك علي طغيان رجال الكنيسه وتعبيدهم الناس لهم لانهم كانوا قد الفوا هذا الوضع ولان رجال الكنيسة استدلوا بنصوص فسروها علي انها توجب طاعتهم فماكل امر دون قيد او شرط .

---

(١) الكتاب المقدس : " متى " جـ ف ٢/٥/٤٠ - ٤٢

٣- أنواع الطغيان :-

أولا : الطغيان الديني لرجال الكنيسه

منذ اليوم الاول الذى ظهر فيه الي الوجود ما يسميه مؤرخوا اوروبا بالمسيحيه الرسميه او علي الاصح مسيحيه بولس - وهو اليوم الذى عقد فيه مجمع نيقيه واتخذت فيه تلك القرارات الخطيره التي تمس العقيده والشريعه الصحيحتين التي ارسل بالدعوة اليها عيسي عليه السلام - منذ ذلك اليوم . ورجال الكنيسه يمارسون طغياناً وارهاباً دينياً بشعاً لم يمارس في تاريخ الديانات الا ماكان من قتل اليهود للانبياء واول طغيان مارسه رجال الكنيسه بتأييد الامبراطور قسطنطين هو فرض عقيده التثليث قهراً . وحكمهم علي من خالف هذه العقيده بالحرمان واللعنه وعلى رأسهم آريوس الذى نفي مع اتباعه (١) ، كما سفكت دماء من قدر عليهم واذيقوا اصناف العذاب والنكال ، ونصب رجال الكنيسه انفسهم آلهة مع الله يحلون ويحرمون يضيقون وينقصون ، ولا قدرة لاحد بل ليس له حق الاعتراض علي هؤلاء وابداء الرأى علي اضعف الاحوال مهما كان له من مكانه ، فإن فكر في الاعتراض او ابداء الرأى فلا يلومن الا نفسه اذا قرار الحرمان واللعنه والطرد جاهز لكفره .

لقد كان من مظاهر الطغيان ، او الطاغوتيه . تحليل الحرام ، وتحريم الحلال - كما ورد في حديث عدى بن حاتم الذى سبق بيان معناه - اذ كان الختان واجبا علي كل مسيحي فاصبح غير واجب ، وكان اكل لحم الخنزير محرما فاصبح مباحا (٢) وكانت التماثيل والصور شركا فاصبحت تعبد (٣) وكان اخذ اموال الناس من عامة المسيحيين من المنكرات فاصبحت الضرائب فرضا لازما علي الناس كما سيأتي شرح ذلك - وكان زواج رجال الدين حلالا فاصبح حراما - كما مر بيان ذلك ومما اضافه رجال الكنيسه ايضا الي ماسبق عقيدة الاستحاله في العشاء الرباني (٤) وعقيدة الخطيئة الموروثه لبني الانسان (٥) وعقيدة الصلب وانهما

---

(١) قصة الحضارة : ٣٩٥/١١ (٢) المسيحية : ١٠٥ ، ١٠٧ ومحاضرات في النصرانيه : ١٤١ ، ١٤٢ .
(٣) قصة الحضارة : ١٥٤/١٤-١٥٨ (٤) محاضرات في النصرانيه : ٢٠٤ والمسيحيه : ٢١٣ .
(٥) المسيحيه : ١٣٥ ومحاضرات في النصرانيه ١٢٩

كانت فداء الخطيئة البشر (١) والطقوس - اى الصلوات - السبعه والاسرار السبعه (٢) كل هذه الامور فرضها رجال الكنيسه علي اتباعهم بحجة انها اسرار عليا لا يجوز الشك في صحتها . وقد ساعد هوءلاء علي نجاحهم في كل ذلك احتكارهم للمصادر الدينيه ولفهمها وتفسيرها وشرحها ، فعلي هذا لا يمكن لاحد ان يدخل ملكوت الله لا بواسطه من يملك حق تفسير الكتاب المقدس ، ولا يتمكن احد من الاتصال بالله بذاته بل لا بد أن تكون صلته بالله جل وعلا عن طريق هوءلاء . وهكذا احل رجال الكنيسه الحرام ، وحرموا الحلال دون ان يشعروا بأدني حرج بل كان ذلك تبعا للاهواء والمصالح .

واليك نص ما قاله ويلز في وصف رجال الكنيسه فهو يعبر اصدق تعبير عن حال الكنيسه من رجل مسيحي يعرف ما اصيب به قومه .

" ولم تعد لهم بعد رغبة في روءية مملكة الرب موطدة في قلوب الناس فقد نسوا ذلك الامر واصبحوا يرغبون في روءية قوة الكنيسه التى هى قوتهم ، متسلطة علي شئون البشر . وكانوا في سبيل توطيد تلك القوة علي اتم استعداد للمساومة مع اى شيء حتى البغض والخوف والشهوات المستقره في قلوب البشر . ونظرا لان كثيراً منهم كانوا علي الارجح يسرون الريبة في سلامة بنيان مبادئهم الضخم المحكم وصحته المطلقه ، لم يسمحوا بأية مناقشة فيه . كانو لا يحتملون اسئله ولا يتسامحون في مخالفه ، لا لانهم علي ثقة من عقيدتهم ، بل لانهم كانوا غير واثقين منها . وكانوا يريدون من حولهم موافقتهم علي رأيهم لاسباب تتصل بالسياسه . وقد تجلي في الكنيسه عندما وافي القرن الثالث عشر مايساورها من قلق قاتل حول الشكوك الشديدة التى تنخر بناء مدعياتها باكمله وقد تجعله اثرًا بعد عين فلم تكن تستشعر اى اطمئنان وكانت تتصيد الهراطقه في كل مكان . فلم تكن تبحث العجائز الخائفات - فيما يقال - عن اللصوص تحت الاسرة وفي الدواليب قبل الهجوع الي فرشهن " (٣)

---

(١) المسيحية: ١٣٥ ومحاضرات في النصرانية: ١٢٩

(٢) المسيحية: ٨٠، ٩٦، ٢

(٣) معالم تاريخ الانسانيه : ٩٠٢/٣ ، ٩٠٣

ولم يكتف رجال الكنيسه بذلك بل طبقوا الطغيان عليها - فأثبتو بذلك إصرارهم عليه - وذلك بحشد الجيوش الجراره لحرب كل طائفه تسول لها انفسها مخالفة آرائهم او اعتناق عقائد لا يعتنقها رجال الكنيسه من النصارى ولعل من اظهر الشواهد علي ذلك وابينها ما تعرض له " الكاثاريون " وطائفه " الوالدونيون " الذين يقطنون بلغاريا وجنوب فرنسا فقد شنت عليهم حرب ارتكب فيها كل ما يمكن أن يتصوره العقل من أنواع انتهاك الحرمات !

ولم يكن لهوءلاء من ذنب سوى انهم أظهروا الشك في صحة مبادىء روما ، وفي تفسير الكتاب المقدس واتكروا علي رجال الكنيسه ثراءهم وترفهم الذي لا يليق برجال مثلهم . (١)

حرب ضاريه ، انتهك فيها الحرمات من اجل مخالفة بسيطة - وكان معهم الحق في هذا - مع ما يتسم به هوءلاء المخالفون من روح المسالمه ، ولكن الطغيان والمنجهيه والعجرفه التي قادت هوءلاء المتسلطين علي الناس باسم الدين الي انتهاك الحرمات ، والي ايقاد حرب شرسه بشعه تتضاءل ازاء بشاعتها بشاعة الوثنيين في حرب المسيحين في القرون الثلاثة الاولي - كما يقول ويلز

" وليت امر هوءلاء وقف عند هذا الحد ، بل تعداه الي ما هو اشنع وافضل - خاصة بعد ان تبين بما لا يدع مجالا للشك لرجال الدين اقر الاسلام في الآراء المخالفه لهم - اذ انشئوا محاكم التفتيش لمحاكمة كل من يخالف آراءهم ، وقد بدأ هوءلاء بالمسلمين في الاندلس باعتبار ان لهم تأثيرا في افكار المعارضين فأبيدوا ابادة تامة بأفضع ما يتخيله البشر من الوحشيه والقسوة والحقد ، ثم ثنى بالمخالفين من النصارى وانتقلت من اسبانيا الي بقية بلدان اوربا ،

---

(١) معالم تاريخ الانسانيه : ٣/ ٩٠٤ ، ٩٠٥

وكانت المحكمة الكبرى ، او الام لهذه المحاكم في روما وتدعي " المحكمة المقدسه" باعتبار ان البابا مقدس . (١)

وبسبب هذا الارهاب والطغيان العنيف عاش الاوربيون تلك الاحقاب في رهبة مفزعه ووقف كبار المفكرين والنقاد مبهوتين ، لا يستطيع احد منهم التصريح بعدم أيمانه بالمسيحيه مهما كانت آراؤه مخالفة لتعاليمها ، ويصف هذه الحالة وخاصة بين المفكرين والفلاسفه المفكر الامريكي المعاصر " كرين بونتن " اذ يقول

" .... كل منا منذ القرن الرابع " مسيحي " علي صورة من الصور ، وهو علي اقل تقدير مسيحي بالاعتراف ، ولم يكن بوسع الكثير من أفراد المجتمع الغربي ان يعترفوا صراحة وجماعة بالالحاد واللا اداريه او بمذهب الاتصال بالله ، أو بأى عقيده اخرى غير المسيحيه الا خلال القرون القلائل الاخيره . وقد كان الكفار الذين يجاهرون بكفرهم قلة نادرة في الالف سنه التى استغرقتها القرون الوسطي ولما كان الناس جميعا مسيحين فلم يكن هناك مفر من ان تكون المسيحيه هى كل شيء لكل الناس فلقد كان القديس " فرانيس وارازمس ولويولا ، وميكافلي ، وباسكال ، ووزلي ، ونابليون ، وغلايستون ، وجون روكفلر " جميعا مسيحيين ، وتستطيع بطبيعة الحال ان نقول ان بعضا من هؤلاء كانوا مسيحيين حقا ، ولكنك لا تستطيع ان تصنف المسيحين كما يستطيع عالم النبات ان يصنف النبات . (٢)

لكن هل يستند رجال الكنيسه في طغيانهم هذا علي مستند يحتجون به يعطيهم حق هذه السلطة والهيمنه علي شئون المجتمع ؟

نعم لقد احتج رجال الكنيسه بحجة هي عبارة عن قول منسوب الي عيسي عليه السلام يخاطب فيه بطرس كبير الحواريين وهذا نصه .

" ١٣) ولما جاء يسوع الي نواحي قيصريه فيلبس سأل تلاميذه قائلا من تقول الناس ان ابن البشر هو (١٤) فقالوا . قوم يقولون

---

(١) صدر قرار مجمع روما عام ١٨٦٩ باعتبار ان البابا معصوم ، وانظر [illegible] ما يأتي من استدلال رجال الكنيسه بالقول المنسوب لعيسي عليه السلام ان بطرس [illegible] تكون ممثلية عيسى .

انه يوحنا المعمدان ، وآخرون أنه ايليا ، وآخرون انه ارميا ، او واحد من الانبياء (١٥) قال لهم يسوع وانتم من تقولون اني هو (١٦) اجاب سمعان بطرس قائلا انت المسيح ابن الله الحي (١٧) فأجاب يسوع وقال طوبى لك ياسمعان بن يونا فانه ليس لحم ولا دم كشف لك هذا لكن ابي الذي في السموات (١٨) وانا اقول لك انت الصفاة وعلي هذه الصفاة * سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها (١٩) وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ماربطته علي الارض يكون مربوطا في السموات وكل ماحللته علي الارض يكون محلولا في السموات ".(١)

فهم رجال الكنيسه من هذا القول - المنسوب الي المسيح - ان المسيح عليه السلام - يريد بذلك ان السلطة الدينيه المهيمنه باسمه ستكون في الموضع الذي يموت فيه كبير الحواريين " بطرس " وقد مات في رومه عام ٦٥م صلبا" (٢)

ولهذا اعتبر المسيحيون ان روما هي المركز الرئيسي الذي يحكم العالم باسره باسم المسيح وفيها مقر الكنيسه التي يرأسها ممثل المسيح " البابا " المعصوم من الخطأ (٣) فكل ماتقرره هذه الكنيسه يكون هو الصواب لان المسيح هو الذي يملي عليها عن طريق الروح القدس كل تصرفاتها ومادام الامر كذلك فيجب طاعة رجال هذه الكنيسه علي كل المؤمنين بالمسيح ، والخارج علي سلطان رجال هذه الكنيسه او المنتقد لقراراتها كافر تحل عليه اللعنه والحرمان من ملكوت الله مهما بلغت وجاهة رأيه الذي يطرحه بل مهما كانت سوابقه وخدمته للمسيحية وكنيستها .

---

(١) الكتاب المقدس " انجيل متى " ج ٢ ف ١٦/
(٢) محاضرات في النصرانيه ٨١ ، ٨٢
(٣) تقرر ان البابا معصوم من الخطأ في مجمع رومه عام ١٨٦٩م انظر المسيحيه : ١٧١
* هكذا وردت بنصها " الصفاه " من الكتاب المسمى مقدس

ان المسلم لا يملك الا ان يرفض وينكر صحة نسبة هذا القول الى المسيح عليه السلام ، لان مضمون هذا القول هو تحليل ما حلله رجال الكنيسه باهوائهم ويتبع ذلك تحريم ما حرمه رجال الكنيسه بل هو يتضمن ما هو اعظم من ذلك يتضمن اقرار عيسي عليه السلام ـ لشمعان بطرس حين قال لعيسي عليه السلام " انت المسيح ابن الله الحي " عند ما قال له " طوبى لك ... " والقرآن الكريم كما سبق ان ذكرت يحكي عنه عكس هذا القول ومن ذلك قوله تعالي "

" ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوه ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بعد اذ انتم مسلمون " آل عمران ٧٩ ، ٨٠ .

فانبياء الله ورسله دعاة للتوحيد ، فلا يتصور ان يصدر عنهم اى قول وعمل او دعوى فيها شائبة من شوائب الشرك ، فضلا عن ان يزعم اى واحد منهم لنفسه شيئا من خصائص الالوهيه كالعباده ، والتشريع فما بالك بادعائه وهب هذه الخصائص لغيره كما يزعم النصارى لبطرس.

واما الزعم بان عيسي يمتلك مفاتيح الملكوت ، فواقع الحال ان عيسي عليه السلام او غيره من الرسل بشر فضلهم الله ، باصطفائهم للرسالة ، ومقتضي هذه البشريه ان عيسي او غيره لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا الا ما كتبه الله له " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعاً . . " المائدة ١٧ فكيف يملك مفاتيح ملكوت الله . اذاً فمفاتيح الملكوت لا يملكها الا الله سبحانه وتعالي .

واذا تقرر هذا فلا بطرس يملك ذلك ، ولا غيره من رجال الكنيسه من بعده الا اذا اعترفنا بالوهية عيسي وهذا ما ننكره جازمين .

هذا وقد سخر الكاتب الامريكي المعاصر " كرين برنتن " من استدلال الكنيسه بهذا النص علي ان المكان الذى مات فيه بطرس هو المكان الذى يجب

ان تنطلق منه المسيحيه ، وارجع السبب في وقوع الكنيسة في هذا الفهم الخاطىء الي وجود التشابه اللفظي بين " بطرس " و " صخره " واليك ما قال .

" ... ومن الحق ان أسقف روما في الزمان القديم قد زعم لنفسه حقوقا خاصة للسيادة علي الاساقفه الاخرين . ويعتقد الذين يميلون الي الشك ممن هم خارج الكنيسه الرومانيين اصحاب المصالح منذ الجيل الثالث او الرابع قديما بعد المسيح قد اقحموا علي العهد الجديد تلك الفقرات التى اقامت التقليد البطرسي علي اساس من الكتاب المقدس والمسيح - طبقا لهذا التقليد - هو الذى خطط البابويه الرومانيه . جاء في انجيل متى ان يسوع قال لتلميذه " وانا اقول لك انت بطرس ، وفوق هذه الصخرة سوف ابنى كنيستى . ولهذا توصد ضدها ابواب جهنم " وفي هذه العبارة ما تسميه الموضوعات غير الموقرة توريه ، لان اللفظة الاغريقيه التى تدل علي " بطرس " هي بعينها اللفظه التى تدل علي " الصخره " جاء في التقاليد القديمه ان بطرس رحل الي روما ذاتها ، وأسس الكنيسة هناك " ثم مات شهيدا " (١).

نعم هذا النص يتضح مايلى

١- ان هذه العبارات لا تصح نسبتها الي عيسي عليه السلام كما سبق ان قررت بل هي مقحمه وان الذين اقحموها اصحاب المصالح من الجيل الثالث والرابع بعد المسيح من الرومانيين .

٢- ان الدافع الى اقحام هذه العبارات هو حب السيادة والزعامة علي الناس لذلك استندوا علي هذا النص المقحم في الانجيل منسوبا الى عيسي عليه السلام .

ثم ان المرء ليتساءل هل وصل المسيح عليه السلام الي روما حتى يخاطب بطرس فيقول له ما قال .

هذا . واذا نحن راجعنا نصوص انجيل متى الذى ورد فيه هذا الافتراء لوجدنا انه ينسب الي المسيح عليه السلام بعد فقرات ثلاث من هذا القول مخاطبا لبطرس بقوله .

" ٢٣) اذهب عني يا شيطان لانك لا تهتم بما لله لكن بما للناس " (٢)

---

(١) افكار ورجال : ١٩٣ ، ١٩٤ (٢) متى : ١٦ / ٢٣

فكيف يوفق رجال الكنيسه الذى يدعون لانفسهم حق التشريع للمسيحين من المقر الرئيسي روما - بين ذلك القول ، وهذا القول المتضمن اتهام بطرس ، هبة لبطرس ، ثم اتهام في مكان واحد لا يفصل بينهما الا ثلاث فقرات هل نصدق القول الاول او الثاني او نرفضهما جميعا ؟ الجواب علي ذلك هو رفض هذين القولين جميعا والاستدلال بهما علي التناقض والتحريف الذى لحق الانجيل .

ونتساءل لماذا تنظر الكنيسه الى هذا القول السابق ، وتغض من شمل القول المنسوب الي المسيح عليه السلام في انجيل لوقا .

" (٢٧) لكن اقول لكم ايها السامعون احبوا اعداءكم واحسنوا الي من يبغضكم (٢٨) باركوا لاعينكم وصلوا لاجل من يحنتكم (٢٩) من ضربك علي خدك فقدم الآخر ومن اخذ دائك فلا تمنعه ثوبك " (١)

والقول الاخر المنسوب الي المسيح ايضا في انجيل متى .

" (٢٤) فلما سمع العشرة غضبوا علي الاخوين (٢٥) فدعاهم يسوع وقال لهم قد علمتم ان اراكنه الامم يسودونهم وعظماءهم يتسلطون عليهم (٢٦) واما انتم فلا يكون فيكم هكذا ولكن من اراد ان يكون فيكم كبيرا فليكن لكم خادما " (٢)

وهذان النصان ينهيان النصارى عن التسلط علي الناس والتحكم في حياتهم وهو ما خالفة رجال الكنيسه مخالفة واضحه فاضحه في محاكم التفتيش وغيرها من الاعمال التى اشركوا انفسهم مع الله سبحانه وتعالي .

---

(١) لوقا : ٢/ج ٦/ف

(٢) متى : ٢/ج ٢٠/ف ٢٧/ص

ثانيا : الطغيان السياسي لرجال الكنيسة

الامر الطبيعي الذى لا يستنكر أن تكون ازمة الامور جميعها كـ اقتصادية وسياسية واجتماعية بيد فئة مؤمنه تدين بدين الله وتطبق شرع الله في خاصة نفسها وتقيمه في واقع حياة الناس . وهذا ما كان يجب ان يقوم به رجال الكنيسه . لكن هل قام رجال الكنيسة بذلك فاقاموا شرع الله الذى انزل علي عيسي عليه السلام في واقع حياتهم ، واقاموه في واقع حياة الناس ؟ ان الاجابة علي ذلك يندى لها جبين كل مسلم . ذلك ان هؤلاء الرجال كانوا والعياذ بالله ابعد الناس عن ذلك ، فهم حرفوا دين الله الذى أنزل علي عيسي عقيدة وشريعة ، كما مر بيان ذلك - وانحرفوا عنها حتى بعد تحريفها ، ولم يكتفوا بذلك بل مارسوا طغياناً فظيعاً فصاروا طواغيت ومحترفين سياسيين باسم الدين ، وذلك حين فرضوا لانفسهم الوصاية على الملوك والامراء ، وارغموهم علي الخضوع الذل لهم ، واشاعوا في الناس أن مقدار صلاح هؤلاء الملوك مرتبط بمدى ومقدار ما يقدمونه لهم من مراسم الطاعة - لا بمقدار التزامهم بالعقيدة والشريعة التى انزلت علي عيسي عليه السلام - فذلك هو الامر المعيب والمعاقب عليه عند رجال الكنيسه - وما الاضطهاد الذى وقع لأتباع آريوس الا دليل واضح علي ذلك .

لقد ظل الاوربيون يعانون تمزقا نفسيا شنيعا بسبب الصراع الذى دار في العصور الوسطي بين رجال الكنيسه وبين ملوك اوربا للتحكم في المجتمع ، ذلك ان رجال الكنيسه يدعون لانفسهم حق الهيمنه والسيطره علي المجتمع لانهم وكلاء عيسي عليه السلام ، والملوك يدعون لانفسهم ذلك لانهم هم الذين يحكمون هذه المجتمعات واقعياً وقد ورثوا ذلك كابراً عن كابر .

ولم تكن الحرب بين البابوات والاباطره الا حربا بين فيئتين متناحرتين هدفها الاساسي التسلط والسيطرة والمطامع الدنيويه ، وان كانت شعارات كل منهما تختلف عن الاخرى .

ولقد ضاق ملوك اوربا ذرعا بتدخل رجال الكتيسه في كافة شئونهم ولم يكونوا ليجدوا الرجال الكنيسه مبررا لتدخلهم مطلقا كما لم يكونوا

يرون ان "الرجال الكنيسه ميزه عليهم الا " القداسه " ومع هذا فقد كان بعض ملوك أوربا يرون انهم مقدسون بانسابهم . (١)

هذا ماكان من بعض ملوك اوربا ولكن البابوات كانوا يعتقدون ان خضوع الملوك والحكام لهم ليس امرا تطوعيا للملوك فيه الخيار ولكنه امر واجب عليهم بحكم مركز البابوات الديني ، وسلطانهم الروحي علي البشر لان البابا ممثل الله في الارض . (٢)

وقد اعلن (جريجوري السابع) (. . . . .

ان الكنيسه بوصفها نظاماً إلهياً خليفه بان تكون صاحبة السلطة العالميه ، ومن حق البابا وواجبه ، بوصفه خليفه الله في ارضه ، ان يخلع الملوك غير الصالحين وان يؤيد او يرفض اختيار البشر للحكام او تنصيبهم حسب مقتضيات الاحوال . (٣)

ولم يكتف بهذا بل قدح في دينهم ووصمهم بالغدر وارتكاب الجرائم يقول ول ديورانت " قد تساءل " جريجوري " في رسالة كتبها وهو غاضب الي " هرمان " اسقف متز :

" من ذا الذى يجهل ان الملوك والامراء يرجعون باصولهم الي الذين لا يعرفون الله ، ثم يتعالون ويصطنعون العنف ، ويرتكبون في الحقيقة جميع انواع الجرائم . . . ويطالبون بحقهم في حكم من لا يقلون عنهم - اى الشعب جشعا وعماية وعجرفة لا تطاق ؟ " (٤)

ولقد كان رجال الكنيسه اقوياء طيلة القرون الوسطي بسبب سلطتهم الروحيه المزعومه ، وهي كلهم التنظيمي الدقيق واستبدادهم الذى لا تحده حدود ، فقد كان البابوات هم الذين يتولون تتويج الحكام ، وكانوا هم الذين بامكانهم دون - غيرهم خلع الحكام او عزلهم ، ولم يكن احد من الحكام بقادر علي الافلات من

---

(١) تاريخ اوربا في العصور الوسطي : ١ / ٧١

(٢) انظر في هذا قصة الحضارة : ١٤ / ٣٥٢

(٣ ، ٤) نفس المصدر : ١٤ / ٣٩٣ ، ٣٩٤

ذلك ، ومن اراد ان يرفض الرضوخ لرجال الكنيسه ، فان حكمه في رأى رجال الكنيسه غير شرعي ، ومن ثم يحق للبابا اعلان الحرب عليه وحرمانه واعتصم "، وسوف اسوق حادثة واحدة تعطي المثل الواضح لطغيان رجال الكنيسه وهي صول النزاع بين ملك ايطاليا فردريك الثاني وبين جريجوري التاسع .

" ذلك أن فردريك الثاني تأخر في القيام بحملته الصليبيه الموعوده اثنتى عشرة سنه ، لذا حرمه البابا وشهر برذائله وهر طقاته وذنوبه عامة في رسالة علنية نشرها (١٢٢٧) فردريك علي هذه بوثيقة موجهة الي كل الامراء - وصفها ويلز - بانها وثيقة ذات اهمية قصوى في التاريخ ؛ لانها اول بيان واضح صريح عن النزاع بين مدعيات البابا في أن يكون الحاكم المطلق علي عالم المسيحيه بأسره ، وبين مدعيات البابا في أن يكون الحاكم المطلق علي عالم المسيحيه بأسره وبين مدعيات .. مدعيات الحكام العلمانيين ؛ وقد كان هذا النزاع يسرى علي الدوام كالنار تحت الرماد ، ولكنه كان يضطرم هنا علي صورة ما ، ويتأجج هناك علي صورة اخرى ، ولكن فردريك وضع الامر الان في عبارات واضحة عامه يستطيع الناس ان تتخذها اساسا لاتحادهم وهم بعضهم ببعض .

وفي عام ١٢٣٩ حرم جريجوري التاسع فردريك للمرة الثانية ، ثم انبعثت الخصومه مرة اخرى في عهد البابا انوسنت الرابع ، واصدر فردريك للمرة الثانيه رسالة ضد الكنيسه شهر فيها بكبرياء رجال الدين وانعدام التدين فيهم وعزى مفاسد الزمان الي كبرهم وثرائهم اقترح علي الامراء مصادره املاك الكنيسه لخيرالكنيسه" (١)

وقد كان فردريك هذا اعظم من تحدى رجال الكنيسه وقاومهم ، وقد سماه بعض المفكرين المعاصرين باعجوبه العالم ، ووصفته الكنيسه بالزندقه (*) وذلك لزعمها انه اعتنق الاسلام ، ولا شك انه كان متأثرا بدراسات التى درسها في الاندلس .

---

(١) معالم تاريخ الانسانيه ٣: ٨٩٨/ ٨٩٩ ، بتصرف وانظر قصة الحضاره : ١٥/ ١٩٠-١٩٤ لمعرفة قصة النزاع بين الملك هنرى الثاني ملك انجلترا وبين رئيس اساقفه "كنتربرى" توماس بكت وانظر نفس المصدر ٣: ٩١٠/ ٩١١ ، وتاريخ اوربا الوسطي ١: ١٤٧/ ١٤٩ ، لمعرفة قصة النزاع بين هنري الرابع امبراطور المانيا وبين البابا جريجوري السابع .

(*) " ول ديورانت هو الذي سماه " اعجوبه العالم في كتابه قصة الحضارة وكذا " فشر " في كتابه تاريخ اوروبا في العصور الوسطى .

ثالثا : الطغيان الاقتصادى لرجال الكنيسة

لم تنه الاناجيل - المحرفة - عن شيء وتشدد فيه كما نهت عن اقتناء الثروة والركون الي الحياة الدنيا ، ولكن لما تطاول عليهم الامد ظهرت مفارقات عجيبة بين المفهوم المسيحي الموجود في الاناجيل حول المال والثروة ومتع الدنيا كلها وبين واقع الكنيسه العملي ، اذ تشددت الاناجيل فحرمت ما احل الله من طيبات الحياة الدنيا وكان ذلك ربما اقتبسته من نظره البوذيين المتشائمه الي الحياة الدنيا - هذا في جانب وفي الجانب الاخر سجل رجال الكنيسه في القرون الوسطي علي انفسهم صفحات مخزية من التهالك علي الدنيا الذى نافسوا فيه اليهود عبدة الذهب وفاقوا فيه كبار الاقطاعيين ونسو بذلك ما يوجد في اناجيلهم مما نسبوه الي المسيح عليه السلام ان يقول - كما زعموا -

" (١٠) انه لاسهل ان يدخل جمل في ثقب الابره من ان يدخل غني ملكوت الله " (١)

" (٢٤) وايضا اقول لكم انه لاسهل ان يدخل الجمل في ثقب ابرة من ان يدخل غني ملكوت السموات " (٢)

" (٩) لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا في مناطقكم (١٠) ولا مزودا للطريق ولا ثوبين ولا حذاء ولا عصا لان الفاعل مستحق طعامه " (٣)

واذا فرجال الكنيسه قد اصبحوا ممن تتحقق فيهم هذه الصفات لهذا فهم من ابعد الناس عن الدخول في ملكوت السموات او ملكوت الله .

ولكن رجال الكنيسه هؤلاء الذين حرفوا دين الله الذى انزله علي عيسي لم يكتفوا بذلك بل انحرفوا حتى عن الدين الذى صنفوه هم ونسبوه الي عيسي فجمعوا بين سيئتين التحريف والانحراف ، وزادوا عليهما بالطغيان الذى تمثل في صورتين الاولي انهم فرضوا علي اتباعهم الزهد والتقشف ، الثانيه : انهم اصبحوا من كبار الاقطاعيين في اوربا فخالفوا ما امروا به الناس وخالفوا ما وضعوه من تشريع محرف .

---

(١) الكتاب المقدس " مرقس " ج ٢/ ١٠/ ص ٧٧

(٢) نفس المصدر " متى " ٢/ ١٩/ ٣٥

(٣) نفس المصدر " متى " : ٢/ ١٠

ويصور "كرسون" هذا في اوضح عبارة حين يقول :

" . . . كانت الفضائل المسيحية كالفقر والتواضع ، والقناعه ، والصوم والورع والسذاجه والرحمة ، وارادة السلام بالعدل ومحبة الله الخالصة ،كل ذلك كان خيرا للمؤمنين ، وللقسيسين المتصوفين ، وللقديسين ، وللخطب والمواعظ .

اما اساقفة البلاط والشخصيات الكهنوتية الكبيرة فقد كان لهم شيء آخر البذخ والاحاديث المتأنقة مع النساء والشهرة في المجالس الخاصه والعجلات والخدم والارباح الجسيمة والموارد والمناصب "(١)

وبامكاننا أن نلخص مظاهر هذا الطغيان في الاتي :

١ـ الاقطاعيات الكبرى : لا تخلو معظم كتب التاريخ الاوربي التى تؤرخ لاحداث القرون الوسطي من ذكر بعض مظاهر الطغيان لرجال الدين ومنها تملكهم دون ادني مشروعية لاقطاعيات كبيرة يقول احدهم مايلي :

" وكان مالك الضيعة في بعض الاحيان اسقفا او رئيس دير ، وكان كثير من الرهبان يعملون بايديهم ، وكثير من الاديرة والكنائس تنال حظها من اموال العشور التى تجبي من الابرشيه ، ولكن المؤسسات الكهنوتيه الكبيرة كانت بالاضافة الي هذا العمل اليدوى وتلك الامور في حاجة الي المعونة الماليه ، وكانت تنال الجزء الاكبر من هذه المعونه من الملوك والاشراف علي صورة هبات من الاراضي اوانصبه من الايرادات الاقطاعية وتراكمت هذه الهدايا حتى اصبحت الكنيسة اكبر ملاكي الاراضي ، واكبر السادة الاقطاعيين في اوربا ، فقد كان دير "فلدا" مثلا يملك "١٥٠٠٠" قصر صغير من قصور الريف ، وكان دير "سانت جول" يمتلك الفين من رقيق الارض ، وكان "الكوين في ثور" سيداً لعشرين الفاً من ارقاء الارض وكان الملك هو الذى يعين رؤساء الاساقفه ورؤساء الاديره ، وكانوا يقسمون يمين الولاء له لغيرهم من الملاك الاقطاعيين ، ويلقبون بالدوق والكونت وغيرهما من الالقاب الاقطاعيه ، ويسكون العمله ، ويرأسون محاكم الاسقفيات والاديره ، ويضطلعون بالواجبات الاقطاعيه الخاصه بالخدمة العسكرية والاشراف الزراعي . . .

---

(١) المشكلة الاخلاقية والفلاسفة : ١٦٧

وهكذا أضحت الكنيسة جزءا لا يتجزأ من النظام الاقطاعي .(١)

هذا بالنسبة للأديرة ،وهي كما نعرف أماكن تجمع الرهبان ،والرهبان هم الذين زهدوا في الدنيا . فاذا كان هذا ما يفعل الزهاد - الرهبان - فما بالك برجال الكنيسة الآخرين الذين لم يزهدوا . (٢)

٢- المظهر الثاني : الأوقاف التي كانت تتبع الكنيسة :

كان رجال الكنيسة يملكون مساحات واسعة من الأراضي الزراعية على اعتبار أنها أوقاف للكنيسة تصرف عائداتها على سكان الأديرة - وبناء الكنائس وتجهيز الجيوش للحروب الصليبية . الا أن هذه الأوقاف وصلت نسبة جعلت " ويكلف " المصلح الكنسي يحالف دوق " جناجونت" الذي يعمل مع غيره على الغاء أوقاف الكنيسة على الغائها . (٣)

وقد بلغت املاك الكنيسة من الأوقاف ½ أراضي انجلترا كما يقرر ذلك ويكلف . (٤)

وقد اتهم ويكلف رجال الكنيسة بأنهم " أتباع قياصرة لا أتباع الله " (٥)

٣- المظهر الثالث : العشور والضرائب الأخرى : فرض رجال الكنيسة على أتباعهم ضريبة أسموها - العشر - وهي ضريبة تجعل لرجال الكنيسة الحق في الحصول على عشر ما تنتجه الأراضي الزراعية ، والماشية ، وعشر ما يحصل عليه أصحاب الحرف الأخرى وجاء في كتاب تاريخ العالم بيانا لذلك ما يلي :

".. ويلي ذلك - أي السخرة التي تكلم عنها قبل هذا - في قائمة الحقوق المفروضة على الفلاحين ،ما هو معروف باسم العشر ، وهو المكس

---

(١) قصة الحضارة : ١٤/٤٢٥و ١٤/٤٢٦ .

(٢) انظر لمعرفة تعريف الاقطاع ومقوماته كتاب : شبهات حول الاسلام : ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩ .

(٣ ، ٤ ، ٥) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ٢/٣٦٣ ، ٣٦٤ .

على ما تخرجه الارض من الزرع ، والماشيه ، والركاز ، وهو مكس شائع بالبـــلاد المسيحيه كافة ، ولم تتنزل الكنيسه عنه في اراضيها الا بعد لأى واكراه . على أن ذلك المكس ظل بيد جهات كثيرة حتى صار يشرى ويباع ، ويقسم الى اجزاء واصبح من الضرورى تنظيم حسابه وتحصيله في سجلات مضبوطه ، بواقع وحده عن كل عشر وحدات من المحاصيل الزراعية ، ولذا غدت " عربة العشر " من الاشياء المعتاده وهي تشق طريقها بين الحقول وقت الحصاد " (١)

ولم يفرض رجال الكنيسه هذا العشر كعمل من اعمال الاحسان بل فرضوه كواجب محتم . (٢)

ولكن هل كان في مقدور احد رفض هذا القانون أم لا ؟ الواقع ان احدا من الناس سواء كانوا من الشعوب او الحكام لم يكونوا قادرين على رفض هذا القانـــون اذ الشعوب خاضعه تلقائياً لسطوة رجال الدين لانهم ممثلوا المسيح في الارض كمـــا نفخ في روعهم ذلك . هذا من ناحية الشعوب اما الملوك فقد كانوا هم الاخريـــن يخشون جبروت رجال الدين للسبب نفسه الذى تخشاهم من اجله الشعـــوب ، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية كانت هناك بين البابوات والحكام مصالح مشتركـــة تتمثل في مساعدة كل منهما الاخر في توحيد سلطانه - يقول تولستوى احد نقـــاد رجال الكنيسه مايلي .

" لقد استولي حب السلطة على قلوب رجال الكنيسة كما هو مستول علـــي نفوس رجال الحكومات . وصار رجال الدين يسعون لتوطيد سلطة الكنائـــس من جهة ، ويساعدون الحكومات على توطيد سلطانها من جهة اخرى واخـــذوا يفسرون احكام الانجيل حسب مطامعهم ، حتى انهم لم يتأخروا عن تحريفهـــا وفق منافعهم وبهذه الصورة أوجدوا كل تلك الخرافات التى تنسب الي ديانة المسيح والمسيح نفسه برىء منها . (٣)

وهكذا كانت مصالح الفريقين - رجال الدين ، والحكام - تقتضي بقـــاء الاوضاع على صورتها الموجوده .

---

(١) تاريخ العالم : ٥/١٨ ، ١٩٠ (٢) معالم تاريخ الانسانيه ٣/١٩٨
(٣) احاديث في الاجتماع والسياسه : ٣٠١ .

٤- المظهر الرابع من مظاهر الطغيان : ضريبه السنه الاولي : لم يكتف رجال الكنيسه بالعشور والاوقاف بل فرضوا ضرائب اخرى خاصة في الاحوال الاستثنائيه مثل الحروب الصليبيه ، "فلما تولي البابا حنا الثاني والعشرين ، فرض ضريبه جديدة اسماها ضريبة السنه الاولي" (١)

ولكن ماهي ضريبة السنه الاولي يقول فشر :

" ... وهي مجموعة الدخل السنوي لوظيفة من الوظائف الدينية أو الاقطاعية التابعة للبابا" (٢)

وهكذا اصبح لرجال الكنيسة مورد مالي جديد يصب في حوضهم الطافح بالاموال المحرمه . لكن لابد ان تقول ان احد مجامعهم وهو مجمع بازل انكر هذه الضريبة . (٣)

٥- المظهر الخامس : العطايا والهبات : كان رجال الكنيسة يحتلون بكثير من العطايا والهبات التى يقدمها الاثرياء والملوك خشية من سطوتهم وطغيانهم فكأنهم بذلك يتملقونهم وهناك اناس يهبونهم ذلك بدافع من الاحسان والصدقه ولم يكن هؤلاء ليفعلوا ذلك لو لم يكونوا يعلمون حرص رجال الكنيسه علي الدنيا وتكالبهم علي المال ، كما انهم لو لم يعلموا انهم بذلك يستميلون رجال الكنيسه لما فعلوا ذلك لعلمهم يقينا بان رجال الكنيسه بيدهم المغفره فيخشون حرمانهم منها عند موتهم . وقد اشتدت هذه الدوافع بعد مهازل صكوك الغفران اذ بعدها انهالت الهبات والعطايا علي رجال الكنيسه ، بشكل لا نظير له وهذا تضخمت وازدادت ثروة رجال الكنيسه واليك وصفا لما حصل من الهبات في مهرجان عقد عام ١٣٠٠ انقله من معالم تاريخ الانسانيه .

---

(١) تاريخ اوروبا في العصور الوسطي : ٢ / ٣٣٩
(٢) ، (٣) نفس المصدر : ٢ / ٣٨٠

" .... في عام ١٣٠٠م عقد مهرجان " اليوبيل " واجتمع له جمهور حاشد من الحجاج في روما . بلغ من عظيم انثيال المال الى خزائن البابويه ، ان ظل موظفان يجمعان بالمحاريف الهبات التي وضعت عند قبر القديس بطرس (١) وهذه الهبات والعطايا وان لم يفرضها رجال الكنيسه على الناس رسميا ، الا ان الناس انما فعلوا ذلك طمعا في - غفرانهم - وخوفا من حرمانهم فهم بذلك كأنهم الزموهم بهذه الهبات .

٦- المظهر السادس - العمل المجاني - السخره - بينت فيما سبق ان رجال الكنيسه سلوكا الاقطاعيات الكبيره برقيقها وان بعض رجال الدين كان يملك الآلاف من الرقيق ، ومع هذا فانهم لم يقنعوا بذلك بل ارغموا اتباعهم على العمل المجاني في الحقول التي يمتلكونها ، والمشروعات التي يقيمونها خاصة بناء الكنائس وكان من الواجب على الناس بوصف رجال الكنيسة خلفاء الله في الارض - ان يوضخوا الا وامرهم ويعملوا مجانا لمصلحة هؤلاء ، يوما واحدا في الاسبوع جاء في كتاب تاريخ العالم ما يلي :

" ... اما السخره ، وهي المؤاجرة التي شاعت تأديتها للسيد الاقطاعي بالخدمة في ارضه منذ اوائل ايام الدوجين ، فهذه زالت عن كثير من الاقاليم في القرن الثالث عشر الميلادى ، بقيام الفلاحين المكلفين بها يدفع بدل نقدى مقابل الاعفاء منها ، على انها بقيت ببعض الاقاليم ، وباتت رزءاً ثقيلا في حياة الفلاح ووسيلة غير اقتصادية لزراعة الارض الخاصة بالسيد الاقطاعي وكثيراً ما حاول كبار الملاك في العصور التي قلت فيها الايدى العامله - قبل عصر الفناء الكبير - ان يراجعوا عن المؤاجرات النقديه الي نظام السخره القديم ، مما ادى الى ثورة الفلاحين في كثير من البلاد الاوربيه " (٢)

وبهذا يتبين ان جماهير الشعوب كانت ترزح تحت نير رجال الكنيسه ،

---

(١) معالم تاريخ الانسانيه : ٩١٣/٣ .
(٢) تاريخ العالم : ١٨/٥

وكان الملوك والا باطره وصغار رجال الكنيسه يشعرون بمعانيه الناس ، ويهتبلون فرصة لاعلان احتجاجهم ورفضهم لجبروت كبار رجال الكنيسه ، وممن تضجر من ذلك واندفع بجرأة الي الاحتجاج العلني علي سلوك رجال الدين الملك لويس التاسع ملك فرنسا اذ بعث برسالة احتجاجيه الي البابا يقول فشر :ـ

" وليس من العسير علي قارئ حوليات المؤرخ " ماثيوباريس " ان يستشف علامات السخط الذى اثارته تلك المطالب التعسفيه في بلاد اشتهرت دون غيرها بطاعة الكرسي البابوى المقدس ، حتى ان ملك فرنسا " لويس التاسع " الذى اختصت البابويه مملكته بشئ من حسن المعامله والرفق ، اضطر الي تنبيه البابا في رسالة احتجاجيه خطيرة ، ان الذى يشتد في ادراء الاخراج لابد ان يصيب الدم من حلماتها " . واستغاث رجال الدين من الانجليز من المطالب البابويه وشكوا حالهم سنة ١٢٤٦م الي المجلس الدينى العام المنعقد في مدينة ليون" ومع ان السلطان البابوى ظل فوق الشبهات ، فالواضح ان روحاً من الغضب وسوء الظن حلت محل المحبة القديمة والاجلال " (١)

وهكذا يتضح ان الشكوى من طغيان البابوات قد امتدت حتى الي رجال الدين الصغار ولكن هذه الاحتجاجات من رجال الدين الصغار وغيرهم ممن يسمون في عرف رجال الكنيسه رجال الدنيا ظلت " صرخة في واد ونفخة في رماد " واستمر رجال الكنيسه علي طغيانهم وعنجهيتهم ، حتى بعد عصر النهضه الذى حدث فيه الصراع ، بين رجال الكنيسه ورجال العلم واستمر حتى نهاية القرن الثامن عشر حيث وقعت الثورة الفرنسيه فانتقل الصراع من صراع بين رجال الكنيسه ورجال العلم الي صراع بين الكنيسه والشعوب النصرانيه وكان وراء ذلك الصراع العنيف الذى تمثل في الثورة الفرنسيه ـ التى اصبحت معلما بارزا من معالم تاريخ اوربا ـ رجال اذكياء استغلوا هذه الاحداث وشاركوا في صنعها الا وهم اليهود ثم جاءت طامة كبرى اخرى ساعدت علي هروب الغربيين من الدين نهائيا تلك هي نظرية دارون التى كان لها نتائج سيئه في كل العلوم ومازال لها هذه النتائج رغم الانتقادات الموجهة الي اصول النظريه .

(١) تاريخ اوربا في العصور الوسطي : ٢٥٩/١

الفصل الاول

عوامل نشوء العلمانية فى العالم الغربـــــى

المبحث الثانى : عوامل مساعدة .

فرضية التطور وأثرها فى الفكر والعلم والفلسفة .

• • •

فرضية التطور وأثرها فى الفكر والعلم والفلسفه فى العالم الغربى

عند الحديث عن فرضية التطور التى قال بها تشارلس دارون لا بد من معرفة المناخ أو الجو الفكرى الذى ظهرت فيه هذه الفرضية ولا بد من معرفة ما سبقها من فرضيات فى التطور افترضها علماء سابقون لدارون ، ومعرفة درجات الاستدلال العلمى عند معارضى الأديان ، ومن أى أنواع الاستدلال الأدلة التى استدل بها دارون ، ثم انتقل الى بيان الأسس التى تقوم عليها فرضية التطور الدارونية ، ثم أذكر أقوال علماء الطبيعة المعاصرين لدارون ومن جاء بعده فى رفضها وخاصة الداروينيين المحدثين وأختم هذا الجزء بالحديث عن آثار فرضية التطور .

وعلى هذا يكون الحديث عن فرضية التطور مسلسلا كالاتى :-

١- المناخ أو الجو الفكرى الذى ظهرت فيه الفرضية .

٢- الفرضيات السابقة على فرضية دارون .

٣- درجات الاستدلال العلمى عند معارضى الاديان ومن أى أنواع الاستدلال أدلة دارون .

٤- الأسس التى تقوم عليها فرضية التطور وأفكارها الأساسية .

٥- أقوال علماء الطبيعة المعارضين فى رفضها .

٦- آثار فرضية التطور على الايمان ، والعلم ، والفكر ، والفلسفة.(١)

---

(١) لم أتحدث عن حكم الإسلام فى هذه الفرضية ، وعن مكانة الانسان فى الاسلام لأن المجال هنا ليس مجال دحض هذه الفرضية من خلال حكم الإسلام ، بل المجال هو بيان تأثيرها فى نشر العلمانية وأثرها على الايمان والعلم والفكر والفلسفة . وقد حرصت على بيان رأى علماء الطبيعة والاحياء فى هذه الفرضية من علماء الغرب ليكون ذلك أبلغ فى دحض هذه الفرضية .

أولا : المناخ أو الجو الفكرى الذى ظهرت فيه الفرضية :

تعرضت المسيحية ـ المحرفة ـ قبل ظهور فرضية دارون لضربات قوية وهزات عنيفة أودت بالعقائد المسيحية والأخلاق المسيحية المحرفة ، يمكن تلخيصها في الآتي :

١ ـ تهافت النظرية المسيحية عن الكون المتمثلة في نظرية بطليموس .

٢ ـ انتقادات الفلاسفة وعلماء الطبيعة في القرنين السادس عشر والسابع عشر خاصة فولتير وسبينوزا وديدرو الذين كانوا من أشد المنتقدين على الكنيسة .

٣ ـ الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م وما لحق برجال الكنيسة على يديها من أذى ونكبات .

٤ ـ النظرية الآلية الميكانيكية عن الكون المنبثقة عن نظرية كوبرنيق ونيوتن .

٥ ـ تقديس العقل وتقديمه على الوحي والدين الطبيعي اللذين تميز بهما القرنان السادس عشر والثامن عشر .

٦ ـ نظرية التطور الفكرى كما تخيلها كومت .

٧ ـ المذهب اللا أدرى ومذهب المؤلهة الربوبيين " الديزيه " .(١)

٨ ـ الجمعيات السرية وأفكارها الهدامة مثل الماسونية التي وجدت في الفلاسفة الملحدين مثل فولتير ورسو ودالمار وفردريك ملك بروسيا ، انصارا تكاتفوا في هدم اركان الدين وتخريب الممالك والعروش " ١ "

وقد أعاد اليهود تنظيم الماسونية وتعاليمها ورموزها عام ١٧١٧م " ٢ "

وهكذا ساعدت الامور السابقة على تقويض بعض دعائم الكنيسة ورجالها ورغم ذلك فان الانهيار الكامل للمسيحية ـ المحرفة ـ لم يكن متوقعا الا بعد قرون لانها بقيت برغم هذه الاحداث التي ـ زلزلت كيانها ـ كيانا معترفا به تدعمه عواطف الجماهير وتعضده موروثات قديمة متأصلة في نفوس الناس

---

(١) انظر تفاصيل عن هذه القضايا في "تكوين العقل الحديث" جزء ٢ ص ٩ . وكذا [illegible] الثورة الفرنسية .

١) جذور البلاء : ١١٨

٢) المرجع السابق : ١١٩

من القيم والمثل التي اشربت بها نفوس الجماهير .

لقد حدثت تغيرات كثيرة في تصورات الناس لكل شيء فقد حدث تغيير في نظرة الناس الى المسيحية ورجالها وبعض تعاليمها الا انه حتى ظهور هذه الفرضية لم يحدث تغير بالنسبة للتصور الديني ذاته اذ بقي سائغا لدى جمهرة كبيرة من الناس يدل على ذلك مابذله الفلاسفة في القرنين السابع عشر والثامن عشر من جهود لاحداث دين طبيعي أو انساني .

وحدث تغير في نظرة الانسان الى الكون ودوره فيه ، ولكن لم تتغير نظرته الى انسانيته وتفرده عن سائر المخلوقات وتفوقه عليها ، جسما وعقلا وروحا ،

وحدث تغير في نظرة الانسان الى حركة سير التاريخ ولكن لم يجرؤ أحد على التصريح بأنه لا توجد قيم ثابتة أو اخلاق ثابتة ، حتى جاءت فرضية داروين القائلة بتطور خلق الانسان من مخلوقات إدنى ، فأدى ذلك الى القول بتطور الاخلاق والقيم . اذ الاخلاق يتخلق بها الانسان والقيم - العقائد - يعتقدها الانسان . فاذا كان الانسان قد تطور في خلقه فان الاخلاق والقيم متطورة تبعا لذلك . ومن ثم خرج فرويد ودوركايم وغيرهما بنظريات عن تطور الدين - بعد أن خرج داروين بفرضيته في تطور الانسان ، والكائنات الأخرى في خلقها .

ثانيا : الفرضيات التي سبقت فرضية داروين :

يمكن اعتبار " لينيوس " أول من قال بالتطور اذ انه استنتج من مشاهداته وجود كثير من التغيرات بين افراد النوع . مما دعاه يميل نحو الاعتقاد في تغير النوع "[1]" ثم جاء بوفون (١٧٠٧-١٧٨٨) الذى استنتج من دراساته في التشريح المقارن ان للاستعمال والاغفال أثرا في تشكيل أعضاء

---

١) الموسوعة العربية الميسرة : ٥٢٩ .

الفقاريات "١" وأشار في بحثه التاريخ الطبيعي الى الداروتيه قبل وجودها "٢"

ثم جاء "لامارك ،جان بايست" (١٧٤٤ - ١٨٢٩) واشتهر بتقديمه نظريات التطور ، والخاصة للافقاريات ( ) "٣" ((ويعتمد لامارك على أثر البيئة المباشر في تعليل التطور وتسمى نظريته بنظرية الاستعمال والاهمال في بنية الكائن الحي استجابة للمطالب الجديدة ، ويدعم وجودها ، أو يضعف نتيجة للاستعمال أو الاهمال ، ثم تتكفل الوراثة بنقل الصفات المكتسبة الجديدة للاحقاد "٤"

ثم جاء "كوفيه ، جورج ليوپولد " (١٧٦٩ - ١٨٣٢) الذى أدت به دراساته للحفريات وتكوين الارض الى رفض النظريات الخاصة بالتطور المستمر ، والى تأييد نظرية الكوارث" "٥" وقد رفض "كوفييه " آراء لامارك" "٦"

ثالثا : معارضات المستدلين الذين تفصلوا حول النظرية [illegible] بأنواع الاستدلال ادلة داروين :-

ان آراء معارضي الاديان ترتكز على اساس واحد وهو ان اى شيء لا يصبح حقيقة الا اذا تم اثباته تجريبيا وتبعا لذلك فالاديان من النوع الذى لا يمكن اثباته تجريبيا فعلى هذا يكون محض عقيدة لادخل لها في الحياة (العلمنه) وهذا هو المعيار الوحيد لمعارضي الاديان . ولكن له درجات أربع هي :

---

١) الموسوعة العربية الميسرة : ، ٥٣٠

٢) نفس المصدر : ٤٣٧

٣) المصدر نفسه : ١٥٤٣

٤) نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيها : ٣٥

٥) الموسوعة العربية الميسرة : ١٥٠٦ .

٦) نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها : ٣٥

١ - أن يكون الامر المراد مشاهدته أو تجربته في متناول يدنا مباشرة .

٢ - ألا تكون الدعوى قابلة كليا للمشاهدة ، بل يمكن مشاهدة بعض أجزائها . كدعوة " كروية الارض " اذ لا يمكن مشاهدتها في صورتها الكاملة ، الا انه يمكن مشاهدة أجزاء منها تؤكد هذه الحقيقة اذا صورت الارض بكاميرا مزودة بمنظار مكبر فسوف تبدو الارض كروية في الصورة كالقمر ومن المعلوم ان ذلك جزءا من كرويتها وليس هو الصورة الكاملة لها " . "١"

٣ - ان الاستدلال يعتبر مقياسا علميا سليما اذا شوهدت فيه بعض جوانب التجربة التي تؤكد وجود حقيقة ما ، وذلك بالرغم من عجزنا عن مشاهدة تلك الحقيقة بكامل جوانبها في تلك التجربة وذلك مثل الالكترون . "٢"

٤ - ان المشاهدات والتجارب ، وان لم تكن مرتبطة بالقضية المطروحة - بالمعنى العلمي التكنيكي البحث - الا انه اذا كانت هناك قرينة جائزة لتأييد تلك القضية - وذلك في حالة عدم وجود نظرية اقوى لتفسير تلك المشاهدات - فان ذلك الاستدلال (بالقرينة الجائزة) على القضية المطروحة سيكون مقبولا وسليما " "٣"

" ... وجدير بالذكر ان كل مقياس من المقاييس (الاول ، والثاني والثالث) التي مر ذكرها يرفض نظرية الارتقاء رفضا قاطعا ، الا ان المقياس الرابع وحده يتصدى لاثباتها . " "٤"

" ونصل من هذا الى ان العقل الحديث لا يحصر دائرة العلم في تلك الوقائع التي يمكننا تجربتها مباشرة ، وانما يعتبر أن اية قرينة منطقية تستند الى تجارب ومشاهدات غير مباشرة ، يمكنها ايضا ان تصبح حقيقة علمية بنفس درجة الحقائق العلمية التي نتمكن من مشاهدتها مباشرة " "٥"

(١ - ٢) الدين في مواجهة العلم : ١١

(٣،٤) - المصدر السابق : ١٣ ، ١٦

٥) نفس المصدر : ٢١

" ومن المعلوم انه مهما كانت المقاييس ، فان اى شيء يثبت بناء على تلك المقاييس يمكن ان يكون صحيحا او باطلا " .

والنظريات تتغير من يوم لاخر في عالم العلم ، بالرغم من انه لا يمكن اثباتها بصفة عامة ، بمقياس او آخر من المقاييس العلمية المذكورة أنفا .

فالتسليم بجواز وحقية مقياس ما لا يلزمنا ان نقبل بالضرورة كل مايقدم الينا بواسطة ذلك المقياس على انه حقيقة علمية . فاحتمال كون النتيجة باطلة باق ، مع ان صحة المقياس وجواز الاستدلال به يبقى قائما أيضا في نفس الوقت " . "١"

وعلى هذا فان اتباع نظرية داروين الذين يقولون بالتولد الذاتي لا بالخلق المباشر ، بناء على اعتمادهم على هذا المقياس الرابع لا يحق لهم ان يعترضوا على القائلين بالخلق المباشر الخاص لان الادلة التي يستدلون بها موجودة عند القائلين بالخلق الخاص المباشر وهم اتباع الاديان وخاصة الدين الاسلامي - موجودة بصورة أكمل وأشد .

رابعا : الأسس والافكار الرئيسية التي تقوم عليها نظرية داوون :

يمكن تلخيص فرضية داروين في الآتي :

١) الانتخاب الطبيعي .

٢) التطور العضوى الذاتي للكائنات الحية .

٣) التنازع وبقاء الاصلح .

٤) القول بتسلسل الانسان من حيوان ادنى منه ووجود شبه بينه وبين القرد .

يقول الاستاذ قيس القرطاس تلخيصا لبعض هذه الأمور :

" وتتلخص نظرية داروين بما يلي : اننا نشاهد ان الخلق تظهر فيه بعض الاختلافات الطفيفة التي يتضح ظهورها بعد اجيال عديدة بواسطة ناموس

---

١) المصدر السابق : ٢٢ .

التغير وهذه الاشكال المختلفة تخرج الى الحياة في صراع دائم لتحقيق عملية " تنازع البقاء " ليزداد القوى على قوته والضعيف ضعفاً على ضعفه . وبذلك يتحقق " فوز القوى " أو " بقاء الاصلح " . ويعمل " الانتخاب الطبيعي " عمله فيفني الذي لا يتلاءم مع البيئة الجديدة ويبقى المرغوب وأن الصفات المكتسبة التي حصل عليها الحيوان خلال صراع الحياة تنتقل الى السلف لتحقق نوعاً جديداً تحقيقاً " لقانون الوراثة " وتستمر العملية الى أن تجد أمامك ماتراه من الانواع . "١"

أما عن التطور العضوى الذاتي للكائنات الحية فان داروين يفترض تطور الحياة في الكائنات العضوية من السهولة وعدم التعقيد الى الدقة والتعقيد ، ومن الاحط الى الارقى وان القرون الخلقية (داخل النوع الواحد تنتج انواعا جديدة مع مرور الاحقاب الطويلة ، ولذلك يفترض داروين ان اصل الكائنات العضوية ذات الملايين من الخلايا كائنا حقيرا ذا خلية واحدة " "٢"

وأما علة الانتخاب الطبيعي وبقاء انواع دون أخرى ، فان داروين يرى :

" . . . ان التطور يحدث نتيجة للاختيار الطبيعي ، وان التغير في الانواع يحدث بانقراض الافراد الضعيفة والتي لا تتلاءم والبيئة التي تعيش فيها وتحيط بها ، وبذلك تنقرض ولا تورث صفاتها .

وان الطبيعة " Nature " اختارت كائنات معينة لتعيش وتتناسل وتتكاثر ولتبقى . . وهذه الكائنات هي التي تتلاءم مع بيئتها أما الكائنات التي لا تستطيع أن تتلاءم مع بيئتها او الكائنات الضعيفة فانها تموت وتنقرض . . اى ان البقاء للاصلح " "٣"

---

١) نظرية التطور بين مؤيديها ومعارضيها : ٣٨

٢) العلمانية واثرها في الحياة الاسلامية المعاصرة : ١٤٨ بتصرف طفيف

٣) نظرية التطور بين العلم والدين : ٤٤ ، ٤٥ .

أما فيما يتعلق بشبه الانسان بالقرد وغيره من الحيوانات فيقول عنـه دارون في كتابه " اصل الانسان " مايلي :

" انه لشيء منفر أن نقول أن الانسان قد بني على ذات الطريقة العامة أو النموذج الذى بنيت عليه جسوم " الثدييات الاخرى ، فكل العظام فـي هيكله يمكن مقارنتها بمثيلاتها في القرد ، أو في الخفاش ، أو في الفقمة ، وكذلك هو في عضلاته وأعصابه وأوعيته الدموية ثم في احشائه الداخلية وكذلك يتبع المخ - وهو الاكثر اهمية من بين كل الاعضاء - ذات النظام كما اوضح هكسلي وعلماء التشريح الآخرون " "١"

ويقول في نفس الكتاب :

" بعد التقارير السابقة التي قدمها مؤلفون كبار ، فلسوف يكون مـن نافلة القول في الجزء الخاص ان اقدم عدداً من التفاصيل المستعارة مبينا أن جنين الانسان يشبه تمام الشبه غيره من اخية الثدييات الاخرى . ومن الممكـن - رغم ذلك - ان اضيف ان الجنين البشرى يشبه كذلك وفي نقاط عديدة فـي التركيب ، اشكالا خاصة من الكائنات غير الراقية عندما تنضج ، فمثلا يوجد القلب في أول الامر كوعاء نابض بسيط ، وتخرج الفضلات عن ممر المذرق ، وتبرز عظمـة العصعص شبيهة بذنب حقيقي ، وممتدة الى درجة كبيرة خلف الارجـل الظامرة " ز "٢" ثم يقول :

" انه يمكن حتى في مرحلة هنيهة متأخرة - ملاحظة بعض التشابهات اللافتة للنظر فيما بين الانسان والحيوانات الادنى " "٣" . الى ان قال :

---

١) العلم اسراره وخفاياه : ٣/٤٩٧

٢،٣) المصدر السابق : ٣/ ٤٩٩

" ولسوف اختتم بعبارة مقتبسة من قول هكسلي الذى يقول بعد تساؤل عما اذا كان الانسان قد نشأ بطريقة مختلفة عن كلب ، او طائر ، او ضفدعة او سمكة؟ . . . يقول بأن الجواب على ذلك لا يشك فيه لحظة واحدة . وبدون تساؤل ، فان طريقة النشوء ، ثم المراحل المبكرة لتطور الانسان متطابقة مع مثيلاتها عند الحيوانات التي تسبقه في سلم التطور . . وبدون شك في تلك الاعتبارات فان الانسان يقرب من القرد بأكثر مما يقرب القرد من الكلاب " "١"

أما أدلة دارون واتباعه فقد استندت الى علم التشريح المقابل ، والاعضاء الاثرية والتصنيف الطبيعي ، والتوزيع الجغرافي ، وعلم الاجنة ، وعلم الاحافير . وأكتفي هنا بدليل واحد من أدلتهم وهو دليل علم التشريح المقابل :

" يقول انصار التطور لو فحصنا يد الانسان وجناح الخفاش ومجداف الحوت وحافر الحصان وأطراف العضايا والتمساح والضفدع بواسطة التشريح لوجدنا ان في جميعها نفس العظام والعضلات والاعصاب وان هذا التشابه لا يمكن أن يفسر الا ان هذا النظام التركيبي قد تطور من سلالة واحدة " "٢"

وأكتفي في الرد على ذلك بنقل رأي آرثر كيث وهو احد كبار انصار التطور اذ يقول :

" وتبلغ العلامات المشتركة بين الانسان وكل من الشمبانزى والغوريلا الى سائر العلامات التي احصيتها تقريبا بثمانية وسبعة اعشار بالمائة " "٣" فقط ، وهكذا يستنتجون من تشابه ضئيل مزعوم لا يبلغ الا ٨ر٧ ٪ على تسلسل الانسان من الحيوان .

---

١) العلم اسراره وخفاياه : ٣/٤٩٩ .

٢ - ٣) نظرية داروين مؤيدوها ومعارضيها : ٥٥ .

وانظر بقية الادلة ، وهي ادلة الاعضاء الاثرية ، والتصنيف الطبيعي ، والتوزيع الجغرافي ، وعلم الاجنة ، وعلم الاحافير : ٥٩ - ٧٧ ، وانظر كتاب " نظرية التطور بين العلم والدين : ٤٩ - ٩٩ .

لقد كان الجديد في أمر الفرضية ليست هي فكرة التطور فقط فقد قال بذلك قبله اشخاص سابقون له ـ لكن الجديد هو في القانون الذى تسير عليه عملية التطور بغض النظر عن قيمته العلمية .

ولكن لم تكن آراء هوءلاء العلماء ـ وكان منهم غير من سبق ذكرهم : راى ، وباركتسون ، وليفو ـ قد قدمت للتطور تفسيرا آليا ميكانيكيا كما فعل دارون واتباعه وانما كان تفسيرهم دينيا ، ولذا سميت نظريتهم بنظرية التطور اللاهوتية .

جاء في كتاب " تراث الانسانية " في توضيح ذلك وبيان سبب انتشار مذهب داروني وغيره :

" . . . والامر الذى حمى معه وطيس الجدل ، وثارت فيه المناقشات هو ذلك الموقف الذى يقفه كل من علماء التطور من جهة ، ورجال اللاهوت من امثال (راى) من جهة أخرى ، وبخاصة فيما يتعلق بمسألة العثور على حفريات تتمايز تارة وتتشابه أخرى مع نظائرها الحية من نفس النوع مثل الفيل والماموت ، والماستدون . فذهب (راى) الى انه من اليسير تفسير مثل هذه الظاهرة عن طريق القول بوجود الثغرات " أو " الحلقات المفقودة التي لم تعثر عليها بعد في سلسلة الخلق المستمر لمثل هذه النظائر بين الانواع الحفرية والانواع الحية . وذهب " باركتسون " مذهب اللاهوتيين ، حين يطبق مضمون التصورية المسيحية للتاريخ الطبيعي للانسان والعالم ، وهي التصورية القائلة بخلق الارض كسوح لتاريخ الانسان ، وان التغيرات التي طرأت عليها انما توءكد ماضيها الجيولوجي الحافل بالاحداث التي سجلتها الحفريات حتى تحكي قصة " التقدم الكوني " كما وضعها خالق الكون استنادا الى خطة زمانية الهية ، تترتب فيها المراحل التي بمقتضاها تتجه عملية الخلق المستمرة . بمعنى ان التطور عند اللاهوتيين " هو رحمة مستديمة تفيض من العناية الالهية حسب تعبير الموءلف " .

هذا هو التطور اللاهوتي الذى يفيض عن الخالق ، ولكن التطور العضوى عند " لامارك " و " داروين " يقوم على الصراع والبقاء للاصلح ، وهما مبدآن تطوريان يفترضان القسوة كأساس والحرب كعلامة بين كائنات حية وبيئة فيزيقية صارمة . فالتطور اللاهوتي خطة مرسومة نحو حياة أفضل ، وفيها رحمة للعالمين فقد خلق الله في الطبيعة عددا محددا من الانواع ، وسيبقى ثابتا ، وتلك هي وجهة النظر في فلسفة اللاهوت المسيحي " "١"

وهكذا فلأنها كانت تسمى لاهوتية أو كانت تنسب التطور في الخلق الى الخالق جل وعلا اضفى عليها المفسدون في الارض النسيان .

وذلك لان الصراع بين الدين ممثلا في رجال الكنيسة ، والعلم ممثلا في رجال العلم كان في ذلك الوقت في حالة غليان لا يسمح بانتشار نظرية تشم منها رائحة الكنيسة والهها .

ولقد كان علم نيوتن قد قذف في روع اعداء الدين الكنيسة امكان تفسير الظواهر الطبيعية تفسيراً ميكانيكاً اى دون حاجة الى خالق مدبر - رغم أن نيوتن لم يقل ذلك لذا فقد كانت ظروف النزاع تستدعي من رجال العلم ايجاد فكرة عن الحياة تقوم على قانون ميكانيكي بحت . ولهذا فقد حاول الكثير من العلماء الحصول على شرف اكتشاف هذا القانون قبل داروين منهم : لينيوس ، ثم بوفون ، ثم " لامارك جان بابست " ثم " كوفيه جورج ليوبون " وغيرهم فقد بذلوا جهودا كبيرة في سبيل ذلك وقد استطاع داروين العثور على هذا القانون اذا استوحاه من نظرية مالتوس في دراسة السكان التي تقول :

" ... ان التكاثر ان لم يحده قيد فإنه يدعو الى التزايد . السكان وفقا لمتوالية هندسية / في حين ان الزيادة في موارد الغذاء ليست بهذه السرعة أو انها بعبارة أخرى تسير حسب متوالية عددية " "٢"

---

١) تراث الانسانية : ٩/٧٢ .

٢) المذاهب الاقتصادية الكبرى : ٧٣ ، والمتوالية الهندسية هي :
٢ ، ٤ ، ٨ ، ٣٢ ، ٦٦ الخ .
والمتوالية العددية هي : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ الخ

فاستنتج داروين عن افناء الطبيعة للضعفاء لمصلحة بقاء الاقويـــاء - كما تخيل وتوهم مالتوس - قانونه المسمى " الانتخاب الطبيعي وبقـــاء الأنسب " وبواسطته وباستعانته بابحاث " البيل " الجيولوجية تمكن مـــن صياغة فرضية التطور الميكانيكية ، ومن ثم عثر اعداء الدين - النصراني - على ضالتهم المنشودة .

خامسا : اقوال العلماء المعاصرين واللاحقين لداروين في نقضها :

تعرضت فرضية داروين لانتقاد علماء الطبيعة المعاصرين واللاحقين له بل ومن الداروينيين المحدثين أنفسهم . وهذا ابلغ رد على افتراضات داروين ، اذ لم يأت الرد من اللاهوتين - الذين لم يكن ليسمع لقولهم في عصـــر داروين - فقط . بل شمل حتى علماء الطبيعة والداروينيون ايضا ، يقـــول العقاد :

" وقوبل مذهب النشوء باعتراض شديد بين علماء الطبيعة الذين ناقشـــوه بالادلة العلمية ، وطلبوا من دعاته دليلا محسوسا على فعل الانتخاب الطبيعي في تحول الانواع ، ولا سيما نوع الانسان ... فالمعترضون عليه - طلبا للادلـة الطبيعية - ، لا يقلون عددا ولا اعتراضا عن المعترضين اللاهوتيين . وقد أيده اناس من كبار علماء الطبيعة وتحمسوا لتأييده ، فكان تحمسهم له باسم حريـــة الرأى أشد من تحمسهم له ايمانا بحقيقته واعترافا بكافة براهينه . فمن هـــؤلاء العلماء - بل من اشدهم حماسة له - توماس هكسلي صديق داروين وصهره ومدره المذهب كله في حياته ، فانه لم يزعم قط أن ادلة الانتخاب الطبيعـــي المؤيده لتحول الانواع بكافية لتقرير هذه النتيجة ، وانما كان يقول ان الانتخاب الطبيعي يفسر لنا جملة من الظواهر والمشاهدات نبقى بغير تفسير لو لم تتقبل مبادئ الانتخاب الطبيعي ، كما عرضها داروين بعد تعديله لاراء مارك . ويرى ان نظرية التطور على اساس الانتخاب الطبيعي ، انما هي نظرية منطقية وليســت بالنظرية التي تعتمد على شواهد التجربة والادلة الحسية . قال في رده علـــى هربرت سبنسر : " اننا لن نستطيع ان نثبت بالمشاهدة عملية الانتخـــاب الطبيعي . " (١)

---

(١) الانسان في القرآن : ١٠٩

كما عارضها الفلكى " سيرجون هرستل " الذى وصف النظرية الداروينية بانها " قانون الخلط ملط " . واما الاستاذ " سيد جويك " استاذ الجيولوجيا بجامعة كمبريدج الذى كان استاذاً لدارون فقد اعتبر النظرية " خاطئة ومؤذية بشكل مريع " وكتب الى دارون يقول : " انه ضحك حتى تالمت جوانبه " من كتابه وأنه اعتبر ذلك الكتاب " آلة بدائية تشبه القاطرة التى اخترعها القسيس ويلكر لكى تبحر بالناس الى القمر "(١) .

وقد يقال ان انتقاد هؤلاء الاشخاص كان لاسباب دينية أو شخصية حسدا منهم لدارون خاصة استاذه - وهو امر محتمل ولهذا اريد ان انتقل الى بيان آراء علماء اخرين ومنهم الداروينيون .

يقول العقاد رحمه الله :

" يقول ولاس فى كتابه عن عالم الحياة " انه من المحتمل جدا ان السجلات الجيولوجية الباقية لا تحملنا الى ابعد من منتصف العمر الذى عمرته الحياة على الكرة الارضية فليس فى السجلات الجيولوجية دليل ولا قرينة تؤيد القول بتطور الانسان من نوع آخر . واهم من ذلك لا يوجد امامنا دليل يؤيد تحول الانواع فى عالم الحيوان او عالم النبات وان تشابه الاجنة الذى يتخذه النشوئيين دليلا على التشابه القديم بين انواع الحيوانات دليل مكذوب ، لان صور الاجنة الصحيحة لا تبرز هذا الشبه ، وما عدا ذلك من الصور المتشابهة فهو مهزوز باعتراف واضع تلك الصور العالم الالمانى " ارنست هكل " فانه اعلن

---

(١) تراث الانسانية : ١٢٥/٩ بتصرف .

بعد انتقاد علماء الاجنة له انه اضطر الى تكملة الشبه في نحو ثمانية في المائة من صور الاجنة لنقص الرسم المنقول " "١"

وهكذا يتضح ان بعض العلماء زوروا ـ لشهوة تأييد مذهب التطور ـ فلما كثر النقد الموجه الى احدهم " ارنست هكل " اعترف بتزوير صور للاجنة ليؤيد بها فرضية تطور الانسان من حيوانات أخرى ، وقد يقال عن ولاس ان نقده ايضا كان بدافع الحسد لداروين فلا يقبل . فاليك بعض آراء علماء آخرين

يقول الاستاذ " شايمان بنشر " انه لا احتمال لتسلسل الانسان من القردة كما نعرفها ، لان القردة متفردة بتركيب خاص يستحيل تشريحيا أن يتطور منه تركيب الانسان ، اذ كان الانسان قد نما له خلال مليون سنة دماغ أكبر وقامة أقوم ويد ـ فوق هذا وذاك ـ اصلح للتناول والتصرف بالاستعمال "٢"

ويقول : " أ. كريسي موريسون " ان القائلين بنظرية التطور " النشوء والارتقاء " لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثة " الجيبينات " وقد وقفوا في مكانهم حيث بدأ التطور حقا ، اعني عند الخلية ، ذلك الكيان الذى يحتوى الجيبيات ويحملها " "٣"

ويقول : " روبرت هورتون كاميرون " ، " ويختلف الانسان في جميع الصفات والمزايا عن سائر الكائنات الارضية الاخرى ، فهو خليفة الخالق على الارض . . " "٤"

وهكذا نقض العلماء في اقوالهم هذه ، الاستدلال بقضية التشابة على انحدار الانسان من كائنات حيوانية كالقرد مثلا . والقول بالتولد الذاتي .

---

١) الانسان في القرآن : ١٠٦ وانظر اعتراف هكل في كتاب : " مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين : ١٣ .

٢) الانسان في القرآن ﺟ ٩٣ وانظر : ١٢٣ ، ١٢٤ .

٣) العلم يدعو للايمان : ١٤٧ وانظر ١٣٩ في بيان محتويات الخلايا المذكرة والمؤنثة وتأثيرها بقدرة الله على خصائص كل نوع . و ١٤٠ لمعرفة طريقة تطور الجنين وقدرة الله عز وجل على ذلك و ١٤٦ لمعرفة مايوجهه علم الوراثة من اسئلة على قضية التطور .

٤) الله يتجلى في عصر العلم : ١٢٧ ، ١٢٨ .

ونتيجة للهجوم العنيف على نظرية داروين من قبل معارضيها من علماء الطبيعة والاحياء وغيرهم اضطر الداروينيون المحدثون الى اجراء عدة تعديلات على النظرية ، اضحت فيما بعد نظرية مستقلة أو نظريات . فلقد ارغموا على الاعتراف بان قانون الانتقاء الطبيعي قاصر عن تفسير عملية التطور ، فاضافوا اليه واستبدلوا به ـ قانونا جديدا ـ اطلقوا عليه اسم " الطفرات " أو " التحولات المفاجئة " "١" (الوراثية عن طريق المصادفة) وصاحب هذه النظرية هو " دى فريس " من أتباع داروين وخلاصة هذه النظرية : " ان التغيرات بعد ان تتم فجأة وعلى سبيل الطفرة التي لا يستبين فيها سبب ظاهر تتسجل غورا في الذخيرة الوراثية حيث تنتقل بعد ذلك الى السلالة بعامل من الوراثة ، ثم يقوم الانتخاب الطبيعي باختيار الملائم منها وافناء غير المرغوب فيه لتوجيه عملية التطور" "٢"

ثم اضطروا أيضا إلى التراجع والقول بانه لا يوجد اصل واحد نشأت عنه الحياة كلها كما تخيل داروين بل اعتقدوا بوجود عدة اصول تفرع عن كل منها أنواع مستقلة ـ ومنها الانسان ـ فهو ينتمي الى اصول متعددة . "٣"

ثم اضطروا اخيرا الى الاعتراف بتفرد الانسان " البيولوجي " .

رغم التشابه الظاهرى ، الذى أسس عليه داروين فرضيته في تطور الانواع بعضها من بعض ، واليك ماقاله بعض اساطين الداروينية الحديثة . قال جوليان هكسلي ـ زعيم الداروينية الحديثة ـ بعد ذكره لجملة كثيرة من خصائص الانسان وسماته التي لا يشاركه فيها احد من المخلوقات قال :

---

١) الطريق الطويل الى الانسان : ١٩٧ ومابعدها .

٢) كبرى اليقينيات الكونية : ٢٨٤ ، ونظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها . ٤٨

٣) نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها : ٤٥ - ٤٧ وصاحب النظرية هو " هرمن كلاتش " .

" ... وهكذا يضع علم الحياة ، الانسان في مركز مماثل لما انعم به عليه كسيد للمخلوقات ،كما تقول الاديان . ومع ذلك فهناك فروق هامة بعض الشيء بالنسبة لنظريتنا العامة ، فمن وجهة النظر البيولوجية لم تخلق الحيوانات الاخرى لخدمة الانسان ، ولكن الانسان تطور بصورة مكنته من التخلص من بعض الانواع المناقسة ، ومن استبعاد انواع أخرى بالاستئناس . ومن تعديل الاحوال الطبيعية والبيولوجية في معظم اجزاء اليابس من الكرة الارضية ،ولم تكن وجهة النظر الدينية صحيحة في تفاصيلها او في كثير مما تضمنته ،ولكن كان لها اساس جيولوجي متين " "١"

ولقد اعترف آرثر كيت وهو من الداروننيين المتعصبين - كما سيتضح ذلك فيما يأتي - " بأنه كان يتوقع ان يكرر الجنين الصفات المميزة لاسلافه من ادنى اشكال الحيوان الى اعلاها ، ولكن بعد دراسة الجنين في كل مراحل تكوينه خابت آمالنا . فالجنين لم يكن قردا في أى من مراحله " "٢"

وهكذا يعترف هكسلي بوجود فروق هامة بين الانسان والحيوان ، ويعترف بان لوجهة النظر الدينية - وهي الخلق المباشر - اساس جيولوجي متين وهكذا يتضح أيضا ان النظرية استغلت في حرب الدين ومخالفة رأيه لان الصراع في تلك السنين كان على اشده بين رجال الدين ، ورجال العلم وقد كان رجال الدين قد اسرفوا من ظلم رجال العلم ، فكان رد الفعل من رجال العلم فلسفة كل كشف علمي أو كل فرضية نظرية الى حرب الدين والهزء بما يتضمنه من عقائد حول الانسان أو الكون او الحياة .

ومن الثغرات التي استغلها اعداء فرضية دارون - وحق لهم ذلك - قضية الحلقة المفقودة بين القرد والانسان .

---

١) معركة التقاليد جـ ٦٤ ، ٦٥ .

٢) مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين : ١١

يقول " انتوني ستاندن في كتابه العلم بقرة مقدسة :

" انه لا قرب من الحقيقة ان نقول ان جزءاً كبيراً من السلسلة مفقود وليس حلقة واحدة ، بل اننا لنشك في وجود السلسلة ذاتها " "١"

وقد أعلن " اوستن كلارك " انه لا توجد علامة واحدة تحمل على الاعتقاد بأن أياً من المراتب الحيوانية الكبرى ينحدر من غيره . ان كل مرحلة لها وجودها المتميز الناتج عن عملية خلق خاصة ومتميزة لقد ظهر الانسان على الارض فجأة وفي نفس الشكل الذى نراه عليه الآن " "٢"

وتقول مجلة العلوم المصورة : " ان العلم يؤيد قصة آدم وحواء الى حد ما ، اننا نعترف بحقيقة الاسرة البشرية ذات الاصل الواحد " "٣"

وهذه النقول تقرر امرين مهمين في قضية التطور الانساني - وهذا هو مايهمنا في الفرضية

أولهما : ان الانسان لم يتطور عن غيره من المخلوقات قردا كان او غيره وانما خلق خلقا خاصا مباشرا .

ثانيهما : وهو متفرع عن الاول هو انه لا يوجد حلقات مفقودة مادمنا قد انتهينا باعتراف علماء الاحياء والطبيعة - الى ان الانسان لم يتطور عن غيره من المخلوقات . ولكن علماء الاحياء ينقدون على فرضية التطور وجود هذه الحلقة المفقودة بين القرد والانسان لان دارون واتباعهم اعترفوا بها فاذا كان هناك حلقة مفقودة لم يتوصلوا الى معرفتها فهذا نقص في النظرية ومطعن قاتل يسدده اليها معارضوها وقد فعلوا .

---

١) المصدر السابق : ١٤ . (٣٦٢) مذهب النشوء والارتقاء ... [illegible]

٢) (٣٦٣) وانظر كتاب الانسان والعلاقات البشرية ص ١٢٨ ، ١٢٩ ففيه يقول ستيورات تشيس ان ... علماء الاحياء ايد و قصة آدم وحواء .

٣) المرجع نفسه : ص ٢٣

هذا ماقاله علماء الطبيعة والاحياء والجيولوجيا والفلك عن هـذه الفرضية وهو كاف لرفضها وسقوطها . ولكن هناك مقتلا آخر هو أشد المقاتل في نظرى للقضاء على الفرضية وآثارها . ذلك هو ما اشار اليه (سير آرثركيت) أحد الداوينيين المتعصبين ، اذ يقول :

" ان نظرية النشوء لا زالت حتى الان بدون براهين ،وستظل كذلك والسبب الوحيد في اننا نؤمن بها هو ان البديل الوحيد الممكن لها هـو الايمان بالخلق المباشر ، وهذا غير وارد على الاطلاق " "١"

وما اشار اليه البروفيسور واطسمون في قوله :

" ان علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة ، او الاختيار او الاستدلال المنطقي ولكن لان فكرة الخلق المباشر فكرة بعيدة عن التصور" "٢"

وما أشار اليه كل من البروفيسور د . هسبكوت والجيولوجي "سيرج . ودوسون في قوليهما :

" ان نظرية النشوء جاءت لتبقى ،ولا يمكن أن نتخلى عنها ، حتى ولو اصبحت مجرد عمل من عمال الاعتقاد " "٣"

" هذا الاعتقاد هو نوع من الايمان الاعمى الممتزج بالسذاجة والخرافة" "٤"

وهكذا يرفض هؤلاء القول بالخلق الخاص المباشر ويتشبثون بهذه الفرضية لمجرد انهم اتخذوا لانفسهم الالحاد مذهبا . فالسير آرثر كيث مع معرفتـه بأن البديل للتطور القول بالخلق الخاص . الا انه لا يؤمن به مع عدم ثبـوت فرضية التطور ببراهين دافعة .

وواطسون يقرر ان علماء الاحياء يؤمنون بفكرة التطور لان فكرة الخلـق المباشر فكرة بعيدة عن التصور . وفي اعتقادى ان الفصام النكد كما يسميـه الشهيد سيد قطب - بين رجال الكنيسة ورجال العلم كان من اسباب اصـرار هؤلاء العلماء على آرائهم واعتقادهم في التطور رغم معرفتهم بعدم ثبـوت

(١ - ٤) مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين : ٦ ، ٧ .

هذه الفرضية كحقيقة علمية ، وهكذا أكون قد أتيت على جملة من آراء المعارضين لفرضية التطور من المعاصرين لداروين واللاحقين له ، ومن أتباعه أيضا الداروينيين المحدثين ، فهل يكون في هذه الاعتراضات الصريحة عبرة لببغاوات الشرق الاسلامي الذين بلي بهم المسلمون في هذا العصر ، أم أنهم سيظلون من الناعقين بما لا يعرفون .

سادسا : آثار فرضية التطور :

لقد كان لفرضية التطور آثار كبرى و خطيرة على المجتمع البشري يمكن تقسيمها الى أقسام عدة هي :

١- انهيار العقيدة الدينية .
٢- نفي فكرة الغاية والقصد من خلق الله للخلق
٣- الاعتقاد بحيوانية الانسان .
٤- الاعتقاد بمادية الانسان .
٥- الاعتقاد بالتطور المطلق
٦- آثارها على الفكر والفلسفة والعلم .

أولا : انهيار العقيدة الدينية :

عرفنا فيما سبق أن بذور الالحاد في العالم الغربي قد بدأت بعصر النهضة ، ثم وصل الالحاد الى ذروته بعد الثورة الفرنسية التي اباحت الالحاد باسم حرية الاعتقاد التي كفلت لمن يريد التملص من واجبات - المسيحية المحرفة - ولا شك ان حركة نيوتن وتجاربه ونظريته قدمت خدمة كبيرة للملاحدة فقد اتكؤا عليها واستنتجوا منها أنه يمكنهم تفسير أحداث الكون تفسيرا ميكانيكياً دون حاجة الى الاعتراف بالله سبحانه وتعالى رغم ان نيوتن لم يدعي ذلك " "١"

ورغم ذلك فقد ظل الالحاد حتى عام ١٨٥٩م قضية فلسفية محصورة في مجموعات من الطبقة المثقفة ، وظلت المسيحية تحتفظ بالمركز القوى بين أفراد الشعب وفي الجامعات التي كانت في معظمها هيئات دينية خاضعة لنفوذ الكنيسة . أما بعد عام ١٨٥٩م وهو عام نشر فيه داريون كتابه الاول " أصل الانواع " (فقد اصيب العالم بنقص حقيقي في الايمان) "٢" كما ذكر ويلز . وبسبب هذه الفرضية نشبت معركة تعد من أعظم معارك الفكر في التاريخ بين أنصار الفرضية وأعداءها خاصة من رجال الكنيسة - وربما كانت آخر المعارك بين هذين المعسكرين فيما اعلم - واشتط اصحاب الفرضية واعداءها ، فأصحاب الفرضية اشتطوا في موقفهم المتمثل في انكار التصور الديني جملة ، واعلان الحادهم الصريح . واشتط رجال الكنيسة باعلانهم كفر وهرطقة كل من لم يوءمن برأيها دون ان تقدم الدليل القوى لرأيها بينما وقف انصار الفرضية أمام الناس وكأنهم يملكون الادلة المادية على صدق فرضيتهم وكان هذا العصر هو

---

١) انظر الدين في مواجهة العلم (وحيد الدين خان) : ٤٢ فقد نقل النص الاتي عنه " هذا هو اسلوب الله في العمل - فالله يجرى مشيئته في الكون بواسطة اسباب وعلل ، وهو خالق الاسباب والمسببات .

٢) معالم تاريخ الانسانية : ١٣١٦/٤ .

عصر الانسان بالمحسوسات فما لا يقع تحت الحواس لا يصح الايمان به . فكما استطاع رجال العلم سابقا إقناع الناس بنظريتهم عن الكون واسقاط نظرية رجال الكنيسة عن الكون فقد استطاعوا هذه المرة زلزلة العقائد الدينية ونشر الالحاد إذ أن مايوجد في العقيدة المسيحية ـ المحرفة ـ عن الانسان هو ان الله خلق آدم وحواء ونهاهما عن الاكل من الشجرة ـ شجرة معرفة الخير والشر ـ فأغرتهما الحية فأكلا من الشجرة فارتكبا بذلك خطيئة لا تغتفر وظل البشر يرسفون في اغلال الخطيئة الموروثة حتى ارسل الله الى العالم من زعم النصارى انه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فصلب ليخلص البشرية من الخطيئة .

هذه هي محور تعاليم المسيحية المحرفة عن الانسان ولا شك ان الاديان السماوية ومنها الاسلام تقول بالخلق الخاص المباشر لآدم وحواء ، وارتكابهما الخطيئة ولكن الاسلام لا يحمل وزر احد على احد " ولا تزر وازرة وزر أخرى "

ولذا ، فمن البديهي ان تقضّ هذه النظرية مضاجع رجال الدين الذين رأوا ـ محقين في ذلك " ان التصديق بأن الانسان خلق بالطريقة التي فسرها داروين معناه أنه لم يكن هناك آدم ولا حواء ولا عدن ولا خطيئة واذا لم يكن ثمة خطيئة فإن الصرح التاريخي للمسيحية وقصة الخطيئة الاولى وهي السبب الداعي الى الكفارة ، التي أسس على اركانها التعليم السارى للعواطف المسيحية والاخلاق المسيحية ، فإن ذلك كله ينهار كبيت من ورق اللعب "(١)

ومادام الانسان الغربي لا يعرف عن الدين الا أنه هذه المسيحية المحرفة فإنه سيجد نفسه قد اصبح ملحدا . وهنا يظهر مدى تقصير المسلمين في ابلاغ الدعوة الى الامم الاخرى فلو ان المسلمين قد بلغوا الاسلام للشعوب الاخرى لما حدث شيء مما نحن نتحدث عنه الآن .

يقول المؤرخ ويلز في وصف الحالة في عهد دارون :

---

(١) معالم تاريخ الانسانية : ٤/ ١٣١٣ . بتصرف .

" والحق أنه لم يخل عصر من العصور من متشككة في المسيحية - فان الامبراطور فردريك الثاني كان على وجه التحقيق احد المتشككين ، وفي القرن الثامن عشر كان جيبون وفولتير ينكران المسيحية صراحا وجهارا ، وأثرت كتاباتهما في عدد من القراء مبعثرين هنا وهناك . على ان هؤلاء كانوا أناساً غير عاديين .. فأما الان فقد اصبحت كل المسيحية بوجه الاجمال متشككة ، اذ مست هذه الخصومة الجديدة كل انسان قرأ كتاباً أو سمع محاورة بين أذكياء ، وشاجيل من الشباب نظر حوله فوجد المدافعين عن المسيحية في حالة من الشراسة الحادة ، يحاربون من أجل قضيتهم بلا كرامة ، ولا إنصاف ، وكان الذي زج في مأزق الخطر بسبب تقدم العلم الحديث هو اللاهوت التقليدي الفلسفي ، غير أن اللاهوتيين الغضاب كانوا يصرحون بأن الخطر انما يحدق بالدين .

وقد يكتشف الناس في النهاية ان الدين سوف يزيد من بريق صقاله عندما يزول منه كل ماهو ملفف به من مبادئ مذهبية ، فأما الشباب فخيل اليهم أنه كان هناك نزاع فعلا بين العلم والدين ، وأن العلم كان المظفر في ذلك النزاع الكبير في فكرات الناس وطرائقهم في طبقات الموسرين وذوى النفوذ في كل أرجاء العالم الغربي الصيغة ، أثرا هداما بالغا في الواقع ، ولم يأت العلم البيولوجي الجديد حتى ذلك الحين بشيء انشائي يحل محل الاشياء القديمة التي طرحت جانباً ، وتلا ذلك انحلال خلقي حقيقي " "١"

ومن المرجح أن هذه الفرضية -أ- لو لم توجد في مثل الظروف التي كانت تعيشها أوربا من تقديس العقل والنزعة الانسانية ،ومعارضة الدين ومخاصمته متمثلا في النصرانية بالاضافة الى جهلهم بالدين الاسلامي الناشيء عن تقصير المسلمين في ابلاغه مع سيادة المذهب التجريبي والايمان بالحواس او بما يقع تحت الحواس -٢- ولو لم يستغلها المفسدون في الارض ، وتركت ليحكم لها

---

١) المصدر السابق : ١٣١٥/٤

أو عليها العلماء في هذا الشأن كما حصل أخيراً . أقول لو لم يحصل شيء من ذلك لما كان لها هذا المقام كله بين جمهرة من علماء الطبيعة والاحياء والجولوجيا وغيرهم ممن اتخذوا الالحاد مذهباً لهم واعتقاداً ووجدوا في هذه الفرضية مجالا ومنفذا للتخلص من فكرة " الايمان بالله " مع علمهم بعدم ثبوت هذه الفرضية كحقيقة علمية - كما سبق أن أوضحت سابقا من خلال ماكتبوه - او لما كان لها هذه الايحاءات الفكرية والفلسفية التي شملت كل فروع المعرفة بهذه السرعة . بيد أن الذى جعل لفرضية داروين هذا المقام هو تضافر عاملين أشرت اليهما اعلاه .

ولقد اعترف اليهود حكماء صهيون [بخط اليد] باستغلالهم وترويجهم لهذه الفرضية " لا تتصوروا ان تصريحاتنا كلمات جوفاء ولا حظوا هنا أن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل والاثر غير الاخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الاممي (غير اليهودى) سيكون واضحاً لنا على التأكيد .. " "١"

ويمكن للباحث أن يتأكد من صحة الدعوى عندما يعلم السرعة المذهلة التي أثرت فيها فرضية التطور على كافة مجالات الفكر والفلسفة والعلوم ، وعندما يعلم أن روءوسا من اليهود - أمثال فرويد ، ودوركايم ، وماركس - " قد قاموا بصياغة الفكر الاوربي كله في ميدان الاقتصاد وعلم النفس والاجتماع على أساس معاد للدين ، بل محطم لكل مفاهيمه " "٢"

وهناك أسباب أخرى غير هذين السببين لا تقل أهمية عنها توضح لنا دور اليهود في نشر هذه الفرضية منها :

(١) الاهمال الكامل للنظريات التطورية اللاهوتية وغيرها مما فيها الاعتراف بخلق الله للانسان ، والاعتراف بوجود غاية للخلق عامة - خلق الانسان وغيره - وكدليل على ذلك فإن ولاس وهو من القائلين

---

(١) الخطر اليهودى " البروتوكولات " : البروتوكول الرابع عشر ١٠٦ ، ١٠٧
(٢) التطور والثبات في حياة البشرية : ٣٤ بتصرف طفيف .

بالتطور لا يكاد يعرف عند غير المختصين والسبب في ذلك أنه قال بأن وراء التطور قوة مدبرة ، قال في كتابه عالم الحياة :

" إن كثرة التراكيب في الاجسام الحية تستلزم وجود قوة خالقة ، وثانيا وجود عقل مدبر وثالثا وجود غاية لاجلها خلقت الاحياء ، وهي أن تصل في إرتقائها الى الانسان الذى هو غاية كل اعمال النشوء في الكون " "١"

٢ - الطريقة التي استقبلت بها النظرية والتي اشيعت بها ، مما جعل الناس يتلقونها لا بوصفها فرضية بل بوصفها حقيقة لا تقبل النقاش ، وهذا ما جعلها تحل محل المسيحية كما مر بنا في فقرة " خامسا "

٣ - ما اضفى على داروين من التمجيد : ان حاز داروين على شهرة لم يظفر بها احد ممن خدم البشرية بابحاثه امثال " باستور او باستير" وأديسون "٢" وغيرهم ممن اكتشف او اخترع أمورا نافعة للبشرية . وقد شبهه بعض مؤرخي الفكر الغربي بالمسيح فقال : " كان له مثل طبع المسيح " وشبهه آرنست هيكل " بأنه اطلس يحمل عالم الفكر على منكبيه " ولقبه جورج هنا " بقاهر الطبيعة " "٣"

---

١) نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها : ٤٤ .

٢) باستور (١٨٢٢ - ١٨٩٥) اول من اكتشف ماتؤديه الجراثيم من دور في نقل الامراض ، واول من اكتشف علاجا لداء الكلب ، " دائرة معارف الشباب " ١٦٥ ، ١٦٦ . واديسون (١٨٤٧ - ١٩٣١) مخترع المصباح الكهربائي وسكة الحديد الكهربائية ، والهاتف (دائرة معارف الناشئين : ١٥) .

٣) نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها : ٤٣ .

وهذه أدلة واضحة ليس فيها على أن المعركة التي نشبت بين الكنيسة ودارون لم تكن طبيعية ، بل كانت مستقلة من قبل عنصر آخر استفاد من هذه المعركة هم المفسدون في الارض وكان هدفهم الاجهاز على كل القيم والمعتقدات الدينية المتعلقة بالانسان وهذا غاية ماتهدف اليه مخططاتهم .

وقد كانت النتيجة المترتبة على انتصار الدارونية على المسيحية المحرفة ان عمت موجة الالحاد مجتمعات الغرب ، ثم انتقلت منها الى بقية انحاء العالم ومنه العالم الاسلامي للاسف ، وقد تمثلت هذه الموجة الالحادية في سيطرة الافكار المادية على عقول الطبقات المثقفة ، والتخلي عن الايمان بالله وطغيان الفوضى العقائدية على العالم الغربي - ففي كل يوم عقيدة جديدة ومبدأ جديد - ينتشر في المجتمع - .

وبعد أن كانت أوربا تعبد المسيح قبل نظرية دارون اصبحت تعبد الشيطان ، فطائفة تعبده عن طريق عبادة الطبيعة فقد قال دارون : " ان تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله هو بمثابة ادخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت " "١" وهذا لا يعني أن أوربا لم تكن تعبد الطبيعة سابقا فقد بدأ تقديس الطبيعة منذ القرن الثامن عشر ، ولكن دارون اصبح زعيما جديدا لهذه العبادة .

وعبدته طائفة أخرى عن طريق عبادة الانسان ، وهي الفكرة التي نادى بها الفيلسوف الالماني نيتيشه فقد " نادى بفكرة الانسان الاعلى " "suporman" و" موت الاله " "٢"

ولذا وجد اليهود فيه بغيتهم فأشادوا به في " البروتوكولات "(٣) كما

---

١) التطور والثبات في حياة البشرية : ٤٠ هامش .

٢) نفس المصدر : ٥٧ هامش . (٣) الخطر اليهودي : ١٢٣-١٢٤ البروتوكول الثاني

دعا الى هذه العبادة في هذا القرن ـ الداروني الملحد جوليان هكسلي مؤلف كتاب " الانسان في العالم الحديث " الذى قال في هذا الكتاب :

" إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كان خرافة خلقها الانسان لنفسه لتوئنسه حين إحس بالوحشة في هذا الكون ، وأنه قد آن الأوان لنبذ هذه الخرافة ، ولان يضع الانسان نفسه مكان الله " (١)

وعبدته طائفة عن طريق عبادة المادة ووسائل الانتاج وكان زعيم هذه الطائفة يهودى هو " ماركس " .

وعبدته طائفة عن طريق عبادة " الجنس " وكان اليهودى سجيموند فرويد هو زعيم هذه الطائفة (٢)

وكل هذه الانواع استمدت الفرضية ، ولقد كان الفرضية التطور آثارا على دارون نفسه في تذبذبه بين الالحاد واللاادرية ، وهي الحاد في نهاية الأمر .

كما كان لها آثار على عقائد معتنقي هذه النظرية سواء كانوا أوربيين أو شرقيين مسلمين للاسف . (٤)

وبذا يتضح ان نظرية التطور اسهمت اسهاما فعالا في هدم العقائد الدينية ـ وان كانت محرفة ـ .

---

(١) معركة التقاليد : ٦٢

(٢) انظر كتاب التطور والثبات : ٢٩-٥١ ، ودراسات في النفس الإنسانية : ٢٥٧-٢٦١ ، ومعركة التقاليد : ٢٣-٣١ ، لبيان ذلك .

(٣) انظر اقوال دارون المتناقضة حول مايعتقده في كتاب نظرية " دارون بين موئيديها ومعارضيها : ١٤٣ - ١٤٥ " .

(٤) انظر أقوال المعتنقين لهذه النظرية وفيهم كتاب شرقيون من أمثال اسماعيل مظهر مترجم كتاب أصل الانواع وشبلي شميل في نفس الكتاب x ١٤٥ - ١٤٧ ولولا خشية الاطالة لنقلت هذه الاقوال .

ثانيا : نفي فكرة الغاية والقصد من خلق العالم ـ المصادفة ـ :

مما اتفقت عليه الاديان وتطابقت على الايمان به العقول والنظر غير الطوقة ان للوجود عامة ، ولوجود الانسان على ظهر هذه الارض ـ خاصة ـ غاية اراد هـا خالق الكون واقتضتها حكمته . قال تعالى : " وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون ، ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين " . (الذاريات : ٥٦ - ٥٨) .

وهذه الحقيقة ـ الايمان بوجود غاية من الخلق ـ آمنت بها الاجيال المتعاقبة من البشر ولم يكن ايمانها بهذه الحقيقة منبثقا عن الايمان بالخلق المستقل للمخلوقات فقط كما يظن التطوريون بل لان كلتا الفكرتين الايمان بالخلق الخاص المستقـل ، والايمان بوجود غاية من الخلق ـ مركوزتان في الفطرة البشرية . قال تعالى : "أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا " مريم : ٦٧ .
فالاية تقرر أن الانسان خلق خلقاً مباشراً مستقلاً . وقال تعالى : " فاقم وجهـك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الديـن القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون " (الروم : ٣٠) . فتبين من هذه الاية ان الديـن هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها "(١) .

لذا فنحن نجد ان الرسالات السماوية لم تأت لاثبات هذه الغاية ، بـل للتذكير بها ، وبيان حقيقتها وتجلية مارانعليها من الاباطيل ، كما يلاحظ الباحث ان الفلاسفة كانوا يركزون جهودهم على الحديث عن العلل الغائية للاشياء ومن ثـم يبنون عليها نظرياتهم الفلسفية عن الكون والانسان والحياة ولم يكونوا يبالون بالعلل الصورية فالفلاسفة اذا يجهدون انفسهم في البحث عن الغاية من خلق الانسـان ووظيفته في هذا الكون ولا يهتمون بالبحث عن كيفية الخلق والعلل المباشـرة لذلك "(٢) .

وحين ظهرت فرضية دارون في التطور العضوي "الذاتي" التي نادت بـان الانسان كان وليد سلسلة طويلة من التطورات المتعاقبة حتى وصل الى ماهو عليه ، لـم يعد مايدعو الى التفكير في الغاية من خلق الانسان في نظر الفلاسفة

---

(١) انظر في ايضاح معنى هذه الاية تفسير ابن كثير : ٦/٣٢٠ - ٣٢٣ . فقد اوضح بالادلة ان فطرة الانسان مجبولة على العبادة لله ولكن الشياطين اجتالت بعض بني ادم عن ذلك .

(٢) العلة الصورية هي التي يجب عن وجودها وجود المعلول لها بالفعل كالشكل والتاليف للسرير . والعلة الغائية هي التي يكون وجود الشيء لاجلها كالجلوس على السرير فهي الغاية التي من اجلها وجد . انظر المعجم الفلسفي : ٩٦ .
وانظر كتابنا ((معيار العلم)) : ٢٥٨ .

إن فرضية داروين تنسب عملية التطور الى العوامل الطبيعية البحتة ، واذا كان الامر كذلك فمن العبث البحث عن الغاية من الخلق عموماً والغاية من خلق الانسان خصوصا . ولذا قال الدارويني الملحد ـ جوليان هكسلي ـ مايلي :

" .. وبظهور نظرية داروين بدأ الخطار يتأرجح عكسياً ، واعتبر الانسان حيواناً مرة أخرى .. ووصل الخطر رشيئاً فشيئاً الى اقصى مدى تأرجحه ، وظهر مابدا أنه النتائج المنطقية لفروض "داروين" : فالانسان حيوان كغيره (من الحيوانات) ولذلك فإن اراءه في معنى الحياة الانسانية والمثل العليا لا تستحق تقديراً أكثر من آراء الدودة الشريطية أو بكتيريا الباشلي والبقاء هو المقياس الوحيد للنجاح التطوري . ولذلك فكل الكائنات الحية الموجودة متساوية القيمة وليست فكرة التقدم الا فكرة انسانية . ومن المسلم به ان الانسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد تحل محله القطة أو الفأر " "١"

وكان ظهور هذه الفرضية في العصر الذى ازدهرت فيه النظرية الميكانيكية عن الكون وعمت أحد العوامل التي شجعت على قبولها اذ ان فرضية داروين ترجع حوادث الكون كلها الى قوانين الطبيعة وهذا هو لب النظرية الميكانيكية عن الكون .

جاء في كتاب " عرض تاريخي للعلم والفلسفة " في معرض بيان اثر الداروينية على نفي فكرة الغاية والقصد مايلي :

" من الوجهة الفلسفية تنحصر أهمية مذهب داروين في أنه يساعد على النزعات الطبيعية والوضعية التي ظهرت في ذلك العصر ، فإن فكرة تنازع البقاء وبقاء الاصلح بدا أنهما تقضي على الحاجة الى الاراء عن الغاية والنظام الحكيم لتفسير الظواهر البيولوجية . فقد بدا انها تقدم تفسيراً ميكانيكاً محضاً في ناحية تعتبر الحصن الحصين للفلاسفة المثاليين " "٢"

---

١) معركة التقاليد : ٦٣ .

٢) نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها : ١٤٧ .

وجاء في دائرة معارف افريمان (٣ / ٦٨١) مايلي :

" أما في ميدان التفكير الفلسفي ، فالذى يبدو أن الداروينية تتعارض مع أى إدراك غائي ، كما تتعارض مع النظرية القائلة بأن الله تدخل في خلق الكون على اساس خطة مترابطة ، وبدلا من ذلك تقدم الداروينية فكرة ميكانيكية " "١"

وقد ترتب على ذلك أن أهملت العلوم الغربية فكرة الغائية بدعوى انها لا تدخل في نطاق عمل الباحث العلمي المتحرر ولا تهمه ، ونتيجة لذلك تحررت علوم الفلك والاحياء والجيولوجيا والطبيعة والطب وغيرها من أنواع العلوم من أى تأثير دينى ، واستبدل من يسمون بالعلماء - من الملاحدة - بهذه الفكرة فكرة أثبت العلم في هذا القرن هزالها وبعدها عن الحق وهي فكرة "المصادفة" اذ بعد أن ابطل " لوى باستور " - خرافة التولد الذاتي بابحاثه التجريبية "٢" لم يجد دعاة الالحاد الهاربون من الدين - المحرف - مايسترون به فشلهم وعوار مذهبهم في التولد الا القول بالصدفة .

ويدهش المرء حين يرى كثيرا ممن يدعون بالعلماء يعتقدون بأن هذا الكون بما فيه من دقة متناهية مذهلة وجد صدفة .

" شجع مذهب دارون في التطور على قيام النزعات الطبيعية والوضعية في القرن الماضي ، وأغنى الباحثين عن فكرة الغائية والنظام المعقول في تفسير الظواهر البيولوجية وقدم للعلماء تفسيرا آلياً ميكانيكياً للوجود " "٣"

ويعرف برنارد شو الانتخاب الطبيعي : بأنه " كشف طريقة يمكن ان تكون كل مظاهر التدبير الفكرى من عمل الصدفة المحضة " "٤"

---

١) نفس المصدر : ١٤٧ ، ١٤٨ . وانظر ماقاله الفيلسوف برتراند رسل في هذه الفلضية بأنها ميكانيكية لا تعترف بالخالق في كتابه أثر العلم في المجتمع : ١٣٤ ، ١٣٢

٢) [illegible]

٣) انظر بيان ذلك في كتاب مواقف حاسمة في تاريخ العلم : ٣٢٦ - ٣٦١

٤) نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها : ١٦٢ .

ولكن الله كشف عوار هذه النظرية " الصدفة " على ايدى الغربيين أنفسهم من علماء آخرين " نصارى " يقول ادوارد هارشان عن الصدفة :

" ان وجود هذا الرأى عند الداروينيين هو من المسلمات التي لا يقوم عليها دليل ومن الاوهام التي لا اساس لها " "١"

ويقول " هنرى فيرفيلد اسيرن " عن الصدفة :

" إن آراء دارون كلها وجيهة ، ولا تزال في مكانها مهما كتب ضدها رغم كل ماكتب ضدها ، ولم يضعف منها الا ماقال عن وراثة التنوعات الجسدية أو الصفات المكتسبة ، وعن فعل الصدفة في حدوث التغيرات في الاحياء وبقاء الاصلح ، وهذا الامر الاخير أهمها ، ويكاد يثبت الآن ، إنه لا يحدث شيء بالصدفة والاتفاق : بل لكل شيء ناموس يجرى عليه ، ولو كنا لا نعلمه ، ولما ذكر دارون الصدفة ، قال إنه عني بها مالا يعلم سببه اى أنها مرادف للجهل "٢"

ويصدق على القائلين بالصدفة قول الله تعالى :

" وما خلقنا السماء والارض ومابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار " سورة (ص : ٢٧ .

هذا ماحصل من نتائج على المستوى النظرى أما على مستوى الواقع المعاشي للاوربيين فقد تزعزعت قيم الحياة لدى كافة الناس ، واستبد بهم شعور بالقنوط واليأس والضياع ووجدت في إوربا اجيالٌ حائرةٌ لا تطمح الى غاية ولا تعرف لحياتها هدفا ، وهذه نتيجة منطقية لعقيدة تولد الانسان من الحيوان ، ولعقيدة أن الخلق كان صدفة وليس للخلق هدف ولا للحياة غاية . وأصيب المثقفون بالخواء الروحي الذى سيطر عليهم وفي هذا المناخ - الذى استغله

---

١) المصدر السابق : ١٦٣ وانظر قول لويز بوردو وفون باير في نفس الصفحة فقد نفي وجود شيء بالصدفة .

٢) نفس المصدر : ١٦٣ ، ١٦٤ .

اليهود - جاء فرويد بنظرية التحليل النفسي وهنري برجسون بالروحية ، وسارتر - المقدس عند منحرفي وملاحدة العرب - بالوجودية وكلهم من اليهود ، واشيع عن برجسون انه اعتنق المسيحية "١"

ثالثا : حيوانية الانسان وماديته :

حينما خرج كوبرنيق بنظريته الفلكية القائلة بأن الارض ليست مركز الكون - التي كان يعتقد بها المسيحيون - صدم الاوربيون في كرامتهم ومركزهم في الوجود أو هكذا خيل اليهم ، وتصور البعض أن الايمان بهذه النظرية يعد اهانة واضحة للانسان ، ثم جاء داروين بالمصيبة الكبرى ، فأدعى حيوانية الانسان فوجه بذلك أعنف لطمة للانسان في تاريخه ، وقلب المشاعر الانسانية رأسا على عقب وزلزل المعتقدات يقول الاستاذ محمد قطب في آثارها مايلي :

" أولى نتائجها زلزلة الايمان بالله والعقيدة " :

وثانية نتائجها زلزلة الايمان بالانسانية والانسان ورفعته وسموه وروحانيته .

وثالثة نتائجها زلزلة الايمان "بثبات " أى نظام من النظم أوقيمة من القيم أو فكرة من الافكار .

ورابعة وخامسة وسادسة .. زلزلة كل شيء كان راكزاً من قبل وتحطيم كل بنيان راسخ الاساس) "٢"

ويحصر في موضع آخر التصورات التي نشأت عن هذه النظرية في :

" ١ - حيوانية الانسان وماديته .

٢ - والتطور الدائم الذى يلغي فكرة الثبات .

---

١) مذكرة المذاهب الفكرية المعاصرة (كلية الشريعة بمكة) فقد ذكر المؤلف الشيخ الميداني ان برجسون وسارتر كانا يهوديين وانظر بالنسبة لفرويد كتاب (التراث الصهيوني والفكر الفرويدى) . ص ٥٨-٦٨

٢) معركة التقاليد : ١٧، ١٨ .

٣ - وحتمية التطور الذى لا يدفيه للانسان ،ولا رأى ولا اختيار" "١"

وأصبح الحال كما وصفها جوليان هكسلي .

" ... وبعد نظرية داروين لم يعد الانسان يستطيع تجنب اعتبـاره نفسه حيوانا " "٢"

والواقع ان ايحاءات هذه النظرية كانت صدمة عنيفة للبشر .

ومن بعد داروين جاء اناس تلقفوا النظرية ووجهوها لخدمة أهـداف معينة خفية . وكان المتنقلون لها هم اليهود - باعترافهم كما مربنا - ولـذا فلم يكن غريبا ان يعترف الداروينيون "٣" المحدثون - رضوا أم أبو - بحقيقـة تفرد الانسان عن كل المخلوقات بينما بقي مجموعة من المفرضين مصرين علـى مايعتقدون من افكار تنظر الى الانسان على انه حيوان وتحدد مطالبه بمطالب الحيوان - الاكل - والشرب - والجنس - وتدرسه كما تدرس الحيوان ومن هنا كان مذهب ماركس الذى يحدد مطالب الانسان بالبحث عن الطعام ، ومذهب فرويد واتباعه الذى يحدد مطالب الانسان في الجنس والاشباع الجنسي .

هذا عن الايحاء الاول للنظرية اما الايحاء الثاني للنظرية ، وهـو القول بـ" مادية الانسان " ، " بمعنى حصره في نطاق حواسه ومحيطـه المادى فقد كانت على رأى هكسلي - تبدو نتيجة منطقية لنظرية داروين عـن حيوانية الانسان ، فالحيوان محدود بنطاق حواسه ، ومن ثم كان الانسـان - الذى هو حيوان - محدودا كذلك بالمحيط المادى وبما تدركه الحواس" "٤"

---

١) معركة التقاليد : ٦١ .

٢) التطور والثبات : ٣٨

٣) انظر كتاب معركة التقاليد : ٦٤ - ٦٨ . حيث نقل الاستاذ محمد قطب مقتطفات من اقوال جوليان هكسلي الدارويني الحديث ، وقد لخص تفرد الانسان في خصائص نفسية واجتماعية ثلاث اضافة الى تفرده في الجسم .

٤) نفس المصدر ٧٦ ، ٧٧

ولقد كان تطور الانسان في نظر داروين واتباعه مظهرا لخضوعه للبيئة الطبيعية اى لعوامل خارجية محتمة عليه ، ولم يكن متوقعا ان يقول الداروينون في ظروف اوربا السائدة في ذلك الوقت ان الله هو الذى خلق الانسان ، اذ أن ذلك سيفقدها الصيغة التي امتازت بها وهي - النظرة الميكانيكية - في الخلق ، بل ان هذا يستدعي منها الاعتراف بان للانسان روحا ، وان لوجوده غاية كما يقول رجال الكنيسة ، وهم في صراع مع الكنيسة وآلة الكنيسة. فلا مفر من القول بان العوامل الطبيعية وحدها هي صانعة التطور وهي التي تفرضه على الانسان .

ولقد ظهر بعد ذلك أثر هذين الايحائين واضحا لا ليس عليه في الدراسات الاجتماعية والنفسية التي تناولت موضوع الانسان فرادا أو جماعة .

ولعل من أبرز هذه الافكار الاجتماعية والنفسية - النظرية الشيوعية - ونظرية العقل الجمعي ونظرية التحليل النفسي ، فاليهودى كارل ماركس استمد من حيوانية الانسان ماظهر واضحا في البيان الشيوعي اذ حدد فيه مطالب الانسان الرئيسية في " الغذاء والمسكن والجنس " .

واستمد من ماديته التي اوحت به - حتمية التطور - التفسير المادى للتاريخ والجبرية الاقتصادية .

يقول الاستاذ محمد قطب بيانا لذلك :

" يقول التفسير المادى للتاريخ ،

أولا : ان تاريخ البشرية هو تاريخ البحث عن الطعام .

ثانيا : ان القوى المادية او القوى الاقتصادية هي التي تكيف الحياة البشرية وتعطيها طابعها ، وتنشيء افكارها ومفاهيمها وعقائدها حسب درجتها من التطور .

فاذا انتقلت البشرية من طور الى طور بحكم قوة التطور الدائمة

المفروضة على الانسان من خارج نفسه والتي لا علاقة لها بارادته الذاتية فإن صورة الحياة تتغير ومشاعر الناس تتغير وأفكارهم ومفاهيمهم وعقائدهم تتغير ويتغير كل شيء في المجتمع من أخلاق وعادات وتقاليد تغيراً ضمنياً ، لا يملك السيطرة عليه احد لانه ليس من صنع البشر ، وانما هو من صنع البيئة المادية أو القوى الاقتصادية " "١"

وأما دوكايم وهو يهودي أيضا "٢" فقد جمع في نظريته في العقل الجمعي بين حيوانية الانسان وماديته وتتلخص نظريته في أن الانسان خاضع بحكم حيوانيته لجبرية اجتماعية أو قهر اجتماعي ، يقول دوركايم في ذلك :

" .. ويجب على الباحث ، من جهة أخرى ، الا يعجب من ان الظواهر الطبيعية تشبه الظواهر الاجتماعية من جهة انها تحتوى باعتبار آخر على نفس الخاصة التي استخدمناها في تعريف الظواهر الاخيرة وذلك لان هذا التشابه يرجع الى هذا السبب اليسير ، وهو ان هذه الظواهر اشياء حقيقية سواء كانت طبيعية أم اجتماعية ، فان لكل شيء حقيقي طبيعة خاصة تفرض نفسها وتجبر المرء على ان يحسب لها حسابها ، ولا يستطيع قهرها ابدا تمام القهر، حتى لو تمكن من محو الآثار التي ترتبت عليها ، وهذه هي في الحقيقة أهم العناصر الاساسية التي ينطوى عليها معنى القهر الاجتماعي ، ذلك لان هذا القهر لا يتضمن شيئا آخر غير المعنى الاتي وهو : ان ضروب السلوك والتفكير الاجتماعيين اشياء حقيقية توجد خارج ضمائر الافراد الذين يجبرون على الخضوع لها في كل لحظة من لحظات حياتهم . فهذه الضروب اشياء ذات وجود قائم بنفسه ، ويجدها الفرد تامة التكوين منذ ولادته ، وهو لا يستطيع القضاء عليها او تغيير طبيعتها ولذا يجبر على ان يحسب لها حسابها ، وانه لمن العسير كل العسر (ولا نقول من المستحيل) أن يغير أشكالها وذلك لانها تساهم الى حد ما في خلق كل النفوذ المادى والادبي الذى يباشره

---

١) معركة التقاليد : ٢٣ ، ٢٤ .
٢) انظر ماكتبه الاستاذ محمد قطب تحت عنوان اليهود الثلاثة في كتاب التطور والثبات .

المجتمع على افراده " "١"

وأما مذهب التحليل النفسي أو نظرية التحليل النفسي وصاحبها " فرويد " الذى استمد من حيوانية الانسان نظريته في تفسير سلوك الانسان من الولادة الى الوفاة تفسيراً حيوانياً قذراً ، اذ يرى ان الدافع الجنسي هو الدافع الوحيد للانسان ، فالمولود يرضع ثدى امه بدافع جنسي ويتبرز بنفس الدافع ، ويستمر في تعامله مع الآخرين مسوقاً بهذا الدافع دون غيره ، والدين والاخلاق العليا في نظر فرويد تابعة من هذا الدافع فالانسان عنده ليس حيوانا فقط بل هو حيوان جنسي ، ووراء كل حركة من حركاته شهوة جنسية ظاهرة أو خفية " "٢"

واستمد فرويد من القول بمادية الانسان القول بالجبرية النفسية يقول الاستاذ محمد قطب :

" ... كما نشأ من ايحاءات فرويد لون من الاعتقاد بالجبرية ، ولكنها ليست الجبرية الدينية التي كانوا يعيبونها على الشرق المتأخر ، والتي تؤمن بان الانسان ليس حرا في تصرفاته لان الله هو المسيطر ، بل هي جبرية نفسية ، يؤمن أصحابها بان الانسان مسير لان غريزته هي المسيطرة عليه " ، وهي التي توجه السلوك دون أن تدع للفرد مجالا للاختيار .

ومن الايمان بهذه الجبرية حدثت تطورات عنيفة في المجتمع الغربي ، فحطمت تقاليده واخلاقه ، واثرت في قوانينه كذلك ، فقد اطلق العنان للفرد - في المسألة الجنسية - يصنع مايشاء بلا حظر ولا عقاب ، لانه مسكين معذور .. مجبر على مايفعل ، وليس امامنا اذاً الا نتيجة واحدة هي الكبت المدمر للاعصاب " "٣"

---

١) قواعد المنهج في علم الاجتماع : ٤٢ - ٤٣ .

٢) الموجز في التحليل النفسي : ٢٢ - ٢٤

٣) الانسان بين المادية والاسلام : ٥١ .

رابعا : القول بالتطور المطلق :

" كان الثبات هو الطابع المسيطر على الحياة كلها في الغرب في العصور الوسطى ، وكان العالم الاسلامي قد أخذ دوره من النشاط الحي المتحرك الفعال ثم أخذ يركن الى الهدوء والى الركود التدريجي البطيء.

وكان مفهوم الثبات في أوربا مستمدا من الدين ،كما هو مستمد من الوضع الاقتصادى والاجتماعي الثابت الاركان " "١"

وبعد أن اتصلت أوربا بالعالم الاسلامي عن طريق المعابر التي انتقلت بها العلوم والمعارف من المسلمين الى أوربا ، وهي الاندلس ، وصقلية ، وكذلك الحروب الصليبية بدأت أوربا تتحرك " واخذت الحركة تصطدم بمفهوم الثبات وقد كان هذا المفهوم بعيد الغور في التربة الاوربية .. " "٢"

وكانت أول هزة لهذا المفهوم المطلق " الثبات " على يد " كوبرنيكس " ، " وجاليليو " ولم يقصدا احداث هذه الهزة ، فدوران الارض الذى نادى به "كوبرنيكس " يتلخص في أن الشمس لا الارض وهي مركز الكون الذى تدور حوله الكواكب وانها تدور حول الشمس ثم ازداد الايمان بفكرة كوبرنيكس ، وضعف الايمان بفكرة الكنيسة بعد التقدم في الكشوف والابحاث الذى بدأ بعصر النهضة .

ثم ظهرت فكرة التطور لدى بعض الباحثين فظهرت نظرية التطور العقلي والديني " من الخرافة الى الدين الى العلم الوصفي " وصاحبها " وصيف كونت ، ثم ظهرت نظرية هوبز التي قال فيها بان المجتمع البشرى تطور من الوحشية الغابية الى الحالة الاجتماعية .

ثم جاء رسو الذى قال بتطور المجتمع من الحالة الطبيعية الى الحالة الفوضوية وهذا يستوجب وجود عقد اجتماعي " بين الافراد .

---

١) التطور والثبات في حياة البشرية ١١ .

٢) نفس المصدر : ١٥

بيد أن هذه النظريات لم تكن قوية ولا عامة بحيث يكون لها اثر في زلزلة فكرة الثبات ، لكن لا شك ان لها اثرا في التمهيد لذلك .

ثم جاء القرن التاسع عشر فحدث تحول عام في حياة الاوربيين بسبب ما احدثه الانقلاب الصناعي - الذى بدأ من منتصف القرن الثامن عشر - من نقل الناس من البيئة الزراعية الى البيئة الصناعية وكان لهذا أثره العظيم في أخلاق الناس وتقاليدهم وأوضاعهم بشكل عام ، وهذا تطور اقتصادى واجتماعي يوازى التطور العلمي .

في ظل هذه الاحوال المضطربة المتغيرة المتطورة خرج داروين بنظريته في التطور العضوى للكائنات الحية - الذى اودعه في كتابيه اصل الانسان وأصل الانواع الذى قال عنه "وست" .

" لقد كان تأثير هذا الكتاب عظيما ولا شك ، فعن طريق وضع مبدأ جديد للدراسة وهو مبدأ ديناميكي وليس مبدأ استقراريا واستاتيكيا امكنه ، أن يحدث ثورة في كل فروع المعرفة من علم الفلك الى التاريخ ، ومن علم الحفريات القديمة الى علم النفس ، ومن علم الاجنة الى علم الدين " "١"

ومن ثم حدثت الزلزلة في كل شيء على يد داروين في كتابيه ، فانتقلت اوربا من الايمان بالثبات المطلق الى الاعتقاد في التطور المطلق .

ولم يقل دارون صراحة انه لا يوجد شيء ثابت على الاطلاق وان الحياة البشرية تمضي في حلقات مختلفة كل حلقة تختلف عن التي تسبقها اختلافا جذريا ، بيد أن النظرية توصي بذلك .

" اذا كانت الحياة تتطور - من الخلية الواحدة الى الانسان الشديد التعقيد ، واذا كان الانسان ذاته قد تطور من حيوان سابق الى حيوان يشبه الانسان ، الى انسان يشبه الحيوان .. الى انسان .. فماذا يمكن أن يكون ثابتا على وجه الارض على الاطلاق ؟ " "٢"

---

١) تراث الانسانية : ٩/١٢٧ .

٢) التطور والثبات : ٢٠

لقد ارتكزت فرضية داروين على عنصرين هما " الحتمية ، والاضطراب " اى حتمية التطور اذ كل مرحلة من مراحل التطور - في نظره - تلت المرحلة السابقة بطريقة حتمية بمعنى ان العوامل الخارجية - كما مر سابقا - هي المحددة لنوعية هذه المرحلة .

وأما الاضطراب فهو من خط سير التطور فالتطور في كل مراحله مضطرب ليس له غاية او هدف لان الطبيعة هي الموجدة للتطور وللخلق والطبيعة غير واعية ولا عاقلة فهي تخبط خبط عشواء .

وهكذا عن طريق هذين العنصرين اوحت فرضية داروين بالتطور الحتمي المطلق الذى لاغاية ولا حدود له . وهكذا فالايمان بالحتمية يجعل الايمان بثبات أى شيء وان كان الدين رجعية وتخلفاً وجموداً ، ويستدعي معركة خاسرة مع الطبيعة التي لا تقهر ، والاضطراب في خط سير التطور يلغي كل ماتعارف عليه الناس من معايير وضعوها للحكم على الاشياء والاحداث .

وهكذا آمنت أوربا بالتطور المطلق ، وتأثرت بذلك المذاهب النفسية والاجتماعية والاقتصادية خاصة التي كان زعماؤها من اليهود - فرويد ، دوركايم ، ماركس " فأما فرويد فيرى حسب تفسيره الدنس للدين ان اصل الدين ، او العبادة هو الشعور بالندم الذى استولى على ابناء الاسرة البشرية البدائية الاولى حين قتلوا اباهم لانه كان يحول بينهم وبين اللقاء الجنسي بامهم فابتدأ الدين في أول صوره عبادة للاب . ثم تحول الامر الى عبادة الطوطم لانه من النفس البشرية هكذا يرتبط الاب برمز الحيوان (لماذا) وفي الوقت ذاته وجد الابناء انهم سيتقاتلون بينهم للحصول على الام . وهذا امر لا يجوز (لماذا) فقرروا تحريمها على أنفسهم فنشأ بذلك أول تحريم (جنسي) وانصب على الام ، كما قرروا التعاون فيما بينهم بدل الخصام والعراك (لماذا) فنشأت القيم " "٢"

---

١) التطور والثبات : ٤٨ بتصرف طفيف .

وأما دوركايم فله نظرة أخرى في الاجتماع يلخصها الاستاذ محمد قطب فيقول : " . . . ثم يجيء علم الاجتماع على عهد دوكايم فيقول ان الدين والزواج والاسرة ليست فطرة لدى الانسان، إنما هي من عمل " العقل الجمعي " وهو شيء (ماهو ؟) دائم التطور والتغيير والتشكل ، لان المجتمعات لا تثبت على حال واحد ، ومن ثم فكل مجتمع يضع دينه (ولا دينه) ونظم زواجه (أو لا زواجه) ونظم اسرته (أولا اسرته) فاذا قال العقل الجمعي في طور من اطواره : ليكن دين . . فليكن دين ؟ واذا قال : ليكن زواج . . فليكن زواج . واذا قال : لتكن اسرة . . فلتكن اسرة . . اما اذا قال - حسب هواه ، أو حسب " حتمية الظواهر الاجتماعية " التي لا تنشأ من ضمير الفرد ولا فطرته ، ولا علاقة لها بمشاعره الفردية ، ولا برضاه أو عدم رضاه عنها! - اذا قال ليكن لا دين . وليكن لا زواج . وليكن لا اسرة : فسرعان مايرضخ الافراد " لقهر الظاهرة الاجتماعية " فينسلخون من دينهم واخلاقهم ويتبرأون منها ويحلون روابط الزواج والاسرة ، ويصيحون أى شيء يريده العقل الجمعي . . " [١]

والاخلاق بدورها مرت بمراحل تطور الدين نفسها لانها جزء من الدين ويرى أحد فلاسفة هذا القرن الملحدين وهو برتراند رسل : " ان الاخلاق مرت بثلاث مراحل تطورية هي :

أولا : اخلاق " التابو " المحرم .

ثانيا : ثم اخلاق الطاعة الالهية .

ثالثا : اخلاق المجتمع العلمي " [٢]

ويقول " وليم جيمس " عن أثر نظرية دارون على الاخلاق :

" . . دعنا نوضح هذا بذكر بعض الامثلة ان فلسفة النشوء والارتقاء قد ألغت المعايير الاخلاقية التي سبقتها كلها لانها رأتها معايير ذاتية شخصية وقدمت لنا معياراً آخر نتعرف به الخير من الشر وبما ان المعايير السابقة معايير

---

١) نفس المصدر : ٧٩ ، ٨٠ .

٢) المجتمع البشري : ١٩ / .

نسبية فهي مدعاة للقلق والاضطراب وأما هذا المعيار الذى ارتضوه وهو ان الحسن ماقدر له ان يظهر ويبقى فهو معيار موضوعي محدد ولكنا نلاحظ ان هذا المعيار لا يمكن أن يبقى موضوعيا الا اذا بقيت انا وما أعمل خارجين عن الاعتبار ، وأما اذا كان مايسود أو مايبقي لا يمكن ان يسود ويبقى الا بمجهودى الشخصي والا اذا كنت عنصرا فعالا فيه ، واذا كان لابد ان يسود شيء آخر اذا ما غيرت تصرفي واتجاهي فكيف اتمكن الان مادمت مدركا لوجود انحاء شتى للفعل ، كل منها يمكن افتراضه قادراً على أن يغير مجرى الحوادث في المستقبل ؟ فاذا كانت الحوادث ستأخذ نفس الوجهة التي اتجهت اليها فمن البين انها هي التي تبعث اتجاهي ولم يكن اتجاهي نتيجة لمجراها ... "(١)

فأما ماركس فقد خرج بالنظرية الشيوعية التي تستمد تفسيرها المادى للتاريخ من فكرة التطور الحتمي . اذ المجتمع البشرى كما تخيل فلاسفتها ومنهم ماركس مرّبخمس مراحل حتمية لكل مرحلة عقائدها ، واخلاقها التابعة من الظروف الاقتصادية والاوضاع المادية . يقول الاستاذ محمد قطب في بيان ذلك :

" كان الانسان في المجتمع الزراعي يعبد الله .. لانه .. يضع البذرة في الارض ويطلب الحب من الرب (لانه عاجز بنفسه عن التأثير في عملية الانتاج ، لا هو يستطيع أن يسرعها أو يبطئها عن مدتها (الغيبية) ولا هو يستطيع - الا بقدر ضئيل - أن يتحكم في النتائج (بالجهد المبذول من جانبه) فالاعاصير والآفات ، وتقلبات البرد والحر لا سلطان له عليها البتة .. ولابد أن ينتظر فيها كلمة السماء .. وكان الرجل هو المنتج الرئيسي ، وهو الذى يعول المرأة ، ومن ثم كان هو المسيطر صاحب السلطان ، وكانت الاسرة تمثل سلطان الزوج ، وهو حريص عليها شديد الحرص لا نهائي له ذلك السلطان ،

---

(١) العقل والدين : ٦٨ .

ومن ثم يفرض على المرأة قيوداً خلقية شديدة ، فالعفة شرط رئيسي لحياتها وعنصر لا غناء لها عنه ، والعفة معناها (في هذا التفسير) ان يتأكد الرجل - صاحب السلطان - ان هذه المرأة أو تلك له وحده لم يمسها أحد غيره . ثم يجيء الدين (الذى يمثل هذا الطور) فيقول ان العفة مطلب الهي من البشر عليهم أن يلتزموا به من اجل الله . "

" ثم انتقل الناس الى الطور الصناعي . . فتبدلت الاحوال ، عملية الانتاج لم تعد غيبية فهي عملية متطورة - الالة المنتجة متطورة ، والمادة المنتجة متطورة كذلك ، والانسان هو الذى يديرها وليس الله (!!) ومن ثم فلا ضرورة شعورية لعبادة الله !! والمرأة قد استقلت اقتصاديا بحكم سلسلة من الظروف الاقتصادية المتوالية ، فلم يعد الرجل هو الذى يعولها ومن ثم لم يعد الرجل هو المسيطر أو على الاقل لم تعد سيطرته مطلقة فلم يعد في وسعه - تدريجيا - ان يفرض العفة على المرأة . أى يفرض عليها أن تكون له وحده - فصار من حقها - تدريجيا الا تكون عفيفة لانها لا تستطيع حين يرفضها الرجل - اذا رفضها لعدم عفتها ، ان تعول نفسها بنفسها . . ولانها استقلت اقتصاديا اضطر الرجل ان يحترمها ، وينزل عن سلطانه ويعطيها حق الاباحية الجنسية . . ثم انتهى الامر أن يحبذ هو تلك الاباحية بحكم التطور"[١]

وهكذا آمنت أوربا كلها بفكرة التطور المطلق التي مؤداها ان لا شيء ثابت على الاطلاق وقد عبر عن ذلك " برتراند رسل " حين قال × :

" ليس ثمة كمال ثابت ولا حكمة لا تقدم بعدها . . وأى اعتقاد نعتقده وان كان مما نظنه بالغ الاهمية ليس بباق مدى الدهر ، ولو تخيلنا انه يحتوى على الحق الابدى فإن المستقبل كفيل بأن يضحك منا "[٢]

والواقع ان هناك رغم ذلك علماء عارضوا فكرة التطور المطلق - المنبثقة

---

١) التطور والثبات : ٧٧ ، ٧٨ .

٢) العقل والمادة : ٢٥٦ .

أو التي اوحت بها فرضية التطور العضوى ـ غير أنهم قوبلوا بالنقد اللاذع ، والا ستنكار العنيف .

يقول كارل " بوبير " :

" انما ندعوه بفرض التطور انما هو تفسير لجمهرة من المشاهدات البيولوجية والحفائريه مثل بعض وجود الشبه بين الا نواع والا جناس المختلفة وذلك استنادا الى القول باصل واحد تشترك فيه اشكال الحياة المتآمرة . الا انني اشعر بشيء من الا رهاب لما يميل اليه اصحاب مذهب التطور من الصاق تهمة الوقوف في وجه الا صلاح والتنوير بكل من لا يشاركهم موقفهم العاطفي ازاء التطور باعتباره تحديا جريئاً ثورياً للفكر التقليدى " "١"

خامسا : <u>تأثير الفرضية على الفكر والعلوم والنظريات العلمية :</u>

يمكننا ان نلمح ونعلم مدى تأثير هذه الفرضية على الفكرة والفلسفة ، والنظريات العلمية اذا قرأنا بعض أقوال أهل الفن ، فلنستعرض ماقاله المفكرون والعلماء الغربيون بيانا لتأثيرها :

يقول جورج بوهن : " ان نتائج كثير من المباحث البيولوجية والسيكولوجية الحيوانية قد ظهر بطلانها بسبب القيمة العظيمة التي كان أصحاب هذه المباحث يعطونها لنظرية الا نتخاب الطبيعي ويكفي في ذلك ان يقرأ الا نسان الكتابات الا خيرة التي نشرها (ج . لويب ( ) وكتابات " دولاج " و " جولد سميث " ليدرك مبلغ نقص الثقة في هذه النظرية" "٢"

وهكذا فان الا لتزام بفرضية التطور يؤثر في نتائج ابحاث الباحثين البيولوجيين وغيرهم في مصلحة القرظمة فاذا تخلصوا من أثرها خرجت الحقيقة ناصعة .

---

١) نظرية د ارون بين مؤيديها ومعارضيها : ١٥٣ ، ١٥٤ .

٢) نظرية د ارون بين مؤيديها ومعارضيها : ... ، ١٤٩ .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية (فصل نظرية التطور) حول سيطرة هذه الفرضية جميع ميادين العلوم " ولم تسيطر هذه النظرية على جميع العلوم التي لها علاقة بالامور الحياتية فحسب ولكن نتائجها نفذت الى جميع المجالات العلمية . ولتثبيت هذا النجاح ، فلا بد من القضاء على كل معارضة كالعصبية الدينية والاستمرارية الثقافية ، وكان أصعب شيء ، التغلب على نظرية الجينات التي كان الطبيعيون يعتقدون بها " "١"

ويقول : " راندال " " .. ففكرة التطور غيرت خارطة العالم الفكرية بكاملها أولا في الفلك ثم علم طبقات الارض ، ثم في علم الحياة ، وأخيرا في العلوم الاجتماعية ""٢"

اما أثر هذه النظرية في علم النفس فيوضحه قول " جيلفورد " " ومن المحتمل ان عددا قليلا جدا من علماء النفس وغيرهم من العلماء يتمسكون بالرأى القائل بان نمو الفرد من الجنس البشرى يعيد عن الانواع الحيوانية كلها ولكن تطور الطفل بما فيه حياته الجنينية هو من جهة أخرى حلقة الاتصال بين سيكولوجية الحيوان وسيكولوجية الانسان البالغ ""٣"

ولقد كان لنظرية داروين في " تنازع البقاء وبقاء الاصلح .. أثر على حركة الاستعمار يقول المؤرخ " هربرت فشر "

" وكذلك تأثرت السياسة بنظريات داروين فقد أخذ الناس يسألون اذا كان علم الاحياء هو المفتاح لفهم مغاليق الماضي ، أفلا يمكنه أيضا ان يساعد على صوغ المستقبل ؟ وهل في وسع الساسة الا يكترثوا للعامل البيولوجي ؟ أو ليس واجبهم يدعوهم الى تشجيع السلالات القوية وتثبيط السلالات الضعيفة ؟

وهل يستطيع مجتمع البقاء دون أن يتعاون اما عن طريق التشريع أو

---

١) نفس المصدر : ١٥٣

٢) تكوين العقل الحديث : ٢ / ١٤٢ .

٣) ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية : ١ / ٢٢ ، ٢٣ وانظر ص ٣٤ لمعرفة أثر هذه الفرضية في مسألة الغرائز والذكاء .

عن طريق العرف ـ مع الطبيعة في إبادة غير الصالح . . " "١"

هذا كله من آثار الداروينية بالإضافة الى العصبية العلمية للفرضيـة وقد مر ذكر شيء من ذلك خاصة قول آرثركيث ،كما كان من آثارها تحريـف المصطلحات العلمية فقد استبدلت كلمة الخالق الدالة على الله سبحانه وتعالى وهي صفة من صفاته ،بالطبيعة ، وجرت بعد ذلك كتب العلوم حتى المدرسية على هذا التحريف . "٢"

وبذا يتبين ان من عوامل نشوء العلمانية في الغرب مايلي :

١) تحريف المسيحية ـ عقيدة وشريعة ـ .

٢) انحراف وطغيان رجال الكنيسة ـ عن الدين الحق وطغيانهم علـى الناس ـ .

٣) فرضية التطور وآثارها في الايمان ،والفكر والعلم والفلسفة والسياسة .

واذا أردنا ان نضع لكل عامل نسبة معينة فاننا نعطي العنصر الاول نسبة كبيرة لا تقل عن ٥٠ ٪ .

وقد كنت عازما على الحديث عن أثر العلمانية في التربية والتعليم فـي الغرب الا انني صرفت النظر عن ذلك لأمرين :

أولهما : ان الحديث عن هذا الموضوع يستدعي مني الرجوع الى المراجـع باللغتين الانجليزية والفرنسية أو الانجليزية وانا لا اعرفها .

ثانيهما : أن اثر العلمانية في التربية والتعليم في الغرب يمكن التماسه فـي الواقع الاسلامي المعاصر في البلاد التي تأثرت بالاستعمار.

وسوف يتضح شيء من آثار العلمنة في التربية والتعليم في افكـار التربويين المسلمين وقد تخرج بعضهم في ـ جامعات الغرب . . وتأثروا بالفكر

---

١) تاريخ أوربا في العصر الحديث : ٣٢٥ . (٢) نظرية داروينية موقف ... مؤيديها ومعارضيها : ١٥٣-١٥٦ .

العلماني - أو جامعات من العالم الاسلامي تسير على ذات المنهج العلماني ،
وفي الواقع العملي المتمثل في تقليل نصاب علوم الدين بالاضافة الى عدم صياغة
المقررات من وجهة نظر اسلامية ، وفي الاختلاط في التعليم ، وفي عـــــدم
سلامة أهداف التعليم في بعض البلدان الاسلامية .

الفصل الثانــي

عوامل انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي

المبحث الاول : عوامل داخليــة .

المطلب الاول : عوامل ذاتية .

أ ـ الانحراف الذاتي للمسلمين وأثره في تقبل العلمانية .

ب ـ مفكرون كان لهم أثر في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي .

جـ ـ المستغربون وأثرهم في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي .

المطلب الثاني : نصارى العرب واثرهم في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي .

• • •

المطلـــب الاول :
عوامل ذاتيــــــة :

١ - الانحراف الذاتي للمسلمين :

لم يتوف الرسول صلي الله عليه وسلم حتى أكمل الله لنا الديـــن وأتم علينا النعمة ، قال تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا " المائدة : "٣" . وقد أمرنا الله باتبـــاع ما أنزله على نبينا صلى الله عليه وسلم وإطاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم والنزول على حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم في كل أحوالنا .

قال تعالى : " اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونـــه أولياء قليلا ما تذكرون " الاعراف : " ٣ " .

وأمرنا الله سبحانه وتعالى بأن نأتمر فيما بيننا بالمعروف ونتناها عن المنكر وجعلها صفة أساسية للمسلمين فقال تعالى :

" كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكـــر وتؤمنون بالله " آل عمران : " ١١٠ " .

ووعد الله من يتبع شرعه وهديه بالاستخلاف في الارض فقال تعالى :

" وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فـــي الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا " النور : "٥٥" .

ورد الله على أبينا ابراهيم دعوته حين طلب من الله أن يكـــون ذريته من بعده الأئمة . قال تعالى :

" واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين " البقرة " ١٢٤ "
وحكم أن الامامة لا تكون الا لمن اتبع ملة ابراهيم ، وانه لا ينالها الظالمون حتى ولو كانوا من ذرية ابراهيم عليه السلام .

وبين الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم سنته في اهلاك الأمم وتغيير حال الناس وربط سبحانه سنته الكونية بسنته في حياة الناس. وأوضح ان الناس اذا آمنوا به فإنه سيفتح عليهم بركات من السماء والأرض .

وقال تعالى : " ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون " الروم : " ٤١ " .

وقال تعالى : " ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان الله سميع عليم " الانفال " ٥٣ " .

وقال تعالى : " وماكان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وماكنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون " القصص " ٥٩ " .

وقال تعالى : " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون " الاعراف " ٩٦ " .

نستنتج من هذه الآيات مايلي :

١) ان الله اشترط على المسلمين لاستخلافهم في الارض أن يعبدون سبحانه وتعالى ولايشركون به شيئا ، أى ان يجعلوا حياتهم كلها خاضعة لشرعه . فهل حقق المسلمون في العصور المتأخرة ذلك ،

أم أنهم انحرفوا فنزع الاستخلاف منهم .

٢) ان الامامة والقيادة للعالم لا تكون للظالمين فإذا ظلم المسلمون أنفسهم وغيرهم بإنحرافهم عن شرع الله فان الله ينزع منهم القيادة العالمية وهذا ماحصل فعلا .

٣) ان الله جعل من سننه الثابتة في اهلاك الامم أن الذنوب والفساد والظلم هي اسباب الهلاك وان الله لا يغير ما مأنعم به على عباده الا اذا غيروا ما بأنفسهم .

٤) ان من سنن الله في خلقه أن لا يهلك قوما حتى يبعث لهم رسولا يرشدهم الى مايجب عليهم لله .

٥) ان سنن الله الكونية مرتبطة بسننه الاجتماعية في حياة الناس .

٦) ان من سنن الله في خلقه أن يفتح البركات على من يوءمن بالله وينفذ شرعه .

وبهذا يتضح أن القاعدة الخطردة في سنن الله في المجتمعات ان الله لا يغير ما بالمجتمعات من الذل والهوان حتى يغيروا ما بأنفسهم من الانحراف في الافكار والسلوك ، وان الله سبحانه لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون .

ويوءيد ذلك ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج مسلم بسنده عن ثوبان ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله تعالى زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان امتي سيبلغُ ملكها مازوى لي منها وأعطيت الكنزين الاحمر والابيض واني سألت ربي لامتي أن لا يهلكها بسنةٍ "بعامة" وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي قال يامحمد اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني اعطيتك لامتك

أن لا اهلكهم بسنة "عامة" وان لا اسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من باقطارها أو قال مَنْ بَيْنَ أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا ."(١)"

ولا يهلك المسلمون بعضهم الا اذا انحرفوا عن اتباع نهج الله سبحانه وتعالى ، وقد وقع في المسلمين الانحراف في التصورات والسلوك وهذا كان عاملا اساسيا وحاسما في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي وكما أن تحريف القسس للنصرانية في أوروبا كان من العوامل المباشرة لنشوء العلمانية فقد كان انحراف المسلمين عن فهم الاسلام في العصور الاخيرة من العوامل المباشرة التي ادت الى انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي .

فما هي مظاهر هذا الانحراف ؟

ان مظاهر الانحراف تتلخص في ان المسلمين في العصور الأخيرة انحرفوا في العقيدة بمعناها الصافي . وتبعا لذلك انحرفوا في السلوك .

وتمثل انحرافهم في العقيدة في انحراف تصورهم للالوهية ، والايمان بالقدر ، اما عن انحراف تصورهم للالوهيةفتتمثل في انحراف فهمهم وتصورهم للعبادة ، والتحاكم الى غيره سبحانه .

ولذا فسوف اتتبع عوامل ومظاهر الانحراف على النحو التالي :

أولا : الانحراف في مفهوم الالوهية .

ثانيا : الانحراف في مفهوم الايمان بالقدر .

---

(١) اخرجه مسلم في صحيحه : ٢٢١٥/٤ كتاب " الفتن " باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض .

الانحراف في مفهوم الألوهية :

لا ريب أن الفطر مجبولة على الاقرار بأن الله خالق كل شيء ،

قال تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله" لقمان : " ٢٥ " .

وهذا مايسميه علماء المسلمين بتوحيد الربوبية ، والاعتراف بذلك لا ينفع الانسان حتى يتوجه بأعماله كلها لله رب العالمين ، ولهذا كان الكفار في كل عصر ومصر يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت الا ماكان من فرعون في الاعصر السابقة والشيوعيون في العصر الحاضر - ولكن ذلك لم ينفعهم عند الله شيئا لأنهم أشركوا معه غيره في العبادة . ولن ينفع أيضا هذا الاقرار اى مقر بالربوبية مشرك في العبادة .

أما الذى ينفع الانسان الاقرار به ، المقر به في عداد المسلمين فهو توحيد الالوهية وهو كما يعرفه علماء المسلمين " توحيد الله بأفعال العباد " أى التوجه بكافة أنواع الاعمال لله سبحانه وتعالى تحقيقا لقوله تعالى : " قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين وبذلك أمرت وانا أول المسلمين " : الانعام " ١٦٢ - ١٦٣ " .

ويقسم بعض علماء السلف الصالح توحيد الالوهية الى قسمين هما :

١) توحيد الطاعة والاتباع .

٢) توحيد الارادة والقصد " العبادة " . وسوف أسير على هذا التقسيم في تتبع مجارى الانحراف عند المسلمين في ذلك .

١ - الانحراف في الطاعة والاتباع - وبسك الحلم - ١-

١ - القرآن والسنة مليئان بالنصوص التي تأمر

المسلمين بالطاعة والاتباع لله سبحانه وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ،
أذكر بعضاً منها هنا لنرى أين المسلمون من ذلك في العصور المتأخرة ؛

قال تعالى : " وأطيعوا الله والرسول ولا تبطلوا اعمالكم " محمد :
" ٣٣ " .

وعن علي رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" لا طاعة لبشر في معصية الله انما الطاعة في المعروف " أخرجه البخاري
ومسلم وابو داود والنسائي وأحمد وابو داود الطيالسي . وفيه قصة .

فهذه النصوص وغيرها كثير توجب على كل مسلم أن يتبع ما
أنزل الله على رسوله وان يطيع الله ورسوله في كل ما أمرا به ، في شئون
الفرد والاسرة والمجتمع والدولة . ولكن المسلمين في عصور الانحطاط نسوا
ذلك أو غفلوا عنه ، وبعضهم انحرف عن ذلك فنتج عن هذا ان صرفوا
هذا النوع من العبادة " الاتباع والطاعة " أو جزء منه الى الحكام وعلماء
المذاهب ، بل مشائخ الطرق الصوفية الذين ضل بسببهم خلق كثير
من أجيال المسلمين المتأخرة . وهذا الانحراف بدأ ضعيفا ثم اتسع
واتسع حتى شمل أكثرية المسلمين للأسف .

وقد كان العالم الاسلامي في القرون الأخيرة تتقاسمه ثلاث دول
هي الدولة العثمانية والدولة الصفوية ، والدولة المغولية .

ويهمني في هذا المقام ايجاز الحديث عن الدولة العثمانية لانها
كانت تحكم مساحة شاسعة من بلاد المسلمين بينما الدولة الصفوية كانت
منحصرة في ايران وأفغانستان ، والدولة المغولية منحصرة في حكم
الهند .

وأبادر فأقول أن الدولة العثمانية في أول عهدها كانت أصلح هذه الدول الثلاث عقيدة وسلوكا ولكنها بعيدة عن منهج الخلافة الراشدة الذى سار عليه الخلفاء الاربعة وعمر بن عبد العزيز ، وهذا البعد يقل أو يزداد حسب نوعية الخلفاء الذين يتولون الحكم .

كما أبادر فأقول ان الدول العثمانية كان لها مآثر لا يستطيع الباحث المنصف أن ينكرها بل يتوجب عليه أن يقدرها ، اذ هي التي جعلت المد الاسلامي يصل الى أقصى مدى له في اوربا الشرقية والوسطى (المجر ، والنمسا ، وسويسرا) بعد أن فقد المسلمون بلاد الاندلس في أوربا الغربية بسبب انحرافهم عن منهج الله المتمثل في الدويلات التي نشأت على العصبية .

كما أنها - اى الدولة العثمانية - أخرت سقوط البلاد الاسلامية في أيدى المستعمرين الاوربيين قرونا عدة .

اضافة الى روح الحماسة للدعوة الاسلامية ونشرها في أوروبا التي اعترف لهم بها حتى اعداء الاسلام . "١"

بيد أن وجود كل هذه المآثر لا يعني عدم وجود انحراف في هذه الدولة فقد استمرت الدولة العثمانية على خط الانحراف الذى ورثته عن الدول السابقة لها وزادت عليه بحسن نية وبدون وعي خاصة في أوائل الدولة العثمانية .

وكان من مظاهر هذا الانحراف في الحكم أن الدولة العثمانية واجهت حركات الاصلاح والتجديد التي كانت تدعو الى التوحيد بافراد الله

----

١) انظر في ذلك كتاب الدعوة الى الاسلام : ١٧٠ - ٢٣٤ وانظر خاصة (١٨٤ ، ١٨٥) .

بأنواع العبادة ونبذ الشرك الذى وقع فيه المسلمون المتمثل بدعاء الموتى والاستشفاع بهم والاستغاثة بهم ، والتي دعت الى نبذ التقليد والجمود الفكرى ، بالاخذ من الكتاب والسنة مباشرة لمن له أهلية الاجتهاد . وكانت اكبر هذه الحركات حركة الامام محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ) التي جيشت الدولة العثمانية الجيوش لوئدها بقيادة ابراهيم باشا . "١"

وقد نتج عن هذا الانحراف أمران خطيران :

الأول : استمرار الحكم على طريقة الوراثة الذى بدأ في عهد الدولة الأموية ،

ولهذا ماله من ايجابيات ولكن كان في الامكان أن يكون مبدأ الشورى هو قاعدة وركيزة هذا النوع من الحكم . " وأمرهم شورى بينهم " الشورى : " ٣٨ " " وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله " آل عمران : " ١٥٩ " .

أما ترك الامور على تلك الحال فان الطريق الى الاستبداد والجبروت والظلم مهيأ والمناخ مناسب وهذا ماحصل فعلا من بعض السلاطين ، بل بين ولاة الاقاليم ، هذا ماكان حاصلا . أما في أوروبا التي - سنعرف كيف أثرت في العالم الاسلامي فيما بعد - فقد كانت عروش اباطرتها تضطرب تحت مطارق الدعوات التحريرية التي كانت تطالب بالمشاركة في الحكم وحرية الشعب في اختيار الولاة . فكان على الخلفاء في الدولة العثمانية أن يتعظوا بذلك ويقطعوا الطريق على دعاة التقريب الذين كان لهم أثر

---

(١) انظر تاريخ هذه الفترة في كتب التاريخ ومنها كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية : ٢٠١ - ٢٠٥ . وانظر كتاب الاتجاهات الفكرية عند : ٤٢ ، ٤٣ .

كبير - في أواخر حكم الدولة - في القضاء عليها من داخلها ، وذلك يكون بالعودة الى الاصول الاسلامية الراشدة .

الثاني : قصور علماء الشريعة عن مجاراة الوقائع الحديثة بالاستنباط الفقهي من الكتاب والسنة .

لا يشك مسلم في أن القرآن والسنة يتضمنان منهجا كاملا شاملا لكافة جوانب الحياة البشرية منذ أن أنزل الله القرآن على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومنذ تكلم الرسول صلى الله عليه وسلم بالاحاديث الى أن يرث الله الارض ومن عليها اذ لا يخرج عن دائرة توجيه وهيمنة الشريعة أى شيء من احداث البشر مهما استجدت ومهما تغيرت الاحوال .

قال تعالى : " مافرطنا في الكتاب من شيء " الأنعام : "٣٨" .

وقال صلى الله عليه وسلم : " قد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك " "١"

وهذا من البدهيات في التصور الاسلامي وفي حس المسلمين ، والريبة في هذا الامر اتهام واضح للبارى عزوجل بالنقص واتهام الله بالنقص كفر واضح .

كما أن البشر في حركة دائمة وسعي متواصل لعمارة الارض ، فاذا كانت هذه الحركة مقرونة بالاستسلام لله والدينونة له - بعمارة ارضه بطاعته - فلا بد أن تنشأ لهم من الاقضية بقدر ما يسعون . واذاً فالمسلمون

---

١) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة باسناد حسن : ١/ ١٩ ، ٢٦ ، ٢٧ بألفاظ متقاربة ، وأسانيد مختلفة .

بحاجة الى من يجتهد لهم في تلمس الاحكام المناسبة لما يجد لهم من أقضية وقد آمن المسلمون بشمولية الشريعة الاسلامية ، وغابت عن أذهان كثير منهم في العصور المتأخرة الحركية في الواقع البشرى ، ذلك لانهم يعيشون واقعاً اسلامياً جامداً لا جديد فيه ، ولا ينمو الفقه ولا تنمو ملكة الاستنباط والاجتهاد الا في ظل حركة واقعية في ظل الشريعة الاسلامية فتجد للمسلمين وقائع يحتاجون فيها الى احكام مستنبطة من عمومات القرآن والسنة .

ولقد كان من هؤلاء الذين غابت عنهم هذه الناحية علماء الدولة العثمانية وخلفائها الذين تأثروا بالعلماء - الذين عارضوا فتح باب الاجتهاد فأصيب الفقه الاسلامي بالجمود ، وظلت حياة البشر متطورة متحركة حسب سنة الله في الحياة . وهكذا ضاق لاول مرة في تاريخ المسلمين مجال الفقه الواقعي عن الاحاطة باحداث الحياة في بلاد المسلمين ، وذلك بسبب ضيق أفق العلماء واقتصارهم في الفقه على المتون والحواشي التي ألفت في عصور سابقة ، وقد كان المجال مفتوحا أمام من لديه أهلية الاجتهاد ان يجتهد ويستنبط من القرآن والسنة ولكنهم أخلدوا الى الركود والجمود على المتون والحواشي .

يقول الشيخ محمد بن الحسن الحجوى الثعالبي مايلي :

" وقد غلب التقليد للعلماء - وعلى الاخص الأئمة الاربعة ابو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، واحمد - وان وجد مجتهدون قلة من مبدأ المائة الثالثة الى نهاية المائة الرابعة ، وصار التقليد غالبا في الرابعة بل أصبح جل علمائها مقلدين معصبين مع ان الكل يعلم ان لكل امام هفوة وسقطة

بل سقطات فما من امام الا وقد ثبت عنه قول أو فعل خفي عليه فيه السنة وأخطأ به في الاجتهاد ... وهذا كله باعتبار الغالب .. " "١"

ويقول الشيخ الغزالي مايلي :

" ... مع ان الزمن لا يقف ... ومع انه تحدث للناس أقضية بقدر ما احدثوا من فجور ، ومع ان الجماعة الانسانية تدخل في أطوار متباينة ، من ناحية العلاقات الدولية والاوضاع الادارية والاقتصادية والسياسية . ومع ضرورة بقاء الدين مهيمنا على توجيه القافلة السائرة . مع هذا كله فان التفكير الاسلامي الفقهي توقف في أغلب ميادين المعاملات، ان لم يكن جمد فيها كلها ... واغلقت ابواب الاجتهاد بضعة قرون حتى انكسرت أخيراً تحت ضغط الحاجات الملحة . وصحب الانكسار فوضى منكرة في الفهم والتطبيق .. " "٢"

والواقع ان الذى حصل في الدولة العثمانية - من عهد السلطان سليم الثالث اقضع من فتح باب الاجتهاد أو كسره . فالتاريخ يحدثنا ج

---

١) الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي : ٢ / ٥ - ٩ ، وانظر ٤٨/٢ من قوله ففي القرن الثالث و ١٦٣ اذ حدد المؤلف طور الشيخوخة في الفقه بما بين القرن الخامس والرابع عشر وأوضح اسباب ذلك وانظر ماقاله صاحب كتاب المعجب عن حالة الفقه في الثلث الاول من القرن السادس ص ١٧٤ . وانظر الهامش ، وانظر ص ١٧٥ ، ١٧٦ ففيه بيان أن الفقهاء لا يهتمون بالنظر في الاحاديث .

٢) الاسلام والطاقات المعطلة . : ١٠٠ ، ١٠١ ،

" أن المطبعة ادخلت على يد " ابراهيم متفرقة " في أوائل القرن الثامن عشر ، وطبعت فيها الكتب غير الدينية والشرعية ظهر من بعد ذلك عدد من المثقفين العلمانيين من غير رجال الدين " "١"

وان الدولة العثمانية : " استعانت بخبراء أجانب من امثال الفرنسي (Bo nhval) والبارون دى توت " "٢" .

وقد كان أول من بدأ بالاستعانة بالاوربيين السلطان سليم الثالث الذى استعان بهم لتحديث جيشه ليحل محل جيش الانكشارين فاستقدم عددا من المهندسين من السويد وفرنسا لصنع المدافع ، واصلاح مدرسة البحرية ومدرسة الطوبجية التي أسسها البارون دى توت المجرى . . " "٣"

وليت الأمر اقتصر على تنظيم الجيش وتدريبه وتقويته فإن ذلك لا غبار عليه ولا أحد يعارضه لان في قوة جيش الدولة قوة للمسلمين ، ولكن الذى حصل هو ان تنظيم الجيش كان البداية لدخول تنظيمات بل تعديلات حتى في التشريعات الاسلامية ، بل كان الافكار الجديدة بعد الثورة الفرنسية والتي رافقتها كان لها أثر على بعض السلاطين ، فهزت أفكار بعضهم وسار على منوالها البعض الآخر وتأثر بها " "٤"

---

١) التاريخ الحديث للشعوب الاسلامية : ١٧٥ .

٢) المرجع نفسه : ١٧٥ .

٣) تاريخ الدولة العلية العثمانية : ١٧٩ .

٤) التاريخ الحديث : ١٧٥ ، ١٧٦ في الحديث عن سليم الثالث .

ثم ماذا ؟

تولى السلطان محمود الثاني الحكم عام ١٨٠٨ بعد مقتل سلفه سليم الثالث على يد الانكشارية وقد كان يضمر الاصلاح ، ولكنه يخشى أن يصيبه ما أصاب سلفه وكان يبحث عن وسيلة تمكنه من القيام بالاصلاح دون اثارة أعداء الاصلاح عليه .

وحين عزم على تحقيق هذا الاصلاح واجه أزمات معقدة ، ورغم ذلك سار في طريق التغيير الجذرى لنظم الدولة العثمانية على أساس :

١ - الاقتباس من نظم الغرب (westernization)

٢ - وتقوية قبضة الحكومة المركزية على مختلف أجزاء الولايات .

٣ - مع اجتثاث المفاسد من جذورها ان أمكن .

فكانت هذه الخطة الثلاثية هي التي سار عليها السلطان محمود الثاني فكيف نفذها .

كانت الخطوة الاولى هي القضاء على الانكشارية واستطاع ذلك في مذبحة عملها لهم عام ١٨٢٦ "١"

" ثم شرع في تكوين جيش جديد على الطراز الاوربي الحديث واستدعى لتدريبه ضباطا ومهندسين فرنسيين وألمان . وتأسست أكاديمية عسكرية في ١٨٣٤ وارسل بعض خريجيها الى العواصم الأوروبية لاستكمال دراساتهم العليا ... " "٢"

---

١) المصدر السابق : ١٧٦ - ١٧٨ .

٢) نفس المصدر : ١٧٨ بتصرف .

ولم يكتف محمود الثاني بذلك ، بل أنشأ ادارة للترجمة تحولت بعد ذلك الى وزارة للخارجية وأنشأ المجلس الاعلى للقضاء الذى كلف باعداد القوانين الجديدة ، وكان أعضاؤه من مختلف الأديان وانبثق منه مجلس الدولة (شوارى دولت) ..

كما أنشأ مجالس للولايات تضم مسلمين ومسيحين ترتبط هذه المجالس بالولايات المركزية . "١" ولم يكتف محمود الثاني بذلك ، بل ساوى بين المسلمين والنصارى ثم وضع الجزيه عنهم ابنه عبدالمجيد . (٢)
ثم جاء عهد عبد المجيد الاول فأصدر مرسوما بالتنظيمات ، وعرف بخط كلخانة عام ١٨٣٩م وقد كان هو الخطوة الكبيرة الثانية كما يرى الدكتور عبد العزيز سليمان نوار للأخذ بالقوانين الوضعية حين قرر المساواة بين المسلم وغير المسلم فكان ذلك هو الخطوة الاولى لفرض الخدمة العسكرية على غير المسلمين . كذلك ساوى الخط بين الطوائف المختلفة في فرض الضرائب أمام القانون بصفة عامة .

وصدرت في أعقاب هذا الخط سلسلة من القوانين التنظيمية لوضع أسس هذا الخط موضع التنفيذ ، فصدرت القوانين الجنائية والقضائية والمدنية ، وظهرت المحاكم على مختلف أنواعها وصدرت فرمانات بتأسيس بنك الدولة والاوراق النقدية وانشاء جامعة عثمانية . "٣"

واستغل الاوربيون الدولة العثمانية اقتصاديا ، وتوقعوا فتح باب الارساليات التبشيرية والمدارس الاجنبية على مصراعيه .

---

١) المصدر السابق : ١٧٨ - ١٨٠ ، ٢) نفس المصدر ؛ ١٨١
٣) نفس المصدر : ١٨٥ .

واستغلت الدول الاوروبية هذه التنظيمات لاغراضها فسعت فرنسا الى حماية الكاثوليك في الدولة العثمانية ، وسعت روسيا الى حماية الارثوذكس ، وسعى مبشروا بريطانيا الى تحويل مسيحي الكنائس الشرقية الى الكنيسة البروتستنتينية "١"

وفي عام ١٨٥٥ صدر فرمان يرفع الجزية عن المسيحيين ، وفي عام ١٨٥٦ أصدر الخط الهامبوني "٢"

وقد تضمن عدة أمور منها :

- التمكين للدول الاوربية للتدخل في شئون الدولة العثمانية ، والمساواة الدينية ، وفصلت للنصارى حقوقا معينة منها :

- ان المسائل المدنية تكون العهدة في ادارتها الى مجلس مختلط من بين المدنيين ورجال الدين النصراني ينتخبه الشعب بنفسه ، ومنها عدم اكراه المسلم الذى يعتنق النصرانية على الرجوع الى الاسلام بل يسمح له بالردة عن الاسلام واعتناق النصرانية .. " "٣"

وأكد الخط الهاميوني حق الدولة في تجنيد المسيحيين ، وان أبقى على حقهم في دفع البدل العسكرى ، كما سمح للاجانب بامتلاك العقارات وفق شروط معينة . "٤"

---

١) المصدر السابق : ١٨٦ ، ١٨٧ .

٢) نفس المصدر : ١٩٣ .

٣) تاريخ الدولة العثمانية : ١٦١ .

٤) التاريخ الحديث (الشعوب الاسلامية) : ١٩٣ .

وقد رأت الغالبية العظمى من مسيحيي الدولة في صدور هـــذا الخط مظهراً من مظاهر ضعف الدولة وتطلع زعمائهم الى الدول الاوربية ، وتمسكوا بالحقوق التي سنها لهم الخط الهمايوني ، وضربوا صفحاً عـــن مافيه من التزامات عليهم بل تمسكوا بما كان لديهم من امتيازات قد يمـــة تتعارض مع الخط الهاميوني . "١"

وحصلت لبنان بعد هذا الخط وبعد الفتن التي حصلت بيـــن المسلمين والنصارى على استقلال ذاتي بنظام المتصرفية وعين لـــه حاكم نصراني . "٢"

ويقول الدكتور / عبد العزيز سليمان نوار :

" وصدرت بعد الخط الهايوني مجموعة من القوانين التنظيمية التي مست المجتمع العثماني بقوة أهمها :

١ - قانون الاراضي " الطابو " ١٨٥٨

٢ - قانون الولايات ١٨٦٤

٣ - مجموعة القوانين الجنائية والتجارية (١٨٦٠-١٨٦٣) "٣"

يقول الدكتور علي حسون : " واستدعى - اى في عهد السلطان عبد المجيد - الخبرات الفرنسيون والبروسيون لتدريب الضباط وافتتحت المدارس التدريبية للاطباء وموظفي الدولة المدنيين وأرسل الطلبة لاول مـــرة الى أوربا لاتمام تحصيلهم فأنشأت وزارة المعارف وأعلن مبدأ التعليم المجاني

---

١) نفس المصدر السابق : ١٩٣ ، ١٩٤ .

٢) نفس المصدر : ١٩٣ ، ١٩٤ وتاريخ الدولة العثمانية : ١٦٢

٣) نفس المصدر : ١٩٤ .

والاجبارى واعيد تنظيم الادارة المحلية والمركزية ولربما كان الشيء الاكثر خطورة هو ذلك النوع من التعليم العلماني الجديد الذى ادخل الاصلاح السلطة القضائية ولم يبق تحت حكم الشريعة الاسلامية سوى قانون الاحوال الشخصية ، واصدر قانون جنائي جديد يعتمد علي القانون الفرنسي ، ثم نشر قانون تجارى في عام ١٢٦٧هـ وازدادت الاتصالات مع الغرب فمن جهة عين الشبان العثمانيون الذين تعلموا في ديار الغرب دبلوماسيين ..

" وشقت الأزياء الاوربية طريقها الي العاصمة الاسلامية واعطي السلطان المثل بارتداء اللباس الاوربي ومنحه العطايا واقامة المناسبات والحفلات علي ذلك الطراز ..

" وقد أدخل نظريا قانون مبدأ المساواة التامة الغربي الحديث والعلماني في الدولة قبل قانون الرعايا ومع ذلك فمدوها -أى الاوربيون - سطحيه وطالبوا بما اسموه اصلاح الافئدة والعقول وثورتها في صفوف من يقودون دفة الحكم في الدولة ، وازداد تدخلهم في شئونها تحت شعار انصاف النصارى والدفاع عن حقوقهم .. (١)

وقد حدث ذلك بسبب الضغط الاوبي علي الدولة العثمانية ،

يقول الدكتور زين نور الدين زين :

" ... في القرن التاسع عشر ادخلت الدولة العثمانية عددا من الشرائع والقوانين العلمانيه وعممتها في طول البلاد وعرضها وقد جاء هذا التشريع العلماني الحديث نتيجة لعدد من العوامل منها وقع الفكر الغربي علي الامبراطوريه العثمانيه والضغط السياسي الذى كانت الدول الغربية تمارسة في علاقاتها مع الاتراك والمحاولات المختلفة التى قام بها الاتراك انفسهم لاصلاح موءسسات الدولة العثمانية لاسيما التنظيمات " (٢)

ويقول الاستاذ صالح بن عبدالله العبود - بعد ان ذكر الامتيازات التى اعطيت لفرنسا في الدولة العثمانيه - خاصة في التعليم للنصارى الكاثوليك

" ... وهذه الامتيازات التى نفذت منها فرنسا الماسونيه واستطاعت ان تجبر تركيا عليها لمصلحة اليهود ترجع الي ثغرات قد فتحها العثمانيون علي أنفسهم في الداخل والخارج ،امافي الداخل فكهان

---

(١) تاريخ الدولة العثمانية : ١٥٠ ، ١٥١ .
(٢) نشأة القومية العربية على ضوء الإسلام : ٩٢

السلاطين - كما يقول زين نور الدين زين - " لا يطبقون الشرع الاسلامي على الجاليات غير المسلمة الا في حالات نادرة ...

" وفسروا هذا المبدأ بأن على السلطان الفاتح أن يلتزم بما منح الاباطرة البيزنطيون هذه الجاليات من امتيازات وضمانات بل للسلطان أن يضع لهم أحكاما خاصة بهم توفر لهم تصريف امورهم بطريقتهم الخاصة ..

" فنشأ مايسمى نظام الامتيازات وهو نظام كانت تتبعه الدولة البيزنطية الصليبية في الدويلات التي أنشأوها في الشرق الأدنى " "١"

وهكذا بسبب قصور علماء الشريعة عن مجاراة الوقائع المتجددة بالاستنباط الفقهي - الذى نتج عن غلق باب الاجتهاد - اصبحت القوانين الوضعية المستوردة من الغرب تحتل شيئا فشيئا جوانب من حياة المسلمين فتهيمن عليها ، ولم يكن في ذلك مايلفت نظر المسلمين لخطورتها اذ أن المجتمع في الدولة العثمانية كان خاملا ومصابا بالجمود الفكرى ، فاذا أتاه مايحركه استقبل ذلك بترحاب ، واستمر الوضع على هذه الحال حتى لم يبق للشريعة الاسلامية من هيمنة الا على الاحوال الشخصية للاسف، لا بل لم يبق لها في بعض بلاد المسلمين أى شيء فقد قيد الطلاق ، وتعدد الزوجات بقيود غير شرعية ، وابيح للعمال الفطر في نهار رمضان ، وهكذا لم تأت العقود الاولى والوسطى من هذا القرن الميلادى العشرون حتى اصبحت القوانين في اكثر البلاد الاسلامية مقتبسة من القوانين الغربية - فرنسية ، وانجليزية ، وسويسرية وغيرها - .

---

١) فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام : ص ٣٩ .

وبذا حصل الشرك في الطاعة والاتباع ، وأهم ذلك هو الحكم بغير ما أنزل الله !

وهذا يجعلنا نقرر في غير حرج ان انحراف المسلمين في الطاعة والاتباع افرادا وجماعات ودولا - الناتج عن الجهل بحقيقة الاسلام ، وسنن الله في حياة البشر والعجز عن الاجتهاد والاستنباط الاحكام الاسلامية لكل واقعة تحدث لهم مستمدين من القرآن والسنة - كان ولا ريب أحد العوامل الرئيسية لانتقال العلمانية الى بلاد المسلمين .

٢ - الانحراف في توحيد الارادة والقصد " العبادة " :

لابد لمعرفة كيف حصل الانحراف فيي هذا المفهوم وماهي مجاريه الفكرية والعملية - من بيان التصور الاسلامي الصحيح للعبادة ، ولدينا القرآن والسنة وأقوال أئمة السلف المستندة والمستنبطة في القرآن والسنة التي توضح المعنى الصحيح للعبادة .

قال الله تعالى : " قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين" الانعام : ١٦٢ ، ١٦٣ .

" وعن عدى بن حاتم : " انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية : " اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم " الآية ، فقلت : انا لسنا نعبدهم ، قال : اليس يحرمون ماأحل الله فتحرمونه ، ويحلون ماحرم الله فتحلونه ؟ . فقلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم " رواه احمد والترمذى وحسنه .

وقال الامام ابن تيمية في بيان معنى العبادة لما سئل عن ذلك :

" العبادة : اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة . . " "١"

ثم حصل الانحراف من المسلمين في العصور المتأخرة عن العبادة الحقة لله بمعناها الشامل الواسع وصرف ـ للأسف فئام من المسلمين ـ انواعاً من العبادات لغير الله أو اشركوا معه غيره ، فذبح بعضهم لغير الله ، ونذروا لغير الله ، واستعاذوا بغير الله ،واستغاثوا بغير الله ، وطلبوا الشفاعة من الأموات وغلوا في الصالحين والاولياء أو من ضنوهم أولياء ـ أحيانا ـ وخاف بعضهم من غير الله فيما لا يخاف فيه الا من الله ، واشركوا في التوكل ، واحبوا وأبغضوا لغير الله .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيما يرويه علي رضي الله عنه قال : " حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ،لعن الله من آوى محدثا ، لعن الله من غير منار الارض" رواه مسلم .

والله يقول في ذم الاستعاذة بغيره سبحانه وتعالى : " وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا " الجن : "٦" .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن جاءه من الصحابة يستغيثون به من أحد المنافقين انه لا يستغاث بي ، وانما يستغاث بالله" "٢"

---

١) العبودية : ٣٨ . وقد عدد مجموعة من الأقوال والأعمال كأمثلة للعبادة

٢) كتاب التوحيد حق الله على العبيد : ١٤٨ ، ١٤٩ باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره .

وقال تعالى في الشفاعة ونفيها عن البشر الا بعد اذن الله :

" وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون " (الانعام : ٥١) .

وما قلته عن الانحراف في العبادة يشاهده كل مسلم عند المشاهد وقبور الصالحين أو الاولياء حيث تصرف - وللاسف - أنواع من العبادة لأصحاب هذه المشاهد . واذا بدا المسلم واع أن يرد هذه الجموع عن هذا الانحراف لبيان أن العبادة لا يجوز صرف شيء منها لغير الله إحتجوا عليه بأن هؤلاء مقربون عند الله ونحن نطلب الزلفى الى الله عن طريقهم . أو يقولون ان هؤلاء شفاؤها عند الله ونسوا او نسى مشائخهم الذين علموهم أن الله رد هذه المزاعم على مشركي الازمان الغابرة "١" .

١ - وقد فهم المسلمون الاولون أن العمل لعمارة الارض بطاعة الله سبحانه وتعالى من العبادة لأنهم فهموا من القرآن والسنة ذلك ، ولذلك كانوا يسعون في الارض لابتغاء الرزق . وعلموا أنهم انما يعبدون الله بعملهم ذلك لانهم أحسنوا القصد والنية لله .

قال تعالى : " فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون " (الجمعة : ١٠) .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قلت يارسول الله ، هل لي أجر في بني إبي سلمة أن انفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا ؟ انما هم بني فقال : نعم لك أجر ما أنفقت عليهم " متفق عليه .

---

(١) انظر في بيان ذلك : سورة يونس : آية ١٨ ، وسورة الزمر : آية "٣" .

وغيرها من الاحاديث الدالة على أن الكسب وطلب المعيشة اذا اقترنت بنية صالحة كانت عبادة يؤجر عليها ، واذا اقترنت بنية فاسدة كانت معصية يعاقب عليها .

٢ - كما فهم المسلمون الاوائل أن التوكل على الله لا يعني ترك الاخذ بالاسباب بل ان التوكل الحقيقي هو في عمل الاسباب " اعقلها وتوكل " "١" كلمة قالها صلى الله عليه وسلم للاعرابي الذى دخل المسجد وترك ناقته غير معقولة فلما خرج وجدها قد هربت . ولقد انحرفت مفاهيم المسلمين في هاتين القضيتين :

١ - لقد وجد أول الامر اناس تركوا العمل " زهدا في متاع الدنيا " واستندوا في ذلك الى بعض آيات وأحاديث تنهى عن التكالب على الدنيا فظنوا ان العمل للدنيا واكتساب الرزق أمر ينهى عنه الاسلام ونسوا ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال في مقابل ما احتجوا به من احاديث : " نعم المال الصالح للمرء الصالح " "٢" فراحوا يستسلمون للدعة والكسل ويأوون الى الخلوات والزوايا ، ثم خلف هؤلاء خلف تطور الامر بهم الى أن وضعوا أحاديث في التنفير من الدنيا وبغضها نذكر منها :

ترك الدنيا أمر من الصبر ، وأشد من حطم السيوف في سبيل الله ، ولا يتركها احد الا اعطاه مثل مايعطي الشهداء ، وتركها قلة الاكل والشبع ، وبغض الثناء من الناس .

---

١) اخرجه الترمذى عن أنس وحسنه .
٢) اخرجه احمد : ٤/١٩٧ ، ٢٠٢ .

* حب الدنيا رأس كل خطيئة .

* من أصبح ، والدنيا أكبر همه ، فليس من الله في شيء . "١"

" وقال أبو سليمان الداراني : اذا طلب الرجل الحديث أو سافر في طلب المعاش أو تزوج فقد ركن الى الدنيا " "٢"

" وقال الجنيد - وهو سيد طائفة التصوف - كما يسمونه :

" احب للمبتدىء الا يشغل قلبه بهذه الثلاث ، والا تغير حاله :

١) التكسب .

٢) طلب الحديث (كذا !!!)

٣) والتزوج . وواجب الصوفي الا يقرأ ولا يكتب ، لانه أجمع لهمه " "٣"

بل وصل الامر بهولاء - الذين عرفوا في التاريخ الاسلامي بالمتوصفة - الى تأويل الاحاديث الصحيحة على غير ماتدل عليه ليؤيدوا مذهبهم في الخمول والدعة والاتكالية المتناهية على الاخرين .

فقد ذكر الشيخ أبو طالب المكي ان بعض الصوفية أول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اطيب ما اكلتم من كسبكم بأنه المسألة عند الفاقة .. (كذا !!) "٤"

---

١ - ٤) التصوف بين الحق والخلق : ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٤٣ / ، / ، ١٣٠ ، ١٣١ / ١١٢

وانظر هذا التصور المضحك المحزن في آن واحد من علم من أعلام المتصوفة :

" قيل لابي يزيد مانراك تشتغل بكسب فمن أين معاشك ،

فقال : مولاى يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق ابا زيد " "١"

وهكذا ساعدت هذه الاحاديث الموضوعة واقوال هؤلاء الزعماء وتأويل الاحاديث على غير ما تدل عليه ، ساعد كل ذلك على انتشار الدعة والخمول والاتكالية على الغير في طبقات معينة من المجتمع الاسلامي فتعطل بذلك جزء كبير من طاقات الامة الاسلامية وانتشرت البطالة باسم التدين والدين من ذلك براء فحق عليهم وصف " الطاقات المعطلة " وهي معطلة ذاتيا لم تجبر على التعطل والتبطل .

ولعل خير مايرد على هذا التصور البائس للزهد ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو قدوتنا الذى أُمرنا بالاقتداء به .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه " ان نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر ؟ فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا آكل اللحم وقال بعضهم : لا أنام على فراش ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : مابال أقوام قالوا كذا وكذا ؟ ولكني اصلي وأنام ، وأصوم وأفطر وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " متفق عليه .

---

١) المرجع السابق : ٢/ ١١٢ . ان أبا يزيد حين قال هذا الكلام غفل عن أن الكلب والخنزير رزقا بعد أن بحثا عن الرزق فاحتجاجه برزقهما إحتجاج غير صحيح ، وهذا ما يؤسف له ويجعل الألم يعتصر قلب المسلم لما وصل اليه بعض من كان بأيديهم القيادة الفكرية لعامة المسلمين من المستوى الفكرى المنحط .

وانظر الى الفهم السليم للزهد في هذا القول للامام احمد بن حنبل رضي الله عنه :

" سئل الامام احمد عن الرجل يكون معه مائة الف دينار هل يكون زاهدا ؟ قال : نعم ، بشرط أن لا يفرح اذا زادت ، ولا يحزن اذا نقصت " "١"

ولا ريب أن لنشأة هذه النزعة ـ أول مانشأت ـ أسباباً معينة لانها لم تنشأ في فراغ بل نشأت في مجتمع ، ولعل من أسباب نشوء هذه النزعة ـ التي بدأت أول مابدأت زهداً معقولاً ثم تطورت الى زهد لم يأمر به الاسلام ، ثم انتقلت الى نزعة لها فلسفة معينة في كل الامور دخلت على المتصوفة من البوذية والنصرانية والافلاطونية الحديثة والفلسفة الاشراقية "٢" ـ لعل من الاسباب انحراف الخلافة ، ثم انغماس الناس في الترف وانصرافهم عن الاهتمام بالآخرة .

يقول الاستاذ الغزالي في ذلك :

" ... اقبل العامة بقيادة المتصوفين ـ على الطقوس والاوراد ـ وأقبل الحكام ومن في حجوا شيهم وركابهم على الشهوات والملذات . وهذا الخلط الصوفي الاحمق يعتبر أول صدع أصاب التفكير الاسلامي في صميمه بل أول تصدع أصاب كيان الامة الاسلامية فيما بعد ـ بالانهيار " "٣"

---

١) عدة الصابرين : ٩٠ .

٢) انظر لمعرفة أثر الفلسفات الوثنية على التصوف كتاب الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي : ٢ / ٥٣ ، وانظر ٥٩ ففيه مايؤكد ذلك . وكتاب ظهر الاسلام : ٤ / ١٥٤ - ١٥٦ .

٣) الاسلام المفترى عليه : ٦٨ .

وهكذا أصبح الاسلام في نظر هؤلاء كما يتضح من عباراتهم محصورا في الشعائر والاوراد المشروعة وغيرها فانحسر بذلك مفهوم العبادة وأصبح يتعذر بسبب هذه النظرة المنحرفة القيام ببعض أركان الاسلام كالزكاة .

لقد كان المسلمون الاوائل يستشعرون في قرارة أنفسهم أنهم يعبدون الله حتى وهم يسعون لطلب الرزق ، أو لطلب العلم ، أو يسيحون في أرض الله ، دون أن يوجد في نفوسهم شعور بالانفصام والثنائية بين الشعائر وهذه الاعمال . ولكن أصبح المريد من المتصوفة - الذي انحصر عنده مفهوم العبادة في الصلوات والاوراد يحس بأن جزءاً كبيراً من حياته فارغ فيلجأ الى شيخه لملأ هذا الفراغ ، فيكلفه الشيخ بدوره بحفظ أوراد كثيرة لم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرووها بطريقة غير شرعية . وأحيانا يكلفه بما يسمى السياحة في الارض بلا زاد حتى يقوى ايمانه ويصدق في توكله - كما زعموا - .

وهكذا تطور الامر الى انحراف مفهوم العبادة ذاته بعد أن كان الانحراف متمثلا في انحسار مفهوم العبادة في أعمال الصلاة والذكر . اذ المريد أصبح يستقي الاذكار - وهي عبادة - من غير الكتاب والسنة .

هذا هو التصور الغالب على المسلمين في القرون المتأخرة ، وهذه هي حالتهم الغالبة ، لكن ذلك لا يعني أنه لم يوجد احد من المسلمين مخالف لهذا الواقع يفقه المعنى الصحيح للعبادة ويسير عليه خاصة العلماء بل وجد من اعرض على هذه السخافات وبشدة كابن تيميه وابن القيم وابن الجوزى وغيرهم ممن الفوا كتبا في انكار هذه الانحرافات حتى من

القرن السابع عشر

كما أن معظم الناس في القرون المتأخرة برغم هذا الانحراف لم ينقطعوا عن الدنيا بل كانوا يعملون فيها ويسعون في الارض الا إنه كان ينتابهم شعور بالذنب لأنهم يرون أنهم لا يعبدون الله حين يقومون بذلك لما رسخ في حسهم من أن العبادة لله تكون في الاكثار من الصلوات والاذكار ونسوا أنهم حين يسعون في الارض انما يقومون بجزء من العبادة .

" وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " الذاريات: ٥٦

" هو الذي أنشأكم من الارض واستعمركم فيها " (هود : ٦١)

" هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه " (الملك : ١٥) .

وقعت هذه الانحرافات قبل قيام الدولة العثمانية ، وعندما سيطر العثمانيون إزداد الانحراف حتى أصبح في حس معظم الناس أن العبادة نفسها هي مايأمر به الاولياء - المزعومون - من البدع وبهذا وقعت في شرك حقيقي بما كان الجهلة -لا بل بعض العلماء - يمارسونه من تقديس للموتى والاعتماد عليهم في جلب النفع ودفع الضر ، بل وصل الأمر الى حالة أسوأ فقد كانت الجموع الحاشدة من الجماهير المسلمة الجاهلة يستغيثون بالسيد والولي حتى في حال الكرب والشدة .

قال الامام محمد بن عبد الوهاب :

" القاعدة الرابعة : ان مشركي زماننا اعظم شركا من الاولين ، لان الاولين كانوا يخلصون لله في الشدة ويشركون في الرخاء ، ومشركوا زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة والدليل قوله تعالى : " فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فسوف يعلمون " "[١]

---

(١) مجموعة التوحيد : ٢٥٦ .

وقال الاستاذ الغزالي : ـ بعد أن سرد حوارا بينه وبين أحـد الذين يتعلقون بالموتى للتوسل بهم ـ " ان الخاصية الاولى في الاسلام أنه دين التوحيد المطلق . ويظهر أن بعض الناس تهبط طبائعهم دون ذلك فيجنحون الى الاوهام المجسمة لينشئوا علاقات معها تتمو علـى حساب التوحيد الخاص !

وقديما عندما هاجم التتار بغداد ، سُمع بعض المغفلين مـن هؤلاء يقولون :

يا خائفين من التتـر لوذوا بقبر أبي عمر

ولا أعرف أبا عمر هذا ، ولا قبره ، سواء كان صالحا أو طالحا ، فإن اللياذ به لا يغني شيئا .

وقد سقطت بغداد ، وأُعمل السيف في رقاب الرعاع اللائذيـن به ... وكان بعض الحشاشين في القاهرة يستكثر أن يحتلها الانجليز ، وفيها قبر فلان وفلان من الائمة ، ماذا دهى المسلمين حتى سرت بينهـم تلك الخزعبلات ؟ فاذا شرحت عقيدة التوحيد في أدب وتيسير جاء مـن يتهمك بعداوة الصالحين " "١"

---

(١) ركائز الايمان : ٢٧٤ ، ٢٧٥ . وانظر ماكتبه الجبرتي عن القصة المحزنة المخزية في العنز المقدسة التي كان يقدسها مـن يسمى الشيخ عبد اللطيف ، والتي ذبحها الوالي وقدمها طعاما له ولاتباعه وحاشيته ثم بكّت الشيخ وتهكم به : ١ / ٤٠١ - ٤٠٣ .

٢ ـ أما عن الانحراف في مفهوم التوكل فيمكن القول بأن التوكل على الله كان هو الباعث للصحابة والتابعين على الجهاد والانطلاق والحركة في الارض لعمارتها بطاعة الله واقامة شرعه فكيف انحرفه وانقلب هذا المفهوم الى تواكل ودعة وخمول في القرون المتأخرة من حياة المسلمين ؟

لا يمكن أن نعرف ذلك الا اذا عرفنا معنى التوكل الحقيقي والمعين الذى نأخذه ونستنبط منه نحن المسلمين مفاهيمنا ـ هما القرآن والسنة النبوية فماذا في القرآن والسنة ؟

يقول الله تعالى : " وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله .. " (آل عمران : ١٥٩) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه عمر بن الخطاب : " لو انكم تتوكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا " "١"

فالآية ترشد الى أن على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى المؤمنين برسالته ان عليهم أن يتشاوروا فيما بينهم فاذا عزم القائد ـ بعمل الاسباب ـ فليتوكل على الله في حصول النتيجة .

والحديث واضح الدلالة على هذا المعنى ايضا فالطير تغدو في الصباح الباكر ضامرة من الجوع وتأتي مساء شبعى فهي تسعى في ارض الله لطلب الرزق فيحصل لها ذلك . فعلى المؤمن أن يسعى في طلب الرزق

---

(١) اخرجه احمد في مسنده : ١/ ٣٠ ، والترمذى في سننه : ٢/ ٥٥ وابن ماجه في سننه : ٤١٦٤ والحاكم في المستدرك : ٤/ ٣١٨ .

بأسباب يتوصل بها الى ذلك ، ويتوكل على الله في حصول النتيجة فقد يسعى الانسان لعمل ولا يفيد منه وذلك لان الله قدر له أن لا يفيد رزقاً من هذا العمل وكذا طالب العلم قد يتوجه الى دراسة علم من العلوم ولكنه لا يوفق فيه لأن الله قدر له أن يوفق في علم آخر وهكذا ، فإن الاسباب لا تؤثر في المسببات ولكنها وسيلة لحصول السبب .

وقد فهم السلف الصالح هذا الفهم السليم .

فقد بكت عمر بن الخطاب جماعة من أهل اليمن كانوا يحجون بلا زاد ، فذمهم " قال معاوية بن قرة : لقي عمر بن الخطاب ناسا من أهل اليمن ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن المتوكلون ، قال : بل أنتم المتأكلون ، انما المتوكل الذى يلقي حبة في الارض ، ثم يتوكل على الله " . "١"

ولهذا لما فهم اعرابي - التوكل فهما خاطئا فلم يعقل ناقته بل تركها عند باب المسجد بلا عقل فهربت - قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : " اعقلتها وتوكل " فقد ارشده الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعمل السبب الذى يكون به في الغالب حفظ الشيء ويتوكل على الله في النتيجة .

هذا مافهمه السلف رضوان الله عليهم في التوكل ، ولكنه خلف من بعدهم خلف من متصوفة القرون الاخيرة ، ومن الجهلة المتبعين لهم فانقلب التوكل عندهم الى تواكل سماه بعضهم يقينا وسماه آخرون قناعة " والكل مخطيء في هذا الفهم . ومن المؤسف حقا أن يكون تصور بعض العلماء الذين يشار اليهم بالبنان هذا التصور الخاطيء . يقول ابو حامد

---

(١) جامع العلوم والحكم : ٤١٤ شرح الحديث التاسع والاربعون .

الغزالي في شرح مقامات التوكل في ملابسة الاسباب مايلي :

" والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب على ثلاث مقامات : (الاول) مقام الخواص ونظرائه ، وهو الذى يدور في البوادى بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر اسبوعاً ومافوقه ، أو تيسير حشيش له أو قوت او تثبيته على الرضا بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك ، فإن الذى يحمل الزاد قد يفقد الزاد ويصل بغيره ويموت جوعاً ، فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن مع فقده .

(المقام الثاني ة) : ان يقعد في بيته أو في مسجد ولكنه في القرى والامصار وهذا أضعف من الاول ، ولكنه ايضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة ، معول على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الاسباب الخفية ولكنه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق ، فإن ذلك من الاسباب الجالبة ، الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذى يسخر له سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد ، اذ يتصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريك دواعيهم .

(المقام الثالث) : أن يخرج ويتكسب اكتسابا على الوجه الذى ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب .. "(١)

---

(١) احياء علوم الدين : ٤/ ٢٦٨ . وهذا الترتيب من الغزالي يجعله المقام الاول هو مقام الخواص من الناس والمقامات الثانية هي لعامة الناس يشعر بفهم منحرف لمعنى التوكل فالناس في التعامل مع ربهم سواء .

وقال فيه كلاما حسنا .. واذا علمنا أن الغزالي رحمه الله قال هذا الكلام وجحافل الجيوش الصليبية في حملتها الاولى تدك معاقل المسلمين ادركنا مدى الانحراف في الفهم الذى وقع فيه حتى العلماء ، بل قال بعض مشائخ المتصوفة : " لو توكلنا على الله تعالى ما بنينا الحيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقا مخافة اللصوص " "١"

ويقول الامام ابن تيميه :

" ... فكل ما أمر الله به عباده من الاسباب فهو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة كما في قوله تعالى : " ... فاعبده وتوكل عليه " وفي قوله : " قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب " وقول شعيب عليه السلام " عليه توكليت واليه انيب " . "٢"

ويقول الدكتور حسن الترابي في نقد الفهم الخاطي للتوكل كلاما حسنا هذا نصه :

" ... فالتوكل شعبة من شعاب الايمان تهيء المؤمن في واقع الدنيا لحياة عامرة بضروب العمل الصالح مفعمة بوجوه الخير وفقاً لتوجيهات الشريعة وحدودها وهو لذلك ايجاب لا سلب يدفع للاقدام لا للقعود .

" وينبغي لذلك أن تنفى عن عقيدة التوكل الصحيحة بعض التصورات الواهمة التي انحدرت اليها معتقدات العامة من بعض المسلمين ، فقد أخذوا من التوكل معنى التعطل ومن القضاء والقدر معنى الجبر المحتوم فانتهوا الى الخنوع والقعود عن محاولة التأثير الفعال في الحياة اعتذاراً

---

١) التصوف بين الحق والخلق : ٤٣ .

٢) العبودية : ٧٣ .

بأن القدار جاء على وجهه المكتوب مهما فعلوا واتكالا على أن الله سييسر لهم الخير مهما تركوا ،

" والحق أن اقدار الله هي أسباب الطبيعة وقواها وما الانسان بقوته الا بعضاً منها ولكنه مدعو - ومدعوم بسلطان من الله - الى تفهم تلك الاسباب واقحام جهده فيها وتسخيرها بعضها على بعض. ولا يملك الانسان أن يغير السنن والاسباب المقدرة وانما يحاول أن يرتب التفاعل بينها لنحو نتيجة يبتغيها ، فإن أصاب في محاولته وأدرك مبتغاه كانت النتيجة من كسبه هو بهذا الوجه ولكنها في الحقيقة الكلية من قضاء الله خالق الكائنات - انسانا وما سواه وقدر قواها وقاضي مصائرها ، وليس التوكل أن يزهد الانسان في العلم والعمل بدعوى التفويض الى الله اذ لا يترتب على ذلك سوى أن تجرى معادلات الاسباب وتفاعلاتها بمعزل عن تدخله وتستقر عند نتائجها المقضية بسنن الله واوامره . وانما يعني التوكل ثقة الانسان بالله ومن ثم الاستعانة بما يوقن به من حقائق الايمان ومايتعلمه من قواعد الشريعة ليزداد تفهماً للسنن الكونية ودراية بالمسالك المودية الى ماينبغي من الخير " "١"

ومنذ أن فهم المسلمون في العصور الاخيرة هذا الفهم الخاطيء للتوكل الذى أصبح اتكالية وتواكلاً غطوا في نوم عميق ولم يستفيقوا الا على زحف المدنية الغربية ممثلة في الاستعباد الغربي للعالم الاسلامي - وهي تدمر معاقلهم . وفوجيء المسلمون بذلك مفاجأة أذهلتهم عن أنفسهم

---

١) الايمان وأثره في حياة الانسان : ٤٣ ، ٤٤ ، وانظر ماقاله شارح العقيدة الطحاوية : ٣٠١ .

وزلزلت ايمان بعضهم بذ ينهم . ذلك الايمان الذى كان خاملا مدة طويلة من الزمن حتى اعتقد بعض المسلمين أن الدين الاسلامي وعقيدة القضاء والقدر والتوكل على الله هي سبب تأخر المسلمين وجهلهم هم ذلك لانهم عاشوا في مجتمع لا يعرفون فيه من شعائر الدين الا ماخطه لهم مشايخ الطرق الصوفية المنتشرة في العالم الاسلامي - من الصلوات والاوراد - غير المشروعة في غالبها . كما انهم لا يعرفون من قواعد الايمان واركانه الا ان يرضى كل مسلم بما كتب له - حسب المفهوم المنحرف للقدر - كما أنهم باسم الزهد في الدنيا والاستسلام) الذليل للفقر والذل - بحجة الايمان بالقدر والتوكل على الله - تقهقروا أمام الزحف الاستعبادى للدول الأوروبية وضاع كيانهم السياسي والفكرى والعلمي .

الانحراف في مفهوم الايمان بالقدر :

لمعرفة كيف انحرف المسلمون في فهمهم للايمان بالقدر وما هو المسار الذى ساروا عليه في هذا الانحراف ؟ لابد من معرفة التصور الصحيح للايمان بالقدر .

يقول الامام ابن تيميه :

" والقدر يؤمن به ،ولا يحتج به ،بل العبد مأمور أن يرجع الى القدر عند المصائب ، ويستغفر الله عند الذنوب والمعايب كما قال تعالى : " ٤٠ - ٥٥ فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك " ولهذا حج آدم موسى عليهما السلام لما لام موسى آدم لأجل المصيبة التي حصلت بأكله من الشجرة ، فذكر له آدم " ان هذا كان مكتوبا قبل أن اخلق ،

فحج آدم موسى " كما قال تعالى : " ٥٧ : ٢٢ ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير " وقال تعالى : (٦٤ : ١٢ ما أصاب من مصيبة الا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه "

وقال بعض السلف : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم .

فهذا وجه إحتجاج آدم بالقدر ، ومعاذ الله أن يحتج آدم ، أو من هو دونه من المؤمنين على المعاصي بالقدر فإنه لو ساغ هذا الساغ أن يحتج ابليس ومن إتبعه من الجن والانس بذلك ، ويحتج به قوم نوح وعاد وثمود وسائر أهل الكفر والعصيان ، ولم يعاقب ربنا أحداً ، وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار شرعاً وعقلاً .

فإن هذا القول لا يطرده أحد من العقلاء ، فإن طرده يوجب أن لا يلام أحد على شيء ولا يعاقب عليه .

" وهذا المحتج بالقدر : لو جنى عليه جان لطالبه ، فإن كان القدر حجة فهو حجة للجاني عليه ، والا فليس حجة لا لهذا ولا لهذا .

" ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبولا : لم يكن للناس أن يعيشوا ، اذ كان لكل من اعتدى عليهم أن يحتج بذلك فيقبلوا عذره ولا يعاقبوه ولا يمكن اثنين من أهل هذا القول ان يعيشا ، اذ لكل منهما أن يقتل الآخر ، ويفسد جميع اموره محتجا على ذلك بالقدر " . "[1]

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم : ٤٦٣ ، ٤٦٤ .

ولم يكن الايمان بالقدر يعني ترك العمل بالاسباب ، لأن الله قدر الاشياء بأسبابها يوضح ذلك الامام ابن تيميه رحمه الله حيث يقول : وهو - يعد قاعدة عظيمة في هذه القضية - " ... وبين صلى الله عليه وسلم أن الأسباب المخلوقة والمشروعة هي من القدر فقيل له : " أرأيت رقى تسترقي بها ؟ وتقي نتقي بها ؟ وأدوية نتداوى بها هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال : هي من قدر الله

" فالالتفات الى الاسباب واعتبارها مؤثرة في المسببات ، شرك في التوحيد ومحو الاسباب أن تكون اسبابا نقص في العقل ، والاعراض عن الاسباب المأمور بها قدح في الشرع ؛ فعلى العبد أن يكون قلبه معتمدا على الله ، لا على سبب من الاسباب ؛ والله ييسر له من الاسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة .. " "١"

وقد أدرك أحد المستشرقين الألمان - للأسف - على كفره ؛ الفرق بين الايمان بالقدر كما فهمه السلف ، والذى جعلهم أمة فاعلة في الارض نشرت لواء الاسلام فوق ثلثي المعمورة في ذلك الوقت ، وبين إيمان الخلف - الذين أثر فيهم المتصوفة - بالقدر . قال :

" ... ان طبيعة التدين هي شعور بقوة غيبية مقدسة لها سلطان على المتدين تخضعه لطاعتها وتوجهه حسب إرادتها ، فالمتدين يتلقى الاوامر وينفذها دون اعتراض ، بل يحاول التقرب الى هذه القوة بتنفيذ ماسنته من شرائع وما أوحت به من سنن ، ولم تبلغ درجة هذه الطاعة

---

١) فتاوى ابن تيميه : ٥٢٨/٨ ، وانظر كذلك زاد المعاد ٦٧/٣

والخضوع في الاديان - بما في الاديان كلها - قوة ما بلغته في الاسلام ،
(فكلمة الاسلام تعني الاستسلام) فطبيعة المسلم التسليم لإرادة الله
والرضا بقضائه وقدره والخضوع بكل مايملك للواحد القهار ،

" وكان لهذه الطاعة أثران مختلفان : ففي العصر الاسلامي الاول
لعبت دوراً كبيراً في الحروب اذ حققت نصراً متواصلاً ، لأنها دفعت في
الجندى روح الفداء .. وفي العصور الاخيرة كانت سبباً في الجمود
الذى خيم على العالم الاسلامي ، فقذف به الى الانحدار وعزله وطواه
عن تيارات الاحداث العالمية . " "١"

وهذا النص يوضح أن الذنب هو ذنب المعتقدين لا ذنب العقيدة
فالعقيدة واحدة ومع ذلك أدت الى اثرين مختلفين بسبب حسن الفهم في
العصور الاولى ، وسوء الفهم في العصور الاخيرة ،

ولقد تنبه الى هذا الامر وصاغه في شعر جميل الشاعر الاسلامي
محمد اقبال اذ قال :

من القرآن قد تركوا المساعي وبالقرآن قد ملكوا الثريا
الى التقدير ردوا كل مسعى وكان زماعهم قدرا خفيا (اوحقيا)
تبدلت الضمائر في اسار فما كرهوه صار لهم رضيا "٢"

ومعنى هذه الابيات أن المسلمين قد احتجوا في عصورهم الأخيرة
بالقرآن في ترك السعي والعمل زاعمين أن ماقدر للانسان سيكون حتى لو
لم يعمل ، وقد ملك آجدادهم الثريا بالعمل بالقرآن والاحتجاج به ،

---

١) الاسلام قوة الغد العالمية : ٧٧ ، ٧٨ .
٢) ضرب الكليم : ٩ .

ذلك أن عزم أجدادهم كان قدرا من أقدار الله .

ولا ريب أن كل ما أصاب المسلمين من ذل وهزائم حسية ومعنوية - كان بقدر الله الذى لا تخفى عليه خافية ، العالم بما كان وما سيكون ، لكن المسلمين في العصور المتأخرة حرفوا هذا المفهوم فجعلوا من الايمان بالقدر مبرراً لعجزهم وانهيارهم ، غافلين عن حقيقة أولية ثابتة من حقائق الايمان وهي أن اقدار الله تجرى عليهم وعلى البشر وفق سنن ثابتة سنها الله جل وعلا وأوضحها في القرآن ، فالمسئولية مسئولية المسلمين وحدهم .

وبعد أن وصل المسلمون الى هذا الحد من الانحراف في التصورات الاسلامية للطاعة والاتباع ، والعبادة ، والتوكل والقضاء والقدر ، أصبح من السهل أن يقال للناس إن هذا الدين لا علاقة له بالحياة ، وإنما هو رابطة تربط قلب الانسان بربه ليبنجو في الآخرة ، أما في هذه الدنيا فليس له علاقة بها ، وليس من شأنه أن يهيمن عليها . وكان هذا هو المنفذ الذى تسربت منه العلمانية كاحدى مظاهر الغزو الفكرى للعالم الاسلامي .

وهكذا انتقلت الفكرة العلمانية - وهي فكرة أجنبية - الى العالم الاسلامي ووجدت المناخ مناخاً مناسباً بما وصلت اليه الحالة الفكرية والعلمية والسياسية من الوضع السيء المنحط .

والحق أن إنتقال هذه الفكرة الى العالم الاسلامي ماكان ليحدث لولا أن المسلمين كانوا مصابين بما أسماه المودودى رحمه الله ب " قابلية الاستعباد " وما اسماه مالك بن رحمه الله ب " قابلية الاستعمار " .

يؤيد هذا ، ان الامة الاسلامية تعرضت لغزوتين شرستين هما : الغزوة الصليبي والتترى . ومع ذلك لم تخنع الامة الاسلامية للامم الغالبة ، ولم تقتبس من مناهجهم ونظمهم شيئا بل التاريخ يحدثنا أن

الحروب الصليبية كانت إحدى معابر الحضارة الاسلامية الى أوربا كما يحدثنا التاريخ أن المغول قد اعتنقوا الاسلام ولم يحدث في تاريخ البشر أن اعتنقت الامة الغالبة دين الأمة المغلوبة ، وماذاك الا لأن المسلمين لم يكونوا قد وصلوا الى ماوصلوا اليه من الانحراف الذى وصلوا اليه في القرون الاخيرة .

وبعد أن عرفنا شيئاً عن الانحراف الذاتي للمسلمين وهو عامل حاسم في التهيئة لانتقال العلمانية الى العالم الاسلامي ننتقل الى بيان أثر عامل آخر في نقل العلمانية الى العالم الاسلامي الا وهو " ماعدد من المفكرين تأثروا بالفكر العلماني الغربي شعورا أم لم يشعروا " .

ب - مفكرون كان لهم أثر في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي :

سوف أستعرض في هذه الفقرة من هذا الفصل آراء وأفكار مجموعة من الكتاب الاوائل الذين عاشوا في الفترة من ١٢١٦ هـ الى ١٣٤٣ هـ (١٨٠١م - ١٩١٦م) وسوف يتضح من هذا الاستعراض مدى تأثير أفكار هؤلاء الاشخاص في انتقال الفكر العلماني الى العالم الاسلامي ، وان كان أغلبهم لم يقصد الى ذلك وانما كانت آراءهم وأفكارهم التي سطروها ردود أفعال معينة لاحداث عاصروها خاصة الاحداث السياسية ، وللحالة الاجتماعية السيئة التي يعيشها المسلمون في تلك الفترة ، ولحالة الركود العلمي والفكرى التي سيطرت على العالم الاسلامي في القرون الاخيرة من الخلافة العثمانية مما تسبب عنه الجهل المطبق في علوم الشريعة وغيرها من العلوم النافعة ، فإذا أضيف الى ذلك ما رآه المتقدمون من هؤلاء الكتاب من بريق المدنية الغربية وقرب عهد أوربا بالثورات التي غيرت وجه أوربا ونقلتها من عهد الى عهد جديد مغاير للعهد الاول - خاصة الثورة الفرنسية اللادينية التي كان لليهود كما سبق أن ذكرنا الدور الكبير في قيامها ، خاصة من سافر منهم الى اوربا كالطهطاوى وخير الدين التونسي - أدركنا الأثر الذى كان لهؤلاء المفكرين في العالم الاسلامي .

أما رفاعة رافع الطهطاوى (١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ) (١٨٠١ - ١٨٧٣م) فقد أقام في باريس خمس سنوات موفداً لمرافقة البعثة المصرية الاولى الى فرنسا والتي بعثها محمد علي باشا للدراسة هناك وقد درس في باريس .

وأما الآخر وهو خير الدين التونسي (١٢٢٥ - ١٣٠٨ هـ) (١٨١٠ - ١٨٩٠م) فقد أقام في باريس أربع سنوات (١٨٥٢ - ١٨٥٦) "١"

يقول عنهما الدكتور محمد محمد حسين مايلي :

" نستطيع ان نجد فيما كتبه كل منهما آراء مشتركة ، هي صدى لتفكير القرن الثامن عشر في أوربا ، وفي فرنسا الثائرة بوجه خاص ، وهي آراء تظهر للمرة الاولى في المجتمع الاسلامي ، ربما رددناها عن حسن قصد دون أن يسبرا اغوارها البعيدة أو يتعمقا حقائقها ، ولكنهما على كل حال قد وضعا البذور التي تعهدها من جاء بعدهما بالسقي والرعاية حتى نمت وضربت جذورها في الارض . وربما عرضت بعض هذه الآراء عرضاً سريعاً عاجلاً قد يبدو ضئيل الخطر ولكن أهمية الطهطاوي وخير الدين ترجع الى أنهما قد جلبا هذه البذور الغربية والقياها في التربة الاسلامية "٢"

ويرى الدكتور محمد محمد حسين أن الكلام عن الوطن والوطنية بالمعنى القومي الحديث في أوربا ، والاهتمام بالتاريخ القديم لتدعيم هذا المفهوم الوطني الجديد ، والحديث عن الحرية بوصفها الأساس في نهضة اى أمة ، والدعوة الى وضع مدونة فقهية واضحة محدودة ، في صورة مواد قانونية ، على نمط المدونات القانونية الاوربية ، ونقل النظريات الثورية التي تريد مناقشة الحكام فيما عليهم من واجبات وتبصر الشعوب بما لهم من

---

١) الاسلام والحضارة الغربية : ١٧ .

٢) نفس المصدر : ١٧ .

حقوق ، والعرض للنظم الاقتصادية الغربية القائمة على المصارف والشركات ، عرضا مجردا احيانا من التعليق ، ومشوبا بالإعجاب والتساؤل عن امكان تطبيقه بين المسلمين أحيانا أخرى ، وكذا الحديث عن المرأة ومايتعلق بها من تعليم ، ومنع تعدد الزوجات وتحديد الطلاق ، واختلاط الجنسين كل ذلك نجده لدى هذين المفكرين ونجد انهما أول من طرق هذه الموضوعات في العالم الاسلامي . "١"

وجاء في كتاب " الحركات الاستقلالية في المغرب العربي " عن خير الدين مايلي :

انه " .. من المصلحين الذين تأثروا بمبادئ الثورة الفرنسية واقتنعوا بأن على الشرق أن يغير أساليب الحكم الاستبدادي الذي جرى عليه " "٢"

والآن سوف أستعرض جملة من الآراء لهذين المفكرين ثم أعقبه باستعراض جملة من آراء المفكرين الآخرين .

يقول الشيخ رفاعة الطهطاوى عن الوطن والوطنية وحب الوطن مايلي :

" فابن الوطن المتأصل به ، أو المتنجع اليه ، الذى توطن به واتخذه وطنا ينسب اليه تارة والى اسمه فيقال : مصرى ، والى الاهل فيقال : أهلي والى الوطن فيقال : وطني ، ومعنى ذلك أنه يتمتع بحقوق بلده ، واعظم هذه الحقوق الحرية التامة في الجمعية التأنسية ،

---

١) المصدر السابق : ١٧ ، ١٨ .
٢) الأعلام : ٢ / ٣٢٧ هامش

ولا يتصف الوطني بوصف الجريمة الا إذا كان منقاداً لقانون الوطن ومعيناً على إجرائه . فانقياده لأصول بلده يستلزم ضمنا ضمان وطنه له التمتع بالحقوق المدنية ، والتميز بالمزايا البلدية ، فبهذا المعنى هو وطني وبلدي .. " "١"

وقال أيضا :

" .. فمحض تعصب الانسان لدينه لا ضرار ، غير أنه لا يعد الا مجرد حمية وأما التشبث بحماية الدين لتكون كلمة الله هي العليا فهو المحبوب المرغوب " "٢"

" ان الاخوة في الانسانية تلزم عبادة الله ... ثم إن اخوة العبودية التي هي التساوى في الانسانية عامة في حقوق أهل المملكة بعضهم على بعض التي هي حقوق العباد وهناك حقوق العبودية الخاصة التي هي الاخوة الاسلامية وهي اكتساب مايصير به المسلمون اخواناً على الاطلاق" "٣"

" فجميع مايجب على المؤمن لأخيه المؤمن يجب على اعضاء الوطن في جميع حقوق بعضهم على بعض لما بينهم من الأخوة الوطنية فضلاً عن الاخوة الدينية فيجب أدباً لمن يجمعهم وطن واحد التعاون على تحسين الوطن وتكميل نظامه فيما يخص شرف الوطن واعظامه وغناه وثروته ، لان الغنى انما يتحصل من انتظام المعاملات وتحصيل المنافع العمومية ، وهي تكون بين أهل الوطن على السوية لا نتفاعهم جميعا بمزية النخوة الوطنية . " "٤"

---

١) الاعمال الكاملة : ٢/٤٣٣ .

٢) مناهج الالباب المصرية : ٤٠٦

٣) المصدر نفسه . : ٤٠٦

٤) المصدر نفسه : ٩٩

فاذا أردنا تقديم تقويم منصف لهذه الافكار التي تضمنتها النصوص السابقة فإننا نلحظ أن الطهطاوى قد حدد الوطن بتحديد جديد لا عهد للمسلمين به منذ بزوغ فجر الاسلام ـ اذ حدده بقطعة من الارض كمصر أو الشام ـ كما يرى أن الرجل لا يعد وطنيا الا اذا انقاد لقانون الوطن وكان معينا على إجرائه دون أن يفرق بين القانون الصحيح والفاسد . فكأنه بهذا غفل عن ماورد في القرآن من تسفيه لقوانين أهل مكة الجاهلية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وكأنه غفل عن وصم القرآن أهل مكة بالجاهلية رغم أنهم أهل وطن الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل انه غفل عن ماجاء في القرآن بشأن عم النبي صلى الله عليه وسلم أبي لهب وهو من أهله وأقرب الناس اليه . كما أنه غفل عن التاريخ الاسلامي فالمستعرض لتاريخ المسلمين لا يجد أن مؤرخا من المؤرخين المسلمين استخدم كلمة وطن بل كان الاصطلاح الاسلامي المتعارف عليه بين علماء الشريعة ومؤرخوا الأمة هو تقسيم بلاد اللهالى دار اسلام ودار حرب . فدار الاسلام هي كل بلد تقع تحت حكم المسلمين وتطبق فيها شريعة الله . ودار الحرب هي كل بلد تقع تحت حكم طواغيت الارض ولا تطبق فيها شريعة الله .

والطهطاوى في هذه النصوص يدعو الى الاخوة الانسانية ويرى وجوب التساوى بين ساكني أهل المملكة ، ويرى أنه يجب على أعضاء الوطن بعضهم على بعض جميع مايجب على المؤمن لأخيه المؤمن لأنه يجمعهم وطن واحد لذا فإنه يرى أن من الواجب لمن يجمعهم وطن واحد أن يتعاونوا على تحسين الوطن واكمال نظامه بالسوية لانهم منتفعون بمزية النخوة الوطنية .

ولو أن الطهطاوى كلف نفسه مراجعة نصوص القرآن والسنة لعلم

ان الله سبحانه وتعالى فرق بين من يؤمن بالله ويخلص دينه له ، وبين من يشرك مع الله غيره ، ولقد كان ممن وصمهم الله بالشرك النصارى واليهود .

والاسلام مع ذلك قد كفل للنصارى واليهود من أهل الذمة - الحقوق الانسانية وألزمهم بأشياء مقابل هذه الحقوق وهي ماتعرف عند مفكري الاسلام بحقوق أهل الذمة - ، ولو انه رحمه الله كلف نفسه مراجعة نصوص القرآن والسنة ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين وفقه فقهاء المسلمين لهذه النصوص لعلم أن النصارى في تلك الايام عاشوا عيشة هنيئة لم يظلموا فيها ماداموا مؤديين للحقوق الواجبة عليهم للدولة الاسلامية .

ويقول في نص آخر مايلي :

" ... ومن زاول علم اصول الفقه ، وفقه ما اشتمل عليه من الضوابط والقواعد ، جزم بأن جميع الاستنباطات العقلية ، التي وصلت عقول أهالي باقي الامم المتمدنة اليها ، وجعلوها أساساً لوضع قوانين تمدنهم واحكامهم ، قل أن تخرج عن تلك الاصول التي ينبت عليها الفروع الفقهية ، التي عليها مدار المعاملات . فما يسمى عندنا بأصول الفقه يشبه مايسمى عندهم بالحقوق الطبيعية أو النواميس الفطرية . وهو عبارة عن قواعد عقلية ، تحسينا وتقبيحا ، يؤسسون عليها أحكام المدنية . وما نسميه بالعدل والاحسان يعبرون عنه بالحرية والتسوية . وما يتمسك به أهل الاسلام عن محبة الدين والتولع بحمايته ، مما يفضلون به عن سائر الأمم في القوة والمنعة ، يسمونه محبة الوطن " (١)

---

(١) الاعمال الكاملة : ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

ثم يقول :

" ... ولما كانت أعمال كل نوع من أنواع المخلوقات وكل عضو من أعضاء فرد ذلك النوع منقادة لنواميس طبيعية عمومية خصته به الحكمة الالهية ؛ كان لا يمكن مخالفة هذه النواميس بدون اختلال للنظام العام والخاص ، وهذه النواميس الطبيعية التي خصت بها العالم القدرة الالهية عامة للانسان وغيره .. " .

" ... فينبغي للانسان أن لا يتجارى على هذه الاسباب ويتعدى حدودها حيث ان المسببات الناتجة عنها منتظمة محققة ..

" ... وأغلب هذه النواميس الطبيعية لا يخرج عنها حكم الاحكام الشرعية ، فهي فطرية خلقها الله سبحانه وتعالى مع الانسان وجعلها ملازمة له في الوجود ، فكأنها قالب له نسجت على منواله وطبعت على مثاله وكأنما هي سطرت في لوح فوءاده بالهام الهي بدون واسطة ، ثم جاءت بعدها شرائع الانبياء بالواسطة وبالكتب التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فهي سابقة على تشريع الشرائع عند الامم والملل ، وعليها في أزمان الفترة تأسست قوانين الحكاء الاول وقدماء الدول وحصل منها الارشاد الى طرق المعاش في الازمنة الحالية كما ظهر منها التوصل الى نوع من انتظام الجمعيات التأنسية عند قدماء مصر والعراق وفارس واليونان وكل ذلك من لطف الله تعالى بالنوع البشرى حيث هداهم لمعاشهم بظهور حكماء فيهم يقننون القوانين المدنية لا سيما الضرورية لحفظ المال والنفس والنسل ." [١]

---

(١) المصدر السابق : ٤٧٩ - ٤٨١ .

ويمكننا أن نستنتج من النص السابق مايلي من الأفكار :

١ - ان الطهطاوى - رحمه الله - يشبه أصول الفقه الاسلامي المستنبط من نصوص القرآن والسنة بما وصلت إليه عقول الاوربيين بعيداً عن أحكام الشرائع المنزلة من عند الله ، وهذا خطأ بين ، فلا شك أن اصول الفقه لا يشبه شيئا من القواعد التي توصل اليها الأوربيون بعقولهم بعيدا عن شرع الله .

٢ - قياسة محبة الدين والعمل على حماية أهله على ماعند الاوربيين مما يسمونه محبة الوطن والحق أن محبة الدين أو الفكرة التي يؤمن بها الانسان تجعله يهجر وطنه - مسقط رأسه - من أجل ذلك ووقائع التاريخ خير شاهد على ذلك .

٣ - يرى الطهطاوى أن الاسباب لابد أن تنتج مسبباتها . والواقع أن هذا خطأ واضح فالأسباب لا تنتج بالضرورة مسبباتها اذ قد يتخلف عنصر من العناصر المساعدة على تحقق المسبب فلا يتحقق .

٤ - يرى أن النواميس الطبيعية - وهي القانون الطبيعي عند فولتير - لا تخرج احكام الشريعة عنها وهي مسطرة من فؤاد كل فرد بالهام ،وأن هذه النواميس الطبيعية سابقة على شرائع الأنبياء ، وأن على هذه القوانين تأسست قوانين الدول القديمة في حفظ المال والنفس والنسل .

وهو بهذه الافكار يقرب من أفكار فولتير وفي ذلك مافيه من خطورة على المجتمع المسلم .

ويقول عند الحديث عن الدستور الفرنسي - بعد أن تحدث عن الدولة وما يتألف منه الدستور ، وأن ملك فرنسا غير مطلق التصرف - يقول :

" والكتاب المذكور فيه أمور لا ينكر ذوو العقول أنها من باب العدل الذى فيه هذا القانون يسمى الشرطة ومعناها في اللغة اللاطينية ورقه ، ثم تسومح فيها ، فاطلقت على السجل المكتوب فيه الاحكام المقيدة ، فلنذكره لك وان كان غالب مافيه ليس في كتاب الله تعالى ، ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لتعرف كيف قد حكمت عقولهم بأن العدل والانصاف من أسباب تعمير الممالك وراحة العباد ، وكيف انقادت الحكام والرعايا لذلك ، حتى عمرت بلادهم ، وكثرت معارفهم ، وتراكم غناهم ، وارتاحت قلوبهم ، فلا تسمع فيهم من يشكو ظلماً ابداً ، والعدل أساس العمران . " "١"

والطهطاوى يعلم أنه يخاطب بهذا النص وبكتابه المسلمين ، ومع ذلك فهو يذكر قانون فرنسا المسمى شرطه مع علمه بان غالب مافيه كما يقول مخالف لما في الكتاب والسنة ، فكيف سوغ لنفسه أن يذكر ذلك القانون وان يثني عليه " .

لا ريب ان هذا السلوك منه - وثناءه على القانون المخالف لما في القرآن والسنة أثر من آثار الفكر العلماني الاوربي على الطهطاوى عرف ذلك أو لم يعرفه .

ويقول الدكتور محمد محمد حسين تعليقا على النص السابق :

" وبذلك مهد الطهطاوى ، من حيث يدرى أو لا يدرى ، لقبول التشريع الوضعي الذى يستند الى العقل - على قصوره ، وعلى مخالطة الشهوات له . . " "٢"

---

١) تخليص الابريز في تلخيص باريز : ١٤٠

٢) الاسلام والحضارة الغربية : ٣١ .

وفي ختام حديثي عن الطهطاوى ـ رحمه الله ـ أذكر ماقاله الدكتور عزت قرني ـ بعد أن قدم تقويما عاماً لآراء الطهطاوى قال :

" ... هذه الافكار الجديدة هي أفكار الثورة الفرنسية (١٧٨٩) كما عدلها دستور ١٨١٨ الذى صدر في عهد الملك لويس الثامن عشر وكما انتقدتها وأكدت عليها ثورة ١٨٣٠ في فرنسا ، وهي التي إنتهت باعتلاء الملك لويس فيليب عرش المملكة ، والتي رأى احداثها رأى العين فتانا النابه المنتبه وقد عرضها " تخليص الابريز " على الخصوص في الفصل الذى خصصه بعنوان : " في تدابير الدولة الفرنسية " وهو الثالث من المقالة الثالثة .. " "١"

هذا فيما يتعلق برفاعة رافع الطهطاوى ، أما خير الدين التونسي فسوف أذكر له عدة نصوص :

قـــال :

" انه قد جمع في كتابه ماتيسر له من مستحدثات الاوربيين "المتعلقة بسياستي الاقتصاد والتنظيم " ، مع الاشارة الى ماكانوا عليه من العهد القديم ، وبيان الوسائل التي ترقوا بها في سياسة العباد الى الغاية القصوى من عمران البلاد ... والغرضي من ذكر الوسائل التي أوصلت الممالك الاوروبية الى ماهي عليه من المنعة والسلطة الدنيوية أن تتخير منها مايكون بحالنا لائقا ، ولنصوص شريعتنا مساعداً وموافقاً ، عسى ان تسترجع به ما أخذ من أيدينا ، ونخرج باستعماله من ورطات التفريط الموجود فينا " . "٢"

---

١) العدالة والحرية : ٣١

٢) أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك : ٣ - ٥ .

وقال في موضع آخر :

" ... هل يمكننا اليوم الحصول على الاستعداد المشار اليه بدون تقدم في المعارف واسباب العمران المشاهدة عند غيرنا ، وهل يتيسر ذلك التقدم بدون اجراء تنظيمات سياسية تناسب التنظيمات التي نشاهدها عند غيرنا من الناس ، على دعامتي العدل والحرية ، اللذين هما أصلان في شريعتنا ، ولا يخفى أنهما ملاك القوة والاستقامة في جميع الممالك ؟ " "١"

في النص الاول يذكر التونسي أنه قد جمع ماتيسر له من ما استحدث في أوربا من النظم الاقتصادية والتنظيم (اى النظم السياسية) وهي التي يرى أنهم ترقوا بسببها الى الغاية القصوى من عمران البلاد ، وهو يريد أن يأخذ المسلمون بما يكون بحالهم لائقا .

والباحث المنصف اذا أراد ان يعرف ماهي النظم الاقتصادية والسياسية التي كانت سائدة في ذلك العصر فإنه سيجد أن النظم الاقتصادية السائدة في ذلك العصر هي النظام الاقتصادى الرأسمالي بزعامة آدم سمث (١٧٩٠م) ومالتوس (١٨٣٤م) وريكاردو ، وهو نظام قائم على الربا والاحتكار وعلى تفسير لاديني للحياة . أما المذاهب والنظم السياسية فإننا نجد أن المذاهب السائدة في السياسة في ذلك العصر هي مذاهب ونظريات كل من جان جاك رسو " (١٧٨٧) الذى يعد كتابه " العقد الاجتماعي انجيل الثورة الفرنسية " وقد كانت افكاره من الارهاصات الفكرية للثورة الفرنسية ، ونجد " جون لوك " (١٧٠٤) .

---

١) المصدر السابق : ٩

فهل يريد التونسي أن يأخذ المسلمون بهذه الأفكار والنظريات وهي قائمة على اساس لاديني أم ماذا يريد ؟

ويقول خير الدين في موضع آخر في بيان مقصده من كتابة الكتاب مايلي :

" لما كان السبب الحامل على الشيء متقدما عليه طبعاً ناسب أن نقدمه وضعاً ولم نكتف بالايماء في الخطبة الى مادعانا لجمع التأليف بل رأينا من المهم أن نعود الى ايضاحه هنا ونبني عليه ماأردنا ايراده في المقدمة فنقول : ان الباعث على ذلك أمران آيلان الى مقصد واحد :

احدهما : اغراء ذوى الغيرة والحزم من رجال السياسة والعلم بالتماس مايمكنهم من الوسائل الموصلة الى حسن حال الامة الاسلامية ، وتنمية أسباب تمدنها ، بمثل توسيع دوائر العلوم والعرفان ، وتمهيد طريق الثروة ، من الزراعة والتجارة ، وترويج سائر الصناعات ، ونفي أسباب البطالة ، وأساس جميع ذلك حسن لامارة المتولد منه الامن ، المتولد منه الامل ، المتولد منه اتقان العمل المشاهد في الممالك الاورباوية بالعيان ، وليس بعده بيان .

وثانيهما : تحذير ذوى الغفلات من عوام المسلمين من تماديهم في الاعراض عما يجحد من سيرة الغير الموافقة لشرعنا بمجرد ما انتقش في عقولهم من أن جميع ماعليه غير المسلم من السيرة والتراتيب ينبغي أن يهجر ، وتأليفهم في ذلك يجب ان تنبذ ولا تذكر ". "١"

---

١) المصدر السابق : ٥

ثم يقول :

" وحيث تقدم بيان الادلة الكافية على وجوب التنظيمات السياسية التي لو لم يكن الا تنفير الاجنبي والمتوظفين منها لكان كافيا في الدلالة على حسنها ولياقتها بمصالح المملكة . كان من أهم الواجبات على أمراء الاسلام ووزرائهم وعلماء الشريعة الاتحاد في ترتيب تنظيمات مؤسسة على دعائم العدل والمشورة كافلة بتهذيب الرعايا وتحسين احوالهم على وجه يزرع حب الوطن في صدورهم ويعرفهم مقدار المصالح العائدة على مفردهم وجمهورهم .. " "١"

يدعو التونسي هنا الى الاصلاح ولكنه يرى أن سبيل ذلك هو أن نأخذ من أوروبا ما وصلت اليه من تقدم في مجال الزراعة والتجارة ، وتوسيع دوائر العلوم والعرفان ، وهو يحذر المسلمين من اعراضهم عن الأخذ من أوروبا لمجرد انهم كفار .

والحق أن هذه الدعوة لها جانب ايجابي وجانب آخر سلبي ، فأما الجانب الايجابي فيتمثل في أن الاسلام يدعو ابنائه الى السعي للوصول بأنفسهم الى أرقى مايمكنهم أن يصلوا اليه في الزراعة أو الصناعة أوالتجارة ، والدعوة الى الله . وذلك بالعمل الذاتي المنتج بإعمال أفكارهم لاصلاح حالهم على هدى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا لم يستطيعوا ذلك بأنفسهم فإن الاسلام أباح لهم أخذ مايفيدهم من غيرهم من الأمم واشترط عليهم حسن الاختيار وحصرها في الوسائل المفيدة الموصلة الى الاهداف والغايات النبيلة التي يسعون لها وهو تطبيق شرع الله على البشر كلهم ، ذلك لان " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن انا وجدها فهو احق بها " .

(١) المصدر السابق : ٥

أما الجانب السلبي في هذه الدعوة فهو يتمثل في دعوة التونسي الى تحذير المسلمين من إعراضهم عن أخذ مايحمد من سيرة الغير ، فإذا أردنا أن نعرف من هو هذا الغير فإننا نجد أن هذا الغير هم الاوربيون وعلى الأخص الفرنسيون المتأثرين بالثورة الفرنسية التي مازالت أفكارها اللادينية في السياسة والاقتصاد والاجتماع تموج في الساحة ، وتسيطر على الافكار والدول الاوربية .

وفي هذا النص ايضا يرد ذكر الوطن وحبه وقد سبق أن تكلمت عن هذا المفهوم بما أراه كافيا . وأضيف هنا أن أول مثل عرف عن استعمال كلمة وطن بمعنى سياسي كان - كما يقول برنارد لويس - في تقرير (لمورلي السيد علي) افندى السفير العثماني في باريس في عهد حكومة المديرين . "١"

والتونسي يدعو في وضوح اكثر بالاخذ بالنظام السياسي الديمقراطي الغربي في نصوص أخرى . "٢"

---

١) الغرب والشرق الاوسط : ١١٥ .

٢) أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك : ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ...

ويدعو الى الاخذ بنظام المصارف والشركات ويمثل ببنك فرنسا ومافيه من الثروة العظيمة ، ويمثل أيضا بشركة الهند الانجليزية (المسماة بالغربية " "١"

ولعل الذى دعا الطهطاوى وخير الدين التونسي لما تقدم منهم من آراء أمور معينة يمكننا تلخيصها في الآتي :

١ - سوء الحال الذى وصلت الامة الإسلامية من الناحيتين السياسية ، والفكرية والعلمية فقد كانت الدولة العثمانية قد بدأ يسرى فيها الضعف بل ينخر فيها بسبب تأثر بعض حكامها بالثورة الفرنسية وأفكارها ، وكان الركود العلمي والفكرى هو الطابع المميز للدولة العثمانية في أواخر عهدها .

٢ - تأثرهما بأفكار الثورة الفرنسية خاصة أن الطهطاوى مكث في فرنسا خمس سنوات (١٨٢٦ - ١٨٣١) والتونسي مكث اربع سنوات (١٨٥٢ - ١٨٥٦) وفرنسا لا تزال تضطرب وتموج بأفكار الثورة الفرنسية اللادينية ، وهما قد قدما من بلاد الركود العلمي والفكرى . والضعف السياسي ولا ريب أن الانسان غالبا ما يتأثر بما يحصل في بيئته . فإذا كانت البيئة بيئة علم وفكر وقوة وعزة في السلطان السياسي فإن الغالب أن يخرج مفكرون ناضجوا الافكار لا تكاد تلمس الانحراف الفكرى في أفكارهم ، واذا كانت البيئة بيئة ركود علمي وفكرى وضعف في السلطان السياسي فإن الغالب أن يخرج من هذه البيئة مفكرون ضحلوا التفكير ، يمكن أن يتأثروا سوء شعروا أم لم يشعروا بأفكار الامم الغالبة في هذا

---

(١) المصدر السابق ، ٨٦ - ٩٣

المجال ، وهذا ينطبق الى حد كبير على أفكار وآراء هذان الشخصان وغيرهم ممن إتعرض لافكارهم في هذا القسم من الفصل .

وأنتقل الآن الى نقل بعض النصوص التي تمثل أحد جوانب فكر الأفغاني : يقول الأفغاني في الحديث عن الدين والعلم مايلي :

" ان الدين لا يصح أن يخالف الحقائق العلمية ، فإن كان ظاهره المخالفة وجب تأويله . وقد عم الجهل وتفشى الجمود في كثير من المرتدين برداء العلماء حتى اتهم القرآن بأنه يخالف الحقائق العلمية الثابتة ، والقرآن برئ مما يقولون والقرآن يجب أن يجل عن مخالفة العلم الحقيقي خصوصا في الكليات " "١". وقد غفل الأفغاني عن حقيقة هي أن الدين منهج حياة وأن العلم أحد الطاقات التي وهبها الله للانسان ليستخدمها في الخير "٢"

أما تأويل النصوص لتوافق العقل فهو منهج قديم وحديث ، في القديم سلك المعتزلة هذا المسلك وفي الحديث سلك جماعة من علماء المسلمين على رأسهم الافغاني ثم محمد عبده هذا المسلك متأثرين بالفكر المعتزلي القديم والفكر الاوربي الحديث فقد دعا " جون لوك " اخضاع الوحي للعقل ، وكلا الفكرين الاعتزالي القديم والجديد متأثران بالفكر الاوربي فقد تأثر المعتزلة بالفكر اليوناني .

ويقول الأفغاني عن الامة مايلي :

" ان الامة هي مصدر القوة والحكم . وارادة الشعب هي القانون المتبع للشعب والقانون الذى يجب على كل حاكم أن يكون خادما له وأمينا " "٣"

---

١) زعماء الاصلاح في العصر الحديث : ١١٤ .

٢) تهافت العلمانية : ٢٦ .

٣) الاتجاهات الفكرية عند العرب : ١٠٢ .

وهذا المفهوم - ان الامة هي مصدر القوة والحكم - أو مصدر السلطات وإرادة الشعب هي القانون المتبع للشعب وأنه يجب على الحاكم خدمته . مفهوم غربي وهو المفهوم الديمقراطي في الحكم الذى يرفع هذا الشعار وهو ترجمة لكلمة ديمقراطية " حكم الشعب للشعب ومن الشعب"

أما المفهوم الاسلامي فهو أن الحكم لله وحده " إن الحكم الا لله أمر لا تعبدوا الا اياه " والحكم لله يعني تنفيذ شريعة الله على الجميع وتساوى البشر كلهم كبيرهم وصغيرهم حاكمهم ومحكومهم امام شريعة الله . وليس للشعب أن يصدر قانوناً ولا للحاكم أن يصدر قانوناً فالشرع قد تكفل للناس ببيان كل مايحتاجونه أما فيما يتعلق بالامور المادية فللبشر أن ينظموا شئونهم بشرط أن لا يكون فيها مخالفة لقاعدة من قواعد الشرع الحنيف .

ويقول عن الاشتراكية مايلي :

" ... ودعوى الاشتراكية ... وإن قل نصراؤها اليوم ، فلا بد أن تسود العالم يوم يعم فيه العلم الصحيح ، ويعرف الانسان أنه وأخاه من طين واحد أو قسمة واحدة وأن التفاضل إنما يكون بالأنفع من المسعى للمجموع وليس بتاج وإنتاج .. " "١"

وقال قبل ذلك : - بعد ان نقد الاشتراكية الغربية - عن ما أسماه بالاشتراكية في الاسلام مايلي :

" ... اما الاشتراكية في الاسلام فهي ملتحمة مع الدين الاسلامي ملتصقة في خلق أهله ، فقد كانوا أهل بداوة وجاهلية . أول من عمل بالاشتراكية بعد التدين بالاسلام هم أكابر الخلفاء من الصحابة ، وأعظم

---

(١) الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني : ٤٢٣ .

المحرضين على العمل بالاشتراكية كذلك من أكابر الصحابة أيضا .. "[١]

وهذا النص ينبئ عن تأثر الافغاني بالفكر الغربي كما اوضح ذلك النص السابق الخاص بالامة وانها مصدر السلطات أيضا . وهذا ما تبعه عليه تلامذته ممن محمد عبده وغير ، ولعل هذه المحاولة هي المحاولة الاولى للتقريب بين الاسلام والمذاهب الوضعية البشرية والافغاني هنا يتنبأ بأن الاشتراكية ستسود العالم وماهي هذه الاشتراكية - هي اشتراكية الاسلام الملتحمة مع الدين الاسلامي ، والتي عمل بها الخلفاء من الصحابة - وقد نسي الافغاني ان يضيف الى هوءلاء " ابا ذر الغفارى " الذى أضافه احد الموءلفين في كتاب له سماه " أبو ذر الاشتراكي " ورد عليه موءلف آخر بكتاب أسماه " أبو ذر الزاهد " "[٢]

هذه المحاولات التقريبية بين الاسلام والانظمة البشرية تنبئ عن الانهزام النفسي والروحي - كما يرى سيد قطب رحمه الله - امام هذه الأنظمة وبهرجها الذى يخلب بريقه الابصار فيغشيها عن النظر الصحيح .

وهناك مفكر آخر كان له أثر فيما أعتقد - في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي وإن كنت أعتقد أن ذلك كان عن غير قصد ذلك هو الاستاذ عبد الله النديم وسوف أنقل عنه نصين اثنين يقول في أولهما مايلي :

" .. يابني مصر ليعد المسلم منكم الى أخيه المسلم تأليفاً للعصبية الدينية وليرجع الاثنان الى القبطي والاسرائيلي تأييدا للجامعة الوطنية ، وليكن المجموع رجلا واحدا يسعى خلف شيء واحد هو حفظ مصر للمصريين" "[٣]

---

١) الاعمال الكاملة : ٤١٤ ، وخاطرات الافغاني : ١٢٠ .

٢) موءلف الكتاب الاول عبد الحميد جودة السحار ، وموءلف الثاني محمد منير الغضبان .

٣) سلافة النديم : ٢ / ٧٨ .

هذا النص واضح الدلالة في الدعوة الى الوطنية الضيقة التي دعا اليها الطهطاوى وأصدر من أجل ترسيخها أول ترجمة عربية لتاريخ مصر الفرعونية في أوروبا عام ١٨٣٨ ، وحاول عام ١٨٦٨م كتابة تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى الفتح العربي . "١"

وقد سبق أن فندت هذا المفهوم الوطني الغربي .

ويقول في النص الثاني بعد أن تحدث عن حاجة الشرقيين الى نقد الافكار في الشئون الاهلية وما وصلته الامم الغربية من ذلك ، وما استطاعت ان تفعله عن طريق الشورى - مايلي :

" ... ولئن قيل إن التجارب دلتنا على أن الشورى لا تنجح في الشرق ، أو أن الشرقيين غير عقلاء كما يزعم محبو الاثره والانفراد بالتسلط ، قلنا : إن اتحاد الشرقي مع الغربي في الخَلْق يرد هذه الدعوى الباطلة ، وإنما ثابر الغربيون على العمل بالشورى وأخذوا يصححون الاغاليط ويراجعون الخطأ ويتبادلون الجدل عن عزائم صادقة حتى تربت الملكات وتصورت المطالب امامهم بصور الواقعيات ، وما اوصلهم الا لهذه الغاية الا اعتمادهم على الفضلاء والاذكياء منهم ، حتى اضطر الاغنياء والوجهاء لدراسة العلوم والفنون السياسية التي بها ترشحوا للدخول في [illegible] الشورى .. " ٢ "

الاستاذ النديم يقرر في هذا النص أن ماهو حاصل في أوروبا في النظام السياسي هو الشورى ، والحق أن ماهو موجود في الغرب أمر آخر

---

١) الغرب والشرق الاوسط : ١١٧

٢) الفكر العربي الحديث : ٢٠٣ - ٢٠٤ .

غير الشورى يقوم على تصويت الافراد جميعا لاحزاب عدة تتصارع للوصول الى الحكم فإذا وصل حزب منها الى الحكم بالاغلبية كانت السيطرة لاعضاء الحزب الفائز في البرلمان . أما الشورى الاسلامية فهي على العكس من ذلك هي أخذ مشورة أهل الاختصاص كل في اختصاصه فيما يهم الأمة والمجتمع مما هو متعلق بالامور المادية وماكان من قبيل الوسائل ، ولا وجود للاحزاب في الدولة الاسلامية لأنها تفرق المجتمع الى فرق شتى ، كما أن أعضاء البرلمان يشرعون ، وأعضاء الشورى لا يشرعون فالتشريع من عند الله سبحانه وتعالى ،وهذا ولا شك أثر من آثار الاتصال بالغرب وأفكاره .

على أنني أود أن اذكر أنه كان له جهاد بالقلم في مهاجمة الاوربين الذين يسعون لإضعاف المسلمين ولا أدل على ذلك من المقال الذى نشر في عدد ١٧ يناير عام ١٨٩٤م "١" ، ومقاله عن الاستعمار بعنوان " لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا " الذى هاجم فيه كرومر حين أنذر ـ كرومر ـ عباس لإقالة وزارة مصطفى فهمي باشا صديق الانجليز ، وقد عرج فيه الى إفساد الانجليز لاخلاق المصريين ،وهاجم أذناب الاستعمار الذين يرتكب الاستعمار مايرتكب باسمهم ،وأوضح أن سوء حال المصريين سببه زعماؤهم وعرض بصحيفة المقطم المتعاونة مع الاستعمار . "٢"

ومن العجيب أنه يتحدث في نفس المقال عن الشاميين ويعدهم من الغرباء ، وفي نفس المقال يتحدث عن أن الشام ومصر توأمان ابوهما واحد "٣" فكيف تجمع بينه وبين النص الاول الذى نقلته في الحديث عن

---

١) الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر : ١/ ٢١ ، ٢٢ .

٢) نفس المصدر : ١/ ١٦٥ - ١٧٠ .

٣) نفس المصدر : ١/ ١٦٨ و ١/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

مصر والوطنية فلعله يقصد نصارى الشام الذين نزحوا الى مصر .

كما أن النديم يهاجم التصوف والصوفية ، ويهاجم التفرنج بأحمد أولاد الفلاحين الذين درسوا في الغرب وجاء محتقرا أبويه . "١"

لا يستطيع الباحث المنصف إلا أن يقول أن الفكرة الاسلامية غير واضحة في ذهن هذا الرجل رحمه الله .

أما محمد عبده تلميذ الافغاني وصديقه فإننا نقرأ له افكاراً في الوطنية والانتخابات التي يشبهها بالشورى ، وفتاوى عن اباحة التعامل مع الكفار وعن اباحة صناديق التوفير ، وغير ذلك وسوف اقتصر على بعض هذه الافكار

يقول في تعريف الوطن ومايجب على الانسان نحو وطنه مايلي :

" تقرر مما سلف أن لابد لذوى الحياة السياسية من وحدة يرجعون اليها ، ويجتمعون عليها اجتماع دقائق الرمل حجراً صلداً ، وان خير أوجه الوحدة الوطن ، لامتناع النزاع والخلاف فيه ، ونحن الآن سنبين بعون الله ماهية هذا الوطن وبعض مايجب على ذويه " .

" والوطن في اللغة محل الانسان مطلقا ، فهو السكن بمعنى : استوطن القوم هذه الارض وتوطنوها ، أى إتخذوها سكنا . وهو عند أهل السياسة مكانك الذى تنسب اليه ، ويُحفظ حقك فيه ويُعلم حقه عليك ، وتأمن فيه على نفسك وآلك ومالك . ومن أقوالهم فيه : لا وطن الا مع الحرية . وقال لابرويز الحكيم الفرنساوى : لا وطن في حالة الاستبداد ، ولكن هناك مصالح خصوصية ومفاخر ذاتية ومناصب رسمية . وكان حد الوطن عند قدماء

---

١) نفس المصدر السابق : ٣٢١/١ ، ٣٢٢ و ٣٦٨/١ ، ٣٦٩ .

الرومانيين : المكان الذى فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية " "١"

ثم يقول :

" على أن النسبة للوطن تصل بينه وبين الساكن صلة منوطة بأهداب الشرف الذاتي ، فهو يغار عليه ويذود عنه كما يذود عن والده الذى ينتمي اليه ، وإن كان سيء الخلق شديداً عليه ، ولذلك قيل في مثل هذا المقام : إن ياء النسبة في قولنا مصرى وانجليزى وفرنسوى هي من موجبات غيرة المصرى على مصر والفرنساوى على فرنسا والانكليزى على انجلتره .. فإذا تقرر ذلك مما قلناه وجب على المصرى حب الوطن من كل هذه الوجوه ، فهو سكنه الذى يأكل فيه هنيئا ، ويشرب فيه مريئا ويبيت في الأهل آمنا . وهو مقامه الذى ينسب اليه ، ولا يجد في النسبة اليه عاراً ولا يخاف تغييراً . وهو الآن موضع حقوقه وواجباته التي حصلت له بما أوضحناه من دخوله في دور الحياة السياسية .. " "٢"

ويقول الدكتور محمد محمد حسين بعد أن ذكر هذا النص ، وذكر نصا آخر بعنوان " ماضي الامة وحاضرها وعلاج عللها " .

" وهذا المقال يدعونا الى تعديل فكرتنا عن مدلول الوطن والوطنية في مقال محمد عبده الاول من الوقائع المصرية . وهو - مع ماسبقه وماتلاه من كتابات محمد عبده - يدعو الى التفكير في تعليل مايسود آراء محمد عبده من تباين واختلاف يبلغ حد التناقض في بعض الاحيان " "٣"

---

١) الاتجاهات الوطنية في الادب العربي المعاصر : ٧٠

٢) نفس المصدر : ٧٠ ، ٧١ .

٣) نفس المصدر : ٧٣

[illegible]

ويقول محمد عبده في نشأة الرأى العام ـ أو ما يعرف الآن ـ بالانتخابات ـ مايلي :

" ان القانون الصادر عن الرأى العام هو الحقيق باسم القانون بالبيان ليس إلا ... " "١"

ويتكلم في بقية المقال عن وجوب النظام النيابي للحاكم والمحكوم ـ وان لم يذكره بهذا اللفظ ـ وقد سبق أن ذكرت أن القانون عند المسلمين لا يصدر من الشعب أو من الرأى العام لأن الشريعة لم تدع شيئا الا بينته . ويمكنني أن اضيف هنا أنه مهما بلغ صلاح الناس وتقواهم ـ التي تزول معها الريبة فيهم فإنه لا يحق لهم أن يقننوا للناس ويشرعوا لهم ، اما في الأمور المعاشية المادية كالزراعة والصناعة وما اليها فإن المسلم مأمور بان يسلك الوسائل الموصلة الى الارتقاء بهذه الامور .

وقال الشيخ محمد عبده عن البيعة وانها لا تتوقف صحتها على الشورى مايلي :

" والمبايعة لا تتوقف صحتها على الشورى ولكن قد يحتاج فيها الى الشورى لأجل جمع الكلمة على واحد ترضاه الامة فإذا أمكن ذلك بغير تشاور بين أهل الحل والعقد كأن جعلوا ذلك بالانتخاب المعروف الان في الحكومة الجمهورية وماهو في معناها حصل المقصود " "٢"

---

١) تاريخ الاستاذ الامام : ٢/١٩٧-٢٠٥ .

٢) تفسير المنار : ٤/٢٠٣ .

وما علم الشيخ رحمه الله أن عمليات الانتخاب ليست من العمليات السليمة في مثل هذه القضايا التي تتعلق بمصير الامة فقد أثبت الواقع المشاهد أن من ينتخب هو من يكون ذا دعاية أقوى وبذل أكثر لشراء ضمائر الناس .

ويقول كرمر ... : ان محمد عبده كان موءسسا لمدرسة فكرية حديثة في مصر قريبة الشبه من تلك التى أسسها السيد احمد خان (في الهند) (موءسس جامعة عليكره) ثم يقول : " إن أهميته السياسية ترجع الى أنه يقوم بتقريب الهوة التي تفصل بين الغرب وبين المسلمين ، وأنه هو وتلاميذ مدرسته خليقون بأن يقدم لهم كل مايمكن من العون والتشجيع ، فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الاوربي .. " "١"

ويقول الدكتور محمد محمد حسين عن اتجاه محمد عبده وشيخه الافغاني - وهو التوفيق بين الاسلام وأفكار الغربيين :

" وحقيقة الامر في حركة الشيخ محمد عبده وأستاذه جمال الدين الافغاني الذى إقترن إسمه به في الشطر الاول عن حياته لا تزال تحتاج الى مزيد من الوثائق التي توضح موقفهما وتزيل مايحيط به من غموض ومن تناقض فيما اجتمع حولهما من أخبار . فبينما ينزله رشيد رضا - ومعه كل أتباع الشيخ محمد عبده الذين ازداد عددهم على الايام - منزلة الاجتهاد في الدين ، ويرفعونه الى اعلى درجات البطولة والاخلاص الذى لا تشوبه شائبة ،كان كثير من علماء الشريعة المعاصرين له يتهمونه بالمروق عن الدين والانحرافه وتسخيره لخدمة العدو . فاذا تركنا هوءلاء وهوءلاء ممن قد

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الادب العربي المعاصر: ٢/٣٠٧، ٣٠٨ .

يجد الطاعنون سبيلا الى رميهم بالتحيز والمحاباة ؛ والتحامل والتزمت ،
وجدنا كثرة من النصوص في كتب ساسة الغرب ودارسيه تتصور رأيهم فيه
وفي مدرسته وتلاميذه ومكانه من الفكر الحديث ، وهي جميعها تتفق على
تمجيده والاشادة به وبما اداه للاستعمار الغربي من خدمات ؛ باعانته على
تخفيف حدة العداء بينه وبين المسلمين ، وهو عداء يستتبع آثاراً سياسية
تضر مصالحه وتهدد باذكار الثورات التي لا تفتر ولا تنقطع "١"

وانتقل الى نقل نص لاحد المؤسسين للكتلة النيابية العربية عام
١٩١١م وهو عبد الحميد الزهراوي . فقد قال بعد حضوره للمؤتمر
العربي الاول الذى عقد مابين ١٨ - ٢٣ حزيران عام ١٩١٣م بباريس
مايلي لمراسل جريدة " Temps " الفرنسية :

" ان الرابطة الدينية عجزت دائماً عن ايجاد الوحدة السياسية
وأنا لا أرجع الى التاريخ لا برهن على هذا بل حسبي مالدينا الآن من
الشواهد الحاضرة . انظر الى الحكومتين العثمانية والفارسية كيف لم
تقو رابطتهما الدينية على ازالة خلاف بسيط بينهما ، وهو الاختلاف المتعلق
بالحدود " العاطفة الاسلامية لم تقدر مرة من المرات أن تحمل أميراً مسلماً
على التنازل عن حقوقه لاميرآخر من المتدينين بدينه حتى ولو كان هذا
خليفة . "٢"

---

١) المصدر السابق : ٣٢٨/١ .
٢) الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (ص ١٥٢) .

وهذه الدعوى وهي ان الرابطة الدينية عجزت عن ايجاد الوحدة السياسية شبيهة بدعوى طه حسين وهي أثر من آثار الفكر الغربي بعد الثورة الفرنسية العلمانية ، والتاريخ الاسلامي فيه من البراهين ما يدحض دعوى الزهراوي ويكفينا عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين ، وما حصل من الدول الاخرى أو من بعض حكامها هو انحراف منهم عن الجادة الصحيحة وليس عيباً في الاسلام . أما الاحتجاج بما بين الحكومتين الفارسية والعثمانية فالواقع أنه لا حجة فيه إذ أن الخلاف بين أهل السنة والشيعة خلاف عقائدي يتعلق بالقرآن والسنة والصحابة وليس هو خلاف فرعي كما يدعي بعض المتساهلين ولا مجال هنا لتوضيح ذلك . وأما ان العاطفة الاسلامية لم تستطع أن تحمل أميرا مسلما على التنازل عن حقوقه لامير آخر ، فإن حادثة عزل خالد بن الوليد من قيادة وامارة الجيش الاسلامي في الشام وتولية أبي عبيدة خير مثل على ذلك فخالد ابن الوليد سمع وأطاع لعمر واصبح جندياً في جيش ابي عبيدة ومن المعلوم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما عزله لأنه خشي على المسلمين أن يفتتنوا به فيعتقدون أن لا نصر الا بقيادة خالد رضي الله عنه وهذا من عمر رضي الله عنه هو حماية للتوحيد وسد لباب الشرك أن يلج الى صفوف المسلمين .

ومن العجيب أن يصرح الحر مثل الزهراوي بمثل هذه العبارات الجريئة التي لم يكن يستطيع التصريح بها اى واحد من اولئك المفكرين الذين استعرضت شيئا من افكارهم ولم يستطع غيره ممن عاصره التصريح بذلك ولعل السبب في ذلك هو تأثره من حيث لا يدري بأفكار النصارى المحليين الذين كانوا يسعون لتمزيق الدولة العثمانية بمساعدة من صليبي أوربا .

وقد ساعدت أفكار هؤلاء المفكرين في الوطنية والاعجاب بفرنسا وأوربا كلها في نظمها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفي العلم والدين وفيما يسمى بالديمقراطية أو حكم الامة وغير ذلك - ساعدت هذه الافكار على انتقال العلمانية على أيدى مفكرين جاؤا من بعدهم صرحوا بعزل الدين عن الهيمنة على الحياة فرديا واجتماعيا . وهم من اصطلح على تسميتهم بالمستغربين وسوف أفرد جزءا من هذا الفصل للحديث عن أفكارهم ان شاء الله .

وبعد أن عرفنا شيئا من أفكار بعض المفكرين ممن كان لهم أثر في نقل الفكر العلماني الى العالم الاسلامي - شعروا أم لم يشعروا - نتيجة لسعي بعضهم للاصلاح لكنهم اخطئوا والسبيل الى معرفة أثر " المفكرون المستغربون " في نقل العلمانية ، وهم يختلفون عن المفكرين الاولين ان تميز هؤلاء اولئك في الجرأة على الاسلام والمسلمين .

جـ - المستغربون وأثرهم في نقل العلمانية الى العالم الاسلامي :

في حديثي عن المستغربين سوف أوضح المقصود بهذه الصفة ثم استعرض جملة من أفكار بعض قادتهم التي كان لها أثر في انتقال العلمانية وذلك من كتبهم وأعمالهم

أما من هم المقصودون بهذه الصفة فهم: قوم من أبناء المسلمين ممن تأثروا بأفكار الغرب الفلسفية والادبية والفكرية والسلوكية ثم صاغوا تلك الافكار بأساليبهم الخاصة ونشروها بين الطبقات المختلفة من أبناء المسلمين ، وليس ضرورياً أن يكون هؤلاء ممن درسوا في الغرب فقد وجد مستغربون لم يدرسوا في الغرب ولم يقيموا فيه إقامة طويلة ووجد اناس درسوا في الغرب ولم يزدهم ذلك الا استمساكا بدينهم . ولكن الغالب أن الفكر الغربي إنتقل الى العالم الاسلامي عن أحد معبرين هما نصارى العرب ، والذين درسوا في الغرب من أبناء المسلمين ولم يكونوا من الحصانة الفكرية بحيث يقاوموا الفكر بالفكر فوقعوا فريسة وضحية للفكرة الغربي .

ولقد كان للمستغربين أثر كبير على الحياة الاسلامية بل وعلى الواقع السياسي في العالم الاسلامي .

يقول برنارد لويس عن أثر هؤلاء المستغربين :

" ... والتغريب الذى كان من عمل الغربيين بل كان أكثره من عمل المتغربين من أبناء الشرق جاء بتغييرات يشك كثيراً في قيمتها أول هذه التغييرات هو الانحلال السياسي الذى ادى الى تفتيت المنطقة وتجزئتها فقبل ذلك التاريخ كان في الشرق الاوسط نظام سياسي مستقر فالشاه يحكم

ايران والسلطان هو عاهل المملكة العثمانية التي تشمل كل مابقي من الشرق الاوسط وقد لا يكون كل السلاطين الذين تعاقبوا على الحكم محبوبين من رعاياهم ولكنهم كانوا في موضع احترام والاهم من ذلك انه لم يكن هناك خلاف على مشروعية الحكم فالسلطان هو الحاكم بلا منازع لأنه عاهل لآخر خلافة اسلامية تضم جميع مسلمي العالم تقريبا ." "١"

يقول - لطفي السيد - أستاذ الجيل - كما يحلو للمستغربين تسميته :

" ... يعوزنا شيوع الاعتقاد بأن مصر لا يمكنها أن تتقدم اذا كانت تجبن عن الاخذ بمنفعتها وتتواكل في ذلك على أوهام أو خيالات يسميها بعضهم الاتحاد العربي ويسميها آخرون الجامعة الاسلامية" "٢"

وهذا يعني أن لطفي السيد يدعو الى الوطنية الفرعونية ، اذا كان الاتحاد العربي أو الجامعة الاسلامية خيالات وأوهاما .

ويقول مصطفى كامل - وهو يمثل أحد إتجاهي الوطنية - الذى لا يرى اختلافا أو تناقضا بين الرابطتين الوطنية والدينية :

" ان الوطنية هي أشرف الروابط للافراد ، والاساس المتين الذى تبنى عليه الدول القوية والممالك الشامخة ، وكل ماترونه في أوروبا من آثار العمران والمدنية ، ماهو الا ثمار الوطنية .. " "٣"

---

١) الغرب والشرق الاوسط : ٦١

٢) تحولات الفكر السياسي في الشرق العربي : ١٤٠

٣) مصطفى كامل : ١١٢ ، ١١٣ .

ويقول أيضا : " قد يظن بعض الناس أنّ الدين ينافي الوطنية ، أو أنّ الدعوة الى الدين ليست من الوطنية في شيء ، ولكني أرى أن الدين والوطنية توأمان متلازمان وأنّ الرجل الذى يتمكن الدين من فؤاده يحب وطنه حباً صادقاً ، ويفديه بروحه وما تملك يداه ، ولست فيما أقول معتمداً على أقوال السالفين الذين ربما إتهمهم أبناء العصر الحديث بالتعصب والجهالة ، ولكني استشهد على صحة هذا المبدأ ببسمارك أكبر ساسة هذا العصر وهو خير رجل خدم بلاده ورفع شأنها ، فقد قال هذا الرجل العظيم بأعلى صوته : " لو نزعتم العقيدة من فؤادى لنزعتم محبة الوطن معها " "١"

والنص الاول واضح الدلالة ولا يحتاج الى تعليق ، ولكن النص الثاني قد يكون مبهما ولكن الابهام فيه يزول بقراءة النص الآتي الذى يمجد الفرعونية ، ويرى أنّ الوطني الحق هو الذى لا يفرق بين مسلم ونصارى بل الكل اخوة . صحيح أنهم إخوة في الانسانية ولكن هناك اخوة أخص منها وهي التي اناط بها الاسلام احكاما كثيرة . فمجال الاخوة الانسانية أنْ لا يظلم الذمى في الدولة الاسلامية إذا ادى مايجب عليه من واجبات ، أما أنْ يستوى المؤمن والكافر فهذا أمر غير صحيح لان الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز لم يسو بين المؤمن والكافر .

يقول مصطفى كامل :

" كيف يستطيع رجل وطني أن يدعو للشقاق والبغضاء ، وهذه الدعوة مناقضة للوطنية الصحيحة فالأقباط إخوة لنا في الوطن تجمعنا بهم

---

١) نفس المصدر السابق : ١٤٦

أشرف رابطة وقد عشنا معهم القرون الطوال على أتم وفاق وأكمل اتفاق " "١"

ويقول في نص آخر موغل في التعلق بالطين :

" بلادى بلادى ، لك حبي وفوادى ، لك حياتي ووجودى ، لك دمي ونفسي ، لك عقلي ولساني ، لك لبي وجناني ، فأنت انت الحياة ولا حياة الا بك يامصر ، ، إنني لو لم أولد مصريا لوددت أن أكون مصريا ، ، " "٣"

يقول «عمارة» عن زعماء الدعوة الوطنية والقومية مايلي :

" وقام زعماء هذا النوع من الوطنية العلمانية المتحررة من الطبقة المهنية مثل المحامين والرسميين والمعلمين والصحفيين وكان هؤلاء بطبيعة تربيتهم ووظائفهم أقل الناس تمسكا بالتقاليد القديمة وأكثر عناصر المجتمع المصرى " تغريبا " ولهذه الاسباب بالذات بقي هؤلاء منعزلين عن جماهير الشعب المصرى ولقد كانت نقمة الجماهير على الاجنبي سلاحا استغله هؤلاء الزعماء الوطنيون الا ان افكار وايدلوجيه هؤلاء الوطنيين المتحررين كانت غريبة ولا تعني شيئا بالنسبة لجماهير الشعب " "٢"

ويقول الدكتور / محمد جابر الانصارى في تقويم القومية - التي دعا اليها أول من دعا المسيحيون - :

" وفي الفترة ذاتها - اى في الفترة من ١٩٢٥ - ١٩٣٠ - بدأ التفكير القومي العربي يكتسب لأول مرة مفهوماً علمانياً على يد المفكر المسلم

---

١) المصدر السابق : ١٤٨ - ٢٦ نفس المصدر / ٣٤٢

٢) الغرب والشرق : ١٣٠ ، ١٣١ ، ولكن هذه الأفكار درست في المقررات الدراسية فأثرت في الطبقة المثقفة بعد ذلك.

ساطع الحصرى (١٨٨٠ - ١٩٦٨) ولم يعد الدين عنصراً جوهرياً حاسماً في القومية ، ولاحت امكانية تأسيس " أمة " عربية جديدة غير مرتبطة ضرورة بمفهوم " دار الاسلام " . وإذا كان لطفي السيد قد دعا الى وطنية مصرية علمانية ، فإن عمله هذا - اى ربط العلمانية بالشخصية المصرية منذ العهد الفرعوني - لم يكن في خطورة ماهدف اليه ساطع الحصرى الذى كان مغزى فكرته يتركز في علمنة العروبة ، مادة الاسلام تاريخياً " . . اذ عندما تتعلمن العروبة لابد أن يتعرض ذلك المزيج العضوى التاريخي للتحلل بافتراق عنصريه : " العصبية " العربية و " الدعوة " الدينية ، اذا شئنا استخدام مصطلح ابن خلدون ومفهومه التاريخي " "١"

أما فيما يتعلق بفصل الدين عن الحياة فقد دعا الى هذه الفكرة عدد من مفكرى المسلمين بعد النصارى ومنهم ضياء كوك آلب الذى يقول عنه هارولد ب . سمث مايلي :

" أما النظرية الثانية الجريئة التي قدمها كوك آلب فهي مبدأ الفصل بين الدين والدولة ودعواه أنه في الايام الاولى من الاسلام لم يكن رجال الدين أو العلماء عاملين في الحكومة ولم يصبح لهم وضع رسمي ولم يدخلوا في إدارة الدولة الا بعد جيل أو جيلين وإذا كان هذا قد أضاف الى سلطانهم على سياسات الحكومة شيئاً كثيراً فإنه جردهم من الاستقلال الضرورى للتأثير الديني النقدى على المجتمع . . " "٢"

ويقول الدكتور طه حسين في التبرير للدعوة الى فصل الدين عن الحياة مايلي :

---

١) تحولات الفكر السياسي في الشرق العربي :

٢) الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة : ٧٣

" ومن المحقق أن تطور الحياة الانسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ، ووحدة اللغة ، لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ولا قواماً لتكوين الدولة " . ثم يضرب أمثلة على ذلك ثم يقول :

" ... وكانت مصر أسبق الدول الاسلامية الى استرجاع شخصيتها القديمة التي لم تنسها في يوم من الايام ----------------------

والتاريخ يحدثنا كذلك بأن رضاها عن السلطان العربي بعد الفتح لم يبرأ من السخط ولم يخلص من المقاومة والثورة ، وبأنها لم تهدأ ولم تطمئن الا حين أخذت تسترد شخصيتها المستقلة في ظل ابن طولون ، وفي ظل الدول المختلفة التي قامت بعده .

فالمسلمون إذاً قد فطنوا منذ عهد بعيد الى أصل من اصول الحياة الحديثة وهو أن السياسة شيء والدين شيء آخر ، وأن نظام الحكم وتكوين الدول انما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على أى شيء آخر .

وهذا التصور هو الذى تقوم عليه الحياة الحديثة في اوربا . فقد تخففت اوربا من اعباء القرون الوسطى واقامت سياستها على المنافع الزمانية ، لا على الوحدة المسيحية ، ولا على تقارب اللغات والاجناس .. "(١)

أما عن الدعوة الى تقليد الغرب فقد رفع لواء الدعوة الى ذلك أشخاص عدة أذكر هنا أفكار شخصين أحدهما : د / طه حسين والآخر سيد احمد خان . أما طه حسين فيقول - بعد أن اطال الكلام في مشابهة الشعوب لاوربا في قيمها وسلوكها وأنهم لم يسعدوا الا حين تشبهوا بأوربا ومثل لذلك باليابان - يقول :

----

١) مستقبل الثقافة في مصر : ١٩-٣١

" لكن السبيل الى ذلك ليست في الكلام يُرسل ارسالا ، ولا في المظاهر الكاذبة والاوضاع الملفقة ، وانما هي واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء . وهي واحدة فذة ليس لها تعدد وهي : أن نسير سيرة الاوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم انداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، ومايحب وما يكره وما يحمد منها وما يعاب . "١"

ويقول الاستاذ وحيد الدين خان عن أفكار سيد أحمد خان وينقل شيئا من كلامه في ذلك : يقول :

" . . . إن المع الاسماء التي طالبت المسلمين بدراسة العلوم الغربية الجديدة هو "سيد أحمد خان" (١٨١٧ - ١٨٩٨) الذي يعتبره المستشرقون مؤسس أول مؤسسة إسلامية عصرية . فقد أنشأ السير سيد أحمد خان كلية عليكرة المحمدية سنة ١٨٧٥ بالهند وضحى بحياته من أجلها حتى اصبحت جامعة بعد وفاته .

لقد كان سيد أحمد خان من اكبر المتحمسين لتعلم علوم الغرب ، ولا شك في أن خدماته في هذا الصدد غير قابلة للنسيان ولكن ماذا كان هدفه عن وراء تعلم علوم الغرب ؟

لقد كشف عن ذلك زميله الحميم " الطاف حسين حالي " في بيت شعر حين قال :

" تعال ، ياحالي ، لنقلد الغرب الآن " .

----

١) مستقبل الثقافة في مصر : ٤١ .

" وحين عاد سيد أحمد خان من زيارته لانجلترا سنة ١٨٧٠م ، مبهوراً بما رآه في الغرب ، أصدر مجلة " تهذيب الاخلاق " وكتب في مقدمة أول عدد لها :

" إنّ الهدف وراء إصدار هذه المجلة هو ترغيب مسلمي الهند في الاقبال على " السيتيليتر يشن " او الحضارة الكاملة وذلك لينتهي الاحتقار الذى تنظر به الشعوب المتحضرة الى المسلمين بأنهم قوم ذوو شأن وحضارة"

وكان سيد احمد خان يتصور رقي المسلمين المثال ،في " الكولوتيلات والميجورات المسلمين المرتدين الملابس العسكرية الزاهية " "١"

ويقول عنه أيضا :

" وكان الهدف النهائي للتعليم الذى نادى له سيد أحمد خان هو أن يتمكن المسلمون من الحصول على أعلى المناصب في ظل الحكومة الاستعمارية القائمة والحضارة التي نادى لها سيد أحمد خان قد سماها أحد تلامذته - مهدى افادى - بكل حق بانها " الثقافة الانجلو المحمدية!! وهي ثقافة ذات قشرة اسلامية مظهرية وطبيعية انجليزية ، قامت على التقليد"٢"

أما عن الاعجاب بالثورة الفرنسية وتشبيه دعوة الاسلام بها فاليك نصان يدلان على ذلك أوضح الدلالة :

قال اسماعيل مظهر :

" قامت الثورة الفرنسية على دعاية الانيسكلو بعيديين ،ديدرو وأصحابه لامتر وهو لباخ ولفنتيوس ، وعلى عقد رسو الاجتماعي وعلى آداب فولتير الوضاحة ، بل على مجهود سلسلة من العظماء تعهدوا

---

١) المسلمون بين الماضي والحاضر والمستقبل : ٢٢ - ٢٤ .
٢) نفس المصدر : ٢٢ - ٢٤ .

الفكر الكامن في طبقات الامة المنتقاة منذ عهد ديكارت بتلك الفكـــرات الثابتة التي يذهب أثرها الى أبعد غور من اغوار الحياة الخفية في نفـــس الافراد والجماعات ، فأخذت عناصر الثورة تتكون في الفترة مابين ١٥٩٦ الى سنة ١٨٧٩ أى منذ تنفس ديكارت شيح هذه الحياة الى اليوم الذى يخرج فيه أهل باريس يصيحون الى السلاح الى السلاح .

" استجمعت عناصر الثورة في قرنين من الزمان دأبت فيهـــــا الجامعات على بث المذاهب العلمية والفلسفية . وقام بها فحول مـــن الرجال أعطو الجماهير أرقى المثل ، كما تتحكم في رقاب الشعب المستقيم لحكم الفرد ، مستبذون تعهدوه باقسى المثلات . " "١"

أما الدكتور الغنيمي فانه يشبه الدين الاسلامي بالثورة الفرنسية ، يقـول :

" ان الاسلام - بلا مراء - ثورة اصلاحية ، لابد أن تتخذ مكـان الصدارة بين الثورات الكبرى في تاريخ الانسانية . . مثل الثورة الفرنسية" "٢"

ويدعو اسماعيل مظهر الى ماساه بالقضاء على الاسلوب الغيبي : فيقول : " على أنك لا تقع في كل هذا على حادث يلتئم من حوله الفكر غيــر أنني اتوقع وعسى أن يكون ذلك قريبا ، أن الخطوة التي خطوناها في سبيل الخروج من ظلمات الاسلوب الغيبي الى وضح الاسلوب اليقيني ، ســـوف تقودنا سعيا الى ميدان يتصادم فيه الاسلوبان تصادما يثير في جو الفكــر عجاجة ينكشف غبارها عن الاسلوب الغيبي وقد تحطمت جوانبه واندكـت قوائمه ، وتترك الاسلوب اليقيني قائما بهامة الجبار القوى الاصلابـــــة

---

١) تاريخ الفكر العربي : ١١٣ ، ١١٤ .

٢) مفتريات على الاسلام : ٢٨٦ .

مشرقاً على الشرق وقد هب من رقاد القرون ، ليسير في الدرب الذى مهدت سبله للانام نواميس النشوء والارتقاء " "١"

ويرى قاسم أمين بأن من أسباب ضعف المسلمين إعجابهم بماضيهم ويدعو في سبيل العلاج الى تربية أولادنا على التعرف على شئون المدنية الغربية ، فيقول :

" هذا هو الداء الذى يلزم أن نبادر الى علاجه - وليس له دواء ، الا أن نربي أولادنا على أن يعرفوا شئون المدنية الغربية ، ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها . إذا أتى هذا الحين - ونرجو أن لا يكون بعيداً - إنجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس ، وعرفنا قيمة التمدن الغربي . وتيقنا أنه من المستحيل أن يتم اصلاح ما في أحوالنا اذا لم يكن مؤسسا على العلوم العصرية الحديثة . . " "٢"

ويشبه الدكتور طلعت الغنيمي العلاقة بين صفة النبي صلى الله عليه وسلم كرسول وصفته كرئيس دولة بالعلاقة بين التاج والملك في الدستور البريطاني ويرى أن البابا اضفيت عليه الشخصية القانونيه من باب التكريم اما الرسول (ص) فقد قامت في حقه مبررات اقوى واسلم "

ويزعم بأن القانون الاسلامي ليست له طبيعة عامة بل هو خاص(٣) ومعنى ذلك انه لا يصلح للبشر كافة .

وننتقل في الفقرة التالية من البحث الي الحديث عن أثر طائفة من الذين يعيشون في العالم الاسلامي ، ولكنهم كانوا من العوامل المؤثرة - بقوة - في نقل الفكر العلماني الي العالم الاسلامي الا وهم : " النصارى العرب " .

---

١) تاريخ الفكر العربي : ١١٥

٢) الاعمال الكاملة لقاسم أمين : ٢/٢٠٩ " المرأة الجديدة " .

٣) مفتريات على الاسلام : ٢٨٦ .

المطلب الثانـــي :

. نصارى العرب وأثرهم في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي :

أثبتت النصوص التاريخية - ومنها اعترافات النصارى - أن أول من دعا الى العلمانية - اللادينية - بشعارها الصريح أو تحت شعـــارات أخرى كالقومية والوطنية في العالم الاسلامي - هم نصارى العرب ، ومـــن العجب أن هوءلاء النصارى لم تسعهم الحياة الكريمة التي كفلها لهـــم المجتمع الاسلامي ، وأحياناً المحاباة الزائدة التي عامل بها بعض خلفاء المسلمين من الدول الاموية والعباسية والعثمانية ، بل لم تطفيء نار الحقد في قلوبهم ، فراحوا يعملون على تقويض أركان الدولة العثمانية ، وقد علموا علم اليقين أن شريعة الله المهيمنة على المجتمع الذى يعيشون فيه هـــي العائق الوحيد دون مآربهم ، لذا فقد إستماتوا في سبيل الوصول الـــى إزالة هذه الهيمنة ، واقامة الانظمة اللادينية مقامها . ووجد اليهــــود والصليبيون الاوربيون في هذه الفئة من نصارى العرب البغية المنشودة لهدم الدولة العثمانية ، ومن ثم القضاء على الحكم الاسلامي - المتمثل بهيمنـــة الشريعة الاسلامية - عن طريق عزل الشريعة عن ميدان الحياة وتوجيـــــه المجتمع - .

ولم يفت نصارى العرب ما الحقته العلمانية - اللادينية - بإخوانهم في الدين في أوربا بل كان هذا هو الدافع لهم بأن ينادوا بهذا النظام في العالم العربي حتى يتمكنوا بواسطة ذلك من القضاء على هيمنة الاســلام على شئون الحياة والمجتمع .

وقد تمثلت جهود النصارى في هذا السبيل في الاعمال الفكريـــة ، والاعمال السياسية لذا فسوف أقسم هذا القسم من البحث الى .

أ ـ الاعمال الفكرية : وفيه أستعرض جملة من أفكار نصارى العرب في أمور عدة .

ب ـ الاعمال السياسية : وفيه أستعرض جملة من الاعمال السياسية التي تمثلت في إنشاء الاحزاب ، والصحف والمجلات السياسية التي تطالب بالانفصال عن تركيا أو تطالب بإقامة دولة عربية وطنية قومية ،أو بعزل الدين عن الحياة .

أ ـ الاعمال الفكرية :

كان نصارى العرب أول من نشر الفكر والثقافة العلمانية ، وذلك عن طريق الصحف التي انشؤوها والكتب التي ألفوها ، فأصدروا صحفا منها الجنان التي أنشأها بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣) والمقتطف التي أصدرها كل من فارس نمر (١٨٥٦ - ١٩٥١م) وشاهين مكاريوس (١٨٥٣ - ١٩١٠م) ويعقوب صروف (١٨٥٢ - ١٩٢٧) والهلال التي أصدرها جرجس زيدان (١٨٦١ - ١٩١٤م) . "١"

أما الكتب فقد إتجه قسم من هؤلاء النصارى الى التأليف الموسوعي فألفوا المعاجم اللغوية ، وقواميس الترجمة ومن هؤلاء بطرس البستاني الذى أصدر " دائرة المعارف العربية " ،" ومحيط المحيط " من اللغة العربية .

وقام بعض هؤلاء النصارى بالترويج للفلسفات الملحدة مثل سلامة موسى (١٨٨٧ - ١٩٥٨م) الذى ألف كتاب "نظرية التطور وأصل الانسان " . وشبلي شميل (١٨٥٣ - ١٩١٧م) الذى ألف كتاب : " فلسفة النشوء والارتقاء ".

---

١) انظر تراجم هؤلاء في كتاب الأعلام للزركلي (حروف الباء ،والفاء ، والشين ،والياء) .

وقام بعض آخر من هؤلاء النصارى بالترويج للأفكار الغربية العلمانية كالوطنية والقومية عن طريق الشعر ومنهم ابراهيم اليازجي (١٨٤٧ - ١٩٠٦م) وكان أحد اعضاء جمعية بيروت السرية ومن أشهر قصائده القصيدة السينية ، والبائية ، والقروى (١٨٨٧-) "١" والشعراء المهجريين .

هذا بايجاز دورهم في الفكر ، فإذا أردنا أن نفصل ذلك فاليك بعض التفاصيل :

يقول مؤلف كتاب : " تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي " مايلي :

" قسم الدكتور شرابي صاحب كتاب " المثقفون العرب والغرب " دعاة العلمانية المسيحيين الاوائل الى ثلاث فئات هي :

١ - الادباء الرواد : وهم فارس الشدياق (١٨٠٤-١٨٨٧) وناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١) وابراهيم اليازجي (١٨٤٧-١٩٠٦) وأديب اسحق (١٨٥٦-١٨٨٥) وفرنسيس مراش (١٨٣٦ - ١٨٧٣) وانطاكي الحمصي (١٨٥٨ - ١٩٤١) .

٢ - رواد الثقافة والتربية وهم : بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٩٣) وجرجي زيدان (١٨٦١ - ١٩١٤) ولويس شيخو (١٨٥٩ - ١٩٢٧) وعيسى المعلوف (١٨٦٩ - ١٩٥٦) .

٣ - رواد الفكر العلمي والفلسفة والدعوة العلمانية الصريحة وهم يعقوب صروف (١٨٥٢ - ١٩٢٧) وشبلي شميل (١٨٦٠ - ١٩١٦)

---

١) انظر تراجم هؤلاء في الاعلام : حرف السين ، والشين ، والالف ، والفاء ، والقاف .

وفرح انطون (١٨٧١ - ١٩٢٢) وسليمان البستاني (١٨٥٦ - ١٩٢٥) وامين الريحاني (١٨٧٦ - ١٩٤٠) ونقولا حداد (١٨٧٠ - ١٩٥٤) وسلامة موسى (١٨٨٧ - ١٩٥٨) "١"

ويقول البرت حوراني في كتابه الفكر العربي في عصر النهضة :

" وقد نادى بفكرة المجتمع قومي علماني - فريق من الكتاب المسيحيين السوريين كان الشدياق والبستاني رائدي مدرسة من الكتاب الذين فتح نمو الصحافة الدورية العربية مجالاً جديداً لمواهبهم ، ففي القرن التاسع عشر نوعان جديدان من الصحف السياسية المستقلة التي تنشر أخبار السياسات العالمية وتعبر عن الآراء السياسية،والمجلات التي كانت تتوخى غرضاً مزدوجاً هو اطلاع الفكر العربي على أفكار أوربا وأمريكا واختراعاتها وعلى كيفية التعبير عنها - باللغة العربية وكان العدد الاكبر من هذه المجلات الصادرة في القاهرة أو بيروت يحررها مسيحيون لبنانيون تثقفوا في المدارس الفرنسية أو الامريكية فزودوا القراء طيلة جيل بكامله بمادة للمطالعة الشعبية تكاد تكون الوحيدة في اللغة العربية آنذاك جاعلين للبنانيين تأثيراً كبيراً " . "٢"

وقد برز في الربع الاخير من القرن التاسع - كما يقول المحافظة - تياران فكريان بازاء العلوم الحديثة أحدهما : يضم المفكرين التقليديين من الازهريين وأنصارهم ، والثاني يمثله المفكرون الليبراليون . وقد وقف التيار الأول موقف العداء من العلوم الغربية الكونية مكتفيا بالعلوم الشرعية الاسلامية .

---

١) ص ١٣ هامش

٢) فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام : ٨٠ .

بينما وقف الآخر موقفاً ايجابياً من تلك العلوم ، واعتبرها الاساس لقيام الحضارة المتفوقة ونموها ، ورأى ضرورة إقتباسها دون تردد ، ويضم هذا التيار جناحاً متعدلاً ، وآخر متطرفاً يضم قادة الصحفيين السوريين في مصر أمثال " يعقوب صروف ، وفارس نمر ، وجرجي زيدان " وحركة الفلسفة العلمية بزعامة الدكتور شبلي شميل ، وفرح انطون ؛

وأكد الجناح المتطرف على إعتبار العلم هو الاساس والتقليل من أهمية الدين وبرزت الدعوة العلمية العلمانية على يد شبلي شميل فكان أول من أدخل مذهب دارون في النشوء والارتقاء الى العالم العربي عن طريق الترجمات والمقالات التي كان ينشرها في مجلة " المقتطف " "١"

وقد كان نصارى العرب أول من نادى كما ذكرت ـ بالقومية العربية ـ وكانت قد انتقلت من أواسط وشرق أوروبا عبر عدة أقلية ، وكان اللاجئون البولنديون والمجريون على الغالب أول الناقلين عندما ذهبوا لتركيا بعد فشل ثورتهم سنة ١٨٤٨ وبقي قسم كبير منهم فيها واعتنقوا الاسلام واحتلوا مناصب هامة في الدولة العثمانية وكان أحدهم الكونت قسطنطين بورزبسكي وقد تسمى بمصطفى جلال الدين باشا . ونشر عام ١٨٦٩م كتابا بالفرنسية في استنبول اسمه " اتراك الامس وأتراك اليوم " وفي الكتاب جزء كبير يشكل تقريراً للسلطان عن المشاكل الحاضرة في الامبراطورية واقتراحات حلها ، وبه جزء تاريخي يضم دراسة أجراها المستشرقون الاوربيون عن التاريخ القديم للشعب التركي يؤكد فيه دور الاتراك الايجابي في التاريخ . وحاول " بورزبسكي " جهده لاثبات

---

١) الاتجاهات الفكرية عند العرب : ٢٣٦ ، ٢٣٧ بتصرف طفيف.

ان الاتراك هم من العرق الأبيض مثل شعوب أوروبا وينتمون لما أسماه العرق " الطوراني الآرى " "١"

وهكذا يتضح تأثير الصليبيين الاوربيين في صليبي الشرق ، وموءازرتهم لهم في سبيل الوصول الى مجتمع علماني تحكمه دولة أو دول علمانية ـ لا دينية ـ وقد كان المبشرون الاوربيون أول من عاضد وقوى شوكة نصارى العرب خاصة نصارى لبنان .

ففي مجال التعليم عاضد المبشرون الاوربيون نصارى العرب يقول انطونيوس :- مايلي :

" ... ويأتي في المنزلة الثانية المبشرون الامريكان وكان لجهودهم اينع الثمرات بفضل ماكان يوجهها من أفكار وماكان يدفعها من حماسة وأدركوا أن ماكانت تحتاج اليه البلاد قبل كل شيء هو نظام تعليمي يلائم تراثها (؟) وأدركوا كذلك أن الامة إذا أضاعت تراثها فإنها لا تستطيع استعادته الا عن طريق أدبها وكان أولى الامور بالتقدم تأليف كتب العربية وكتب مدرسية مختصرة فعزم " ايلي سميث " وزملاوءه على أن يقولوا ذلك وانكبوا على تعلم اللغة العربية خلال الزمن الذى استغرقه نقل مطبعتهم من مالطة الى بيروت . ولم تمض سوى سنوات قليلة حتى استطاعوا أن يسدوا بما طبعوا من كتب حاجة المدارس التي أنشأوها بل لقد زودوا المدارس الاخرى بهذه الكتب " "٢"

من هذا النص يتضح لنا أن المبشرين الامريكان كان لهم جهود يوجهها أفكار ؟ !! ماهي هذه الافكار ، لاشك أنها افكار لتفتيت

---

١) الغرب والشرق الاوسط : ١٢٦ ، ١٢٧ بتصرف طفيف .
٢) يقظة العرب : ١٠٥ .

كيان المجتمع واثارة الطائفية بين أهل البلاد وذلك باستقلال أبناء دينهم من نصارى لبنان ، وأنهم رأوا أن البلاد لتصل الى هذا الهدف وهو " علمنتها " لابد أن يوضع لها نظام تعليمي يلائم تراثها كما زعموا ، وأدركوا أن ذلك يكون عن طريق الادب ، وعن طريق تأليف كثير من الكتب العربية ، ومن المهازل المضحكة أن " ايلي سميث" وزملاؤه الامريكان " تولوا ذلك وتعلموا اللغة العربية خلال زمن نقل مطبعتهم من مالطة الى بيروت .

فاذا انتقلنا الى معرفة أثر هؤلاء النصارى في مجال آخر ألا وهو العلاقة بين العلم والدين - التي لا زالت غير واضحة في أذهان كثير من المفكرين المستغربين - وتصورهم للدين والعلم فإننا نجد أنهم يتصورون أن هناك تناقضاً واصطداماً بين الدين والعلم ، هكذا أرادوا تصوير ذلك . ويرون أن العلم وخاصة التجريبي يجب أن يكون هو أساس العلوم وأن الدين بدائي لا يصلح للعصر .

وأكتفي بالحديث عن احد رواد الفكر العلمي والفلسفة العلمانية الصريحة وهو " شبلي شميل "

يقول البرت حوراني عن أفكار شميل هذا مايلي :

" ويقول إن العلم هو إعلان الحرب على الديانات القديمة . وما نشأت المسيحية الا عن الانانية وحب السيطرة من قبل رؤساء الدين وعن رغبة الانسان العادى في البقاء الفردى وليس مايحرر الانسان من نير الانانية سوى إدراك فكرة وحدة المادة والاقرار بها لكن للدين الجديد مستلزمات اجتماعية وسياسية واسعة أيضاً فالعلوم الطبيعية هي اساس العلوم الانسانية ولا تستمد الشرائع السليمة الا من العلوم الانسانية الصحيحة أما العلوم

الزائفة فهي تؤدى الى شرائع وأنظمة حكم زائفة . وليس الحكم الديني والحكم الاستبدادى فاسدين فحسب بل هما غير طبيعيين وغير صحيحين فالحكم الديني يرفع بعض الناس فوق سواهم ويستخدم السلطة لمنع نمو العقل البشرى نمواً صحيحاً أما الحكم الاستبدادى فينكر حقوق الافراد وما مصدر الاثنين الا المبدأ الخاطئ القائم على تفضيل المنفعة الشخصية على المنفعة العامة . وهما يشجعان العقل على البقاء في حالة الجمود وبذلك يعرقلان التقدم التدريجي الذى هو قاموس الكون لكن بالامكان تصوير نظام للشرائع والحكم يقوم على قواميس الكون ويسمح بالتالي لتطور النمو الكوني ان يستمر وللانسان أن يعيش وفقاً لطبيعته ومثل هذا النظام ينبثق عن المبادئ ذاتها التي تنبثق عنها نواميس الطبيعة وهي أن الاشياء كلها سائرة الى التباين والتغير وأن التطور يتحقق بالصراع من أجل البقاء وأن البقاء للاصلح والامم تقوى بمقدار ما يضعف الدين فهذه أوربا لم تصبح قوية ومتمدينة فعلاً الا عندما حطم الاصلاح (اصلاح لوثر) والثورة الفرنسية سلطة الاكليروس على المجتمع وهذا يصح أيضاً على المجتمعات الاسلامية " . "[١]

في هذا النص الأخير يمكن أن نستنتج عدة أفكار يسعى الى تحقيقها شميل هي :

١ - أن العلم حرب على الدين ، والعلم المادى هو المقصود " وليس مايحرر الإنسان من نير الأنانية سوى إدراك وحدة المادة والاقرار بها " .

---

١) فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام : ٨٣ ، ٨٤ .

٢ - أن العلوم الطبيعية هي أساس العلوم الانسانية وأن الشرائع السليمة لا تستمد الا من العلوم الانسانية الصحيحة التي هي فرع عن العلوم الطبيعية .

٣ - أن الحكم الديني غير طبيعي وغير صحيح ، وأنه يقوم على مبدأ تفضيل المنفعة الشخصية على المنفعة العامة .

٤ - أن الحكم الديني يشجع العقل على البقاء في حالة الجمود .

٥ - ان بالامكان تصوير نظام للشرائع والحكم يقوم على نواميس الكون القائمة على مبدأ التطور .

٦ - إيمانه بفرضية التطور وإيمانه بالصراع من أجل البقاء للاصلح . وأن الامم تقوى بمقدار ضعف الدين ويضرب مثلاً بأوروبا ويزعم أن ذلك يصبح على المجتمعات الاسلامية فهو إذاً يدعو الى القضاء على الدين وإحلال ما اسماه العلم الطبيعي محله واقامة الدول اللادينية .

ويفصح سلامة موسى عن حقده على المسلمين ويعد نفسه غريبا عنهم وأن ساكنهم في وطن واحد فيقول :

" .. وسمع نفسه وهو يقول شرق وغرب إنه شرقي مثل سائر مواطنيه ولكنه ثائر على الشرق عند ما أيقن أن عاداته تعوق إرتقائه . ودعا الى أن يأخذ الشرقيون بعادات الغربيين كي يقووا مثلهم ولكنه لم يجن من هذه الدعوة غير الكراهية والنفور . وأحس بالتناقض العميق بينه وبين المجتمع وهو تناقض كاد يفصل بينه وبين مواطنيه . فإن أسلوب حياته واهدافه الثقافية والسياسية والروحية تنأى عن عادات مجتمعه ، إنه ليخالف سائر الكتب اذ هو وإن كان يكتب باللغة العربية ، فإنه يفكر تفكيراً أوربياً وكان اعظم مايقطع كالسكين في كيانه النفسي أنه كان يضطر الى التلفيق أو كما يقول

غيره " التوفيق " فإنه هنا واقف لا يعرف كيف يكتب كأن هاتفا اجتماعيا قد هتف به : الا تكتب عن الرقص دع هذا الموضوع . لا تقربه أو قل بضع كلمات لا تغني ولا تتورط فيها) ولكنه عجز عن أن يصالح نفسه على هذا التلفيق " "١"

ان تأثير هذه الأفكار في نقل العلمانية الى العالم الاسلامي تكمن في أن الذين صرحوا بها كانوا هم الجسر الذى عبرت عن طريقهم علمانية أوربا الى العالم الاسلامي وفي أن هذه الافكار في الغالب كانت تنشر في المجلات التي يقروها طبقات مختلفة من أبناء المسلمين .

---

١) الأدب للشعب : ١٣١ ، ١٣٢ .

ب ـ الاعمال السياسية :

تتمثل الاعمال السياسية في اصدار الصحف والمجلات السياسية ، وفي الفكر السياسي الذى بيثه الافراد من النصارى الذين يوءثرون في المجتمع باسمائهم اللامعة ، وفي الاحزاب والجمعيات الادبية والسياسية التي كانت تنشأ في أواخر الدولة العثمانية للاجهاز عليها واقامة دولة علمانية في المناطق التي يكون فيها نصارى بل وفي العالم العربي كله ، وفي الاحزاب التي تأسست بعد تمزيق الدولة العثمانية " كحزب البعث العربي " "١" بزعامة ميشيل عفلق ، (والحزب القومي السورى) "٢" بزعامة انطون سعادة . ويهمني في هذه الفقرة الحديث عن الاحزاب القديمة التي كانت تسعى الى القضاء على الدولة العثمانية ومن ثم القضاء على وحدة المسلمين ، وعن الصحف والمجلات السياسية القديمة أيضا ، وعن أفكار الرواد في هذا الفكر العلماني . ذلك لأن الاحزاب والصحف والمفكرين الرواد هم الذين كان لهم اكبر الاثر على حياة المسلمين ، ولأن الاحزاب التي لا زالت في الساحة يرى الناس ماهي فيه ومدى فشلها في تحقيق مازعمت تحقيقه للعرب .

أما الصحف التي صدرت فسوف أذكر بعضاً منها : فمنها صحيفة الجنان ، والمقطم ، والمقتطف ، والهلال ، والاهرام وغيرها .

" يقول جورج انطونيوس عن صحيفة الجنان مايلي :

" .. وفي سنة ١٨٧٠ بعد صدور معجمه الكبير - يقصد بطرس البستاني - أنشأ صحيفة سياسية أدبية تصدر كل اسبوعين (نصف شهرية)

(١ و ٢) انظر حديثا جيدا ومناسبا عن حزب البعث في " فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام " وانظر عن الحزب القومي السورى " حركات ومذاهب في ميزان الاسلام : (٧١ - ٨٥) .

وكانت الغاية منها كذلك محاربة التعصب والدعوة الى التفاهم والاتحاد لخير الوطن وكان شعار الصحيفة " حب الوطن من الايمان " وهو شعور لم يكن يعرفه العالم العربي حتى ذلك الزمن وكان يحرص على أن يبرز هذا الشعار على الصفحة الاولى مع العنوان من كل عدد " ١ "

أما مايتعلق بالفكر السياسي الذى اطلقه النصارى فإنهم أول من أطلق شعارالوطن والوطنية ، وسبق أن ذكرت نصاً يثبت أن أول من دعا الى مجتمع قومي علماني هم النصارى وسوف أذكر نصاً آخر يثبت أن أحد النصارى دعا الى اقامة دولة علمانية .

يقول : " برنارد لويس " عن الوطن والوطنية :

" وفي سنة ١٨٨٢ كان الاحتلال البريطاني عاملا ضخما في اثارة الشعور الوطني حتى قبل أن يحتل الانكليز مصر قامت في مصر موجة كراهية للاجانب وكان شعارها مصر للمصريين ، ولقد أطلق هذا الشعار الصحفي المسيحي " سليم نقاش " " ٢ " وعمه " أبو نداره " وطبقه القائد المسلم عرابي باشا وفي الاعوام العشرة التي تلت ١٨٧٠ حدثت عدة تطورات في مصر أدت الى خلق ونمو هذا الشعور والتعبير عنه باسلوب رشيق لبق " ٣ "

---

١) يقظة العرب : ١١٥ .

٢) توفي عام ١٨٨٤م / ١٣٠١ هـ وهو من أهل بيروت ألف كتاب " مصر للمصريين " تسعة أجزاء طبعت الستة الاخيرة وفقدت الثلاثة الاولى .
(راجع الاعلام حرف السين) ومن العجيب في هذا ان يدعو هذا البيروتي لهذا الوطن وهو ليس وطنه ، ولكنه العداء للاسلام وأهله .

٣) الغرب والشرق الاوسط : ١٢٢ .

ويقول البرت حوراني عن فرح أنطون وهدفه السياسي الذى كان يسعى اليه :

" .. كان هدفه السياسي شبيها بهدف الشميل وسواه من كتاب عصره اللبنانيين ذلك أنه توخى وضع أسس دولة علمانية يشترك فيها المسلمون والمسيحيون على قدم المساواة التامة . فالطبيعة البشرية واحدة أساسياً في نظر جميع الاديان والحقوق والواجبات البشرية واحدة ايضاً حتى أن الذين لا دين لهم يختلفون عن غيرهم في الطبيعة والحقوق ".

ويذكر البرت حوراني قول فرح انطون : إن العالم قد تغير فالدولة الحديثة لم تعد قائمة على الدين بل على أمرين : الوحدة الوطنية ، وتقنيات العلم الحديث ، أما في العصر الحديث فالوحدة تتم بخلق الولاء القومي والفصل بين السلطة المدنية والسلطة الدينية .

ثم يقول البرت حوراني : " اننا نسمع من وقت الى وقت من خلال صفحات فرح انطون نغمة هي أكثر من مجرد صدى لمعلمين أوربيين إنها التعبير عن وعي سياسي إيجابي عند المسيحيين العرب لقد بقوا مدة طويلة مكتفين بأن لا يتدخل أحد في شئونهم مكرسين مواهبهم السياسية لمعالجة شئون بطريركياتهم المعقدة لكن فرح انطون الآن بمطالبته بدولة علمانية لم يطالب بعدم إضطهاد المسيحيين ومنحهم حقوقا متساوية فحسب بل طالب بمجتمع يتسنى لهم فيه القيام بدور ايجابي لا بل بمجتمع يتمكنون فيه من ممارسة شطر من المسئولية السياسية . ومع ذلك فقد تردد معظم الكتاب المسيحيين في دفع هذا التفكير الى نتائجه السياسية وفي التحدث عن أمة عربية إذ انهم تخوفوا من أن تنكشف القومية العربية عن شكل جديد من اشكال التسلط الاسلامي ولم يكن بإمكانهم إزالة هذا

التخوف الا باحدى طريقتين :

الاولــى : ان يجاوروا الاكثرية شأن الاقليات أحياناً ولــو أثار بعض الالتباس .

والثانيــة : أن يصبوا في قالب مفهومهم للعروبة محتوى مفهومهم للبنان أو لسوريا فيحلموا بأمة عربية تكون منفصلة عن أساسها الديني وتضــم بدون أى وجه من وجوه التفريق المسلمين والمسيحيين جميعا وتتمتع بحمايــة روءوفة من قبل أوربة الليبرالية " "١"

أما الاحزاب والجمعيات فقد إتخذت أول الامر طابع الجمعيــات الادبية وهي تخفي ورائها أهدافا فكرية تتلخص في إذكاء الروح القوميــة في العرب ، وأخرى سياسية تدعو لانفصال العرب عن الدولة العثمانية ،وقد كانت أول جمعية تأسست في هذا الصدد هي جمعية الآداب والفنون التــي تقدم باقتراحها ناصيف اليازجي وبطرس البستاني الى البعثة التبشيرية الامريكية وحقق المشروع عام ١٨٤٧م وكان من اعضائها ، اليازجي والبستاني ،وايلي سميث وكونيليوس فان دايك وعدد آخر من الاميركان وشخص إنجليزى يدعى " الكولونيل تشرشل " !!! وبلغ عدد أعضائها بعد سنتين من تأسيسهــا

---

(١) فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام : ٨٦ .

[illegible]

زتم هو [illegible] الحركة

واسبت اليها بالاسلام [illegible]

[illegible]

[illegible]

خمسين عضواً . أكثرهم من النصارى السوريين المقيمين في بيروت ، ولم يكن فيها عضو مسلم أو درزي .

ثم أسس اليسوعيون عام ١٨٥٠ الجمعية الشرقية على نفس الأسس التي أسست عليها الجمعية السابقة وكان المحرك لها هو الاب " دوير ونيير " الفرنسي (١) والذي وصل الى بيروت عام ١٨٤٩ وتعلم اللغة العربية فور وصوله .

ثم أسست الجمعية العلمية السورية عام ١٨٥٧ وهي أكبر من سابقتيها وتختلف عنها في أمرين :

١ - أنّ جميع أعضائها كانوا عرباً .

٢ - أنّ المسلمين والدروز اشتركوا مع النصارى وبلغ عدد اعضائها ١٥٠ عضواً . وكانت في غايتها ووسائلها وأنظمتها وقانونها على غرار الجمعية التي انشئت سنة ١٨٤٧ . ونالت اعتراف الحكومة بها سنة ١٨٦٨م "١"

أما أول جمعية تأسست منظمة تنظيماً سياسياً فهي " جمعية بيروت السرية " يقول عنها مصطفى الشهاب :

" تأسست " جمعية بيروت السرية " عام ١٨٧٥م على يد بعض الطلاب في الكلية الامريكية السورية البروتستانتية (الجامعة الامريكية) وأخذت توزع منشوراتها المكتوبة بخط اليد في الشوارع ، وتلصقها على الابنية في بيروت ودمشق وطرابلس وصيدا وكانت تطالب بما يلي :

---

(١) يقظة العرب : ١١٧ - ١٢١ بتصرف. وان تعجب فعجب زعم هؤلاء " العروبيون " الذين يدعون الى تمجيد العروبة واستبدالها بالاسلام ويدخلون معهم اعاجم من الامريكان والانجليز والفرنسيين ان هذا هو التناقض الذي يفضح أهدافهم الخبيثة وهي محاولة تمزيق المسلمين . وقد نجحوا للاسف .

١ - منح سوريا الاستقلال .

٢ - الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد .

٣ - الغاء الرقابة والقيود الاخرى المفروضة على حرية التعبير ونشر المعرفة .

٤ - جعل الخدمة العسكرية محلية " ١ "

وكان الأعضاء المؤسسين - كما يذكر توفيق علي برو - اكثرهم من المسيحيين وبعضهم تخرج من كلية بيروت الامريكية وكان عددهم اثنا عشر رجلا ثم ارتفع الى سبعين منهم :

١) يعقوب صروف ٢) ابراهيم اليازجي ٣) فارس نمر

٤) ابراهيم الحوراني ٥) شاهين مكاريوس ٦) الياس حبالين . " ٢ "

واستطاع هؤلاء الاعضاء الاوائل أن يضموا اليهم (٢٢) شخصا من مختلف الطوائف الدينية وهم من الصفوة المختارة . " ٣ " .

ويقول ساطع الحصرى عن مافعله نجيب عازورى مايلي :

" .. وأنشأ نجيب عازورى " عصبة الوطن العربي " في باريس بهدف تحرير الولايات العربية من الحكم التركي ،ونشرت العصبة حوالي خمسين نداء موجهاً الى العرب تدعوهم الى الثورة على الاتراك . ونشر نجيب عازورى عام ١٩٠٥ كتابا بالفرنسية

---

١) القومية العربية : ٤٥ وانظر يقظة العرب : ١٤٩ - ١٦٠ .

٢) العرب والترك : ٢٧ ، وكان ابراهيم اليازجي ينشىء القصائد في الدعوة الى اتحاد العرب ضد الاتراك وأشهرها القصدتين السينية والبائية ويرى انطونيوس ان المؤسسن كانوا خمسة .

٣) يقظة العرب : ١٤٩ - ١٦٠ .

" يقظة الأمة العربية في آسيا " دعا فيه الى إنفصال الولايات العربية عن الدولة العثمانية على أن تكون الحجاز مقراً لخلافة إسلامية عربية ، وأن تتكون من الشام والعراق دولة عربية موحدة عصرية ، كما طالب بتوحيد الكنائس الكاثوليكية تحت اسم الكنيسة الكاثوليكية العربية . وبعد عامين اصدر مع مجموعة من الكتاب الفرنسيين مجلة شهرية هي :

" L'Independance Arabe "

" استقلال العرب " صدر العدد الاول منها في نيسان ١٩٠٧م وكان الغرض منها التعريف بالبلاد العربية واثارة إهتمام الناس بقضية تحريرها الا أن عازوري لم يفلح في اثارة اهتمام العرب بهذا الموضوع فكان أثره ضعيفا وحالت الرقابة العثمانية دون وصول نداءاته ومنشوراته الى البلاد العربية " "١"

ويقول الاستاذ على المحافظة عن أهداف هذه العصبة مايلي :

" فهي ترغب ، قبل كل شيء في فصل السلطة الزمنية على السلطة الروحية ، من أجل صالح الاسلام ومصلحة الامة العربية ..." "٢"

لكن من هو هذا العازوري الذي يدعو الى دولة عربية علمانية قائمة على حرية المعتقد والمساواة بين جميع المواطنين ؟ انه كما يقول د. وجيه كوثراني :

---

١) البلاد العربية والدولة العثمانية : ١٢٥ - ١٢٦ ويسمي جورج انطونيوس هذه الجمعية " جامعة الوطن العربي " ويرى أنها أنشئت عام ١٩٠٤م وان اسم المجلة " الاستقلال العربي " (يقظة العرب : ١٧٢ - ١٧٤) .

٢) الاتجاهات الفكرية عند العرب : ١٣٥ هامش .

" ماروني من جبل لبنان ، عاش منذ صغره في فرنسا ،نشأ وتعلم في جو اجتماعي ـ ثقافي فرنسي ، ولم يكن يعرف العربية "(١)"

يقول الدكتور وجيه كوثراني في تقويم هذه الحركات القومية النصرانية وموقف المسلمين منها مايلي :

" .. بيد أنّ هذه النقطة المشتركة لم تعن ابداً التقاء بالوسائل والأهداف بين الفئتين الاجتماعيتين الاسلامية والمسيحية ففي حين كان مثقفوا البرجوازية المسيحية في بيروت المتشربون بالافكار الاوربية " الليبرالية " قد بدأوا يلهجون بالانفصال عن الاتراك منذ (١٨٨٠) (جمعية بيروت السرية ومناشيرها) وينظرون لهذا الانفصال في باريس عام (١٩٠٥) بتعابير ومفاهيم اوربية (كتاب نجيب عازورى مثلا : يقظة الامة العربية. كان المثقفون المسلمون الذين غلبت على ثقافتهم سمات التراث العربي ـ الاسلامي - يرون في هذه الاتجاهات محاولات استعمارية مشبوهة يجب محاربتها " "٢"

---

١) الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ما أعجب هذا الامر شخص لا يعرف العربية ويتربى في فرنسا يدعو الى اقامة دولة عربية علمانية قومية الا يدل ذلك على ان هناك هدفاً كبيراً يسعى له مسيحيوا المشرق والمغرب الا وهو القضاء على عز المسلمين.

٢) الاتجاهات الاجتماعية ـ السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي : ١١٠ .

ثم يقول أيضا :

" أما بالنسبة للبرجوازية المسيحية المدينية : صحيح أنها لم تكن اسيرة الموقع الاجتماعي الضيق الذى احتله الموارنة في الجبل في اطار " النظام الاساسي " وسيادة الاكليروس الماروني ، ولكنها بارتباطها الاقتصادى بأوروبا وثقافتها " الليبرالية " التي تنحو نحو " العلمانية " وانفتاحها " الكوسموبوليتي " التي تجسد في انتماء بعض عناصرها الى المحافل الماسونية ، فإنها كانت لا تدعو فحسب للاستفادة من " النموذج الاوربي " ، بل أيضاً لاعتبار أوروبا صديقة ينبغي أن تتدخل وتحكم لاصلاح حالنا واعداد " الدولة / الامة " المنشودة " " هذه الامة " هي المشرق العربي كما فهمها نجيب عازورى ، هي " سورية الطبيعية " كما دعا لها فارس نمر ويعقوب صروف صاحبا المقطم والمقتطف أو كما تصورها ندره مطران وجورج سمنه وخير الله خير الله في كتبهم التي حملت عنوان " سورية "

" ان هذه الهزعة " القومية " ... الانفصالية حملتها في رأينا - وقبل ١٩١٥ - فئات اجتماعية غير " جماهيرية " ، بل أكثر من ذلك معادية " لخط الجماهير " من هنا لا يمكن - في رأينا - إعتبار اصحاب هذه النزعة " طليعيون " لا لسبب ، الا " لعلمانيتهم " المعلنة . مايهم ليس الفكر مجردا عن الواقع الذى انتجه . ان المشروع السياسي الذى انتجه أصحاب هذه النزعة هو " مشروع امبريالي " أو دعوة للاستعمار متلبسة لباس " التقنية " . قد يدعو هذا الكلام الى الدهشة . لكن ماذا يسعنا أن نحكم ----------

نحكم حين نقرأ لفارس نمر - وهو يجادل رشيد رضا في الموقف عن الاستعمار - : " انا احتلالي على رؤوس الاشهاد " (١)

وهكذا اتضح لنا في الصفحات السابقة ومن نصوص النصارى مدى الدور الخطير الذى أدوه لنقل العلمانية الى العالم الاسلامي واتضح لنا مدى مؤازرة نصارى الغرب لهم في أداء هذا الدور . وبذا يتضح لنا مدى حقد نصارى الشرق والغرب على المسلمين ، وأن نصارى الشرق بعيدون كل البعد عما ادعوه من الوطنية الزائفة ، ولعل أقرب مثال حي حاضر هو مهزلة من يسمى بـ " المنشق سعد حداد " وسكوت نصارى لبنان وغيرهم عن هذا الفعل . وهذا يؤكد مايقوله كل مسلم ملتزم باسلامه من انه لا رابطة بين الناس الا رابطة العقيدة ، وكل الروابط الاخرى لا تصلح لتتكون منها المجتمعات والدول . وهذا كله مصداق قوله تعالى : " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم " (البقرة : ١٢٠) .

غير أن هذا لا يعني أن نلقي تبعاتنا على النصارى واليهود وننسب اليهم كل ما أصابنا كأنما هم قوة لا تقهر - في خططهم - وقد اجتاحتنا على حين غرة دون ان نقدر على دفعها .

---

١) نفس المصدر السابق : ١١١ ، ١١٢ ، وتكملة العبارة المنقولة عن فارس نمر في مجادلته لرشيد رضا مايلي : " من اكبر الاحتلاليين ، لانني جاهرت وشهدت ولم أخف ولم أنكر أن المحتلين أصلحوا في هذا القطر اصلاحا عظيما " .

نفس المصدر : ١٦٤ عن المقتطف مجلد ٣٦ ص ٢٦٠ - ٢٦٥ .

إننا كما أوضحت في الفصل الاول لم نوءت الا من قبل أنفسنا وما عوقبنا الا بما جنته ايدينا " ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم" فنحن الذين أعطينا الكفار - من يهود ونصارى - الفرصة للتخطيط ضدنا وذلك حين والبناهم والله يقول ناهياً لنا عن ذلك : " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إنّ الله لا يهدى القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أنّ تصيبنا دائرة فعسى الله أنْ يأتي بالفتح أو امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا من أنفسهم نادمين" ..

(المائدة : ٥١ ، ٥٢) .

" إنّ الله تعالى يقول : " وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا " فلولا إفلاسنا من الصبر والتقوى ، بل ومن الايمان والتصور السليم ماكان لهذه المخططات من أثر ، وإن كان فهو كالجرح الذى سرعان ما يندمل او الاغفاءة تعقبها الوثبة .

" .. وحين نقول إننا كنا مسلمين حقيقين حتى جاء الكفار فأفسدوا علينا ديننا ودنيانا فإنا لا نكون مخطئين في تصورنا فحسب ، بل نكون قد قطعنا على أنفسنا الطريق الصحيح للعودة . ذلك الطريق الذى يبدأ أساسا من معرفتنا باننا كنا منحرفين ، وفهمنا لاسباب ومظاهر الانحراف والاستقامة ". "١"

---

١) العلمانية وأثرها في الحياة الاسلامية : ٤٨٢ .

وبعد معرفتنا لأثر هؤلاء النصارى ـ الفكرى ، والسياسي ـ في العالم الاسلامي بنقلهم للعلمانية في الفكر والسياسة هل بقي عوامل أخرى ، كان لها أثر في نقل العلمانية ـ فكرا وتطبيقا ـ ؟ هذا ماسوف نعرفه في الفقرة التالية " المخططات الصليبية واليهودية " المتمثلة في قوى الاستقياد ، والتبشير ، والاستشراق ".

الفصل الثانـــى

عوامل انتقال العلمانية الى العالم الاسلامى

المبحث الثاني : عوامل خارجية (المخططات الصليبية واليهودية)

* تمهيـــد

أ ـ قوى الاحتلال المباشر وأثرها فى نقل تطبيقات الفكر العلمانى

ب ـ التبشير وأثره فى نقل الفكر العلمانى الى العالم الاسلامى

جـ ـ الاستشراق وأثره فى نقل الفكر العلمانـــى

—•••—

المبحث الثاني : عوامل خارجيه ـ المخططات الصليبيه واليهوديه ـ

تمهيـــد :

نزل القرآن الكريم وحى الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكانت الدعوة فيه الى الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم موجهة الى كافة البشـر . (١)

بل وجهت الدعوة الى اليهود والنصارى خاصة باعتبارهم أهل كتاب سابق على القرآن منزل من عند الله . قال تعالى :

" قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون . " (٢)

فماذا كان موقف أهل الكتاب عموما من هذه الدعوة وماذا كان موقف اليهود خصوصا ؟ .

أما موقف اليهود فيوضحه قوله تعالى :

" ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين . بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين . واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين . ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين . (٣)

---

(١) انظر سورة الاعراف : ١٥٨ .
(٢) سورة آل عمران : ٦٤ وانظر سورة المائدة : ١٥ - ١٩ .
(٣) سورة آل عمران : ٨٩ - ٩٣ وانظر : ٩٩ - ١٠١ .

فالآية تبين أن موقف اليهود كان هو الكفر بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وأن كفرهم هذا كان سببه الحسد للرسول صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليه وحى وأن تخرج الرسالة عن بنى اسرائيل .

ولم يكتفوا بهذا الموقف بل أنهم أخذوا يحاجون الرسول صلى الله عليه وسلم فى قضايا كثيرة منها : ١- ملة ابراهيم (١) ، ٢- القبله (٢)
٣- مواقف السخرية والتحدى للنبى صلى الله عليه وسلم ، والمحاجة للرسول (٣) بل زادوا على ذلك بالدسائس التى عملوها بين المسلمين ، والتآمر مع المنافقين والمشركين . (٤)

وقد وصل بهم الحقد على المسلمين الى حد أنهم أساءوا الى احدى نساء المسلمين فى سوق بنى قينقاع فكان ذلك سببا فى اجلاء بنى قينقاع من المدينة .

بل تآمرت قبيلة بنى النضير على اغتيال النبى صلى الله عليه وسلم حين جاءهم يستعين بهم فى تحمل دية بعض القتلى من بنى عامر الذين قتلهم أحد المسلمين فكان ذلك سببا لاجلائهم . (٥)

وتآمرت قبيلة بنى قريضة مع المشركين فى غزوة الأحزاب على قتال المسلمين فكان ذلك سببا فى قتل مقاتلتهم . (٦)

أما موقف النصارى من الدعوة الاسلامية فكانوا فى غالبيتهم يقفون موقف العداء والكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر سورة البقرة : ١٣٠ - ١٤٠ .
(٢) انظر سورة البقرة : ١٤٢- ١٥٢ .
(٣) انظر سورة آل عمران : ١٨٠ - ١٨٣ وانظر سورة النساء : ٤٤- ٤٦ .
(٤) انظر فى ذلك : سورة البقرة : ٧٥ ، ٧٦ و ١٤ وسورة النساء : ١٣٨ ، ١٣٩ . وسورة المائدة : ٥١ ، ٥٢ ، وسورة الحشر : ١١ .
(٥) انظر سورة الحشر .
(٦) انظر سورة الأحزاب .

قال تعالى " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون " سورة التوبة : ٣١ - ٣٤ .

فهذه الآية توضح أن النصارى اتخذوا رهبانهم أربابا من دون الله واتخذوا المسيح كذلك وهم مأمورون بعبادة الله وحده ثم توضح أنهم لم يستجيبوا لهذه الدعوة بل هم يريدون اطفاء نور الله (الاسلام) بأقوالهم السيئة فى الاسلام لتشكيك المسلمين فى دينهم ومن ثم انهاء وجود الاسلام.

بل ان النصارى حصل منهم محاجة ومجادلة للرسول صلى الله عليه وسلم فى عيسى عليه السلام وخلقه ودعوى الوهيته. (1)

ولكن النصارى لم يستطيعوا التآمر على المسلمين وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك لبعدهم عن المدينة ولانشغال دولة الروم النصرانية بصراعاتها مع دولة الفرس .

أما الحبشة فقد كان موقف ملكها النجاشى موقفا مشرفا بل هو قد أسلم فأمن المسلمون جانبه بل أذن الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى بلاده مرتين ،ولكن ذلك لم يمنع نصارى الروم حين علموا اتساع نطاق دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجمعوا جموعا كثيرة فى الشام لغزو المدينة فبادرهم النبى صلى الله عليه وسلم بغزوة تبوك وقد حكت سورة التوبة شيئا من هذه الغزوة

وقد نزلت آيات تدعو المسلمين لقتال النصارى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، قال تعالى : " ... قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" التوبة : ٢٩ .

---

(١) انظر سورة التوبة : ٣١ - ٣٤ .

وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن عداوة اليهود والنصارى للمسلمين في قوله تعالى :

" ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير " البقرة : ١٢٠، ١٢١ .

فهذه الآية توضح بما لا يدع مجالا للشك أن اليهود والنصارى لن يرضوا عن المسلمين حتى يتبعوا ملتهم - وليس معنى اتباع ملتهم أن يدخل المسلمون في النصرانية واليهودية فقط - بل يشمل ذلك اخراج المسلمين من اسلامهم واتباعهم لأهواء اليهود والنصارى - وهذا يكفى اذا لم يستطيعوا ادخال احد من المسلمين في النصرانية أو اليهودية .

ولعلى لا أكون مبالغاً ولا مجاوزاً للحقيقة اذا قلت بأنه لم يوجد في التاريخ البشرى عداوة تساوى أو تقرب في شراستها في الأساليب من عداوة اليهود والنصارى للأمة الاسلامية . ولم تكن أسباب هذه العداوة من نوع الأسباب السياسية أو الاقتصادية ، بل ان سببها المباشر الحقد على المسلمين الذين أنعم الله عليهم بهذا الدين .

وأوضح الادلة على عداوة النصارى للمسلمين الحملات الصليبية التى جهزت للقضاء على المسلمين على مدى قرنين من الزمان ، كما أن من الأدلة على عداوة اليهود للمسلمين المؤامرات الكثيرة ضد المسلمين التى دبرت من قبل اليهود بدءاً بقتل عمر رضى الله عنه ، وعثمان وانتهاءً بالواقع الحالى المتمثل في سيطرة اليهود على العالم الغربى خاصة الولايات المتحدة ومن ضمن ذلك سيطرتهم في اتخاذ القرارات السياسية وقد بدأت معالم سيطرة اليهود على العالم الغربى بعد الثورتين الانجليزية والفرنسية ، ومن ثم اتخذت العداوة شكلاً واحداً متضامناً لأن مصالحهما متشابكة ومتداخلة ، وكان الصليبيون على استعداد للتخلى عن عداوتهم لليهود ، بعد أن سيطر اليهود عليهم ، وهكذا سخر اليهود الصليبيين للقضاء على العدو الأكبر لليهود وهم المسلمون .

لقد كان للحروب الصليبية دور كبير في اذكاء العداوة للمسلمين ، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فقد كانت احد مظاهر العداوة للمسلمين .

ولا يمكن لباحث أن يدرس العلاقة أن يدرس العلاقة بين أوروبا باعتبارها منبت العلمانية ، والعالم الاسلامي بغير دراسة الحروب الصليبية لانّ هذه الحروب اعطت لهذه العداوة الراسخة مظهرا جديدا ، وأذلت فيها روحا معينة هي الروح الدينية .(١)

وقد أوضح أسبابها احد الاوروبيين الذين اسلموا .(٢)

كما أوضح هدفها " جان بول رو " اذ يقول :

" ... لقد كان أمل هذه المغامرة الفلسطينية ضئيلا بالنجاح ، لقد قذف بملايين الاوروبيين على شواطئ الشرق ومهمتهم تغيير المعتقدات الشرقية ، ومن أجل الوصول الى ذلك كان عليهم أن يخرجوا الشرق ، وبما أن القضية بدأت لذلك كان من الواجب إنماؤها على أفضل ما يمكن وبسبب ارتباطهم بها ماديا ومعنويا ، تصلب الأوربيون في عنادهم طيلة قرنين من الزمن .

" لم يكن القضاء على الدولة العثمانية الا مظهرا من مظاهر الهجوم العام الذي يشنه الأوربيون على الدولة الاسلامية . ومن جزر الفلبين الى قلب افريقيا عمل الرجل الابيض على بسط سيطرته على الرجل المسلم وفرض عليه مفاهيمه في الوجود وطرق معيشته وتفكيره ، ومخططاته وتكتيكه .(٣)

وهكذا يتضح من النص ان الهدف الاساسي للحروب الصليبية العسكرية انما كان " تغيير المعتقدات الشرقية " ولا يوجد في الشرق الاسلامي سيطرة لغير عقيدة الاسلام ذلك أن النصارى أقلية فالمقصود بتغيير المعتقدات

(١) لا أدل على ذلك من ان الذين أذكوا الحروب العسكرية الصليبية هم رجال الدين النصراني وعلى رأسهم "بطرس الناسك" مشعل الحروب الصليبية .

(٢) انظر في بيان ذلك كتاب الاسلام على مفترق الطرق : ٥٦ .

(٣) الاسلام في الغرب : ٤١ - ٤٣ . وانظر تقسيمه لمراحل الصراع بين المسلمين والنصارى في نفس الكتاب : ٦٩ ، ٧٠ .

العام الذي يشنه الاوربيون على الدولة الاسلامية . ومن جزر الفلبين
قلب افريقيا عمل الرجل الابيض على بسط سيطرته على الرجل المسلم وفرض
(٣)

الشرقية تغيير معتقدات المسلمين . وما دام أن هذا الهدف لم يتحقق للصليبيين فالعداوات كلها صليبية والحروب كلها صليبيه .

ويؤكد أن هدف الأوربيين من كافة حروبهم هو القضاء على الاسلام ان أول عمل قام به الانجليز فى الهند هو الغاء الشريعة الاسلامية وأن أول عمل قام به نابليون فى مصر هو تعطيل الشريعة الاسلامية واستبدالها بالقانون الفرنسى ، وان أول عمل قام به أذناب اليهود والنصارى فى تركيا بعد ثورة "مصطفى كمال" كان الغاء الشريعة الاسلامية ، واعلان الدولة التركية دولة علمانية .

ولقد ادرك الصليبيون واليهود ان التخطيط المشترك بينهم اصبح ضروريا بعد الموقف المشرف الذى واجه به السلطان عبد الحميد رحمه الله - هرتزل زعيم الحركة الصهيونية آنذاك أيقن هؤلاء ان القضاء على الدولة العثمانية يخدم مصلحة الطرفين فالصليبيون كانوا يتحينون الفرصة المواتية للأخذ بثأرهم من المسلمين لهزيمتهم فى الحروب الصليبية واليهود أيقنوا أنهم بعد فشلهم مع السلطان عبد الحميد لا قدرة لهم على العمل المنفرد - فلا بد من التركيز على العالم الصليبى بثقل لجعله مسخراً لمآربهم - واتفقت أهداف المعسكرين الصليبى واليهودى ووصلت الى قمة التوحد بعد قرار المجمع المسكونى الذى صدر من الفاتيكان عام ١٩٦٤ وقد نص على تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام وكان الهدف من هذا القرار محو كل اثر للعداء بين الصليبيين واليهود "(١)

واذا كانت العداوة للمسلمين لم تتغير فان الوسائل والخطط تغيرت كثيراً وقد طرح رأيان فى هذا العصر مسالة القضاء على المسلمين وعلى الاسلام فى نفوس ابنائه .

الراى الاول : يعتقد أن السبيل الى ذلك هو احتلال الاراضى الاسلامية احتلالاً عسكرياً كما فعل الصليبيون سابقاً . وهذا راى المستشرق كيمون الذى يرى أن من الواجب ابادة خمس المسلمين والحكم على الباقين بالاشغال الشاقة وتدمير الكعبة ووضع ضريح محمد فى متحف اللوفر "(٢) .

---

(١) انظر بعض النقاط الاساسية فى وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح فى كتاب : التبشير والاستعمار : ٢٦٤ ، ٢٦٥ . وانظر حديث الشيخ محمد الغزالى عن الوثيقة فى : حصار الغرور : ١٢٨ - ١٣٠ .

(٢) الاسلام على مفترق الطرق : ٤١ والاتجاهات الوطنية فى الادب العربى المعاصر ١/٣٤٩ . وانظر القومية والغزو الفكرى : ١٩٢ .

ورأى

و... " غلادستون " رئيس وزراء بريطانيا سابقا الذى يقول

" مادام هذا القرآن موجوداً بين أيدى المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان " "١"

ويبدو أن هذا التفكير الوحشي يطمع في أن يتكرر ماحصل في الاندلس - من انهاء وجود المسلمين - في المشرق .

أما الرأى الثاني - وهو رأى ذكي - فقد بحث أصحابه في سر الهزائم التي مني بها الغرب في الحروب الصليبية وفي عهود الاحتلال المباشر لبلاد الاسلام فوجدوا أن السر في ذلك هو الاسلام ، فوضعوا بناء على ذلك - خططاً لا تقوم على ابادة المسلمين واحتلال اراضيهم وانما هدفها الاساسي اقتلاع الاسلام من نفوس المسلمين ، أو عزله عن واقع الحياة ، وهكذا يريد هؤلاء أن تنتقل المعركة من الارض الى الادمغة ، وأن تكون وسيلتها الفكر بدلاً من السلاح ، وأصبحت المؤسسات الفكرية ، والمناهج والخطط تدير هذه المعركة لاحتلال الادمغة وتسييرها حسب مايريد الصليبيون .

وقد عمل أصحاب هذا الرأى احتياطات كثيرة لنجاح هذه الحرب الفكرية ، كان على رأسها عدم التصريح بعداوة المسلمين ، وأن تتخذ المعركة شعارات عدة ، كأن توصف بأنها معركة بين الشرق والغرب ، أو انها حرب بين اليسار واليمين ، ويجب تجنب وصف هذه المعركة بأنها دينية إذ أن هذا يستثير حمية الجهاد عند المسلمين ، واستثارتها يعني فشل خططهم وتكرر هزائم حطين وغيرها .

وقد سبق هؤلاء وكان أول من نبه الى هذه الخطة " لويس التاسع" ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثانية الذى اعتقل في المنصورة بمصر .

يقول الشيخ الغزالي عن ذلك مايلي :

---

(١) الاسلام على مفترق الطرق : ٤١ .

" يقول مؤرخو الغرب وعلى رأسهم المؤرخ " جوانفيل " الذى رافق لويس التاسع : إن خلوته في معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة ليفكر بعمق في السياسة التي كان أجدر بالغرب أن يتبعها ازاء العرب والمسلمين .

ويقول : " رينيه جروسيه " : إن الملك لويس التاسع كان بذلك في مقدمة كبار ساسة الغرب الذين وضعوا الخطوط الرئيسية لسياسة جديدة شملت مستقبل آسيا وافريقيا بأسرهما .

" وهكذا انساق لويس التاسع بقوة الاحداث فرسم التخطيط المبدئي للسياسة التي رأى أنها تمكنه من مواجهة الاسلام والنيل من قوته ثم زادته الاحداث استيعابا وتفهما لمشكلات الغرب في هذا الصدد فوضح معالم سياسته الجديدة واتجاهاتها واسسها على النحو التالي :

أولاً : تحويل الحملات الصليبية العسكرية الى حملات صليبية سلمية تستهدف ذات الغرض لا فرق بين الحملتين الا من حيث نوع السلاح الذى يستخدم في المعركة . . وقد تمثل ذلك بإثارة الخلافات في أوساط المسلمين ، والامعان في ذلك بتأييد بعضهم على بعض واستغلال مايكون بين المسلمين من خلافات استغلالاً يمكن الغرب من التمتع بامتيازات سياسية واقتصادية وتفتيت الكتلة الاسلامية وبذا ينتهي الاسلام من تلقاء نفسه . "[١]

ثانيا : تجنيد المبشرين الغربيين في معركة سلمية لمحاربة تعاليم الاسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنوياً واعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعارك جنوداً للغرب .

---

١) معركة المصحف : ٢٠٤ .

ثالثا : العمل على استخدام مسيحي الشرق في تنفيذ سياسة الغرب .

رابعا : العمل على إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق العربي يتخذها الغرب نقطة إرتكاز له ومركزاً لقواته الحربية ولدعوته السياسية والدينية ومنها يمكن حصار الاسلام والوثوب عليه كلما اتيحت الفرصة لمهاجمته .

وقد عين لويس التاسع لانشاء هذه القاعدة ، الاراضي الممتدة على ساحل البحر الابيض من غزة حتى الاسكندرية وتشمل فلسطين والاردن ، والبلاد المقدسة ثم لبنان بأسرها .

والى هذه السياسة ـ التي اتخذها الغرب أخيراً خطة له عن لويس التاسع وأعتنقها وطبقها يرجع الفضل في تأخير سقوط بيزنطة في يد الاتراك لمدة ثلاثة قرون " "١"

وقد نفذ هذه الوصية وسار على نهجها نابليون بونابرت فقد وجه خطابا الى الشعب المصرى حين وصل الى مصر أقتطف نبذاً منه تدل على مدى المكر والخديعة لدى هؤلاء الصليبيين وقد بدأها بالبسملة كما في بعض ترجمات الخطاب في بعض الكتب التي نقلت الخطاب . "٢"

" ياشعوب مصر سوف يقولون لكم إني قادم لإبادة ديانتكم ، فلا تصدقوهم بل قولوا لهم اني آت لاعيد اليكم حقوقكم ، واعاقب مختلسيها ، وانا احترم الله ونبيه الكريم أكثر مما يحترمهم المماليك قولوا لهم ان جميع البشر متساوون لديه تعالى ، وانه لا فرق بينهم الا بالحكمة والمواهب العقلية

---

١) نفس المصدر : ٢٠٧

٢) نابليون المسلم .

والفضائل وعليه بأى حكمة ومواهب عقلية وفضائل يمتاز بها المماليك حتى يتسنى لهم أن يتمتعوا بكل مايجعل الحياة هنيئة وعذبة ؟ ....

" أيها القضاة والشيوخ والشوربجية . قولوا للشعب انا اصدقاء مخلصون للمسلمين الحقيقيين أو لسنا نحن نكلنا بالبابا وقد كان ينادى بوجوب شهر الحرب على المسلمين ؟ أو لسنا نحن الذين أبدنا فرسان مالطة الأغرار وقد كانوا يعتقدون ان البارى عز وعلا يريد أن يشهر القتال على المسلمين ؟ ... "(١)

هذا ماقاله نابليون والواقع أن الاعمال الحقيقية التي غزا من أجلها مصر ، لم تكن خافية ولن تكون خافية على كل ذى عقل وبصيره .

وهكذا استفاد الغربيون من وصية لويس التاسع وبدأت مخططاتهم المتآزرة مع المخططات اليهودية ، لاخراج المسلمين عن دينهم وحملهم على العلمانية وقد عمل الغربيون على تحقيق هذا الهدف عن طريق الاحتلال المباشر ، والتبشير - التنصير - والاستشراق .

---

(١) تاريخ نابليون الاول : ٩٢/١ ، ٩٣ ومثله مع اختلاف في الالفاظ أنظر " وثائق ونصوص من التاريخ الحديث والمعاصر "

أ ـ قوى الاستعباد وأثرها في نقل تطبيقات الفكر العلماني :

لقد استفاد الغربيون الصليبيون إستفادة عظيمة من وصية لويس التاسع فقدمت جيوش الاحتلال الى العالم الاسلامي وهي تقاد بعقلية مختلفة عن العقلية الصليبية السابقة إذ هي تتمتع بدهاء كبير وتعلم مقدماً أن مهمتها أعظم من مهمة الاجداد الصليبيين وان أساليبها يجب أن تتغير ، وأن نجاح مهمة هذه الجيوش يتوقف على الدقة في تنفيذ الخطة الجديدة التي نبه اليها لويس التاسع .

وكان من أول ثمرات هذه الخطة أن استطاعت الدول الصليبية محاربة جيوش الدولة العثمانية بأفراد من المسلمين ساروا تحت قيادة الجنرال اللنبي حتى دخل القدس .

والحق أن هذه الحروب هي أول حرب صليبية يكون وقودها مغفلون من المسلمين ، ولقد إقتضت اتفاقية " سايكس بيكو " بين فرنسا وانجلترا وروسيا توزيع بلاد المسلمين بين هذه الدول ، "١"

وبدأت من بعد ذلك التقسيم الدول الصليبية تنفذ مخططها المرسوم لها في كل بلد ويمكن تلخيص جهود الصليبيين في ابعاد المسلمين عن دينهم في هذه الفترة ـ في الآتي :

١ ـ القضاء على الحركات الاسلامية التي جاهدت الصليبيين المحتلين لبلدانها مثل حركات اسماعيل الشهيد في الهند ، والمهدى في السودان ، والخطابي في المغرب ، وعبد القادر الجزائرى في الجزائر

---

(١) عقدت هذه الاتفاقية في ١٦ مايو عام ١٩١٦م بموجبها فرنسا على جميع بلاد الشام وجزء من العراق وحصلت بريطانيا على فلسطين والاردن ومعظم العراق .

وعمر المختار في ليبيا ، وفي مصر قتل الشيخ حسن البنا بعد أن عجزت مخططات بريطانيا عن احتواء دعوته ثم ضربت الحركة على أيدي قادة الثورة عامي ١٩٥٤ م و ١٩٦٦م .

٢ ـ الغاء المحاكم الشرعية وإحلال القوانين الوضعية محلها :

لا ريب أنّ اقامة الحدود الشرعية والقصاص بل كون جميع القضايا التي تعرض للناس في حياتهم وتعاملهم مع غيرهم بيت فيها قضاة يستندون الى أحكام الشريعة فيما يحكمون لا ريب ان له نتائج حسنة وقد أدرك المحتلون للبلاد الاسلامية هذا فارادوا القضاء على المحاكم الشرعية واحلال القوانين الوضعية محلها حتى يعدم الامن بين الناس يقول الاستاذ علال الناسي في بيان ذلك :

" كان أول قطر بدأ فيه الغاء الشريعة الاسلامية ـ كما يقول المودودي ـ هو الهند فقد كانت الشريعة الاسلامية تطبق حتى عام ١٧٩١ م لكن الانجليز أخذوا بعد ذلك يلغيون من الشريعة الاسلامية شيئا فشيئا حتى تم الغاء التحاكم الى الاحكام الشرعية في منتصف القرن التاسع عشر .

" ثم الغى العمل بالشريعة الاسلامية في الجزائر عام ١٨٣٠ م واستبدل بالقانون الفرنسي .

" ثم أدخلت القوانين الفرنسية في تونس عام ١٩٠٦ والمغرب عام ١٩١٣ عوضا عن الشريعة الاسلامية ، وهكذا لبنان ، وأصبح لا يطبق حسب الشريعة الا ماكان متعلقا بالاحوال الشخصية ، وهكذا أصبح القانون المدني الفرنسي مطبقا في مصر ولبنان وتونس والجزائر والمغرب ،أما سوريا وفلسطين والاردن والعراق وليبيا فقد تأخر تطبيق القوانين الوضعية حتى انهيار الدولة العثمانية .

" أما ألمانيا وتركيا فقد ألغتا الشريعة ، فأعلنتا في القرن العشرين بكل جرأة أنهما دولتان لادينيتان "١"

ولعل أوضح دليل على ماعمله الاستعمار في سبيل الغاء المحاكم الشرعية ، إشتراط الانكليز على النحاس باشا حين ذهب الى لندن عام ١٩٣٦ ليفاوض الانكليز في أمر المعاهدة - الغاء المحاكم الشرعية - فاعتذر ، وأظهر خوفه من الهيجان الشعبي لكنه وعدهم بتقليص نفوذها من البلاد ،

وعندما تعهد الانكليز بالخروج من الكويت شرطوا الغاء الحكم بالشريعة ووضع قانون مدني بدل الشريعة بدعوى أنه لابد من قانون يحمي حقوق الاجانب والمواطنين ،وسلمت المحاكم لحكام مدنيين . "٢"

٣ - الاجهاز على التعليم الاسلامي : وقد أدرك المحتلون للبلاد الاسلامية أن أنجع السبل لاقصاء الاسلام من نفوس ابنائه هو أن يصبحوا جاهلين به ، وكان لهم في مصير كليبر "٣" - الحاكم العسكري الفرنسي ايام احتلال نابليون - على يد أحد طلاب العلم وهو سليمان الحلبي كما كان لهم فيما اصيبوا به من هزائم من جراء مقاومة المسلمين لهم في كافة البلاد الاسلامية وعلى رأس المقاومين علماء الاسلام وطلابهم - كان لهم في ذلك عبرة وعظة إستفادوا منها في التخطيط لحرب الاسلام عن طريق تخريب مناهج ومقررات الدين في التعليم

---

(١) دفاع عن الشريعة : ١٧٥-١٧٩ . وانظر تفاصيل تركيز المحتلين على الغاء الشريعة نفس المصدر : ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام : ١٥٦

لذا فقد وضعوا من الخطط مايقلص التعليم الديني تدريجيا واحلال التعليم اللاديني محله ، وقد كان أهم وأشهر هذه الخطط ، مخطط كل من كرومر ودنلوب في مصر .

وسوف أذكر معالم هذا المخطط عند الحديث على أثر العلمانية في التربية والتعليم .

٤ - إستخدام الطوائف النصرانية وغيرها واحياء الطوائف الباطنية وهي من أخبث خطط المحتلين وأكثرها دلالة على مدى الحقد على الاسلام والمسلمين ، فقد كان المحتلون الصليبيون يعملون ضمن مايعملون على إحياء العقائد الميتة في البلاد الاسلامية ، وتنظيم الطوائف النصرانية ، ويمهدون لها كل السبل لتولي المناصب المهمة ، ولا يخفى على الباحث ماعمله الصليبيون من ضغوط على الدولة العثمانية في أواخر عهدها لاعطاء النصارى في الشام حكماً ذاتياً عرف بنظام المتصرفيه ، وهذا مهد الطريق لفرنسا حين احتلت لبنان لدعم النصارى وتسليمهم وظائف الدولة العليا ، وتنظيم طوائفهم في جمعيات ومؤسسات وأحزاب عسكرية ومدنية .

أما فيما يتعلق بالطوائف الباطنية فقد إستطاعت فرنسا بحكم إحتلالها لبلاد الشام أن تبعث عقائد الباطنية عن طريق مستشرقيها وتنشر كتبهم التي تدعو لهذه النحله ، وأطلق الفرنسيون على الطائفة الباطنية " النصيرية " إسم " العلويين " لتخفيف حدة العداء بين المسلمين وهذه الطائفة باضفاء اسم محبب عليهم ليتوهم الناس أنهم من محبي علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ومن اتباعه وهم أبعد الناس عن ذلك .

واصطنعتهم عملاء لها وحرضتهم ومهدت لهم سبل الالتحاق بالجيش حتى تسنموا قيادته العليا ، ثم استطاعوا أخيراً التحكم في الاكثرية المسلمة .

أما في مصر فقد مكن للاقباط من بناء الكنائس والمدارس بكثرة ، ومكن لهم من تسلم المناصب الوزارية برعاية الانجليز ، ولقد كان الجنرال يعقوب أحد الاعلام النصارى الذين قدموا خدمات جلى للجيوش الفرنسية التي غزت مصر في عهد نابليون . يقول الاستاذ جلال كشك عنه مايلي :

" والجنرال يعقوب هو الذى كون فيلقاً لضرب الشعب المصرى ، ومعاونة الاحتلال الفرنسي ثم خرج هارباً مع جيش الاحتلال .

" وقد نهض يعقوب وحده باعباء تموين الحملة (حملة ديسيه على الصعيد) والجيوش المتفرقة على طول النيل ..."[١]

وفي معظم دول افريقيا خرج المحتلون الفرنسيون وغيرهم وسلموا الحكم لحكومات نصرانية في غالبها وتحكم شعوبا اسلامية قد تصل نسبة المسلمين الى أكثر من ٩٠ ٪ ولعل أقرب مثال على ذلك حكومة السنغال فان رئيس جمهوريتها نصراني " نصرته فرق التبشير في افريقيا منذ صغره "[٢]

أما في الهند وايران فقد اصطنع الاستعمار الانجليزى عملاء خرجوا بطوائف جديدة كالقاديانية والبهائية والبابية . "[٣]

---

١) الغزو الفكرى : ١٠٤ .

٢) ابن محاض الجيل المسلم : ٣٢ .

٣) انظر ماكتبه العلامة ابو الاعلى المودودى رحمه الله في كتابه " ماهي القاديانية " وماكتبه العلامة أبو الحسن الندوى في كتابه القادياني والقاديانية وماكتبه غيرهما . وانظر ماكتبه محب الدين الخطيب رحمه الله عن البهائية وماكتبه محسن عبد الحميد في كتابه البابيه والبهائية وغيرها من الكتب .

٥ - اصطناع العملاء من أبناء المسلمين : وأول من تنبه لهذا الأمر فيما اعلم القسيس زويمر الذى قال :

" تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لا ن الشجرة يجب أن يقطعها أحد اعضائها " "١"

وقد نفذ المحتلون هذه النصيحة ، واستطاعوا أن ينظموا من ضعفاء الايمان من المسلمين أحزابا واتجاهات بعضها سياسي وبعضها فكرى ربوا تحت رعاية المحتلين وحشيت أدمغتهم بالاكاذيب ضد الاسلام ، وبتمجيد الغرب وعلومه ومدنيته ، ومع الزمن أصبح هؤلاء يشعرون بالنقص والتبعية للغرب وآثروا فيمن يتصل بهم .

واختار المحتلون من هؤلاء الافراد الذين ربوا تحت سمع وبصر المحتلين بالطريقة التي يريدها الـ لون - اشخاصاً رأى المحتلون فيهم أنهم أقدر من غيرهم على اكمال المخططات التي خطط لها بعد رحيله من البلاد . وكان لابد من ابراز اشخاص منهم فصنع لهم المحتلون بطولات زائفة حتى ظن معظم الناس ان نهضة البلاد ستكون على يد هؤلاء فخضعوا واسلموا أمرهم لهؤلاء الابطال المزعومين فلما تمكن هؤلاء الصنائع انزلوا بالامة من الذل والخراب في العقيدة مالم يفعله المحتلون الاسياد .

وان من أمثلة هؤلاء الواضحة مصطفى كمال في تركيا ، وجمال عبد الناصر في العالم العربي ، وسوكارنو في اندونيسيا والشاه في ايران "٢"

---

١) الغارة على العالم الاسلامي : ٨٠

٢) انظر في هذا الكتب التاليه : الرجل الصنم ، اختاروا احدى السبيلين ، الصراع بين الفكرة الاسلاميه والفكرة الغربية .

٦ ـ مساندة النزعات القومية واذكاء روح العصبية العرقية :

يتحين المحتلون الفرص لخروج شخص من المسلمين بفكرة جديدة تعارض مبدأ من مبادئ الاسلام ، ومن أهم الامور التي رأى المستعمرون أنهـا مفيدة في القضاء على كيان المسلمين المتماسك هو مساندة الدعاة الى النزعات القومية أو اصطناعهم لبث هذه النزعات .

وقد كان أول من بدأ بالدعوة الى الطورانية شخص يدعى " يوسف آتشو رايك " من تركستان روسيا وقد شكل جمعية انضم اليها مجموعة من آمنوا بفكرته ودعو الى القومية الطورانية التركية ونبذ كل ماعداها من القوميات واطلقوا على هذه الجمعية اسم " ترك يوردوا " أى وطن الترك ثم قامت حركة أخرى من هؤلاء الدعاة " باسم " ترك اوجاغي " اى حول الموقد التركي ، واستمر هؤلاء في دعوتهم عن طريق نشر المقالات والمنشورات والكتب، وكان رجال المخابرات البريطانية يؤيدونهم وينفقون عليهم . وفي هـذه المرحلة قامت فكرة التجمع العربي على الاساس القومي ، وأيدهم الاستعمار وكانت مراكز تجمعاتهم في اسطنبول هي دور السفارات الانكليزية والفرنسية والامريكية . . "٢"

---

١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام : ١٢٥ ، ١٢٦ ،
وانظر البلاد العربية والدول العثمانية : ١٢١ ، ١٢٢ .

ب ـ التبشير ـ التنصير ـ وأثره في نقل الفكر العلماني الى العالم الاسلامي :

ماهي أهداف الصليبيين من حروبهم للمسلمين خاصة الحروب الفكرية المتمثلة في التبشير والاستشراق ؟ وما هي خطة العمل التي يسير عليها المبشرون ؟ وماهي وسائلهم في هذا المجال ؟ وهل هناك تآزر بين المحتلين الصليبيين واخوانهم المبشرين ؟

كل هذه التساؤلات سوف يجيب عليها هذا الجزء من البحث فأقول وبالله التوفيق :

اما عن الأهداف التي يسعى الصليبيون لتحقيقها في حربهم للمسلمين عسكريا وفكريا : فقد أوضحها القرآن توضيحا شافياً وهو الحقد والحسد للمسلمين وهذا يدفعهم لمحاولة صد المسلمين عن اسلامهم واخراجهم منه "١" وقد أوضح كثير من الصليبيين هذا الهدف بوضوح ايضا .

قال غاردنر : " لقد خاب الصليبيون في انتزاع القدس من أيدى المسلمين ليقيموا دولة مسيحية في قلب العالم الاسلامي ـ والحروب الصليبية لم تكن لانقاذ هذه المدينة بقدر ماكانت لتدمير الاسلام " "٢"

وهكذا يوضح هذا القطب من أقطاب الصليبيين المبشرين أن هدف الحروب الصليبية كان هو القضاء على الاسلام وانهاء وجوده من واقع المجتمعات ، وتحويل المسلمين الى نصارى واقامة دولة نصرانية مكان الدولة الاسلامية .

---

١) هذا هو مايدفع المبشرين ضمن التعامل مع كل المسلمين ولكنهم غيروا استراتيجيتهم فجعل الهدف هو تشكيك المسلمين عموما ومحاولة تنصير من يستطيعون تنصيره من الجهلة والاطفال .

٢) التبشير والاستعمار : ـ ١١٥ .

أما عن أهداف الحروب الفكرية المتمثلة في التبشير والاستشراق فسوف أقتصر هنا على ذكر اهداف التبشير ثم أذكر أهداف الاستشراق في موضعها من هذا البحث .

كان هدف التبشير ولا زال - في المناطق الجاهلة بأمور الاسلام - هو تنصير مايمكنهم تنصيرهم من ابناء المسلمين ، ولا أدل على ذلك من أن بعض زعماء افريقيا ممن أمكن تنصيرهم وأقرب مثال على ذلك رئيس جمهورية السنغال ليوبولد سنغور فقد استطاع المبشرون تنصيره مع أن ابويه واخوته واقاربه لا زالوا مسلمين . "١" وقد استقال أو أقيل وتولي الحكم بعده مسلم يدعى " عبدو ديوف "

ويذكر الاستاذ احسان حقي في رسالة بعث بها الى مجلة المسلمون عن التبشير في افريقيا أن الحكومات الممثلة للبلاد الاسلامية هناك والقسس المبشرون عملوا على تنصير المسلمين لكنهم لم يفلحوا في اكتساب احد الا من الوثنيين أو الاطفال الذين كانوا يأخذونهم ويربونهم على المسيحية . "٢"

ولهذا السبب فقد تنبه المبشرون الى أن هذه الوسيلة وحدها غير كافية فلا بد من وسيلة أخرى يكون مفعولها وأثرها على المسلمين أقوى فغيروا في استراتيجيتهم فجعلوا هدفهم الاكبر يتمثل في صورتين اثنتين :

احداهما : زعزعة عقائد المسلمين بالقاء الشبهات على المسلمين .

والثانية : فرض التجهيل على المسلمين وابعادهم عن الاتصال باخوانهم المسلمين . "٣"

---

١) ابن محاضر الجيل المسلم : ٣٢ .

٢) مأساتنا في افريقيا : ٨٠ - ٨١

٣) انظر لبيان هذين الهدفين كتابي " التبشير والاستعمار : ٤٦ ومأساتنا في افريقيا : ٨٠ ، ٨١

ولقد كان أول من نبه الى هذا الهدف وهو - اخراج المسلمين من دينهم دون ادخالهم في النصرانية القسيس زويمر - رئيس مؤتمر القدس التبشيري - فقد وجه خطابه الى المبشرين منتقدا لطريقتهم وموجها الى الطريقة الأسلم في نظره - والتي سار عليها المبشرون بعد ذلك فأثمرت فقال :

" أيها الاخوان الابطال والزملاء ، ممن كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الاسلام فاحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس .

لقد أديتم الرسالة التي انيطت بكم أحسن الأداء ووفقتم لها أسمى التوفيق ، وان كان يخيل اليّ انه مع اتمامكم العمل على أكمل وجه لم يفطن بعضكم الى الغاية الأساسية منه ، اني أقركم على أن الذين ادخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين ، لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة : اما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ماهو الاسلام ، واما رجل مستخف بالاديان لا يبتغي غير الحصول على قوته - وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش ،واما آخر يبغي الوصول الى غاية من الغايات الشخصية - ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية - " اليها في البلاد المحمديه ليست هي ادخال المسلمين في المسيحية " فان في هذا هداية لهم وتكريما - وانما مهمتكم ان تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ،وبالتالي لا صلة تربطه بالاخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، ولذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الاسلامية ، وهذا ماقمتم به خلال الاعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ما اهنئكم عليه وتهنئكم عليه دول المسيحية والمسيحيون جميعا من أجله كل التهنئة .. " (١)

---

(١) جذور البلاء : ٢٧٥ .

ولا يحتاج هذا النص الى ايضاح فهو واضح جدا .

أما عن خطط التبشير فيمكننا معرفتها اذا قرأنا هذه النصوص :

جاء في كتاب التبشير والاستعمار مايلي :

" رأى المبشرون والمستعمرون عظمة الثقافة الاسلامية وانها مصدر عزة للشرق وللعرب والمسلمين ، ثم انهم أيقنوا ان امة لها هذه الثقافة لا يمكن أن تخنع لرأي تذل أو تبيد . وهكذا انصرفت اذهان هولاء المبشرين والمستعمرين الى تشويه وجه هذه الثقافة والى الحط من شأنها في نفوس أصحابها وكان العمل عليهم سهلا ، أو هكذا ظنوه فقسموا العمل قسمين : قسما يتناول حقيقة الرسالة التي ادينها نحن الشرقيين العرب المسلمين وما فيها من أوجه العظمة والحقائق التي كانت أساس الرقي الانساني أو مافيها من الآراء الصحيحة الخالدة على مدى الدهر ، ثم قسما من الحقائق الحديثة التي لم تعرف قبل العصر الحاضر .

أما القسم الاول فساروا فيه ينحلون حقائقه الصحيحة وآراءه الصائبة غير العرب وغير المسلمين ، يجمع هذا كله قول " آرنست رينان الافرنسي " " الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة باحرف عربية . . " "١"

وقد نجحوا في ذلك نجاحا كبيرا وقد تربى طائفة من كبار متعلمي المسلمين على هذه الافكار وكان لهم تأثير في مجتمعات المسلمين وطبقاتهم المثقفة على وجه الخصوص .

ويقول غردنر في كتاب له عند الحديث عن الأزهر :

---

(١) التبشير والاستعمار : ٢١٨ .

" ان من سداد الرأى منع جامعة الأزهر ان تنشر الطلبة المتخرجين فيها في جنوب افريقيا اتباعا لقرار مؤتمر التبشير العام لأن الاسلام ينمو بلا انقطاع في كل افريقية .. " "١"

واذا كان لم يتحقق هذا الأمل وهو منع متخرجوا الازهر من الانتشار في افريقيا فانه قد تحقق ماهو أفظع من ذلك انه قد أصبح يتخرج من الأزهر في الجملة من لا يمثل الدعاة المسلمين فأصبح منعهم من الانتشار أو عدم منعهم غير ذى معنى ـ وسوف اوضح هذه النقطة عند الحديث عن أثر العلمانية في " الثقافة والعلم والتربية والتعليم " .

أما عن خططهم للمستقبل فيوضحه اجتماع أغنياء أمريكا عام ١٩٠٦ عقب مؤتمر " ناشفيل " من نفس العام واتفاقهم على تأليف لجنة منهم للمذاكرة مع رؤساء كل ارساليات التبشير الامريكية في الأمور الآتية :

١ ـ بذل المجهودات لاجل تربية المبشرين العلمانيين .

٢ ـ البحث واعمال الفكرة لرسم خطة تنصير العالم قاطبة في مدة ٢٥ سنة

٣ ـ تشكيل لجنة هامة مؤلفة من ٦٠ عضوا أو اكثر بأقرب مايمكن لكي تتعهد وتزور مراكز الارساليات التبشير وتعمل التقارير عنها "٢"

أما وسائلهم لتحقيق أهدافهم السابق ذكرها فكثيرة يمكن ذكر بعضها بايجاز :

١) تنصير من استطاعوا تنصيره :

وهذا ولو لم يكن الهدف الاساسي لكنه كما ذكرت سابقا يكون في

---

١) الغارة على العالم الاسلامي : ٢٥٤ .

٢) المصدر السابق : ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

الأقوام الجاهلة أو الأطفال الذين يربون على أيدى المبشرين ، ولا ريب أن الصليبيين يسرون لذلك لانهم بهذا يثأرون من الاسلام الذى اجتاح ديارهم قديما ،كما أن اخراج بعض المسلمين من الاسلام الى النصرانية فيه زلزلة لعقائد الآخرين ضعفاء الايمان . "١"

٢ - فتح المحاضن والمدارس دون الجامعية والجامعات في كافة أنحاء العالم الاسلامي ، فقد بلغ عدد المعاهد التعليمية التابعة للكنيسة مما هو دون الكلية أو الجامعة أو دور المعلمين - بلغ مايلي " ١٦٦٧١ " معهدا .

وبلغ عدد الجامعات والكليات والمعاهد العالية العاملة تحت اشراف المبشرين (٥٠٠) كلية وجامعة .

وبلغ عدد المدارس اللاهوتية لتخريج القسس والرهبان والمبشرين بلغ عددها (٤٨٩) مدرسة .

وبلغ عدد رياض الاطفال (١١١٣) روضة .

وبلغ عدد الطلاب المسلمين الذين يشرف على تعليمهم المبشرون (٥٫١٩٠٫٦٠٠) "٢". هذا في افريقيا .

وفي الاردن " مائتي مدرسة تبشيرية " ذكر منها الاستاذ يوسف العظم في كتابه أربعين مدرسة وذكر المؤسسات التي تمونها ". "٣"

٣- فتح المستشفيات والصيدليات وأرسال الاطباء : ففي افريقيا ..٥ مستشفي و ١٠٢٤ صيدليه . (٤)

---

١) وهذا كان الهدف السابق ثم تنبه زويمر الى ان هذا لا يجوز ان يبقى الهدف العام لكل المسلمين

٢) اين محاضن الجيل المسلم : ٣٤ ، ٣٥ .

٣) المصدر السابق : ٣٧ ، ٣٩ .

٤) اين محاضن الجيل المسلم : ٣٤ ، ٣٥

٤) العمل على افساد المرأة المسلمة : ذلك لانهم اذا استطاعوا افساد المرأة المسلة فسد معها الاجيال كلها الا من رحم الله اذ ان الام هي الملازمة للطفل حتى يبلغ سنا معينة فهي التي توجهه الى ماتريد فاذا فسدت فسد طفلها فيضمن بذلك الصليبيون بافساد المرأة افساد اسرتها ومن ثم تفسد الاسر كلها فيفسد المجتمع ، ولم يستطيعوا ذلك الا باحد طريقين :

الطريق الأول :

السخرية بالحجاب الاسلامي الذى كان يعزل المرأة عن الرجل في المجتمع الاسلامي وذلك عن طريق بث الشبهات حوله ، واصطناع علماء يعملون على ذلك لان المرأة اذا تركت الحجاب سهل افسادها .

الطريق الثاني :

تعليمها فكما أن التعليم يمكن أن يكون وسيلة اصلاح للرجل والمرأة اذا وجد المنهاج السليم ، والمدرس المسلم ، والكتاب الجيد ، فكذلك يكون التعليم وسيلة افساد اذا لم تتحقق هذه الشروط . وذلك لان التعليم سلاح ذو حدين ولهذا فطن المبشرون لذلك .

" فقد طلب المبشرون الامريكيون منذ عام : ١٨٧٠م مبالغ ضخمة من حكومتهم ليؤسسوا بها مدرسة دينية للبنات في بيروت وعللوا طلبهم هذا بقيمة المرأة في الحياة البيتية ، وان تلك المدرسة المزمع انشاؤها ستساعد على تنصير سورية في المستقبل " [١]

---

(١) التبشير والاستعمار : ٨٧ وانظر الغارة على العالم الاسلامي : (٨٠ / ١٤٦ ، ١٤٧) لمعرفة جهودهم في مايسمى بتحرير المرأة ، وتعليمها ورقيها الاجتماعي والنفسي .

٥) محاولة القضاء على عقيدة الولاء والبراء :

أى الولاء للمسلمين والبراءة من الشرك وأهله وهي عقيدة مثلت منذ العصور الاولى للاسلام الحاجز النفسي المنيع في نفوس المسلمين تجاه الكفار .

وليس أدل على ذلك من قول أحد المؤرخين العثمانيين :

" ان الاختلاط بالكفار محرم على المسلمين ومن غير المرغوب فيه أن يختلط طرفان متناقضان بينهما من الاختلاف مابين الليل والنهار " "١"

وقد عرف المبشرون مضار هذه العقيدة على عملهم وتنبهوا الى خطرها عليهم "٢" فعملوا على القضاء على هذه العقيدة ومن ثم استطاعوا اخراج بعض المسلمين للاسف من اسلامهم ولم يدخلوهم في النصرانية أو على الاقل تشكيكهم في بعض شرائع الدين الاسلامي الحنيف كما وجههم الى ذلك زعيمهم " زويمر " في مؤتمر القدس الذى قدم للمبشرين نصائح من بينها :

* وجوب اقناع المسلمين أن النصارى ليسوا أعداءهم .
* أنه يجب تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم . "٣"

٦) تشجيع المسلمين على تحديد نسلهم :

لم يعرف المسلمون هذه البدعة حين كانت عقيدتهم سليمة لم تشبها شائبة من الشرك فحين كان المسلمون يؤمنون في قرارة انفسهم بـ " أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين " لم تنتشر بينهم هذه البدعة وحين وهنت هذه العقيدة إنتشرت بينهم هذه البدعة التي نشأت في بريطانيا بعد نظرية مالتوس في زيادة السكان بنسبة اكبر مما يزرع ثم نقلها المبشرون الى العالم الاسلامي وهم يهدفون بهذا الى انخفاض نسبة المواليد في المسلمين ليضمنوا السطرة عليهم ،

---

١) الغرب والشرق الاوسط : ٥١

٢) انظر نصان يوضحان ذلك في كتاب التبشير والاستعمار : ٤٧

٣) القارة على العالم الاسلامي : ٧٩ ، ٨٠ .

واتخذوا لذلك اسلوب الايحاء للمسلمين بأن السبب في الاختناقات الاقتصادية إنما هو زيادة نسبة المواليد ، وفي الوقت ذاته يشجع الصليبيون - المحليون والاوربيون - النصارى وغيرهم من الطوائف الاخرى على الاكثار من النسل وأقرب دليل على ذلك التقرير الذى وضع من قبل القسس في مصر وعلى رأسهم البابا شنودة ودعا فيه النصارى الى زيادة النسل ودعاهم الى تشجيع المسلمين على تحديد النسل حتى يصبح الاقباط مساويين للمسلمين في مدى سنين معينة . "١"

يقول التقرير القبطي :

" .. وقد اتخذت الكنيسة عدة قرارات لتحقيق الخطة القاضية بزيادة عددهم :

١) تحريم تحديد النسل او تنظيمه بين شعب الكنيسة .

٢) تشجيع تحديد النسل وتنظيمه بين المسلمين (خاصة وان أكثر من ٦٥ ٪ من الاطباء والقائمين على الخدمات الصحية هم من شعب الكنيسة) "٢"

---

١) هي من ثلاثة عشر الى خمسة عشر سنة من صدور التقرير الذى صدر عام ١٩٧٣م اى في عام ١٩٨٥م أو ١٩٨٨م . انظر قذائف الحق : ٦٠ وانظر ماقالته مجلة التايم الامريكية في ١١ / يناير عام ١٩٦١م الذى نقله خورشيد احمد في بحثه استعراض علمي لحركة تحديد " المطبوع مع كتاب حركة تحديد النسل للمودودى رحمه الله ص ١٧٤ . وانظر مابعده .

٢) قذائف الحق : ٦٠

٧) السيطرة على وسائل الترفيه ؛ واستغلال الاعلام خاصة الصحافة :

يقول القس زويمر في خطبته في القسس المبشرين مايلي :

" .. لقد قبضنا ايها الاخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الاسلامية المستقلة او التي تخضع للنفوذ المسيحي أو التي يحكمها المسيحيون حكما مباشرا ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير المسيحي والكنائس والجمعيات وفي المدارس الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الاوروبية والامريكية ومن مراكز كثيرة ولدى شخصيات لا تجوز الاشارة اليها ، الامر الذى يرجع الفضل فيه اليكم اولا والى ضروب كثيرة من التعاون بارعة باهرة النتائج ، وهي من أخطر ماعرف البشر في حياته الانسانية كلها . إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الاسلامية الى قبول السير في الطريق الذى مهدتم لها كل التمهيد (إخراج المسلم من الاسلام) إنكم أعددتم نشأً لا يعرف الصلة بالله ، ولا ريد أن يعرفها واخرجتم المسلم من الاسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشيء الاسلامي طبقا لما اراده له الاستعمار لا يهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل .. " [1]

وفي هذا الخطاب ماويضح حرص المبشرين على إخراج المسلم من الاسلام وعدم إدخاله في المسيحية لأنهم يرون أن ادخاله في المسيحية شرف له - وليس لهذا من معنى الا أنهم يقصدون جعل المسلم الذى يستطيعون الاشراف على تعليمه وتثقيفه (علمانياً) لادينيا ، لانه إذا خرج من الاسلام - وان بقي اسمه اسم مسلم - ولم يدخل في النصرانية - كان لادينيا ، وهذا مايريده الصليبيون للمسلمين .

وجاء في كتاب التبشير والاستعمار عن الصحافة مايلي :

" ... يعلن المبشرون انهم استغلوا الصحافة المصرية على الاخص

---

١) جذور البلاء : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في اى بلد اسلامي آخر .
لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية ، أما مأجورة في اكثر الاحيان أو بلا أجر في أحوال نادرة .. "[١]

أقوال المبشرين :

أما عن أقوال المبشرين وأفكارهم المتعلقة بالاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم فسوف أكتفي هنا بأربعة نماذج لتدل على مدى حقدهم الدفين ومدى سخفهم في فهم الاسلام ، ومدى مايسعون اليه من خلال أقوالهم وأفكارهم من تشكيك المسلمين في دينهم ومن ثم اخراج من يستطيعون من المسلمين من دينهم :

١) جاء في كتاب " تاريخ فرنسا " تأليف " جوليمين " عن الرسول صلى الله عليه وسلم مايلي :

" إنَّ محمداً مؤسس دين المسلمين قد أمر اتباعه أن يخضعوا العالم وان يبدلوا جميع الاديان بدينه هو . ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين (المسلمين) وبين النصارى/ إنَّ هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس : أسلموا أو موتوا ، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم واحسانهم .

ماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا ؟ اذن لكنا مسلمين كالجزائريين والمراكشيين " "[٢]

وقد أثر مثل هذا الهراء في بعض المسلمين ممن درسوا في المدارس التبشيرية كالجامعة الامريكية ، وأثر في قوم آخرين تأثيرا سلبيا فقاموا يدافعون عن الاسلام بالقول إنَّه لم ينتشر بالسيف .

٢) وجاء في كتاب للخوري الحداد وهو من نصارى لبنان من الافتراءات فيما يتعلق بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم والاسلام مايلي :

---

١) التبشير والاستعمار : ٢١٣ ، (٣) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار
٢) النفير البيـ ... ١٨ ص

١ - قال في الصفحة ٣٠٩ من كتابه مايلي :

" إن الدعوة القرآنية دعوة إصلاحية محلية لا انشائيه ، وأنها لم تكن لتتجاوز اكثر من شعائر علية زهدية في شكل طوات واامتناع اختياري عن الطعام والشراب وأعمال خيرية لم تحدد كفيفياتها . "(١)

٢ - وقال في الصفحة ٢٦٨ من كتابه مايلي :

" إن معجزة محمد الحقيقية هي بخاصة في إقامة وحدة عربية تحت سلطان سياسي ديني عربي قومي ، وهي معجزته العظمى "(٢)

٣ - وقال في نفس الكتاب مايلي :

" . . . إن انقلاباً شاملاً كاملاً طرأ على النبي ودعوته بعد الهجرة الى المدينة بسبب تدخل السياسة في الدين حيث انقلب الداعية الى رجل دولة وحرب ، وانقلبت طريقه من الحكمة والموعظة الحسنة وترك من لم يؤمن وشأنه الى قتال المشركين حتى يؤمنوا والكتابيين حتى يخضعوا ، ويعطوا الجزية ، وتخلى عن الدعوة الكتابية الى دعوة قومية عربية بسلطان سياسي وحربي ، والى ملة وسط لا يهودية ولا نصرانية ، بل حنيفية ابراهيمية ، وصار يحمل على اليهودية والنصرانية واليهود والنصارى الذين كان منظما اليهم وكواحد منهم . وكان الدين قد وحد معهم فغرقتهم السياسة عن بعضهم . "(٣)

وقد ادعت احزاب سياسية قومية نفس هذه الدعاوى ، من أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم "إصلاحية محلية " وأنها (" دعوة قومية عربية " وأن النبي صلى الله عليه وسلم سعى لاقامة وحدة عربية "

----

١) القرآن والمبشرون : ٣٠٩

٢) نفس المصدر : ٢٦٨ .

٣) نفس المصدر : ٢٠٧

ج ـ الاستشراق واثره في نقل الفكر العلماني :

ـ التبشير والاستشراق ـ

الاستشراق هو أحد جناحي الغزو الفكري الغربي للعالم الاسلامي الذى يهدف الى زعزعة العقيدة الاسلامية من نفوس المسلمين ، وتشكيكهم في صلاحية الشريعة الاسلامية في حكم أحوال الناس كلها . وقد سبق الحديث عن التبشير ، وفي حديثي عن الاستشراق سوف اتعرض لدوافع الاستشراق ووسائل المستشرقين لتحقيق اغراضهم كما اعرض بعض آرائهم وأفكارهم :

أما عن دوافع الاستشراق : فلا اكون مغالياً ولا متجنياً على الحقيقة اذا قلت بأن الدافع الاساسي للاستشراق هو دافع ديني ، فقد تعلم الصليبيون الغربيون أن القضاء على المسلمين لا يمكن أن يتحقق عن طريق الحروب العسكرية ، وانما سبيله الافضل والاسلم هو الحرب الفكرية المتمثلة في تشكيك المسلمين في كل مايتعلق بالاسلام والترويج لافكار الغرب ونظمه وفلسفاته . والدليل على ذلك أن الاستشراق بدأ بالرهبان والاحبار ، ولا زالت طائفة من المستشرقين من الرهبان والاحبار "[1]

يقول الاستاذ محمد أسد في توضيح هذا الهدف : بعد أن وضح السبب الذى يمنع المسلمين من تقليد الغرب ، وأوضح اعتقاد الاوربيين بتفوقهم العنصرى على سائر البشر :

" على أن هذا وحده لا يكفي لاظهار مايكنه الاوربيون نحو الاسلام خاصة وهنا ، وهنا فقط (نعني فيما يتعلق بالاسلام) لا تجد موقف الاوربي موقف كره في غير مبالاة فحسب كما هي الحال في موقفه من سائر الاديان والثقافات : بل هو كره عميق الجذور يقوم في الاكثر على صدود من التعصب الشديد . وهذا الكره ليس عقلياً فحسب ، ولكنه يصطبغ ايضاً بصيغة عاطفية قوية ، قد لا تتقبل

---

١) انظر " المستشرقون " ١١٣/١ ، و ١٢٠ - ١٣٧ ففيه بيان أن الاستشراق بدأ بالفتيكان . وفيه ذكر تسعة وعشرين مستشرقاً بين عامي (٩٣٨ - ١٥٥٢) يعدون طلائع المستشرقين منهم ثمانية عشر راهباً ويهوديان وتسعة من غير الرهبان .

أوربا تعاليم الفلسفة البوذية او الهندوكسية ، ولكنها تحتفظ دائما فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن ومبني على التفكير ، الا انها حالما تتجه الى الاسلام يختل التوازن ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب" ، حتى أن ابرز المستشرقين الاوربيين جعلوا من انفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الاسلام . ويظهر في جميع بحوثهم على الاكثر كما لو أن الاسلام لا يمكن أن يعالج على انه موضوع بحث في البحث العلمي ، بل على انه متهم يقف أمام قضاته . إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعي العام الذى يحاول إثبات الجريمة وبعضهم يقوم مقام المحامي في الدفاع ، فهو مع إقتناعه شخصيا باجرام موكله لا يستطيع اكثر من أن يطلب له مع شيء من الفتور " اعتبار الاسباب المخففة " وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها اكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش ، تلك الدواوين التي انشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها في العصور الوسطى ، اى ان تلك الطريقة لم يتفق لها أبداً ان نظرت في القرائن التاريخية بتجرد ، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل ، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها . ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذى يقصدون أن يصلوا اليه مبدئياً ، واذا تعذر عليهم الاختيار العرفي للشهود ، عمدوا الى اقتطاع أقسام من الحقيقة التي شهد بها الشهود الحاضرون ثم فصلوها من المتن ، أو تأولوا الشهادات بروح غير علمي من سوء القصد من غير أن ينسبوا قيمة ما الى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الاخر ، اى من قبل المسلمين أنفسهم" [١]

. . . . . .

من هذا النص يتضح أن جمهرة المستشرقين يكنون للاسلام حقدا وكرها عميقين ، ولكنهم في اسلوبهم عند معالجة مايتعلق بالاسلام من عقيدة وتشريع وتاريخ ولغة يتقاسمون الأدوار فبعضهم يمثل دور المدعي العام ضد المتهم ، وآخرون يقفون موقف المدافع الذى يطلب تخفيف الاحكام فالصنف الأول ينفر منه

---

(١) الاسلام على مفترق الطرق : ٥٢ - ٥٤ .

قارىء من المسلمين لينصرفوا لمعرفة ماعند القسم الثاني الذى يمثل دور المحامي وذلك بتمجيد الاسلام والثناء على حضارته ، وبيان أن الغرب استفاد منها ، وفي خلال ذلك يوحي للقارىء بأن الحضارة الاسلامية هي حضارة العرب بل يصرح بذلك ، وحين يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم يتهمه بشتى التهم وهكذا ينخدع المسلم الساذج بهذا الصنف وتمر عليه هذه الطعنات أو قد لا يقرأ مايتعلق بها وانما ينصرف همه لمعرفة فضل الحضارة الاسلامية على المدنية الاوربية " . "١"

---

(١) يمثل الصنف الاول أمثال جولد تسهير ، وشاخت ، وغيرهم من مستشرقي اليهود والنصارى . ويمثل الصنف الثاني أمثال غوستاف لوبون ، وتوماس آرنولد وهؤلاء يمثلون للاسف لدى جمهرة من المثقفين المسلمين طائفة المنصفين لانهم ذكروا أن المسلمين أو العرب بتعبيرهم سبقوا الغرب في ميدان الحضارة والعلوم ، وغفل هؤلاء المثقفون عن ماهي كتابي هذين المستشرقين وهما " حضارة العرب ، والدعوة الى الاسلام " عند الحديث عن الرسول والاسلام من افتراءات باطلة .

أما وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم فيمكن تلخيصها في الآتي :

١ - تأليف الكتب عن الاسلام عقيدة وشريعة وتاريخاً ولغة ، وعن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والقرآن وتحقيق المخطوطات والتعليق عليها وفي هذه الكتب من الدس على الرسول صلى الله عليه وسلم واتهامه ، والدس على الاسلام واتهامه وتحريف مافيه من شرائع ما الله به عليم حتى من يعدون في نظر المسلمين السذج منصفين كما اوضحت ذلك في الهامش السابق .

٢ - إصدار دائرة المعارف الاسلامية التي ترجمت الى اللغة العربية وفيها من الدس والتحريف والتهجم كما في الكتب التي يصدر كل مستشرق على حدة . ويزيد في بلاءها أنها تجمع آراء جمهرة كبيرة من المستشرقين فيكون ضررها اكثر من ضرر الكتاب المفرد ، وانها قدم لها بمقدمه من المشرقين على الترجمة العربية فيها اطراء وثناء على هذه الابحاث والواقع أنها لا تستحق كل هذا الثناء والمديح .

٣ - إصدار مجلات المختصة بنشر أبحاثهم حول الاسلام ، وبلاده ، وشعوبه ومنها " المجلة الآسيوية " الفرنسية ، ومجلة الجمعية الآسيوية الملكية الانجليزية ، ومجلة " الجمعية الشرقية الامريكية " "١" ومجلة جمعية الدراسات الشرقية " الامريكية ، ومجلة " شئون الشرق الاوسط " ومجلة الشرق الاوسط " الامريكيتين ، ومجلة " العالم الاسلامي " الامريكية وهي من أخطر المجلات . ومجلة " العالم الاسلامي " الفرنسية .

٤ - القاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية ، ومن المخجل حقاً أن يدعي بعض من هؤلاء المستشرقين لالقاء المحاضرات في الجامعات في العالم الاسلامي ولا يفرق بين من يدعون بالمنصفين ، ومن هم شديدوا الحقد على الاسلام والمسلمين .

٥ - نشر المقالات في الصحف المحلية في بلادهم والتي تصل بعضها الى بلاد المسلمين فتثمر ثمرتها المرجوة منها .

---

(١) [illegible]

٦ - عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر لتنظيم خططهم وقد كان أول مؤتمر عقدوه عام ١٧٨٣ م يقول الدكتور محمد البهي مايلي :

" ويعتمد المستشرقون - فيما يعتمدون - على عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر لتنظيم نشاطهم ، وأول مؤتمر عقدوه كان في سنة ١٧٨٣ م ومازالت مؤتمراتهم تعقد حتى اليوم .

" وفي العصر الحديث تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية في الغرب بما كان يقوم به الملوك والامراء في الماضي من الاغداق على المستشرقين وحبس الاوقاف والمنح على من يعملون في حقل الاستشراق " (١)

٧ - المشاركة في الابحاث المقدمة للمجامع اللغوية ، بل الاشتراك في المجامع اللغوية كأعضاء وهذا في الواقع من المهازل المضحكة المحزنة في آن واحد . (٢)

أما عن آرائهم وأفكارهم التي إحتوتها كتبهم فيمكن الحديث عنها في الآتي :

طرق المستشرقون كل مجال يتعلق بالاسلام والمسلمين سواء في العقيدة والتشريع المتمثل في القرآن والسنة ، أو الفقه المنبني على فهم نصوص القرآن والسنة او التاريخ الاسلامي منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى اليوم ، او مايتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، او اللغة العربية او الحديث عن الوحدة بين المسلمين ومحاولة دغدغة الشعرات العرقية . كل ذلك طرقه المستشرقون في كتبهم ، ودائرة معارفهم الموسومة " دائرة المعارف الاسلامية " ومجلاتهم . وسوف اقتصر على ذكر المزاعم التي بثوها فيما تيسر لي الاطلاع عليه من كتبهم :

١ - الطعن في الاسلام عموما :

ويتمثل ذلك في مثل المزاعم التالية :

---

١) الفكر الاسلامي الحديث : ٥٢٦

٢) انظر في كل ماسبق من فقرات كتاب (الفكر الاسلامي الحديث : ٥٢٤ - ٥٢٧ ورسالة الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم : ٢٨ - ٣٢

١) الزعم بأن في الاسلام نصيب من اليهودية والمسيحية والزرادشتية ، أو هو مزيج من الآراء والمعارف السابقة عرفها الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى ، أو أن النبي صلى الله عليه وسلم إنتخب تعاليم الاسلام من اليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية بعد أن هذبها ، أو أنه مأخوذ ومستقى من الشعوب الاخرى .

٢) القول بأن الفلسفات المعاصرة لظهور الاسلام كان لها أثر في الاسلام عن طريق الحديث النبوي .

٣) الزعم بأن الاسلام ديانة بشرية ، وأنه ينحط بالانسان الى أسفل درك .

٤) الزعم بأن الاسلام كالنصرانية منشأه الاصول اليونانية والسامية ومنهما إستمد الاسلام جانباً من عقائده كالنصرانية .

٥) الزعم بان الدين ينبع من الحياة الخيالية ويظل جزءاً منها ، وأن الاسلام وليد بيئته التي نزل فيها .

٦) الزعم بأن العلاقة بين الدين والعلم في الاسلام معضلة ، وأن الاسلام يتعارض مع المنهج العلمي .

٧) الزعم بأن عادة القديسين عادت الى الاسلام تحت شعار التصوف .

٨) الزعم بأن الاسلام إنتقص النساء باباحته للرجال التزوج من أربع نساء .

٩) الزعم بأن هناك ثنائية في الاسلام بين الدين والدولة .

١٠) الزعم بان الاسلام صورة مختصرة من النصرانية ، وأنه من عند النبي صلى الله عليه وسلم .

١١) الزعم بان عقيدة القدر في الاسلام هي السبب في تأخر المسلمين . "١"

---

١) انظر في هذه الكتب التالية : الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة : ٢٥٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، مفتريات على الاسلام : ١٤٣ ، ٥٠ ، ٨٥ ، ٢٢٥ ، دراسات في حضارة الاسلام : ٢٣٨ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٨ ، ٢٨٤ ، دائرة المعارف الاسلامية : ٢٧٣ - ٢٧٥ ، العقيدة والشريعة : ٥١ ، الفكر الاسلامي الحديث : ٤١ ، ٤٢ ، تراث الاسلام : ١١ ، حضارة العرب : ١٥٨ ، الدعوة الى الاسلام : ٥٠ .

٢- الطعن في الشريعة الاسلاميه والفقه الاسلامي عموما :

ويتمثل ذلك في الادعاءات المتنوعة كالادعاء بأن شرع الله كله لا يمكن ادراكه بالعقل بل هو تعبدى يجب أن يقبله الانسان مع تناقضه ، وأن هناك تشريعات أو صلوات لم تأت الا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن الشريعة الاسلامية أشتقت من شرائع العرب وشرائع الشعوب التى فتحت ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ شعيرة الصلاة من اليهود والمسيحين وأن الصلاة شبيهة بصلات اليهود والمسيحين ، وأن الحج شعيرة وثنية أو هي عادة عربية وأن الحجر الاسود مقدس عند المسلمين كما يقدس الوثنيون الهياكل والادعاء بأن الفقه الاسلامي يستمد من السنة صحيحها ومزيفها ، وأن الفقه الاسلامي تأثر بالقانون الروماني والادعاء بأن الاسلام يقف أمام اى محاولة للاجتهاد -استغلالا لما حصل من المسلمين من خطأ حين قال بعض علمائهم باغلاق باب الاجتهاد بعد وضع المذاهب الأربعة والادعاء بأن أفعال الرسول صلي الله عليه وسلم كلها بشرية حتى ما مس منها أمر الشريعة ، وأن مصلحة الجماعة تبرر التخلي عن القواعد العامة التى قررتها الشريعة . (١)

٣- الطعن في القرآن خصوصا : ويتمثل ذلك في الادعاءات الاتيه :

الادعاء بأن القرآن لا يتضمن عقيدة موحدة بل فيه متناقضات ، وانه لا يمكن نسبة القيم كلها الي القرآن وانه لا يمكن تأسيس حكمنا علي الاسلام بالاستقاء من القرآن ، وان القرآن لم يحكم الا خلال العشرين سنة الاولي فقط ، وانه قليل

---

(١) انظر في ذلك كله الكتب التالية :
دائرة المعارف الاسلامية : ٢٤٥/١٣ ، ٢٤٦ ، ٢٧٧/١٤ ، ٢٧٨ و ٦٧٥/٢ ، ٧٦ ، ٢٧٨ ، وتراث الاسلام : ١٠ ، والعقيدة والشريعة : ٢٤ ، ٣٠ ، ٤٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ . دراسات في حضارة الاسلام : ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ومفتريات علي الاسلام : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

الارتباط ، وأن أسلوبه عاطل الترتيب فاقد للسياق ،وأنه لم يجمع الا في عهد الخليفة الرابع ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم يتحدث فيه باسم الله ،والادعاء بأن العرب يبالغون في وصف القرآن بالبلاغة ، وأن وصف الكون من القرآن هو الوصف الموجود في الديانتين السابقتين ، وأن بعض احكامه موقتة بزمن معين . وأن القرآن من عند النبي صلى الله عليه وسلم ، والادعاء بان فكرة المشرك والمشركين والتنديد بهم لم يوجد في اوائل السور في القرآن بسبب ان النبي صلى الله عليه وسلم ، كان منشغلاً بمصيره الخاص من أي شيء آخر ، متأثرا بفكرة اقتراب يوم الحساب ، والزعم بأن النبي صلى الله عليه وسلم إعترف في قرآنه بأن عبادة الاصنام قد تكون صحيحة ثم ندم على ذلك (قصة الغرانيق) . والزعم بأن أسلوب محمد في القرآن كاسلوب وعاظ النصارى ،وأن الوحي المدني أخذت بلاغته تصبح ضعيفة شاحبة حتى أصبح في مستوى النثر العادى ، وأن القرآن ثابت قطعاً رغم سعي الشيطان لتخليطه ، وأنه وصل غير محرف رغم نسيان الرسول صلى الله عليه وسلم جملة من آياته . "١"

٤ - الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم خاصة :

ويتمثل ذلك في الطعن في نسبه وانه صلى الله عليه وسلم كان يسمى قبل البعثة قُثم بن عبد اللات ، ووصفه بأنه كان شاعراً ، وأن اسلوبه صلى الله عليه وسلم - طبعا في القرآن وغيره على زعمهم - اسلوب الكهان ،والتشكيك في اميته ،والادعاء بأنه كان متعلماً . وأنه صلى الله عليه وسلم - على زعمهم - كان مصابا بالصرع والهوس ،أو أنه تتملكه رؤى واحلام أو أنه قلق نفسياً وأنه لم يعلن

---

١) انظر في ذلك الكتب التالية :
دائرة المعارف الاسلامية : ٢٦٦/٢ ، ٢٦٧ - ٥٦٠ - ٥٦٣ ، و ٣٠١/٩ ، و ٣١٤/١٣ ، والعقيدة والشريعة : ٧٨ ، ٤١ ، ٢١٠ والدعوة والاسلام : ٤١ ، ٤٧ ، وحضارة العرب : ١٤٨ - ١٥٠ ، ومعالم تاريخ الانسانية جـ ٧٨٧/٣ - ٧٨٩ ،والفكر الاسلامي الحديث : ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ومفتريات على الاسلام : ٢٠٩ .

الدعوة الا بعد قلق ونزاع نفسي شديد ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان مصاباً بغيبوبة ، وأنه مصلح أو عبقري ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يعرف الدعوة النصرانية عن طريق المبشرين النساطرة ، وأنه هو مؤسس الاسلام أو مكتشفه وانه يتأثر بتعاليم سابقة عليه ، أو متأثر باليهود والنصارى في نبوته ، - او بأنه استقى افكاراً من اليهود والنصارى والادعاء بأن الذى دعا النبي صلى الله عليه وسلم لاداء رسالته هو تصوره لهلاك العالم ، وأنه تلقى علم التوراة من راهب نسطورى وأنه اجتمع به مرة ثانية ، والادعاء بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان شديداً على النساء رغم ميله الجنسي نحوهن ، وأنه صلى الله عليه وسلم شهواني ، والزعم بانه صلى الله عليه وسلم كالملوك ، وأن القرآن سجل لتجربته ، وأن رهبان النصارى وأحبار اليهود كانوا أساتذة للنبي صلى الله عليه وسلم ومع هذا تعرضوا لمهاجمته في القرآن ، والادعاء بأن سيرته صلى الله عليه وسلم أساطير ، وأن من هذا النوع القصصي التي ترمي الى أن أهل الكتاب عرفوا من كتبهم ببعثته ، والزعم بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف الكثير عن اليهود ويعرف سخريتهم بالحجر الاسود ، ويرى عدم إخلاص العرب القاصدين للكعبة فضاق بذلك ذرعاً فأتى بالدين الجديد وربما أن اليهود كانوا قد دفعوه الى ذلك وهو لا يدرك ماحدث له . والادعاء بأن اتباع الاديان السابقة الذين مالوا عن دينهم قووا في النبي صلى الله عليه وسلم ان انصار الدين القديم كانوا قد حرفوا الكتاب"[1]

---

(١) انظر في ذلك : العقيدة والشريعة : ١٢ - ١٤ ، ١٩ - ٢٠ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، حضارة العرب : ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ - ١٤٥ ، دائرة المعارف : ٥٧٠/٢ ، ٥٧٣ ، ٦٤٥ ، و ٣٩٧/٣ ، تاريخ الادب العربي : ١٣٤ ، ١٣٧ ، الدعوة الى الاسلام : ٣٤ - ٣٥ ، معالم تاريخ الانسانية : ٧٨٥/٣ - ٧٨٧ ، ٧٩٥/٣ - ٧٩٧ ، ٨٠٠/٣ ، ٨٠١ ، ودراسات في حضارة الاسلام : ٢٦٠ ، والفكر الاسلامي الحديث : ٢٠٤ - ٢٠٦ .

٥ - الطعن في الحديث خاصة : ويتمثل ذلك في الادعاءات الآتية :

تكذيب السيرة النبوية التي وردت في السنة ، والزعم بأن الحديث لم يوضع الا بعد أن وجدت المذاهب الفقهية ، وأن كتب الحديث لم يتداولها الناس الا بعد الشافعي فأسرع الوضاعون لوضع الحديث . وأن المسلمين لما فتحوا البلاد حكموها بقوانينها بعد تحويرها واضفاء الصبغة الدينية عليها ثم جعلوها أحاديث شريفة ، وأن الاحاديث زادت في القرون الاولى وانها استمدت اقوالا من المسيحية والبوذية . "١"

٦ - تحريف التاريخ الاسلامي وتفسير حركة الفتوحات تفسيرا ماديا :

ويتمثل ذلك في الادعاءات التالية :

الادعاء بأن انتشار الاسلام في المدينة كان عن طريق الحظ للنبي (صلى الله عليه وسلم) وأن أهل المدينة إعتنقوا الاسلام غيرة من أهل مكة ، وأن العرب الذين أسلموا لم يتخلوا عن معتقداتهم القديمة ، وان عمر رضي الله عنه ،خلع خالداً عن قيادة الجيوش المسلمين في الشام غيرة منه ، وقد انتقص المستشرقون من قدر بني أمية وأثاروا شبهة أنهم اعداء للاسلام منذ الجاهلية وعدوهم أعداء للاسلام حتى بعد اسلامهم ،وادعوا أن التاريخ لم يخبرنا عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في السنوات الخمس عشرة التي اعقبت زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بخديجة ، والادعاء بان السبب في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفكر في المبادئ الدينية ، وان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبد نفورا من عبادات العرب ولم يقع في تفكيره قلب تلك العبادات والزعم بأن العرب احتقروا غيرهم من اجناس المسلمين واستغلوا خيرات بلادهم ،والزعم بأن حركة الفتوح الاسلامية كانت لضرورات اقتصادية ، وأن ذلك كان عاملاً في تحمس المسلمين لنشر الاسلام وأن الغالب على المجاهدين أنهم جاهدوا لطمع

---

١) حضارة العرب : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ودراسات في حضارة الاسلام : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ،ومفتريات على الاسلام : ٣٦ .

مادي مع وجود من جاهد للآخرة ، وتسمية الاسماعيليين والقرامطة بشيوعي الاسلام والثناء على جميع الحركات والمذاهب الهدامة كالاسماعيلية والقرامطة وثورة الزنج . "١"

٧ - محاربة اللغة الفصحى بالدعوة الى العاميات الاقليمية :

ويتمثل ذلك في الدعوة الى التحول عن الكتابة باللغة العربية الى الكتابة بالعاميات الاقليمية أو الكتابة بالحروف اللاتينية . وقد وضع المستشرق الالماني : " ولهلم سبيتا ،كتاب " قواعد اللغة العربية العلمية في مصر " . وكتب المستشرق " دوفرين " تقريرا للمستعمرين عام ١٨٨٢م دعا فيه الى هجر الفصحى واحلال العامية المصرية محلها ، ووضع المستشرق "كارل مُركوس" كتابا اسماه " اللهجة العربية الحديثة " ووضع المستشرق " سلدن ولمور " كتابا اسماه " العربية المحكية في مصر " ووضع المستشرقان " باول " و " فيلوت " كتابا أسمياه " المقتضب في عربية مصر " ووضع المستشرق " ولكوكس" رسالة بعنوان " سورية ومصر وشمال افريقية ومالطة تتكلم اليونية لا العربية " وأسهم المستشرق " ماسينيون " (لويس) في هذه الحركة فدعا الى الكتابة بالعامية بالحرف اللاتيني . "٢"

٨ - وضع المنهج اللاديني في البحث : وهو يوم على البعد على الصدق والعمل بالهوى وانتحال ماليس حقا لدعم مايؤيده كل باحث :

يقول الاستاذ علي جريشة :

" يعمل المستشرقون على إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم ، والتحكم فيما يرفضونه او يقبلونه من النصوص ، وكثيرا مايحرفون النص

---

١) انظر في ذلك : حضارة العرب : ١٣١ ، ١٣٤ ، والعقيدة والشريعة : ٨٠ ، ٨١ و ١٣٧ ، ومعالم تاريخ الانسانية : ٣/٧٨٩ ، ٧٩٠ ، و ٣/٨٠٤ - ٨٠٦ ، ودراسات في حضارة الاسلام : ٢٤٠ ، ومفتريات على الاسلام : ٧١ ، ٢١٣ ، ٢١٦ .

٢) انظر تفصيل ذلك : اجنحة المكر الثلاثة : ٢٩٩ - ٣٠٨ ، وكتاب التبشير والاستعمار : ٢٢٤

تحريفا مقصودا ، ويقعون في سوء الفهم - وعن عمد احيانا - في معنى النص حين لا يجدون مجالا للتحريف .

" يتحكم المستشرقون في المصادر التي يختارونها ، فهم ينقلون من كتب الادب مايحكمون به في تاريخ الحديث النبوى ، ومن كتب التاريخ مايحكمون به في تاريخ الفقه ، ويصححون ماينقله الدميرى في كتابه " الحيوان " ويكذبون مايرويه الامام مالك في الموطأ " "١"

وتأثير المستشرقين في انتقال العلمانية هي أن كتبهم تنتشر بين أوساط المثقفين ويجدها جماعة من كبار المثقفين ويعدونها عمدة في الدراسات الاسلامية فيخدع بعض شباب الامة ويتجهون لقراءتها فتعلق بأذهانهم شبهات المستشرقين وخاصة مايتعلق بالتحرر في معالجة القضايا التي جاءت بها النصوص القرآنية والنبوية .

---

١) اساليب الغزو الفكرى : ٢٤ ، ٢٥ .

الباب الثاني

أثر العلمانية في المجالين التربوي، والتعليمي في العالم الاسلامي

الفصل الأول

في التربية عامة

الفصل الثاني

في التعليم الرسمي

الفصـل الاول

أثر العلمانية فى التربية عامـــــة

المبحث الاول : الافكار والنظريات المستوردة من الغرب

المبحث الاول :

. الافكار والمذاهب التربوية التى أثرت فى التربية والتعليم :-

كان للمدرسين الأجانب والمدارس الأجنبية ، والكتب المترجمة ، والبعثات الدراسية التى بعثت الى الغرب ـ آثار كبرى فى نقل أفكار الغرب وفلسفاته فى مجالات العلم والثقافة والتربية والتعليم ، فكان تأثيرها فى مجال التربية والتعليم بصفة خاصة لبعض هذه الأفكار والنظريات التربوية الغربية ، التى لم يسبق لمسلم أن سمع بها ، وأصبح لكل مذهب من مذاهب التربية فى الغرب معتنق من أبناء المسلمين ، فهذا يعتنق المذهب الحسى الواقعى وذاك يعتنق المذهب الطبيعى ، وثالث يعتنق المذهب الانسانى ، ورابع يعتنق المذهب البراجماسى ، وخامس يعتنق المذهب المنطقى الوضعى . وهكذا ، وكل يدافع عن ما يعتنقه من مذهب ويدبج المقالات بل يؤلف الكتب فى بيان مزايا المذهب الذى يعتنقه وعيوب المذاهب الاخرى ، حتى أصبحت المكتبات فى العالم الاسلامى تعج بمئات الكتب التى تنشر هذه المذاهب كلها .

وقد ساعد على انتشار هذه المذاهب وغيرها من أفكار الغرب خاصة بعد الثورة الفرنسية التى قلبت موازين الفكر ـ أمور سبق الحديث عنها أوجزها فى الاتى :

١ـ الجهل بالاسلام الذى خيم على عموم المجتمع ، فاذا جهل عموم المجتمع الاسلامى بالاسلام فليس بمستغرب تقبله لتأثيرات الغرب .

٢ـ انحراف بعض العلماء والحكام مما مهد السبيل لانتشار أفكار الغرب وفلسفاته منذ بدء الاتصال بين المسلمين ودول الغرب .

٣ـ انفتاح المسلمين على الغرب وعلومه وفلسفاته وتقنياته فى عصر كان يخيم على بعض علمائهم الجمود ، وعلى شعوبهم الجهل بالاسلام مما سهل عبور الغث والسمين من علوم الغرب دون تمييز من المسلمين . ذلك أن الانحطاط الفكرى والعلمى ، والجهل لا يتيحان ـ لشعب يتصف بهما ـ التمييز ، اذ أن فاقد الشئ لا يعطيه .

٤- تفوق الغرب فى الوسائل المادية للحضارة فى مقابل التخلف فى هذه الناحية لدى المسلمين مما بهر بعض المسلمين بالتفوق الغربى .
وبالتالى سهل ذلك قبول أفكارهم ومذاهبهم فى النواحى الاجتماعية ، والثقافية ، والتربوية ، والاقتصادية والسياسية .

وسوف أناقش بعض الأفكار والنظريات التى دعا اليها بعض المفكرين والتربويين . وأبدأ بمناقشة آراء أبلاها رفاعه رافع الطهطاوى وهو من طلائع المفكرين الذين تأثروا بأفكار الغرب ، فقد كان للطهطاوى رأى فى الغايات التى يجب ان يحققها التعليم ، ورأى آخر فى تعليم الفتاة .

أما رأيه فى الغاية من التعليم فيوضحها فى الآتى :
" أولا : أن يكون للفرد المصرى شخصية متكاملة قوامها سلامة الجسد وصحة الادراك التى تقوم على المعرفة الصحيحة والاعتدال فى التصرف .
ثانيا : أن يحترم الأسرة ويتحلى بالفضائل المنزلية الصحيحة .
رابعاً : أن يحب وطنه مصر ويشعر بالانتماء الى أبناء شعبه من المسلمين منهم وغير المسلمين ، ويتعامل معهم بالاستقامة والعدل والسخاء والنجدة .
ثالثاً : أن يؤمن بالله والاسلام ويمارس الفرائض .
خامسا : أن يحترم حكامه ويطيعهم الطاعة كاملة بخضوعه الى القوانين المرعية ويفهم مسئولياته السياسية وحقوق المجتمع عليه من تضحيات .
سادسا : أن يفهم قوانين الحياة الاجتماعية فى وطنه والمشكلات القائمة فيه فيحاول أن ينكب عليها ويجد حلولا لها فى ضوء العلوم الأوروبية الحديثة ويسهم فى الانتاج القوى بحسب مواهبه ومؤهلاته "(١)

---

(١) الفكر العربى فى مائة سنة : ٤٢٢ ، ٤٢٣ .

والناظر فى هذه الغايات التى وضعها رفاعة للتعليم يرى ان الثلاثة الأولى سليمة لا غبار عليها ولا اعتراض ، أما الغايات الثلاثة الأخيرة فان فيها نظراً . اذ أن قصر الحب للوطن والشعور بالانتماء اليه بهذا المعنى هو لوثة من لوثات الفكر الأوربى العلمانى ؛ فلم يكن المسلمون فى السابق يرتبطون بالوطن المحدود بحدود الوطن الصغير اذ كانوا يشعرون ان كل بلاد الاسلام بلادهم

كما أن التسوية بين المسلم وغير المسلم فى المحبة لوثة أخرى من لوثات الفكر الغربى العلمانى ،لأن الله سبحانه وتعالى لم يسوى بين المسلمين والكفار " أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون " سورة (ن) : ٣٥ ، ٣٦ .

وهذا غير التعامل معهم فان الذميين اذا دفعوا الجزية ولم يظاهروا على المسلمين أعداءهم من الكفار ، لم يجز لمسلم معاملتهم بالسوء .

أما ما يتعلق باحترام الحكام وطاعتهم طاعة كاملة فى كل ما يسنونه من قوانين باطلاق هكذا . فليس هذا من عقيدة المسلمين ولا من فكرهم فى شىء فان نصوص القرآن والسنة أوضحتا حقوق كل من الحاكم والرعية وواجباتهم نحو بعضهم . فمن حقوق الحاكم على الرعية طاعته فيما لا يخالف شرع الله فأما إن أمر الحاكم بما يخالف شرع الله أو سن من القوانين ما يخالف شرع الله ففى هذه الحالة لا طاعة له . وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة الكبرى فى التعامل حيث قال فيما رواه على رضى الله عنه :

" لا طاعة لبشر فى معصية الله ، انما الطاعة فى المعروف "(1)

---

(١) صحيح البخارى (باب السمع والطاعة للامام ما لم تكن معصية: ١٠٥/٨ وصحيح مسلم : (باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية وتحريمها فى المعصية) ١٤٦٩/٣ وسنن النسائى (كتاب البيعة ، جزاء من أمر بمعصية فأطاع : ١٥٩/٧ ، ومسند احمد : ٩١/١ من مسند على .

ومن حقوق الرعية على الحاكم وواجبه نحوهم أن يحكم فيهم شرع الله كما هو فى القرآن والسنة ، والا انطبقت عليه أحد الأوصاف الآتية " الظلم ، الفسق ، الكفر " .

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون " سورة المائدة : ٤٥

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون " سورة المائدة : ٤٧

"ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " سورة المائدة : ٤٤

وان يعدل فى حكمه نحوهم قال صلى الله عليه وسلم :

" ما من رجل يلى أمر عشرة ، فما فوق ذلك ،الا أتى الله عز وجل مغلولا يوم القيامة يده الى عنقه ، فكه بره ، أو أوثقه اثمه ، أولها ملامة وأوسطها ندامه وآخرها خزى يوم القيامة " (١)

وهكذا البحث عن حلول المشكلات الاجتماعية فى ضوء العلوم الأوروبية الحديثة ينبىء عن التأثر بالفكر الغربى فحلول المشكلات الاجتماعية فى بلاد المسلمين يجب أن تستخرج من نصوص القرآن والسنة ، والدعوة الى البحث عن حلول لها فى ضوء العلوم الأوروبية يعنى أن تحل على ضوء مفاهيم علم الاجتماع، وعلم الاجتماع الغربى بكافة مدارسة علمانى ومعنى هذا ان رفاعة يريد المسلمين ان يحلوا مشكلاتهم الاجتماعية حلا علمانيا .

أما رأيه فى تعليم الفتاة فيوضحه النص الآتى :

" ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معا لحسن معاشرة الأزواج فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب وذلك فان هذا مما يزيدهن ادبا وعقلا ويجعلهن بالمعارف اهلا ويصلحن به لمشاركة الرجال فى الكلام والرأى فيعظمن فى قلوبهم ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش مما ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لمرأة مثلها وليمكن للمرأة عند اقتضاء الحال

---

(١) اخرجه الامام احمد فى مسنده : ٢٦٧/٥ من مسند ابى امامه .

أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها فكل ما يطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة فان فراغ أيديهن عن العمل يشغل السنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة واذا كانت البطالة مذمومة فى حق الرجال فهى مذمة عظيمة فى حق النساء "(١)

والطهطاوى فى هذا القول يدعو الى أمرين اثنين فى تعليم النساء

الأول : عدم التفريق بينهن وبين الذكور فيما يتعلمنه ، وهذا ما يسير عليه الغربيون وتبعهم فى ذلك المسلمون ، مع أن الله سبحانه وتعالى قد فرق بين الذكر والأنثى من حيث التركيب البيولوجي والنفسى بحيث يتخصص كل منهما بنوع معين من الأعمال . فالمرأة لتحمل وتنجب الأطفال ولتدبر شئون بيتها ، والرجل للعمل والكدح خارج المنزل . وقد أوضح علماء الأحياء ذلك . واذكر هنا قول الكسيس كاريل :

" .. ان أهمية وظيفة الحمل والوضع بالنسبة للأم لم تُفهم حتى الآن الى درجة كافية . مع أن هذه الوظيفة لازمة لاكتمال نمو المرأة ... ومن ثم فمن سخف الرأى أن نجعل المرأة تتفكر للأمومة . ولذا يجب الا تلقن الفتيات التدريب العقلى والمادى ، ولا أن تبث فى نفسها المطامع التى يتلقاها

ويجب ان يبذل المربون اهتماما أشد بالخصائص العضوية والعقلية فى الذكر والأنثى

الفتيان وبث فيهم *.. وكذا لوظائفها الطبيعية . فهناك اختلافات لا تنقضى بين الجنسين ... ولذلك فلا مناص من أن نحسب حساب هذه الاختلافات فى انشاء عالم متمدين "(٢)

الثانى : ان تعمل المرأة من الأعمال ما يعمله الرجال على قدر طاقتها وقد اثبت علماء الأحياء أن المرأة تختلف عن الرجل فى كل شىء ، كما ذكرت وأكتفى هنا بذكر نصين للدكتور " الكسيس كاريل " فى قضية عمل المرأة :

---

(١) المرشد الأمين للبنات والبنين : ٦٦ .

(٢) الانسان ذلك المجهول : ١١٠ ، ١١١ .

"لقد ارتكب المجتمع العصرى غلطة جسيمة باستبداله تدريب الأسرة بالمدرسة استبدالا تاما .. ولهذا تترك الأمهات أطفالهم لدور الحضانة حتى يستطعن الانصراف الى أعمالهن ، اوطامعهن الاجتماعية ، أو مباذلهن أو هوايتهن الأدبية أو الفنية أو اللعب البريدج ، أو ارتيادهن دور السينما ، وهكذا يضيعن أوقاتهن فى الكسل "(١)

وأوضح مهمته فى المراد النص الاتى :

" ... ان الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتى من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية ، ومن وجود الرحم والحمل ، أو من طريقة التعليم اذ أنها ذات طبيعة أكثر من ذلك ... انها تنشأ من تكوين الأنسجة .. ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محددة يفرزها المبيض . ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة الى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا وأن يمنحا قوى واحدة ومسئوليات متشابهة . والحقيقة ان المرأة تختلف اختلافا كبيرا عن الرجل . فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها ... والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها . وفوق كل شىء بالنسبة لجهازها العصبى . فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة للين مثل قوانين العالم الكوكبى .. فليس فى الامكان احلال الرغبات الانسانية محلها ، ومن ثم فنحن مضطرون الى قبولها كما هى ، فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعا لطبيعتهن دون ان يحاولن تقليد الذكور ، فان دورهن فى تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال فيجب عليهن الا يتخلين عن وظائفهن المحددة " (٢)

وبهذا يتضح خطأ رأيه فى تعليم المرأة ما يتعلمه الرجل ، وفى عطها ما يعطه الرجال .

---

(١) نفس المصدر السابق : ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٢) الانسان ذلك المجهول : ١٠٨ ، ١٠٩ .

وكان على مبارك وهو من أوائل المبتعثين الى فرنسا ، يدعو الى تعليم المرأة على نفس النمط الأوروبى .

ويقول د . سعد مرسى احمد ورفيقه :

" . . . ومن الدعوات والآراء التى كان فيها على مبارك مستقبليا واسع الافق دعوته لتعليم المرأة . ، ومما يقوله على مبارك فى تبرير هذه الدعوة أن المرأة المتعلمة السافرة أصون لنفسها ، وأحفظ لكرامة زوجها وأهلها من الجاهلة المحجبة وهو لا يكتفى فى تعليم المرأة ، بذلك القدر اليسير الذى يدفع عنها وصمة الأمية فقط ،بل يدعوها لأن تبعد فى الثقافة والمعرفة حتى تستوى فيها بالرجل " (١)

وقد كان من المذاهب التى انتشرت فى العالم الاسلامى وكان لها أثر على التربية والتعليم واعتنقها بعض المتخصصين فى التربية والتعليم المذهب البراجماسى أو البراجماتى " والمذهب الوضعى المنطقى ، وكان المذهب الأول أكثر انتشارا من المذهب الثانى .

يتحدث د . سعد مرسى احمد ورفيقه عن غلبة المذهب البراجماتى وفى العالم العربى فيقول :

" . . فى الوقت الذى افتتح فيه معهد التربية للمعلمين سنة ١٩٢٨ كانت الأبصار تتجه الى الولايات المتحدة الأمريكية حيث كانت الفلسفة البراجماتية قد بدأت تشد ساعدها بما اتخذته من سبل تربوية تحاول عن طريقها تطبيق أفكارها ومبادئها الفلسفية وبرز اسم " جون ديوى " وتلاميذه " كلياتريك " و " كونتس " و " بود " و " رج " وغيرهم ؛ واستأثرت أعمالهم بالاهتمام فى مختلف الأوساط التربوية فى مختلف أنحاء العالم . ومن هنا كان طبيعيا أن يتجه مفكروا التربية فى مصر ابتداء من ذلك الوقت الى الاستفادة بهذه الجهود وبتلك الفلسفة ،وبدأت المؤثرات الأوروبية فى فكرنا

---

(١) تاريخ التربية والتعليم : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

التربوى تضعف لتحل محلها موثرات أخرى أمريكية تعكس فلسفة برجماتية بحتة ، فأخذت البعثات تتجه فى أغلب الأحوال الى الولايات المتحدة وحمل العائدون الى مصر أفكار البرجماتية الى معاهد التعليم فى مصر وطفقوا يجربون ما رأوه فى الولايات المتحدة من طرق وأساليب ويترجموا كثيرا من الكتب التى كتبها ديوى وتلاميذه ، حتى أصبح الفكر التربوى فى بلادنا منطقة نفوذ ضخمة للفكر البرجماتى تشكل فيها العديد من المربين المصريين والعرب ، وأصبحت كثيرا من تجاربنا وأساليبنا تعكس وجهة النظر هذه أكثر مما تعكس نظر النقلة والمترجمين "(١)

ويقول الأستاذ أنور الجندى عن أثر الفكر البراجماتى خاصة فكر جون ديوى :

" ... وهكذا اعاش التعليم الوطنى على الصراع بين الثقافتين الفرنسية والانجليزية ،ثم جاء بعد الحرب العالمية الثانية صراع بينهما وبين الثقافة الأمريكية وعاشت مصر على استعارة الأذواق والعقليات الغربية المختلفة .

والاطار كله وافد وتوضع فيه المعلومات على نحو سيء ،وهو اطار قديم لم يتغير بعد الاستقلال ولا بعد انتهاء الاحتلال الا فى جزئيات بسيطة ، وهو فى مجموعة لا يلتزم برسالة أو بهدف .

وكان من أخطر ما فرض عليه المنهج الأمريكى الذى يطلق عليه نظرية ديوى ، وأبرز مظاهر مذهب ديوى فى التربية هو ابعاد الدين فى مجال التربية ، وكان فى الغرب يستهدف ابعاد المسيحية ، وقد قصد الاستعمار الى فرض هذا المذهب فى دراسات مدارس المعلمين العليا التى كانت مجالا لتخريج رجال التربية فى مصر ورأى فى هذا عوضا عن الاشراف البريطانى على التعليم الذى كان يقوم به دنلوب (١٩٠٦ - ١٩١٩) فأصبحت نظرية ديوى هى عماد المنهج

---

(١) تاريخ التربية والتعليم : ٤٣٠ ، ٤٣١ .

التربوى بعد ذلك ، وكان اسماعيل القبانى حامل لواء هذه الدعوة وقد اتيحت له الفرصة لانشاء معهد التربية الذى كان المكان الأول لجعل هذه النظريـة فلسفة عامة للتعليم المصرى والعربى فيما بعد .

وقد ظل لاتباع ديوى سيطرتهم الكاملة على أنظمة التربية والتعليم الى وقت بعيد وبذلك استطاعت نظريتهم ان تبعد الاسلام عن مجال التعليـم والتربية مع حملات مستمرة على أساليب التعليم الاسلامية وابعاد خريجى الأزهر عن مجالات التربية بحجة ما أطلق عليه النقص فى مستوى الكفاية الفنية للتعليم وذلك جريا مع الهدف التغريبى الواضح ، كما حصرت هذه المناهج على حجب الدراسات الوطنية والتاريخية التى تعمد الى بث امجاد الأمة وعظمـة الشخصية العربية فى نفوس الطلاب وهذا الأثر أخطر آثار التبعية للثقافات الغربية وخاصة الثقافة الأمريكية "(١)

لكن ما هى معالم المذهب البراجماتى الذى غزانا ضمن الأفكـار والمذاهب التربوية وغيرها ؟

يمكن تلخيص الأفكار العامة للبرجماتيه فى النقاط الآتية :

١ - تنكر البراجماسية اى نظرية تدعو الى ثبات القيم ، وخلودهـا ، فهى متغيرة على الديمومة ، وهى تسميـة . ويرى فلاسفة البرجماسية " بأن الانسان هو الخالق لمثله فى ميادين نشاطه ، وأن الحقيقة لم ينته بعد مـن صوغها ، وتنتظر بعض ما يجىء به المستقبل "

٢ - ان الحكم الصحيح عند البرجماسيين هو الذى ينتج نتائج تصمد للتجربة ،ولا سبيل لاختيار صحة الحكم لا بتعريضه للاختبار ، فالعمل والمنفعة هما مقياس الحكم الوحيد .

٣ - ان الحق ليس له وجود ذاتى بل هو صفة تلحق بالحكم فالحكم قد يتصف بعد التجربة بأنه حق ،ولكنه قبل ذلك لم يكن حقا . اذ نقول : أن

---

(١) التربية وبناء الأجيال : ١٠٦ ، ١٠٧ .

العقيدة صحيحة ما دامت لها فائدة "(١)

ولننظر فيما يقوله زعيمين من زعماء البراجماتية هما " وليم جيمس " و "جون ديوى " لنعرف عن كثب صحة نسبة هذه الافكار اليهما .

يقول " وليم جيمس " :

" .. نفرض أن فكرة ما صحيحة فأى أثر سيترتب عليها فى الحياة ؟ كيف يمكن التحقق من صحة هذه الفكرة ؟ ما هى النتائج التى ستحدث وتجعلها مخالفة لها لو لم تكن صحيحة ما هى قيمة الحقيقة الفورية ؟ " ، " الآراء الصحيحة هى تلك التى نستطيع أن نحققها ونتمثلها ونثبتها اما الآراء الفاسدة فلا نستطيع تحقيقها أو تمثيلها أو اثباتها "

ويقول أيضا :

" فالحق بالنسبة لنا اسم عام لعمليات اثبات مثل الصحة والثروة والقوة .. الخ اسماء عامة لعمليات عديدة ، تتصل بالحياة وتتابع الواحدة تلو الاخرى عن طريق الخبرة .

فالحق ليس الا صفة لتفكيرنا ، كما أن الصحة صفة لسلوكنا ، فالصفة دائما تتغير بتغير الخبرة وما تقتضيه من ظروف وملابسات "(٢)

ويتضح من هذا النص ما يلى :

١- انه لا وجود لفكرة أو عقيدة أو قيمة ما مسبقا ،

٢- ان الآراء والافكار والعقائد الصحيحة هى ما يستطاع تحقيقها واذن فما لا يستطاع تحقيقه تحت أى ظرف - من الافكار والعقائد - يعد فاسدا فى نظر جمس .

---

(١) الاسس العامة لنظريات التربية : ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) نفس المصدر : ٦٠ ، ٦١ وانظر كذلك كتاب فى فلسفة التربية : ٧٢ ، ٧٣ .

٣ ـ ان الحق والأفكار والعقائد قد تتغير بالخبرة والتجربة ،لأنها صفات لتفكيرنا وتفكيرنا يتغير بحسب الخبرة .

وأما جون ديوى فان له أفكارا قريبة من أفكار وليم جيمس فى القيم الأخلاقية يمكن تلخيصها فى الآتى *:

١ـ ايمانه أن القيم الأخلاقية هى أمور انسانية تنبع من صميم الحياة التى يعيشها الانسان على ظهر هذه الأرض ،وليست مفروضة عليه فرضا من جهة عليا .

٢ـ أن المصدر الأساسى للقيم الأخلاقية هى الخبرة والتجربة ، فالفرد عنده يكتسب قيمة الأخلاقية عن طريق خبرته وتفاعله مع البيئة المحيطة به مثل بقية المعارف والمهارات والاتجاهات والعادات .

٣ـ أن القيم الأخلاقية أو الأخلاقيات هى أخلاق اجتماعية ، لا تنبع من الذات أو الضمير أو العقل ،ولكنها تكتسب نتيجة لتفاعل الفرد وأعماله .

ويترتب على الايمان بأن الأخلاق اجتماعية : " اننا اذا شئنا تحسين الأخلاق فعلينا أن نعدل النظم الاجتماعية وأن نحسن تربية الفرد ."

وفى ذلك يقول " ديوى " :

"اذا كانت موازين الأخلاق منحطة فذلك ناشئ من نقص التربية التى يتلقاها الفرد فى تفاعله مع بيئته الاجتماعية "(١)

٤ـ يؤكد " ديوى " على عنصر التكامل بين الغايات والوسائل ، ويصر على أن الغايات ينبغى تحديدها على ضوء الوسائل التى تستخدم لتحقيقها

---

* من العوامل التى أثرت فى تفكير "ديوى " تأثره بالفلسفة المثالية الهيجيلية عن طريق استاذه "جورج موريس" ثم تحول الى تأييد فرضية التطور كما شرحها "داروين" و " توماس هنرى هاكسلى " انظر كتاب " تطور النظريات والأفكار التربوية " :٣٣٧، ٣٣٨ .

(١) تطور النظريات والأفكار التربوية : ٣٤٥ ، ٣٤٦ بتصرف .

حتى يمكن أن يكون للغايات معنى مقبولا أو لتصبح ذات معنى على الاطلاق ، ويغير هذا التحديد تصبح الغايات معان جوفاء ،ولذا استحدث مفهوم النمو " Growth " كجزء لا يتجزأ من الغايات والوسائل فى التربية وكمحور أساسى للعملية التربوية بكاملها .

٥- أن الغايات فى نظر " ديوى " باعتبارها قصداً تعليمياً ، ينبغى أن تنبنى على حاجات التلاميذ وميولهم وأغراضهم ، كما تبنى على الظروف البيئية وحاجات الجماعة . لذا يرفض ديوى فكرة تحديد الأهداف التربوية المطلقة بناء على تشريعات مسبقة ، لأنه يرى أن هذه الأهداف تبنى على تفسيرات تختلف باختلاف الزمان والمكان . أما بالنسبة للغايات المحددة بموقف معين وأجل غير بعيد فيمكن أن تبنى داخل الاطار الذى رسمت من أجله ، وان كان المعيار الحقيقى عنده هو اخضاع الغايات والوسائل للتجربة حتى يمكن الحكم عليها . (١)

ويتضح من أفكار " جون ديوى " أنه يرى :

١- أن الوحى الالهى لا دخل له بالقيم ،فالقيم والعقائد والأفكار أرضية وهذا معنى أنها " ليست مفروضة من جهة عليا " وأنها " لا تتبع من الضمير " وهو ما يقابل معنى الدين .

٢- أنه لا يؤمن بتحديد أهداف تربوية مطلقة بناء على تشريعات مسبقة لأن هذه الأهداف تبنى على تفسيرات تختلف باختلاف الزمان والمكان .

٣- ان المصدر الأساسى للقيم هو الخبرة والتجربة ، وبما أن الخبرة والتجربة تختلف وتتغير لذا فان القيم والعقائد والأفكار عرضة للتغير كذلك.

---

(١) دراسات فى تاريخ الفكر التربوى: ٢٣٠ ، ٢٣١ .

هذه هى معالم أفكار زعماء البراجماتية ، ومن المؤسف أننا نجد لهذه الافكار صدى واسعا لدى بعض التربويين فى العالم الاسلامى واكتفى هنا بنقل بعض النصوص عن كتابين من كتب رجال التربية فى العالم العربى أحدهما للدكتور / محمد لبيب النجيحى ، والآخر للدكتور محمد الهادى عفيفى وهما فيما أعلم من أشد المتخصصين فى التربية تأثرا بالفكر البراجماتى اذ أنهما فى كتابيهما يركزان تركيزا شديدا على الخبرة ،ويؤكد أن على الأهداف التربوية ينبغى أن لا تكون ثابته .

يقول الدكتور محمد لبيب النجيحى :

" ... ولا شك أن فكرتنا عن الخبرة التربوية تجعلنا ننظر الى الأهداف على أنها نابعة من هذه الفكرة ،فلا توجد أهداف فى نظرنا - من خارجها فهذه الخبرة هى بوتقة تجاربنا ،وهى عالمنا وحياتنا ، ولا نعرف فوقها أو تحتها عالما آخر يمكن أن نلجأ اليه ، فالأهداف من صميم الخبرة التربوية منها تنبع واليها ترتد قائدة وموجهة ومصلحة وعندما ترتد اليها تتشكل من جديد ، وأن يعاد تشكيلها حتى يناسب الخبرة فى تغيرها وفى تطورها فأهم ما يميز الأهداف على هذا الأساس هو التشكيل واعادة التشكيل ليقابل حاجات بيئة اجتماعية ديناميكية متطورة . ويستطيع المدرس بذلك أن يرتبط ببيئته لا أن ينفصل عنها ، وأن يعالج مشكلات جماعته التى يحس بها وينفعل بها ويعيش فيها "(١)

ويقول عن معايير الأهداف التربوية ما يلى :

" .. أول هذه المعايير من وجهة النظر الفلسفية التى ألف هذا الكتاب فى اطارها *أن الأهداف ليست نهائية ،فاذا كان النمو ليس له هدف من ورائه الا النمو ذاته ،فان التربية تصبح بذلك عملية مستمرة لا تستقر عند غاية

---

(١) مقدمة فى فلسفة التربية : ٧١ ، ٧٢ .

* وجهة النظر التى ألف الكتاب فى اطارها هى وجهة النظر البراجماتية وانظر ما قبله ص ٧٠ ، ٧١ .

معينة تحققها وانما تجعل من الهدف عند تحقيقه وسيلة لما بعده من أهداف وبهذا تستخدم هذه الأهداف استخداما تجريبيا . وتصبح التربية عملية خلاقة لا بمعنى أن المدرس أو التلميذ يخلق واقعا خارجيا ، ولكن بمعنى أننا عندما نقبل الواقع الموضوعي فاننا نستخدمه للوصول الى نتائج مطرده التحسن والتقدم "(١)

ويقول عن القيم ناقدا للاعتقاد القائل بوجود قيم ثابته فى عالم علوى ما يلى :

" ... ولقد ادى الاعتقاد بوجود قيم اخلاقية ثابتة فى عالم علوى مثالى الى أن تنقسم الغايات الى ذاتية ووسيلية . والغايات الذاتية هى التى ترجى لذاتها ، وقيمتها فى نفسها . أما الغايات الوسيلية فهى الوسائل التى تتخذ لتحقيق الغايات الذاتية ، ونتج عن هذا أن انقسم الخير الى ذاتى ووسيلى ، وانفصل الخير الذاتى بذلك عن مواقف الاهتمام فى حياة الانسان العادية واصبح ما يهم الانسان فى هذه الحياة هو الخير الوسيلى "(٢)

ويتحدث الدكتور محمد الهادى عفيفى عن القيم الخلقية فيقرر أنها تستمد سلطتها من قدرتها على تحمل الاختيار . يقول :

" .. فالقيم الخلقية والروحية فى جوهرها تستمد سلطتها وقوتها فى المجتمع من قدرتها على تحمل الاختبار فى الخبرات الانسانية المتتالية وعلى مر العصور ، وبين جماعات مختلفة ، ولهذا يتجاوز تأثيرها حدود الزمان والمكان وتفيد فى توجيه الخبرات الانسانية فى استمرارها وفى تطورها وفى تحديدها فى آن واحد ."(٣)

---

(١) مقدمة فى فلسفة التربية : ١٤٦ ، ١٤٧ وانظر كتاب " الديمقراطية والتربية : ١١٣ تجد نفس الفكرة .

(٢) نفس المصدر : ٣٦٠ .

(٣) فى أصول التربية " الأصول الفلسفية للتربية " : ٣١٢ ، ٣١٣ .

فاذا قارنا ماكتبه هذا ان المؤلفان وكل ما كتباه فى كتابيهما ينطلق من منطلق الايمان بالفلسفة البراجماتية فى التربية ،ويكفى تصفح هذين الكتابين لمعرفة مدى تأثرهما بهذه الفلسفة ـ أدركنا مدى الاثر العلمانى على الفكر التربوى فى العالم الاسلامى . ولا ريب لدينا نحن المسلمين فى فساد أفكار هذا المذهب وضررها على من يعتنقها من أبناء المسلمين ولكنى أكتفى هنا بذكر بعض النصوص تمثل نقدا للبراجماسية أو البراجماتية .

يقول " نيللر " :

" . . . اما الموضوعات الرئيسية فى هذه الفلسفة فهى حقيقة التغير على الديمومة ، نسبية القيم ، الطبيعية الاجتماعية البيولوجية ، أهمية الديمقراطية كطريقة فى الحياة ، قيمة الذكاء الناقد فى جميع السلوك الانسانى "(١)

ويقول أيضا :

" ونعد القيم للبراجماسية نسبية فليست هناك مبادئ مطلقة نستطيع أن نتعلم على أساسها بغض النظر عن نتائجها بالنسبة للآخرين فجميع الشرائع الخلقية والجمالية عرضة للتغير عبر التطور الثقافى ولكن هذا لا يعنى أن الاتجاه الخلقى يجب أن يتذبذب من يوم لآخر أنه يؤكد أنه لا توجد قاعدة سلوك يمكن أن تعتبر ملزمة بشكل شامل بغض النظر عن الظروف التى تمارس فى نظامها "(٢)

ويقول " جيمس .س.د وس " فى نقد البراجماتية :

" . . . والآن علينا أن نناقش البراجماسية ، ونرى أثرها فى التربية فالفكرة الأولى للبراجماسية تقرر أن الحق هو التجربة النافعة لأكبر عدد ممكن من الناس بشرط أن يكون هذا النفع مستمرا أطول مدة ممكنة . فان كان النفع مقصورا على فرد واحد أوعدد قليل من الافراد لم تكن التجربة حقا ،وان كان

---

(١) فى فلسفة التربية : ٦٩ . وهذه الموضوعات هى ذات الموشوعات التى طرقها وتعرض لها كل من د . محمد لبيب النجيحى و د . محمد الهادى عفيفى .

(٢) نفس المصدر : ٧٥ ،

لا يتجاوز مدة قصيرة لم تكن كاملة فى صحتها ، هذا هو مقياس الحقيقة فى نظر " جيمس" وربما قال شخص سيان عند جيمس أن تقول " أن الشيء نافع لأنه حق وأنه حق لأنه نافع " هذا صحيح فهناك فكرة تحققت وأمكن اثباتها "(١)

ويقول فى موضع آخر :

" ويرى التفعيون أن العقائد التى تجلب النفع يجب اعتناقها ، وهذا فى منتهى الخطورة من الناحية الأخلاقية ، فان اعتناق العقائد لمجرد نفعها العاجل قد يؤدى الى نتائج خطيرة من أهونها الانحلال الخلقى ، ونحن لا نرضى بذلك .

" وما دام النفعيون لا ينكرون أن للقيم وجودا ذاتيا سابقا ، فانهم لا يستطيعون أن يتقدموا بهدف تربوى واضح ولكن عندما يتحدثون عن التربية باعتبارها القوة الخالقة لحضارة ومدنية أفضل من حضارتنا ومدنيتنا الحالية ، وعندما يفعلون ذلك يحق لنا أن نتساءل عن المقياس الذى يقيسون به مقدار نجاح جهودهم لأنه لا بد من مثل هذا المقياس ، ولا بد من وجود مستويات معينة للقياس ، هنا يتردد أصحاب هذا المذهب ويقولون أننا لا نستطيع أن نتكهن بالمستقبل ولا نستطيع أن نتحكم ونستفيد فى الأجيال المقبلة بوضع أهداف خاصة للحياة ، ولكن ليس معنى هذا أن القيم والأهداف مهما كانت غامضة ، ليست ضرورية لتوجيه الجهود .

ولا شك أن مثل هذه القيم والأهداف يجب أن تكون موضوعة من قبل حتى تنير الطريق . وهذا ما لم يستطع رجال التربية الآخذون بالفلسفة النفعية انكافره ، فهناك على رأى " كاندل " " قيم وأهداف يتحرك نحوها العالم "(٢)

فاذا كانت هذه هى آراء مفكرى البراجماتية فكيف يصح لمسلم أن يعتنق هذا المذهب .

---

(١) الأسس العامة لنظريات التربية : ٦٣ ، ٦٤

(٢) الأسس العامة لنظريات التربية : ٦٤ ، ٦٥ .

أما بالنسبة للمذهب الوضعي المنطقي* فقد تأثر به بعض التربويين في العالم العربي ومنهم من قدم اطروحة علمية لتوضيح هذا المذهب والدفاع عن مكوناته الفكرية ومحاولة تطبيقها تربوياً . ولعل من المفيد أن أذكر محتوى هذه الفلسفة حتى يمكن أن نحكم على مدى صحة هذا الاتجاه من عدمه ومن ثم لنحكم على مدى صحة أو خطأ وانحراف الاتجاه الى مثل هذه الفلسفة من أحد من المسلمين .

ان من محتويات هذه الفلسفة أن الميتافيزيقيا في كل صورها لغوا لا معنى له ، وأن الأخلاق المستندة اليها ليست سوى تعبير عن تمنيات وانفعالات ومن ثم خرجت من نطاق القضية المنطقية "(١)

يقول لطفي أحمد بركات في بيان موقف الفلسفة المنطقية الوضعية من الأخلاق :

"... وأخيرا نعود فنجمل ما فصلناه من موقف الوضعية المنطقية من الأخلاق وذلك على النحو الآتي :

١- رفضت الوضعية المنطقية الأخلاق المطلقة باعتبارها لغوا باطلا غير قابل للتحليل أوالتحقيق .

٢- أبانت أن النظرية الميتافيزيقية في الأخلاق أن هي الا تعبير عن انفعال صاحبها ومن ثم خرجت عن حدود الصدق أو حتى الكذب .

٣- ....

٤- ردت الأخلاق للمجتمع وحاجاته ولذائذه ، وليس لقوة أخرى خارجة عن حدود المجتمع الذي يعيش فيه الناس ."(٢)

---

(١) فلسفة الوضعية المنطقية والتربية : ٤١ ، ٤٢ .

(٢) المصدر السابق : ١١١ - ١١٣ .

(*) اسس هذه الحركة الفلسفية "موريس شليك" سنة ١٩٢٩م وضمت فيما ضمت من النفر سفة "رودلف كارنب" و "لودج بولتزمان" و "بيير دوهم" و "برنست ماخ" و "فيجل" و "جودل" و "فتجنستين" انظر ص ٢٩ ، ٣ من كتاب "فلسفة الوضعية المنطقية"

والآن أستعرض آراء ثلاثة من رجال التربية فى العالم العربى من مؤيدى هذه الفلسفة ومعتنقيها !

يقول د . ابو الفتوح رضوان فى تقديمه لبحث كتبه "لطفى احمد بركات" عن هذه الفلسفة ونال به الماجستير"

"... وهذا الكتاب الذى أقدمه الآن ، بحث فى فلسفة الوضعية المنطقية وتطبيقاتها التربوية ، قام به احد طلاب الكلية هو الاستاذ لطفى بركات أحمد ونال به درجة الماجستير فى فلسفة التربية ، علما بما تقدم من اتجاه .

ولا أحب أن أخوض فى هذه الفلسفة ، فقد وفاها المؤلف حقها من الحديث ، أى بالمعنى العلمى البعيد كل البعد عن الغيبيات والميتافيزيقيات ونحن نعيش بفضل ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ فى عصر علمى ، والعلم يتسم بالمعرفة والنقد ، وفى هذا الحد عالج المؤلف هذه الفلسفة مستفيدا بها بكل ما هو جدير منها بالافادة ."(١)

وهكذا ينتصر د . ابو الفتوح لهذه الفلسفة التى لا تؤمن بالغيبيات ويحمد للطالب أنه وفاها حقها من البحث العلمى البعيد عن الغيبيات ونسى الدكتور أو تجاهل أن الغيبيات احدى حقائق الوجود الذى خلقه الله سبحانه وتعالى ، وأن من علامات الايمان ، الايمان بالغيب الذى حجبه الله عن نطاق تفكيرنا أو احساسنا ."(٢)

ويقول الدكتور نبيه يسن . مبينا انتمائه لهذه الفلسفة ما يلى : التربيه تتجاوز من مراها نطاق تفسيره اذ ان هذا العمل لبس

"هناك اعتبارات تفرض علينا ضرورة القيام بتحليل مصطلح أمرا جديدا مستحدثا ، فالفيلسوف اليونانى سقراط قام بمجهودات لتحديد دلالات العديد من المفاهيم مثل العدالة والشجاعة وسواها .

---

(١) نفس المصدرى من المقدمة .

(٢) انظر الآية الثالثة من سورة البقرة وغيرها من آيات القرآن التى تؤكد على الايمان بالغيب .

لكن الواقع أن اتباع مثل هذا الأسلوب فى الربع الأخير من القرن العشرين سيلقى لنا أضواء على الموقف المحيطه بنواحى الجدل الرئيسية الدائرة فى نطاق الثورة الحديثة فى مجال الفكر الفلسفى الذى ينتمى اليه هذا الكتاب من ثنايا بعض مكوناته .

أوضح فتجنستين وهو أحد قادة هذه الثورة بكيفية ما ان الفلاسفة من عهد سقراط حتى سورقد أخطئوا فى اعتقادهم بامكانية تحديد صفة أو عبارة معينة يمكن أن تفسر بصورة مطلقة مفاهيم مثل " العدالة " و " المعرفة " .. تلك المفاهيم التى شغلت حيزا كبيرا فى اهتماماتهم الفكرية "(١)

وأما لطفى بركات فانه يتحصل على درجة علمية هى درجة الماجستير فى فلسفة التربية هذه الفلسفة وتطبيقاتها التربوية واكتفى هنا بايراد اثنين من الدوافع التى دفعته الى اختيار هذه الحركة الفلسفة للدراسة وهما :

" ٣- ايمان الوضعية المنطقية بالطريقة التحليلية المنطقية فى حل مواقف ومشكلات الحياة المختلفة - تلك الطريقة التى تقوم على اساس التحليل والتحقيق"

ثم يعقب على ذلك بقوله :

" والمغزى التربوى لهذا المبدأ يبدوا واضحا جلياً - فما أحوج مجتمعنا اليوم الى تحليل أحكامه المختلفة والتحقق من معايير وموجهات سلوكه تحقيقا تجريبيا واقعيا بدلا من الامعان فى اصدار فرمانات اخلاقية واجتماعية تطير الى أجواء السماء على جناحى خيال طامح ولكنه جامح "(٢)

٧ - محاولة الباحث - ازالة بعض الغموض عن التشكك فى موقف الوضعية المنطقية من القيم الاخلاقية .

---

(١) ابعاد متطورة للفكر التربوى : ١٦ .

(٢) فلسفة الوضعية المنطقية والتربية : ٦ ، ٧ .

ثم يعقب على ذلك بقوله :

" لهذا أراد الباحث عرض موقف الوضعية المنطقية من المشكلة الأخلاقية ومدى صلاحيتها للتطبيق فى التربية المصرية - وليس الهدف من هذه المحاولة الوصول الى حلول حاسمة للمشكلة الأخلاقية - وانما هى محاولة أريد بهـا القاء الضوء على موقف أخلاقى متطور تعتنقه حركة فلسفية لها صداها فى العالم .

وأن الباحث - يقرر فى بداية بحثه - أنه أحد تلامذة هذا الاتجاه - ولكن ليس معنى هذا أنه سيبحثه ببحثه نحو الهوى والذاتية وانما سيعرض الموقف بروح الوضعية المنطقية - روح التحليل والتحقيق النزيه "(١)

وانظر فى هذا الكتاب الفصل الأول : " حول المنهج وعلاقته بالنظرية الأخلاقية ، خاصة فقرة (المنهج التحليلى المنطقى والمنهج التحليلى الميتافيزيقى " حيث قارن بين " المنهج التحليلى عند الوضعية المنطقية بالمنهج التأملى الميتافيزيقى " فذكر سبع فروق .

ثم قال : " ومن هذه المقارنة بين المنهج التحليلى عند الوضعية المنطقية والمنهج الميتافيزيقى يتضح لنا أن هذه الحركة الفلسفية قدمت لنا منهجا متحررا من المطلقيات والغائبات العلوية - منهجا للأشياء بنظرة علمية تحليلية " فارتبط ارتباطا وثيقا بالعلم والواقعية وقد انعكس هذا كله على النظرية الأخلاقية عندهم فيما سيتضح بعد ".

وانظر فى بيان مصادر الفلسفة الوضعية المنطقية الفصل الثانى من الباب الأول اذ ذكر من مصادر هذه الفلسفة " المدرسة الكانتيه "

---

(١) نفس المصدر السابق : ٨

(٣) نفس المصدر : ٢١ !

والمدرسة الوضعية " التى أسسها " أوجست كونت " والمدرسة النفعية " جون ستيوارت مل ، والمدرسة البراجماتيه التى أسسها " شارل سندر بيرسى ووليم جيمس ، وجون ديوى .

وانظر أيضا الفصل الثالث " نظرية المعرفة وصلاتها بالأخلاق " وفيه أوضح الباحث أن هذه الفلسفة تعتبر أن الحس هو مصدر المعرفة ، وأنها تنقد الاتجاه الحدسى فى المعرفة .

وانظر الباب الرابع " التطبيق التربوى للنظرية فى مجتمعنا الاشتراكى " خاصة فقره " كيف تستخدم المدرسة منهج التحليل المنطقى فى العملية التربوية" وفقرة " تقويم العملية التربوية فى مجتمعنا الاشتراكى فى ضوء هذه النظرية"

والكتاب الثلاثة يعلنون انتمائهم لهذه الحركة الفلسفية رغم معرفتهم بأنها فلسفة متحررة من الايمان بالغيبيات وانها جمعت أفكار عدة فلسفات لادينية كما أوضح ذلك لطفى بركات فى مصادر هذه الحركة الفلسفية ، وأنها تعتبر الحس هو مصدر المعرفة ، وأنها ترد الأخلاق الى المجتمع ورغباته ولذائذه وليس لها ضوابط من الدين .

لا ريب عندى أن السبب الذى جعل هؤلاء - وغيرهم من التربويين فى العالم الاسلامى - يعتنقون مثل هذه المذاهب الفلسفية اللادينية هو الجهل بالاسلام ، أو تصور ان الدين الاسلامى ما هو الا طقوس تؤدى كيفما اتفق ثم لا حرج على الانسان ان يعتنق ما شاء من المذاهب فى الفكر والفلسفة والاقتصاد والتربية وغيرها ، وهذا هو الهدف الذى سعى اليه الاستعمار الثقافى واستطاع الوصول اليه وأصبحت مهمة تدمير خصائص هذه الأمة العقائدية والفكرية بأيدى أشخاص من أبناء المسلمين .

الفصل الاول

أثر العلمانية في التربية عامة

المبحث الثاني : نماذج من أفكار التربويين من خلال كتبهم

—•—

المبحث الثاني : (٣١٣)

نماذج من افكار التربويين من خلال كتبهم .

من الامور التي سوف اعرض لها في الفكر التربوي عند التربويين ، الموضوعات الآتية :

- بناء الشخصية مم يكون .
- الثقافة وجوانبها .
- نظرية فرويد في الغرائز وتعزيزها .
- اتجاهات الثقافة "الاتجاه الديني" في مصر .
- تصور محني الدين .
- الدعوة الى محو الطبقات .
- الدعوة الى الاشتراكية .
- الدعوة الى الديمقراطية .
- الدعوة الى التاميم [illegible] وبيان اثر الثقافة والتربية فيما سبق (نحو الطبقات ، التاميم ، الديمقراطية ، الاشتراكية) .
- رفض الغيبيات .
- الادعاء بان القيم الروحية لا تثبت الا بالاختيار .
- الادعاء بان الحملة الفرنسية كانت من مثيرات النهضة .
- الفهم السيء المنحرف لعقيدة القضاء والقدر .
- اطلاق كلمة رجال الدين على علماء المسلمين .
- تعدد الزوجات ، واثر التعليم في [illegible] .
- المعرفة وحدودها .
- الادعاء بأن التربية الجنسية تخفف من نسبة جرائم الشباب .
- وصف الالتزام بالدين بالنقص الديني .
- التحذير من ربط الدين بالسياسة .
- وصف رسالات الله بانها ثورات انسانية .

- وصف المجتمع الاسلامى بانه مجتمع زراعى متواكل .
- اهداف التعلم والخبرة وتحبيذ عدم ثبات الاهداف .
- مصادر الاهداف .
- جوانب اهداف تدريس العلوم الاجتماعية .
- الدعوة الى القومية العربية .
- الدعوة الى الوطنية وتربية المواطن المتكيف مع المجتمع .
- الدعوة الانسانية وغير ذلك من الافكار .

والان أبدأ مستعينا بالله فى عرض هذه الافكار اما بنصوصها او بمعانيها مع نقدها . يقول " الدكتور أبو الفتوح رضوان " :

" .. وفوق هذا يجب أن تعمل التربية العربية على خلق خصائص جديدة فى الشخصية العربية الناشئة بحيث تستأصل منها رواسب العصر التركى ، والاستغلال الاستعمارى وتضع بدلا منها خصائص مضادة ، تتحقق بها القومية العربية الشاملة فى المستقبل القريب .

فالمواطن العربى يجب ان يكون شخصا تقدميا يؤمن بفلسفة التغيير والتطور يجب ان يعتبر نفسه مسئولا عن المستقبل لا عن الماضى ومسئولا امام الاجيال القادمة لا امام رفات الموتى .... "(١) .

ثم يقول :

" ... لهذا كانت الوسيلة الاولى لتحقيق الوحدة العربية هى وضع اولادنا فى ايدى معلمين عرب مخلصين ولذا فالامر يبدأ من معاهد اعداد المعلمين وحلقات تدريب المعلمين حتى لا يدخل مدارسنا الا كل معلم عربى

---

(١) أسس التربية فى الوطن العربى ص ٧٣ .

تتقد جذوة العروبة فى عروقه فتنتقل الى تلاميذه العدوى الى جانب طـــرق الصنعة .

فاذا ضمنا عاطفة المعلم واخلاصه وجب أن نصف الطريقة المجديت التى عليه ان يتبعها فى خلق مواطنين يؤمنون بالوحدة العربية ... "(١)

أما بناء الشخصية عند النجيحى فانه يكون ببناء شخصية الطالـــب الاشتراكى الديمقراطى فهو يقول بعد أن يوضح أن بناء الشخصية يختلـف من مجتمع الى مجتمع ، يقول :

" .... واذا كان لنا فى مجتمعنا العربى فى الوقت الحاضر أن نحصل على بناء شخصية فى اطار المبدأ الاشتراكى والديمقراطى فيجب على التربيـــة أن تعمل مافى وسعها لكى يعيش التلاميذ هذه الاشتراكية الديمقراطيـــة أن يعيشوها فى المدرسة قيما وسلوكا وعادات واتجاهات ، حتى يصبح جزء لا يتجزأ من شخصياتهم بل وان تعمل بصفة عامة بان يعيش افراد المجتمع فـى مجموعهم هذه الاشتراكية الديمقراطية فى جميع نواحى حياتهم فى الاسرة والمصنع والعمل والمزرعة .

وهكذا نستطيع ان نضمن لهذه الاشتراكية الديمقراطية بقاءاً واستمـــراراً فى شخصيات افراد المجتمع عميقا وقويا بحيث يستطيع ان يظهر فى سلوكهـــم وان يؤثر فى اتجاهاتهم وان يطبعهم جميعا بهذا الطابع الاشتراكـــى الديمقراطى تفكيراً واسلوباً" "(٢) .

وأما مؤلفوا كتاب التربية ومشكلات المجتمع فانهم يرون ان بناء الشخصية يكون ببناء الانسان العصرى المؤمن بالله وبوطنه". (٣)

---

(١) اسس التربية فى الوطن العربى : ٧٧ .

(٢) فلسفة التربية : ١٩٩ .

(٣) التربية ومشكلات المجتمع : ١٥٥ .

أما الدعوة الى بناء شخصية الطلاب على العروبة والقومية فان ذلك من آثار الفكر العلمانى على أبناء المسلمين ، ذلك أن العلمانية هى " عزل الدين عن شئون الحياة خاصة التربية والتعليم " (*) والدعوة الى بناء شخصية التلاميذ على العروبة او الاشتراكية اوالديمقراطية بحيث يكون هؤلاء الطلاب قوميون ، او اشتراكيون او ديمقراطيون اثر من اثار الفكر العلمانى على من يدعوا الى ذلك والعلمانية كما سيمر علينا مذهب ومنهج فى الحياة مخالف للاسلام سواء كانت من النوع الذى يعزل الدين عن شئون الحياة الا فى المعبد ، او من النوع الذى يرفض الدين ويحاربه ولا يدع له مجالا اطلاقا حتى فى المعابد ، والنوع الاول هو ما تعيشه اوربا الغربية والنوع الثانى هو ماتعيشه اوربا الشرقية .

والدعوة الى القومية دعوة انتقلت الينا مع ما انتقل الينا من مظاهر الفكر العلمانى الغربى ، وبالاضافة الى ذلك فان اول من دعا اليها هم الاقلية المسيحية فى العالم الاسلامى .

يقول ساطع الحصرى وهو احد أساطين القومية العربية :

" ان فكرة القومية العربية نشأت عند المفكرين المسيحيين قبل ان تنشأ عند المسلمين " (١)

ويقول فيليب حتى ، وهو مسيحى لبنانى تأمرك :

" .. ولقد كان ظهور مبادئ القومية العربية فى العقد السابع من القرن الفائت على يد رجال الفكر السوريين ، وغالبهم من اللبنانيين المسيحيين الذين تثقفوا فى المدارس الامريكية فى بلادهم . (٢)

---

(١) الفكر العربى فى مائة سنة / ٢٠٧ .
(٢) الشعوب الجديدة : ٤١
(*) انظر تعريف العلمانية فى المدخل للدراسة .

ثم يقول : " ومما لا ريب فيه أن القومية انما هى بضاعة غربية استوردها العالم بما فيه الشرق العربى من أوروبا "[١]

ويقول آرنولد توينبى : " هنالك طبعا افكار ومؤسسات غربية نشك فى أنها نقمة ، وأهم هذه الافكار القوميـة ... فلقد اصيب الاتراك وغيرهم من الشعوب الاسلامية بعدواها الشديد كما اصيبوا بغيرها من المفاهيم الغربية سواء النافعة منها او المضرة الوبيلة "[٢] .

ويقول " هاملتون جب " :

" والاسلوب الذى استطاعت به طبقة المتغربين تامين قبضتها الثابتة على السلطة فى الدولة كان القومية ، فالقومية هى فكرة غربية أيضا "[٣] .

هذا من الناحية التاريخية اما من الناحية الواقعية فان نسبة الاقليات الدينية فى العالم العربى اقل من نسبة الاقليات العرقية .

يقول د . محمد منير مرسى فى ذلك :

" وكذلك نجد ان العالم العربى فى تطوره قد ضم اقليات عنصرية غير عربية كالاكراد فى العراق وسكان جنوب السودان الا انه يمكن القول بوجه عام " ان نسبة الاسلام فى العالم العربى اعلى من نسبة العروبة فبينما لا تزيد الاقليات الدينية عن (٣٫٥ - ٤ ") ملايين تقريبا تصل الاقليات اللغوية الى نحو (٨٫٥ - ٩) ملايين (. وهذه الارقام لا تشمل جنوب السودان) . كذلك فاذا كانت الاقليات الدينية ابرز وجودا ووزنا فى الشرق العربى من الاقليات اللغوية فان العكس صحيح فى المغرب العربى حيث الاسلام عالمى تقريبا بينما تتجدد الاقليات فى الناحية اللغوية " . [٤]

---

(١) الشعوب الجديدة ٤٢ ، ٤٣ وقد كان دعاة القومية الطورانية ايضا من النصارى . انظر الغرب والشرق الاوسط (١٢٧) .

(٢) فصل الدين عن الدولة : ١١

(٣) نفس المصدر : ٩

(٤) التعليم العام فى البلاد العربية : ١٣ .

فاذا كانت الدعوة الى القومية دعوة غربية وبدأ بالدعوة اليها نصارى العرب واذا كانت الاقليات الدينية - مع انها بتطبيق الاسلام كاملا تضمن لها حقوقها وتطالب بما يجب عليها - اقل من الاقليات اللغوية العربية ، فان الدعوة الى القومية العربية او غير عربية دعوة باطلة ولا يدعو اليها الا كل متاثر بالفكر العلمانى أو منطبع فكره عليه .

وأما الوطنية والدعوة الى بناء شخصية الطالب عليها فهى الاخرى دعوة انتقلت الينا من الغرب ، فلم يكن المسلمون يعرفون تقسيم الناس حسب أوطانهم او عناصرهم العرقية .

يقول عبد العزيز جاويش :

" ان الشعور بالوطنية اصطلاح افرنكى انتقلت بذوره الى الشرق من مطاوى العلوم العصرية واصول المدنية الحديثة التى اهتدى اليها اهل الغرب " (١)

ويقول برنارد لويس :

" واول تحرك فى الشرق نحو الولاء الجديد كان تحرك الوطنية وليست القومية فلقد استلهموها من اوربا الغربية ، خصوصا فرنسا وانكلترا حيث كانت كلمة قوم وكلمة دولة مترادفين وحيث كانت الوطنية هى ولاء المواطن لبلاده ، وهذا الولاء يقدم للدولة عند ما ترى نفسها بحاجة اليه .. " (٢) .

فاذا كان الامر كذلك ، فان الواجب ان لا [illegible] وراء شعارات الغرب وافكاره [illegible] ا فى واقع حياتنا وتدعوا اليها فى تعليمنا ان كنا نعادى الاستعمار حقا اما ان كنا نعاديه بالالفاظ دون الواقع فان ذلك دليل على تاثرنا بالفكر العلمانى .

---

(١) الاتجاهات الوطنية : ١/ ٦٩ .

(٢) الغرب والشرق الاوسط / ١١٣ ، وانظر بداية الفصل فقد وصف وعد الوطنية والقومية اصنامًا جديدة بدلا عن اللات والعزى . وفى هذا الفصل توضيح لمسار الحركات القومية والوطنية ص ١٠٥ - ١٤٦ .

أما فيما يتعلق بالدعوة الى تربية الشباب على الاشتراكية والديمقراطية فان هذه الدعوة تدل على مدى تاثر من يدعوا اليها بالفكر العلمانى ، اذ أن الاشتراكية والديمقراطية مذهبان مخالفان ومناقضان للاسلام.

أما عن جوانب الثقافة فيحددها الدكتور محمد الهادى عفيفى بمايلى :

"(١) العوامل الاقتصادية التى يعيش فيها الانسان .

(٢) الظروف التاريخية ونتاجها الاجتماعى .

(٣) القيم الروحية .

ثم يذكر ان هذه الجوانب قد التحمت واثرت على مفهوم الثقافة فى مصر فيقول :

" ويبدو هذا الالتحام بين جوانب الثقافة من تحليل واقعنا كما ورد فى الميثاق الوطنى .

١- فالاساس الاقتصادى يحدد مسار التطور الاجتماعى والسياسى وما يرتبط به من قيم واتجاهات فى مجتمعنا ، فمن الحقائق البديهية التى لا تقبل الجدل ان النظام السياسى فى بلد من البلدان ليس الا انعكاسا مباشرا للاوضاع الاقتصادية ..

واما عن جانب القيم الروحية فيقول :

" ان التراث الثقافى القومى - فى جوهره الصافى - من اهم عناصر الثقافة القومية فيؤكد الميثاق انه يتعين علينا ان نذكر دائما ان الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من اديانها السماوية او من تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات ". (١)

---

(١) تاصيل تربية المعلم : ١٠ ، ١١ .

والادعاء بأن النظام السياسي - وهو الذي يسن قوانين التربية والتعليم وغيرها - ليس الا انعكاسات للاوضاع الاقتصادية ، ادعاء باطل وهو اثر من آثار الفكر العلماني على المؤلف ، وهذا التفكير العلماني من النوع الثاني الذي لا يرى للدين اي مجال في هذه الحياة بل يحاربه ، ان هذه الفكرة فكرة " الماركسيين " ولم يعرف عن المسلمين في العصور السابقة هذا القول .

وأما فيما يتعلق بحديثه عن القيم الروحية فاكتفي بما فند به الدكتور بشير التوم هذا الادعاء اذ يقول :

" ان الرجل الغربي المسيحي يفهم الدين على انه امر باطني فردي وعلى انه قيم روحية يحتاج اليها الفرد . ولكنه يستمد هذه القيم من مسيحيته كما يفهمها ومحمد الهادي عفيفي متاثر بهذا المفهوم الضيق للدين ولكنه يبيح للشعوب العربية ان تستمد هذه القيم الروحية من اديانها السماوية او من تراثها الحضاري ! كأن التراث الحضاري عنده بمثابة الدين "(١) .

ويقرر د . التيجاني الماحي نظرية فرويد الجنسية فيقول :

" ويقرر فرويد ان عقدة اوديبوس هي نواة السلوك الانساني وعليها يقوم مستقبل النضوج العاطفي الذي يتقرر على ضوئه طابع السلوك الاجتماعي وطابع الصحة العقلية وان اضطراب عقدة اوديبوس لا يؤدي الى انحراف في السلوك فحسب بل الى اضطراب في صحة العقل . ومضمون هذه النظرية ان الذكور من الاطفال يميلون بفطرتهم ميلا ايجابيا الى امهاتهم وان هذه العاطفة قد تحمل على الكراهية . كما ان الاناث من الاطفال تدفعهن طبيعة فطرتهن لتقديس الاب (كل فتاة بابيها معجبة) وبالتالي الى موقف يتسم بالغيرة تجاه الأم ، وهذه ما يسمونها بعقدة ايلترا . خلاصة القول يرى فرويد ان هذه

---

(١) تاصيل تربية المعلم : ١١٠ .

العاطفة فى صورتها المحدودة قد تكون ظاهرة انسانية اساسية لا تقبل الجدل فى موضوعها ونفاذها . بل انه يضعها فى شمولها موضعا اشبه بموضع الغرائز من الانسان رغم انه لا يقول بذلك صراحة .

على اننا نرى ان عقدة اوديبوس دون تشكك فى اعتباريتها من ناحية الوجود لا تخلو أن تكون حدثا من الاحداث الازلية فى تجارب الخليقة ، نشأت ومازالت تنشأ نتيجة لاختلاف طبيعة الصلات البيولوجية والعاطفية بين الطفل وامه من جهة وبينه وبين ابيه من جهة اخرى دون ان يكون لها هذا الاثر المزعوم فى مستقبل حياة الطفل من الصحة والسلوك . . "(١)

فإدعاء الكاتب ان عقدة اوديبوس لا شك فى اعتباريتها من حيث الوجود وانها حدث من الاحداث الازلية نشأت وماتزال ادعاء غير صحيح لامور منها :

١ - أن فرويد متأثر بدارون فى نظريته فقد اخذ عنه القول بحيوانية الانسان وقد استمد هذا التصور من ملاحظات دارون الذى" لاحظ انه فى عالم البقر تتجه الثيران الفتية للحصول على البقرة الام فتجد اباها عائقا فى الطريق ، فتتجه كلها نحوه لتقتله . فاذا فرغت من ذلك عادت فاصطرعت فيما بينها حتى يتغلب احدها - وهو اقواها - فيفوز وحده بالام ويصبح هو السيد الجديد "(٢) .

٢ - ان نظريفة فرويد لها جذور تاريخية فى التراث اليهودى فلم يسلم من تدنيسهم واتهامهم انبياء الله ، بل الله سبحانه وتعالى ، فقد امتلأ تراثهم باتهام انبياء الله بالولوغ فى الجنس "(٣) .

---

(١) اسس التربية فى الوطن العربى : ١٨٠ ، ١٨١ .

(٢) التطور والثبات فى حياة البشر : ٤٥ ، ٤٩ ، وانظر دراسات فى النفس الانسانية : ٣٦٠ ، ٣٦١ .

(٣) جذور البلاء : ٣٨ - ٤٤ .

٣ ـ ان هناك اتجاها مضادا لنظرية فرويد فى فهم الشخصية الانسانية وهو اتجاه يزداد قوة ودعاعلى الايام ويتلخص فى ان الانسان اكثر من مجرد حيوان سادت الغريزة حياته ... "(١)

ويتحدث د . محمود السيد سلطان عن اتجاهات الثقافة المصرية ويقسمها الى عدة اتجاهات منها ما اسماه "الاتجاه الدينى" فيقول عن هذا الاتجاه مايلى :

" ... اما الاتجاه الثانى فى الثقافة المصرية الذى يحتدم حوله وبسببه الصراع فهو الاتجاه الدينى وهو عدة اتجاهات فى داخله : اتجاه تعصبى ، واتجاه رجعى متحجر واتجاه عقلانى واتجاه شكلى .

الاتجاه التعصبى : وهو اتجاه يمزق اوصال المجتمع والوحدة الوطنية والتماسك القومى لانه يجعل هناك تكتلات تتقوقع على نفسها على حساب التماسك الاجتماعى ووحدة المجتمع الداخلية كلها . كما انه اتجاه يفهم الدين ـ اى دين فهما خاطئا لانه لم ينزل دين سماوى يدعو لمثل هذا التعصب ، وانما دعت هذه الاديان السماوية الى السلام والتسامح والمحبة وهو يحمل هذا الدين بشكل ما لانه يجلب عداء الفئات الاخرى كرد فعل لمثل هذا الاتجاه .

الاتجاه الرجعى المنغلق والمتحجر : وظهر هذا عند بعض رجال الدين حينما فهموا فهما خاطئا واغلقوا باب الاجتهاد العقلى واعتمدوا على النص بفهم خاطئ دون العقل .

الاتجاه العقلانى : وهو اتجاه يدعو باستمرار الى تنقية الدين من كل الشوائب العالقة به والتى دخلت عليه بسبب الطمس العقلى وهو فى هذه التنقية يدعو الى استخدام الذكاء الانسانى فى الفهم والشرح والاجتهاد .

---

(١) التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى : ٢٥١ .

الاتجاه الشكلى : وهو اتجاه اخذ من الدين شكله وترك مضمونه وجوهره وحرص على بعض الطقوس الدينية دون فهم كاف واستيعاب كامل لمغزاه ومضامينه"(١)

ان تقسيم المؤلف هذا يعطى الدليل الواضح على تاثره بالفكر العلمانى الوافد الينا من اوروبا ففى تاريخ المسلمين لا يوجد الفصل بين الدين والحياة ولا يوجد هذا التقسيم اذ ان هناك " متخصصون فى الشريعة ومتخصصون فى التاريخ .. الخ" وهؤلاء المتخصصون فى فروع العلم يخدمون شيئا واحدا (الاسلام والمسلمين) وكل يسير فى تخصصه وفق مبادىء الاسلام ولا يحيد عنها فليس لمتخصص فى التربية او فى اللغة او فى الطب او غيرها ان يحيد عن ماشرعه الله ورسوله فى كافة امور حياته ومنها تعلمه وطرق المعرفة التى يسلكها هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فإن هذه الاوصاف " الرجعى المغلق المتحجر" لم يعرفها المسلمون الا بعد ان نعق بها اليساريون فى البلاد الاسلامية تقليدا لليساريين الاسياد ، والشيوعيون اشد العلمانيين على الدين واهله خاصة الاسلام والملتزمين به ، كما ان وصف رجال الدين من الاوصاف التى انتقلت الينا من [illegible] انتقلت الينا من الغرب تقليدا لهم فى اطلاقهم هذا الوصف على علماء الدين ، وهو وصف يوحى للناس ان هؤلاء الناس اعداء للدنيا ويحرمون الناس من زينة هذه الحياة ويستبدون بامر الناس ويطغون عليهم ،وهو امر قد وقع فى الغرب ، لكنه لم يقع فى العالم الاسلامى وصفحات التاريخ الاسلامى شاهدة بهذا ، اما ثناؤه على الاتجاه العقلانى فدليل اخر على هذا التاثر بالفكر الغربى فإن اصحاب الاتجاه العقلانى وعلى راسهم " محمد عبده " قد تاثروا بفلسفة اوجست [illegible]ت - الفيلسوف الفرنسى - ،واثنى عليهم المستشرقون ،ومنهم

---

(١) دراسات فى التربية والمجتمع : ٢٧٩/١ .

"هاملتون جيب" . ومن المعلوم ان المستشرقين لا يثنون الا على احد شخصين اما على زعيم سياسى ساعد على نقل التغريب والعلمانية للعالم الاسلامى ، وعلى مفكرى كان منساقا مع التفكير الغربى من حيث يشعر او لا يشعر .

نعم .. لقد حض الله سبحانه وتعالى على اعمال الفكر وحض رسوله الكريم على ذلك ، وما الاجتهاد فى فهم النصوص الا من هذا القبيل ، ولكن اذا ورد نص غير صريح واضح لا يحتمل الا قولا واحدا فلا مجال للتفكير ثم ان المجتهد قد يصيب وقد يخطئ .

أما قوله - عن ما اسماه بالاتجاه التعصبى - بانه يمزق اوصال المجتمع والوحدة الوطنية فهذه دعوى مع الناس سماعها من بعض الزعماء السياسيين الذين يجاملون الاقليات على حساب الاكثرية ، وواقع التاريخ وشواهده تكذب هذه الدعوى فلم يكن المسلمون فى يوم من الايام هم البادئون بالاعتداء على غيرهم من النصارى او اليهود ، بل كان موقفهم - خاصة فى هذا العصر - هو الدفاع عن انفسهم من اعتداء هذه الاقليات ، مع ان هذه الاقليات لا تقوم بما يفرضه عليها الاسلام من الجزية وغيرها وانما ياخذون ولا يعطون ويعتدون ولا يعتدى عليهم وما احداث الزاوية الحمراء عنا ببعيد .

واما تصور المؤلف نفسه لمعنى الدين ودوره فى المجتمع فتوضحه النصوص الاتية . يقول فى النص الاول :

" ... واذا كان الدين موجودا فى كل المجتمعات القديمة والمعاصرة وله بنية مثل جميع النظم الاجتماعية الاخرى فإن له ، وفيه جميع خصائص النظم الاجتماعية الاخرى فهو يتشابك ويتداخل مع جميع النظم الاجتماعية الاخرى ويؤثر فيها ويتأثر بها ويأخذ منها ويعطيها وهو يتخصص فى وظيفة ويحقق هدفا بالنسبة

للمجتمع ككل .

والنظام الديني جزء من نظام كلى هو المجتمع وهو يتكون بدوره من عدة نظم منها الفكر الديني والكتاب ، والكتب التى تحوى هذا الفكر واهدافه ومناهجه ونظامه وتنظيمه". (١)

ثم يقول :

" نحن التربويين نحاول ان نستكشف ايضا - بعض العلاقات بين الدين والتربية - على اعتبار الدين كثيرا ما يشكل ويصبغ عناصر ثقافة المجتمع ". (٢)

ويقول فى موضع آخر :

" ... ان المحلل للمجتمعات يلاحظ ان الدين - اى دين - يلعب دورا ما فى المجتمع فغالبا ما يستطيع المجتمع ان يجد اجابات للكثير من قضاياه فى واقع الحياة السياسية والاقتصادية والاسرية والترفيهية والحربية والقانونية والتربوية فى ضوء الدين على اعتبار ان الدين مجموعة من الافكار والقيم والعادات والسلوك والمهارات والطقوس التى توجه الحياة ". (٣)

وهذه النصوص ايضا تعطى دليلا ساطعا على تاثر الدكتور بالفكر العلمانى ويمكن تفصيل ذلك فى النقاط الاتية :

١ - ان الدين عنده نظام من ضمن انظمة المجتمع السياسية والاقتصادية والقانونية والتربوية ..الخ .

٢ - ان الدين عنده فيه خصائص النظم الاخرى - والنظم الاخرى كما يسميها - نظم بشرية - ومعنى هذا ان الدين يدخله ما يدخل انظمة البشر من القصور والنقص لنقص البشر فى علومهم وفكرهم .

---

(١) بحوث فى التربية الاسلامية : ٦٧ .
(٢) المصدر السابق : ٦٩ .
(٣) نفس المصدر السابق .

٣ - ان الدين يؤثر فى النظم ويتأثر بها - اى انه يمكن ان تتغير احكامه حسب تاثير انظمة المجتمع الاخرى فيه - .

٤ - ان الدين يأخذ من انظمة المجتمع - وهو كما قلت من صنع البشر - ويعطيها وهذا يعنى أنه تتغير احكامه حسب ما يأخذون من أنظمة البشر.

٥ - ان الدين عنده متخصص فى وظيفة - هى الطقوس - .

٦ - ان الدين عنده يشارك فى صياغة ثقافة المجتمع وليس هو المهيمن عليها والموجه لها الوجهة الصحيحة .

٧ - ان الدين عنده - اى دين والاسلام منه - يلعب دورا ما فى المجتمع ، ومن المعلوم ان التعبير "بدورما" فيه معنى التقليل من هذا الدور اى انه "يؤدى" اى دور سواء كان مناسبا اوغير مناسب صحيحا او غير صحيح مفيد او غير مفيد .

ومن المعلوم ان القول بان الدين نظام من انظمة المجتمع او انه ظاهرة اجتماعية هو من آراء رجال الاجتماع الغربيين .

يقول د . بشير حاج التوم فى نقد النصوص السابقة :

" . . . يتضح من النصوص السابقة ان المؤلف متأثر بآراء علماء الاجتماع الغربيين من امثال : "دركهايم" الذين يجعلون الدين ظاهرة اجتماعية ونظاما من نظم المجتمع يؤثر فيها ويتاثر بها . وهو يتخصص فى وظيفة واحدة ويحقق هدفا واحدا فقط . كان الاجدر بالمؤلف الا ينبهر بما يجد فى الكتب الغربية والكتب المتاثرة بها ، فيأخذ ما فيها دون تمحيص ويقع فى الخطأ الذى وقع فيه حين جعل الاسلام ، كأى دين اخر ، يلعب دورا ما فى حياة المجتمع . . وله بنية مثل جميع النظم الاجتماعية الاخرى . . وهو جزء من نظام كلى . . ." (١)

---

(١) تاصيل تربية المعلم : ٢١ .

ويتحدث الدكتور/ محمد لبيب النجيحى عن دور التربية فى اذابة الفروق الرجعية بين الطبقات والاشتراكية والديمقراطية فيقول :

"... ومجتمعنا العربى فى جمهورية مصر العربية بعمق الوعى وقوة الثورة يمر بفترة حاسمة من تاريخه ، استطاع فيها ان يغير فى كثير من اوضاعه من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ففى الناحية الاقتصادية استطاع العامل ان ينال حقوقه وان يرتفع الى مستوى معيشى يليق بمجهوده وبكرامته وبدوره فى خدمة الاقتصاد القومى واتجهت الدولة الى التأميم لحماية راس المال وحقوق العمال والحد من سيطرة راس المال الفردى والنزعات التسلطية الفردية ... اما من الناحية الاجتماعية فان الفروق بين الطبقات اخذت تذوب واخذت الفكرة الاشتراكية والمساواة بين الافراد تسود المجتمع .. وفى الناحية السياسية اخذت الاشتراكية الديمقراطية ترسى اسسها وتنظم نفسها حتى يستطيع جميع الافراد ان يعبروا عن آرائهم وان يختاروا اختياراً سليماً من يمثلهم .

على ان هذه الثورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتى تحدد خبرتنا الانسانية وتقيم المقومات الاساسية لها ، لابد لكى تكتمل عناصرها ولكى تتعمق جذورها ولكى تقدم المقومات على اساس سليم لابد لها من ثورة ثقافية تعمق هذه المحددات وترسى هذه الخبرة الانسانية ارساء عميقاً قوياً . فاذا كان اهتمامنا بالخبرة الانسانية وباقامة فلسفة سليمة لهذه الخبرة ، فإن إطارنا الثقافى العام الذى ستعمل فى حدودها هو هذه المحددات مع نظرة الى المستقبل حتى تستطيع هذه المحددات ان تنتقل من السطح الى الاعماق ومن السلوك الظاهرى الى الدوافع الداخلية الحقيقية ". (1)

---

(1) فلسفة التربية : ٥٩ ، ٦٠ .

فهذه المحددات التى يدعو الى اساءها وتعميق جذورها وهى "التأميم" ومحو الطبقية او اذابة الفروق بين الطبقات والاشتراكية والديمقراطية ، شعارات غريبة علينا فى المجتمع الاسلامى ، فان التاميم من قواعد "الاشتراكية" ، والاشتراكية مذهب عقائدى واقتصادى واجتماعى أوربى المنشأ نشأ لظروف ، وملابسات ليس هذا موضع بيانها . اما محو الطبقية فهو كذلك مبدأ اشتراكى واما الديمقراطية فأسلوب غربى فى الحكم . ومن العجب ان كثيرا من الكتاب سواء من التربويين او من غيرهم يخلطون فى دعواتهم بين مبادىء غربية ومبادىء شرقية فإن المجتمعات التى [illegible]بق فيها الاشتراكية الماركسية وهى ام جميع الاشتراكيات لا مجال فيها للديمقراطية [illegible] ان مكونات ودعائم حكمهم الديكتاتورية (ديكتاتورية البروليتاريا) المزعومة فكيف يجمع كتابينا بين الدعوة الى الاشتراكية والديمقراطية . الاشتراكية ترتكز على : (١) التاميم (٢) الغاء الملكية الخاصة (٣) محو الطبقية .

وكل هذه لا يمكن تحقيقها الا بسلب الناس حريتهم . والديمقراطية تقوم على الحرية الفردية المطلقة . "فالفرد حر مالم يضر الغير" ليس لهذا من تفسير الا انه التاثر بالفكر العلمانى الذى يرى ان لا دخل للدين فى حياة الناس فلهم ان يختاروا ما يريدون لانفسهم وفقد الهوية العقائدية ، والا فاننا لم نسمع بان اوربا الغربية قد طبقت الاشتراكية الماركسية ولم نسمع بان روسيا واوربا الشرقية قد طبقت الديمقراطية الغربية بل الدكتاتورية هى الحاكمة . وهكذا اصبحت بلاد المسلمين بسبب تاثير بعض ابناءها بالفكر العلمانى ميدانا فسيحا للدعوة للافكار المتناقضة .

ويدعو د . عبد اللطيف فؤاد ابراهيم المعلم الناشىء الى دعم روح الاشتراكية فى نفوس تلاميذه [1] ثم يواصل المؤلف نصائحه للمدرس فيقول :

---

(١) مرشد تمرين المدرس : ١٢ . : .

" ان يحرص على ان يمارس التلاميذ ألوانا من القيادة الجماعية في اوجه النشاط التى يتطلبها تدريسك بحيث يؤمن هؤلاء التلاميذ عن الطريق العلمى بان جماعية القيادة تعصمهم من جموح الفرد وتؤكد الديمقراطية السليمة على أعلى مستوياتها " (١)

وهكذا يتناقض هذا الكاتب ايضا حين يدعو الى تنمية مبدأين متناقضين فى نفوس التلاميذ " الاشتراكية " ، " الديمقراطية ".

ويصل الامر بأحد التربويين الى الادعاء بان المجتمع العربى كان له فى الماضى فلسفة واضحة هى الفلسفة الديمقراطية فى الحكم والاشتراكية فى الاقتصاد وانه بعد ذلك تأثر بالامم الفاتحة " لمصر " كالرومان ، والاتراك ، والاستعمار الغربى فشاهت فلسفته واختفت نظمه المستوحاة من هذه الفلسفة . (٢)

وواضح من حديث الكاتب انه يقصد بالمجتمع العربى مصر ، فى عهد الفراعنة لان فتح الرومان لمصر كان بعد الفراعنة ، ومن المعلوم ان الفراعنة لم يكونوا يعرفون الديمقراطية بل كان حكمهم قائما على الدكتاتورية هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الديمقراطية كاسلوب من اساليب الحكم لم يعرف الا منذ فترة وجيزة .

وأما الاشتراكية فى الاقتصاد فلم تعرف الا منذ مدة وجيزة فلم تكن معروفة فى العصور الفرعونية التى يقصدها .

ومن العجيب ان يفتخر المؤلف بعصور الفراعنة والله سبحانه وتعالى قد وصمها بالجاهلية .

---

(١) المرجع السابق ص ١٤ .

(٢) ابوالفتوح رضوان : بحث فى اسس التربية فى الوطن العربى : ٤٨ .

ويجعل د . محمد الهادى عفيفى من الاهداف التربوية العامة تدعيم مبادئ واساليب المجتمع الديمقراطى الاشتراكى لانها فى زعمه هو الاطار الذى تعمل فيه التربية والذى يحدد اتجاهات الافراد . " فالحياة الديمقراطية والنظام الاشتراكى يعتبران طريق حياة متكاملة . فالحرية السياسية هى تعبير عن الحرية الاجتماعية وكلاهما لا يتحققان الا بتحقيق الفرص المتكافئة امام كل مواطن فى نصيب عادل من الثروة الوطنية اى بالاشتراكية ". (١)

ويرى الدكتور سعيد اسماعيل على ورفاقه ان هناك عوامل تؤثر فى المجتمع المصرى وقد عددها المؤلفون واذكرها بايجاز وهى :

(١) الايمان بالثورة سبيل للتقدم .

(٢) الايمان بالاشتراكية كهدف وكاسلوب حياة .

(٣) الايمان بالديمقراطية السليمة .

(٤) الايمان بالقومية العربية . (٢)

ويرى د . وهيب سمعان ورفاقه ان الاهداف التى يجب السعى لتحقيقها فى المجال الداخلى اقامة المجتمع الديمقراطى الاشتراكى . وفى المجال الخارجى الايمان بالقومية العربية وغرس مبدأ التعايش السلمى والحياد الايجابى ثم يقولون :

" ومن ثم فالمدرسة ينبغى ان تسعى الى اعداد مواطنين ديمقراطيين اشتراكيين ذوى قدرة على الانتاج وعلى العمل الجماعى والتعاون مع الغير ذوى رغبة اكيدة فى خدمة المجتمع والنهوض به ، ومؤمنين بقوميتهم العربية واعين بسبل تحقيق الوحدة العربية داعين لمبادئ التعايش السلمى والحياد الايجابى ". (٣)

---

(١) فى اصول التربية (الاصول الفلسفية) ١٢٢ وانظر كذلك ص ١٠١ .
(٢) التربية ومشكلات المجتمع : ١٠ - ١٢ واقرا ماكتب عن هذه العوامل المذكورة تجده من سخف القول .
(٣) دراسات فى المناهج .

ويرى د . عبد الله عبد الدايم أن أهداف التربية القومية تتلخص في التحرر من الكامل والتقدم العلمي وتنشئة المواطن الصالح وخدمة القومية العربية وتامين العدالة الاجتماعية واحياء التراث العربي . (١)

واما عناصرها فهي انسانية ،روحية ،ديمقراطية ،اشتراكية ثورية (٢)

ومن الجدير بالذكر ان د .عبد الله عبد الدايم يمثل وجهة نظر حزب البعث العربي . يقول الاستاذ نعيم عطيه عن ذلك مايلي :

" ولعل عبد الله عبد الدائم يمثل افضل مايمثل الاتجاه الثوري في التربية التراثية القومية . وهي وجهة نظر حزب البعث العربي الاشتراكي او وجهة احد اجنحته على الاقل ." (٣)

ومن العجيب أن يدعوا مندوب البحرين في مؤتمر " الحلقة الدراسية الاول للتربية وعلم النفس " الى الاخذ بالديمقراطية والاشتراكية .اذ يقول في بحثه " المدرسة والمجتمع " :

" ونحن مدعوون الى الاخذ بالديمقراطية الصحيحة في مجتمعنا واعداد الافراد لها في كل مناسبة .في المدرسة . في العمل . في العلاقات بين مستويات المجتمع ....

وان خير ما يأخذ بيدنا في سبيل الحياة بجهد اقل وطاقة ادنى هو التعاون المثمر البناء . فالحاجة الى تشجيع العمل التعاوني لاتقل عن حاجتنا الى الديمقراطية والاشتراكية " (٤) .

---

(١) الفكر العربي في مائة سنة : ٥٣٤ .
(٢) نفس المصدر : ٥٣٥ . وانظر تفصيلها حتى ص ٥٣٦ .
(٣) نفس المصدر : ٥٣٤ .
(٤) اسس التربية في الوطن العربي : ٢٢٦ .

ومكمن العجب ان دول الخليج لا تطبق الاشتراكية ، ولا تطبق اساليب الحكم الديمقراطي الغربي ، حتى يمكن القول بأن هذا المندوب يمثل وجهة نظر حكومة البحرين .. او يصانعها ، يجاملها كما يفعل بعض الكتاب الذ يلبس لكل وقت لبوسه . فاذا عاش في عهد يسير على المبادئ الاشتراكية ويولي وجهه شطر موسكو نعق بهذه المبادئ ودعا اليها . فإذا تغير هذا العهد وجاء عهد يسير على المبادئ الراسمالية ويولي وجهه شطر واشنطن نعق بهذه المبادئ ودعا اليها .

فعلى هذا اما ان يكون هذا المندوب يردد كلمات لا يعلم لها معنى اوانه يعتنق هذه المبادئ التي تتضمنها هذه الشعارات .

أما د . القوصي فانه يقسم غاية التربية الى الاهداف التالية :

١- .....

٢- .....

٣- تحقيق الديمقراطية لفرص الحرية والاستقلال في الرأي والتفكير .

٤- بث الايمان بالله والوطن والذات وينطوي تحت هذا المبدأ الايمان بالعروبة ."(١)

ويقول د . عبد اللطيف فؤاد ابراهيم مخاطبا المعلم الناشئ :

" ... أن تنتهز كل فرصة في مادة تدريسك وما يتصل بها من ارشادات ، وتوجيهات لتؤكد السمات العربية الصالحة وتدعمها وان تدرب التلاميذ على ممارستها وادخال التحسين المناسب عليها ان لزم التحسين ، ولتجعل التلاميذ يفهمون مقومات العروبة والقومية العربية ودعائمها وقيمها الدينية "(٢)

---

(١) الفكر العربي في مائة سنة : ٥٠٩ ، ٥١٠ .
(٢) مرشد تمرين المدرس : ١٠ .

وقد سبق أن نقلت عنه نصين [illegible] يدعوا فيهما الى الديمقراطية والاشتراكية . وهنا يدعوا الى القومية . ويدعوان لها قيما دينية ، وليس لها ذلك فانها دعوة جاهلية ، والدعاوى الجاهلية ليس لها قيم دينية .

وفى كتاب " فلسفة الوضعية المنطقية والتربية ـ تطبيقات تربوية فى المجتمع الاشتراكى العربى " فصل بعنوان " معالم المجتمع " العربى فى ضوء الميثاق الوطنى " يسرد فيه المؤلف عدة معالم ويتحدث عنها وهى :

(١) المجتمع العربى مجتمع علمى .

(٢) المجتمع العربى متجه الى التصنيع .

(٣) المجتمع العربى يقوم على القوة المادية .

(٤) المجتمع العربى يعتمد على القيم الروحية .

(٥) المجتمع العربى تقدمى متحرر .

(٦) المجتمع العربى هو القيم على نفسه .

(٧) المجتمع العربى له أعداء . (١)

يقول فى بيان المعلم السابع مايلى :

" . . . ولذلك فان اهداف المجتمع العربى التى لابد وان توجه شخصيته الواقعية هى :

١ـ تأكيد الاشتراكية والديمقراطية والتعاونية .

٢ـ الايمان بحتمية القومية العربية والوحدة العربية ." (٢) .

ولابد لمعرفة خطورة مايدعو اليه الكاتب من ان نعرف ماهى الفلسفة الوضعية المنطقية التى يريد ان يصوغ منها تطبيقات تربوية للمجتمع العربى

---

(١) و (٢) فلسفة الوضعية المنطقية : ١١٤ ـ ١٢١ ، ١٢٢ .

ـ والمقصود هنا المصرى ـ لان الميثاق الوطنى الذى حدد على ضوئه معالم المجتمع العربى هو ميثاق جمال عبد الناصر ، ونأخذ من المؤلف ذاته مصادر منهج الوضعية المنطقية فهو يقول فى نفس الكتاب عند الحديث عن مصادر هذه الفلسفة ، والفروق بينها وبين المذهب البراجماتي : مايلي

١ـ ..... ٢ـ ٢ـ الميتافيزيقيا عند الوضعيه في كل صورها ومجالاتها لغو لا معنى له .....

.... وتفوهات لا طائل وراءها فى حين ان من البرجمانية من يرى أن الميتافيزيقيا لها قيمتها وفاعليتها وفى ذلك يقول وليم جيمس :

" ان الميتافيزيقيا تهب الحياة والنور للكون والطبيعة ، وانها يجب ان تبقى ويحسها كل فرد طالما تحقق نفعا وفائدة " .

٣ـ والقيم الاخلاقية عند الوضعية ـ بمعناها الميتافيزيقى ـ ليست سوى تعبير عن تمنيات وانفعالات ومن ثم خرجت من نطاق القضية المنطقية ـ بينما القيم الاخلاقية عند البرجماتية لها صورها المنطقية لانها تعبر عن راى او موقف لم يستقر بعد ". (١)

والميتافيزيقيا كما هو معروف اصطلاح يعنى الايمان بما وراء الطبيعة أو هو الايمان بالمغيبات فإذا كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تعد الايمان بالمغيبات لغو لا معنى له ، فهل يتفق المؤلف معها فى ذلك .. ان مقتضى استرشاده بالفلسفة الوضعية المنطقية لعمل تطبيقات تربوية يعنى قناعته بافكار هذه الفلسفة .

ويدعو أحد التربويين الى رفض الاعتقاد بالغيبيات فيقول تحت عنوان :

" توجية الراى العام على اساس الموضوعية مايلى :

---

(١) الفلسفة الوضعية المنطقية : (٤) ، ٤٢ .

" . . . غير أن الطريقة العلمية قد تكون السبيل الى تقليل التعصب فى مناقشة الامور الانسانية بإزالة الجمود والنزعات القسرية ، إذ تهدف الى تنمية السلوك العاقل الموجهة بالحقيقة والقائم على الايمان بالتجريب والاختيار ، فهى طريقة تحقق التعاون بين الناس للوصول الى الحقائق ومناقشة التناقض بين القيم الثقافية وبين المصالح المختلفة . وبمعنى اخر فإنها تهدف الى تحقيق الموضوعية واتاحة الفرصة لجميع القادرين على البحث للتعرف على الحقيقة والوصول الى مصادرها . . ومن ثم فإنها تختلف عن الطرق الذاتية والاعتقاد فى الغيبيات والبديهيات . اذ تؤكد الملاحظة والتجريب والحكم على الاشياء والاراء بنتائجهما ومن هنا فإن تدريب الناشئين والشباب على التفكير العلمى يعنى تحقيق الاساس العلمى السليم الذى يقوم عليه الرأى العام المستنير وهو يخلص التعليم من ناحية اخرى من الأساليب الذاتية . . "(١)

ومن المعلوم ان من الغيبيات الايمان بوجود الملائكة ، ووجود الجن ومنها الايمان بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء فى يوم القيامة . . ومن المعلوم ايضا ان الرافضين للايمان بالغيبيات هم الذين لا يؤمنون الا بما يقع تحت حواسهم او فى محيط تجاربهم . وهذا الاعتقاد هو رد فعل ضد رجال الكنيسة الذين حاربوا العلوم التجريبية ورجالها وآذوهم ، هذا فى الغرب . . فما بالنا نحن المسلمين ننقل افكارهم ونحن لم يحدث ولن يحدث عندنا ما حدث عندهم اذا استمسكنا بشرع الله . افلا يكون هذا النوع من التفكير اثراً من اثار العلمانية على التربويين المسلمين فى هذا العصر . . ؟ !

ويدعى نفس المؤلف د . محمد الهادى عفيفى ان القيم الروحية تستمد سلطتها فى المجتمع من قدرتها على تحمل الاختيار فى الخبرات الانسانية المتتالية وبين

---

(١) فى أصول التربية ـ الاصول الفلسفية : ٢٧٥ .

جماعات مختلفة . (١)

ويدعى د . محمود السيد سلطان وزميله بأن الحملة الفرنسية على مصر كانت من مثيرات النهضة فى العالم الاسلامى فيقول :

" . . . اذا كان العصر المملوكى التركى قد سلب الوطن العربى الاسلامى فى قلبه مصر كل مقومات العلم الطبيعى وتطبيقاته فى مجالات الحياة المختلفة كما سلبه رائق التفكير الحر والابداع والابتكار فى مجالات هذه الحياة كما سلبه وسائل الاسهام فى حكم نفسه او ممارسة اى نوع من الديمقراطية . . فان الحملة الفرنسية بما حملته من مثيرات حديثة من علم ومن تكنولوجيا وما لوحت به لاسهام المصريين فى حكم بلادهم وما بثته فى ثقة فى انفسهم قد كانت بمثابة المؤثر القوى والمثير النشيط لبدايات اليقظة العربية الاسلامية فى مصر والشام . ولقد كان هذا الغزو الفرنسى فى بداية القرن التاسع عشر غزوا ثقافيا وحضاريا للبلدان العربية فثقافة العصر الحديث تغزو ثقافة تخلفت وحضارة الغزو الحديث تغزو حضارة متعفنة ، وربما كان هذا الغزو لم يكن يدرك ان العناصر القوية فى ثقافته الحديثة الغازية من علم ومن ديمقراطية كانتا من اهم العناصر الملموسة لهذه الثقافة المقهورة ، وانهما يعيشان فى الوجدان ، والعقل اللاشعورى ان صح هذا التعبير لابناء هذه المنطقة ويفسر هذا تلك الاستجابة المبهرة السريعة للتغير الثقافى . ولقد كان من اهم المؤثرات التى استثارت تلك الاستجابة التلقائية السريعة ما اتسمت به تلك الثقافة الغازية من انماط حديثة اهمها ما قلنا العلم الحديث بمناهجه العلمية وتطبيقاته فى مجالات الحياة المختلفة واهمها ايضا تلك المبادىء التى رفعتها الثورة الفرنسية من حرية واخاء ومساواة ومن عقلانية ومن اسهام الشعب فى ادارة حكم البلاد ومن مساواة المواطنين امام القانون ". (٢)

مسار الفكر التربوى : ١٤٧ .

(١) المصدر السابق : ٣١٢

(٢) مسار الفكر التربوى : ١٤٧

لا ريب أنه قد كان للحكام فى الخلافة العثمانية أخطاء ، ولكنها كأخطاء الخلفاء من بنى امية وبنى العباس ، والواجب فى النقد ان يكون موضوعيا خاصة لمن يدعون الى الموضوعية فى البحث فان الموضوعية والتجرد من الهوى فى مثل هذا الحديث عن العثمانيين لا سيما اذا قورن بما تضمنه النص من ثناء عاطر على الثورة الفرنسية وحملتها على مصر والادعاء بان هذه الحملة كانت بمثابة المؤثر القوى والمثير النشيط لبداية اليقظة فى العالم الاسلامى ، والثناء على شعارات الثورة الفرنسية ووصف حضارة المسلمين بالحضارة المتعفنة ..

ان المنطق السليم يقتضى من الكاتب ان يتصف فى حكمه ، فلا مانع من القول بأن المسلمين كانوا قد انحطوا من الناحية العلمية والفكرية ، والعقائدية بدخول البدع فى الدين ، ولا مانع من بيان حقيقة مخالفة بعض الحكام لما شرعه الله ، أما ان يكون النقد بهذه الصورة مع تمجيد الثورة الفرنسية ـ التى يعلم القاصى والدانى ـ انها من صنع اليهود وأنهم رفعوا شعار "الحرية والاخاء والمساواة" لمصلحة اليهود.

ان الحملة الفرنسية التى يمجدها الدكتور إن كانت حملة استعمارية تخريبية باعتراف مؤرخى الغرب انفسهم :

يقول " برنارد لويس " عن هذه الحملة واثرها مايلى :

" .... وعندما احتلت حملة فرنسية عسكرية بقيادة " بونابرت " مصر سنة ١٧٩٨ ، بدأ عهد جديد فى تاريخ تأثير الغرب فى الشرق الاوسط ، ولقد نظر المؤرخون الشرقيون والغربيون الى هذه الحادثة التاريخية على انها " شلال جارف " فهى اول قوة مسلحة عبدت الطريق للغرب الحديث فى الشرق الاوسط ، وكانت اول صدمة للسماحة الاسلامية واول شرارة كهربائية فى طريق " التغريب " والاصلاح !! فى الشرق الاوسط "(١) .

---

(١) الغرب والشرق الاوسط : ٤٤ ، ...

ثم يقول :

" . . . ورفعت حملة بونابرت ازمة التأثير الغربى الى أوجها الحاد فى العالم العربى ، ثم افتتحت عهداً دام قرناً ونصف من التدخل المباشر الأنكلو فرنسى فى أمور الشرق "(١) .

ويفهم الكاتبان السابقان عقيدة القضاء والقدر فهما خاطئا فهما يقولان فى بيان اسباب رفض المسلمين لتقبل ما جاء فى الحملة الفرنسية من افكار واتجاهات مايلى :

" ويعلل ذلك الرفض الثقافى بوجه عام وتلك المقاومة بأن المصريين كانوا يخضعون الى حد كبير لعقيدة القضاء والقدر مما دعى البعض الى ان ينظروا الى التغيير فى سبيل الاصلاح على انه معارضة ومهاجمة لتلك العقائد الدينية التى تحتل مكانة مرموقة فى عقول الناس فى ذلك الزمان ومع ذلك فلم يكن المصريون كلهم على هذا النحو من الجمود ومن مقاومة التغيير والا لما حدثت تلك الاستجابة الرائعة للتعليم الحديث . . "(٢)

ان الايمان بالقضاء والقدر أحد اركان الايمان الستة فلا يتم ايمان المسلم الا اذا آمن بالقدر خيره وشره وليس الايمان بالقدر كما زعم المؤلفان يؤدى الى الجمود بل هو صمام الامان بالنسبة للمسلم . وقد أوضحت معنى الايمان بالقدر وانه لا ينافى ، بل يستلزم السعى فى الارض لكسب الرزق ولعمارتها بطاعة الله ووفق شرع الله .

واقرأ معى هذا العرض السيء والنقد غير السليم لمعنى القضاء والقدر ، بقلم الدكتور احمد يوسف التل تحت عنوان " الظروف الاجتماعية " مايلى :

---

(١) الغرب والشرق الاوسط : ٤٠٤، ٤٠٥ .
(٢) مسار الفكر التربوى : ١٥٣ .

" .. ٦ـ الجهل بالقضاء والقدر : عندما يكون البؤس هو الصفة العامة لحياة معظم المواطنين فمن السهل على اولئك المواطنين الايمان بالقضاء والقدر . والا بماذا يفسر القروى وجوده في هذا الكون ويبرر تحمله وتقبله لهذه الحياة التعيسة ؟ فعندما يأخذ الموت عدداً كبيراً من مواليد القرية وأطفالها فان الوسيلة الوحيدة لتخفيف حزن المصاب هو اعتقاده بأنها إرادة الله ومشيئته .. مع أن الطب الحديث كان يمكن أن ينقذ حياة الاطفال من الموت ولو كان ذلك العلاج الطبي متوفراً في القرية متجاهلين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " تداووا عباد الله فإن الله ما جعل داء الا وله دواء" .... ان ايمانا قويا وأعمى يسيطر على سكان القرى والبادية وهذا الايمان والجهل بأمور دينهم هو الذى يساعد السكان على مواجهة ظروف الحياة القاسية والعيش فيها . وقد كانت هذه الظاهرة تميز سلوك المواطنين في المجتمع الاردني قبل عام ١٩٥٠م وكان المسئوليون في المراكز الحكومية الاقتصادية والسياسية والدينية يشجعون مثل هذا السلوك ويشجعون استمرار الوضع الراهن للتعليم .وكانوا يعتبرون أية تغييرات في تصرفات الناس الاجتماعية لن تكون في صالح اولئك المسئولين ". (١)

وننتقل الى نص آخر للدكتور محمود السيد سلطان ورفيقه يصفان فيه علماء الاسلام وصفا سيئا اذ يقولان :

" ولقد لعب رجال الدين من المفلسين فكرياً والمغلقين عقلياً دوراً رجعياً تعصبياً قاتلاً للفكر وللخلق والابداع وللعزائم ومعوقاً للتحرر الاجتماعي والفكرى بوجه عام حين أساءوا فهم هذا الدين "(٢) .

---

(١) تطور نظام التعليم في الاردن (١٩٢١ - ١٩٧٧) : ٦٠
(٢) مسار الفكر التربوى : ١٦٣.

أليس هذا النوع من التفكير أثر من آثار الفكر العلمانى ؟ . . وللرد على هذا الكاتب أقول : ليس عند المسلمين رجال دين وانما عند المسلمين علماء الشريعة ، وعلم الشريعة أشرف العلوم ولكن ذلك لا يعطى عالم الشريعة امتيازات ترفعه فوق مستوى البشر بحيث يشرع ويطغى كما فعل رجال الدين النصرانى . . وانما له حق الاحترام لحظه العلم الشرعى اذا كان يلتزم بما حمل من علم الشريعة والا كان كاحبار اليهود ورهبان النصارى .

ويقول د . التيجانى الماحى عن تعدد الزوجات وأثر التعليم فى تقليصه مايلى :

" . . . وربما كان من الضرورى بحث تعدد الزوجات فى هذا الصدد ، فقد قام تعدد الزوجات قديماً فى الشريعة الاسلامية على أساس ضرورات بيولوجية نافعة لها قيمة فى بقاء المجتمعات وحياتها ، وليس كما يقول الجهلاء بأنه قام اصلاً على اسباب تمت الى المتعة واللذة . وكان الحافز اليه قديما كثرة الوفيات بين الأطفال وقصر أعمار البالغين عموما نتيجة لانعدام الرعاية الصحية وانتشار الفوضى والغارات والحروب مما هدد المجتمع بالانقراض . وما زلنا نجد هذا واضحاً بين جماعات البدو والعرب الرحل . . وقد كان إيمان المرأة فى هذه المجتمعات بحكمة هذا التشريع له أثر فى تقليل الأخطار الناجمة عنه مما يتولد بالضرورة من عوامل الغيرة والشقاق والكراهية والتنافر بين افراد الأسرة الواحدة كذلك كان لتعدد الزوجات صفة اقتصادية لان المرأة فى النظام القبلى وكذلك الاطفال كانوا يمثلون الايدى العاملة التى تدعم إقتصاد المنزل . وكلما كبر حجم الاسرة اتسعت مرافقها وامكانياتها المعيشية . وفى عالم اليوم نجد ان تبدل النظم الاجتماعية والاقتصادية وما يتبعها من عوامل الاستقرار والاستيطان ومن نشوء المرافق الصحية وارتفاع مستوى المعيشة كل هذه قد أسهمت فى تحسين

صحة الطفل وفى رفع مستوى العمر الطبيعى للسكان ما جعل تعدد الزوجات يفقد وظيفته البيولوجية الأولى . ومن الملاحظ انه بين قبائل الرحل التى تم استيطانها واستقرارها وفق تخطيط اقتصادى وطيد قد أصبح تعدد الزوجات من العوامل الضارة بالصحة العقلية للام ، وبالتالى للطفل بل للاسرة جميعها لانه كنظام اجتماعى قد فقد وظيفته الطبيعية ، واصبح مصدراً للخطر وتشبهه اليوم بالزائدة الدودية التى فقدت وظيفتها فى الانسان الأول فأصبحت مصدر قلق تتحين الفرص لاستئصاله ، ورغم ان محاربة تعدد الزوجات قد لا تتحقق دون قيام تشريعات فعالة فقد وجد فى بعض المجتمعات التى تفشو فيها هذه الظاهرة أن قيام المنشآت الوقائية والعلاجية التى تسهم فى وقاية الطفل وتحسين صحته والتى تهدف الى معالجة العقم بين النساء والى رفع مستوى المعيشة وتوفير الخدمات العلاجية والوقائية للمجتمع قد تكون هذه فى ذاتها من أهم العوامل لمكافحة تعدد الزوجات . ويجب ألا ننسى ان تعليم المرأة هو اهم عامل فى هذا الصدد على الاطلاق لانه يبنى شخصية المرأة ويخلق فيها الوعى والاحساس بدورها كامرأة وأم ". (١)

إن من يدقق النظر فى هذا النص يجد ان المؤلف يرى مايلى :

١ - ان تعدد الزوجات شرع على أساس ضرورات بيولوجية نافعة لها قيمتها فى بقاء الجماعات وحياتها . وانه قد فقد الان وظيفته البيولوجية ، أى أن الله شرع تعدد الزوجات لفترة معينة من تاريخ المسلمين هى فترة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهذا بلاريب راى لادليل عليه فإن ما شرعه الله فى القرآن فهو شرع الله للناس كافة الى قيام الساعة الا مانسخ بآية قرآنية او حديث نبوى وليس تعدد الزوجات منها .

---

(١) أسس التربية فى الوطن العربى : ١٨٣ ، ١٨٤ .

٢- ان تعدد الزوجات كان له صفة اقتصادية لان المرأة والاطفال فى النظام القبلى يمثلون الايدى العاملة الداعمة لاقتصاد المنزل . واما الآن فإن النظام القبلى معدوم أو نادر فإذا لا معنى لتعدد الزوجات فى هذا العصر ، وهذا ايضاً لا دليل عليه ذلك اذ لا يوجد فى القرآن ولا فى السنة [illegible] - ما يدعم هذا الرأى وكل ما يوجد فى القرآن والسنة هو امران اثنان :

(١) العدالة فى البيتوتة والطعام والكساء والمسكن والعشرة دون الميل القلبى وما يتبعه .

(٢) ان يكون ذا استطاعة مادية وجسدية ونفسية . وهذا مشترط فى الزواج بواحدة أيضا . .

ثم ان تقسيم المجتمعات حسب مراحل زمنية متعينة الى :

(١) مجتمعات قبلية او رعوية (٢) زراعية

(٣) صناعية . . . الخ

هو من تقسيمات علماء الاجتماع الغربيين اما عند المسلمين فانه يوجد فيه : الرعاة ، والمزارعون ، والصناع فى مجتمع واحد وليست هناك فروق بينهم الا فيما يتعلق باعمالهم .

٣- ان تعدد الزوجات أصبح من العوامل الضارة بالصحة العقلية للام وبالتالى للطفل والأسرة لانه فقد وظيفته الطبيعية وأصبح مصدر خطر وهو شبيه بالزائدة الدودية . وهذا أمر ايضاً لا دليل عليه واذا وجد من يعدد الزوجات وهو غير قادر على اعالتهم فالخطأ ينسب اليه اما ان يؤخذ نموذج ممن يعدد الزوجات وينقل الحكم الى نفس التشريع فهذا أمر غير منطقى ، ثم انظر هذا التعبير " وهو يشبه الزائدة الدودية " اى انه اصبح لا فائدة منه فيجب التخلص منه ومكافحته كما يدعوا وقوله . " من العوامل الضارة

بالصحة العقلية للاسرة " دعوى لا دليل عليها ، وان وجد افراد ممن عددوا وهم غير قادرين على ذلك فحصل لهم ذلك فلا يتعدى الحكم هؤلاء الا من يحمل كحملهم ، اما ان نزعم ان نفس تعدد الزوجات ضار بالاسرة عقليا فهذا بهتان واضح ، لان رب العالمين العالم بما يصلحهم لا يمكن ان يشرع لعباده مافيه مضرتهم .

٤ - ان تعليم المرأة أهم عامل فى مكافحة تعدد الزوجات لانه ينمى شخصية المرأة ويخلق فيها الوعى والاحساس بدورها كامرأة وأم ، وهذا غير صحيح ، فإن تعليم المرأة الذى يسير على هدى الاسلام لا ينتج هذه النتيجة وانما الذى ينتج هذه النتيجة هو التعليم العلمانى .

ويقول الدكتور محمد لبيب النجيحى عن المعرفة مايلى :

" ولقد تغيرت هذه النظرية - اى النظرية التى تفصل بين العالم الذى يعيش فيه الانسان بجسمه وخبراته وعالم الحق وعالم الحق والخير الثابت الذى لا يصيبه التحول او التغيير وتتحقق فيه المثل - الآن واصبحت المعرفة متصلة بالخبرة العملية لا تتبع منها ترتد اليها أهدافا وموجهات ومرشدات وأصبحت المعرفة بذلك قوة حقيقية . بعد أن كانت زائفة كلها ادعاء لا يعتمد على اساس واقعى ولا يتصل بأى ناحية عملية . ولقد كان هذا نتيجة للقوى التاريخية والاجتماعية التى أثرت فى دفع عجلات التطور حتى وصلت به الى العصر الحاضر وهو عصر العلم والتحرر الفكرى والانطلاقات الخلاقة " . (١)

فالقول بان المعرفة لا تنبع الا من الخبرة العملية حصر للمعرفة فى نطاق واحد وهو الخبرات الناتجة عن التجربة والحس وهذا هو مفهوم الغرب للمعرفة

---

(١) فلسفة التربية : ٢٢٧ .

- بعد عزل الكنيسة عن الحياة - فالغربيون لا يعرفون الا ان هناك المعرفة الحسية ، والمعرفة التجريبية ، اما ماعداها من المصادر التى تكتسب فيها المعرفة ومنها وأهمها الوحى فلا قيمة له ولا يعد مصدراً من مصادر المعرفة عندهم .

فاذا جاء أحد ابناء المسلمين ليقرر ذلك فمعنى ذلك انه متأثر بنظرتهم الضيقة فى حصر مصادر المعرفة فى الحس والتجربة ، وهذا يخالف النظرة الاسلامية فى مصادر المعرفة فمصادر المعرفة بالاضافة الى المصدرين السابقين " الوحى " و " الالهام " .

ويدعى الدكتور سعيد اسماعيل على ورفاقه أن التربية الجنسية كفيلة باصلاح الشباب الذين اعوج سلوكهم فهم يقولون مايلى :
" ... لو رجعنا الى مجموعة الجرائم الأخيرة التى قام بها أو شارك فيها مجموعة من الشباب المتعلم - وأغلبهم فى الثانوية العامة - لوجدنا أن المال أو الحصول على المال كان هو دافع هؤلاء الشبان للقيام بهذه الجرائم بهدف تحقيق بعض الرغبات الطائشة ومن بينها رغبتهم فى التعرف على الجنس الآخر وخوض هذا العالم الضبابى الملىء بالاحلام ... وفى يقيننا أنه لو توفرت لهؤلاء الشبان الدراسات الجنسية العلمية القويمة لكانوا اكثر صلاحا ولعرفوا بطريقة سليمة أن لكل سن مجالاً . ولا يقتصر الامر على ذلك بل إن غياب المعانى العلمية الصحيحة والمفاهيم الدقيقة عن الامور الجنسية كثيراً ما يؤدى الى إنحرافات متعددة تهدد كيان بعض الأسر ، وليس بخاف ايضاً أن بعض صور الانهيار الاسرى والشقاق العائلى تكمن العوامل الجنسية وراءها .

ومن هنا فإننا نرى وجوب العناية بالتربية الجنسية فى مدارسنا . إن الجنس مظهر من مظاهر النمو فى الفرد شأنه فى ذلك شأن النمو الإنفعالى والعقلى

والبدنى وغير ذلك فإذا جاز لنا أن نربى أبناءنا تربية عقلية وانفعالية وجسمية صحيحة حتى يستطيعوا مسايرة الحياة العصرية بنجاح ، كان علينا أيضاً أن نعنى بتربيتهم جنسياً ، وكان من الضرورى أن تقوم المدرسة بدورها كما يقوم المنزل والمجتمع بدورهما فى تلك التربية .

ومن المؤسف أن التربية الجنسية قد أحيطت بصيغة إنفعالية غير موضوعية خاصة فى المجتمعات الشرقية ، وارتبط الجنس بالخطيئة ، وأصبح أى موضوع يتصل بالجنس محرماً سماعه ومناقشته مع الاباء ، ولقد كان من نتائج ذلك أن حرم الأبناء من إشباع إستطلاعهم الطبيعى لهذه الناحية بطريقة سوية موجهة تمنعهم من الإنحراف وتحول بينهم وبين الإحساس بالذنب المرتبط بالجنس والذى كثيرا ما يسىء الى الصحة النفسية للشباب فضلا عن أن موقف الاباء من هذا الموضوع كثيراً ما يدفع الشباب الى التحدى والإقبال على الجنس ، فكل ممنوع مرغوب فيه . وهكذا كان خوف الآباء والمجتمع من أخطاء الجنس والإنحرافات الجنسية هو الذى خذل الهدف الذى نسعى اليه ". (١)

إن المؤلفين يجعلون من أسباب الجرائم التى قام بها الشباب فى مصر رغبتهم فى التعرف على الجنس الاخر .

وفى ردى لهذا الفكر المتهافت أقول :

إن المجتمع الذى يتحدثون عنه هو كما نعرف مجتمع مختلط فى العمل والتعليم والشارع وفيه المثيرات للجنسين ومن العلاقات العاطفية ما الله به عليم وهذا أقوى أثراً من التثقيف الجنسى المطلوب ومع ذلك فلم يساعد ذلك على صلاح الشباب وبعدهم عن الجرائم .

---

(١) التربية ومشكلات المجتمع : ٩٠ ، ٩١ .

وأود أن أسأل حضرات الدكاترة ماذا يقال للطلاب والطالبات فـــي الثقافة الجنسية المراد والمطلوب تدريسها ، هل يشرح لهم كيف تكون العلاقات بين المرأة وزوجها كيف يغازلها وتغازله ؟ ماهي أعضاؤه التناسلية ؟ وماهـي أعضاءها التناسلية ؟ وماهي وظيفة الاعضاء التناسلية في وعند كلا الزوجين ؟ اماذا يريدون ان يقال للطلاب والطالبات في هذه الثقافة الجنسية ؟

ان دعوة هؤلاء الى تدريس الثقافة الجنسية قد جربتها اوربا وامريكـــا وعانت منها المعاناة الشديدة واصبح العقلاء والعاقلات في دول الغــــرب كلها يدعون لا يقاف هذا النوع من التثقيف ويذكرون مخاطرة على المجتمع .

لقد نشرت صحيفة الاخبار المصرية عام ١٣٧٥ هـ اعترافا لطبيبــــة امريكية تعمل في بعض الدول العربية بمخاطر التثقيف الجنسي للشباب ، والشابات اقتطف منه هذا المقطع :

" ...... ان عواطفكم في هذا الامر خير من عواطفنا وحبكم لأولادنا اكثر مـــن حبنا لأولادنا .. ولئن كانت نساؤكم في الشرق لا يعرفن عن أسرار الحيـــاة الجنسية بعض ما تعرفه فتيات امريكا ، فإني أقول بضمير مرتاح إنه خير لكـــم أن تئنوا تحت وطأة الجهل من ان تنعموا بهذه المعرفة .

اننا نلقي على فتياتنا الامريكيات الدروس لتعريفهن دقائق الحيــــاة الجنسية فلاتلبث الواحدة منهن ان تخرج من قاعة المحاضرات ، باحثة عـــن اول صديق واقرب زميل لتمارس معه النظريات الجنسية التي تعلمتها في غيـــر مبالاة كأنها تشترك معه في رواية تمثيلية او تتفرج على لعبة (فولي بول) وتكـــون النتيجة الطبيعية لذلك مزيدا من العبث ومزيدا من الانحلال "(1) .

---

(1) احمد محمد جمال : مكانك تحمدي : ١٠٥ . وانظر د . محمد علـــي البار : عمل المرأة في الميزان : ١٢٧ ، ١٢٨ عن قصة المدرسة التي كانت تدرس الطلاب المراهقين الجنس وتخلع امامهم ملابسها حـــتى تقف أمامهم عاريه في عام : ١٩٧٠م .

فهل يريد هؤلاء الكتاب ان يكون المجتمع منحلا او ان يزيد فى انحلاله الا يكفيهم ان يكون المجتمع الذى يعيشون فيه ويدعون للتربية الجنسية فيـــه به من الانحلال الخلقى انواع عدة .

ان هؤلاء الكتاب لا ريب انهم يودون تقليد الغرب فى كل مايعمــــل - خاصة فيما فيه مضرة وبدأ الغرب يضجر منه - ولذا فهم يدعون الى تدريــــر الثقافة الجنسية فى المدارس كما هو الحال فى اوربا وامريكا .

ويعد د/ التيجانى الماحى الالتزام بالدين تعصبا فيقول :

" ... ويجب لفت النظر الى ان المربى يحتل فى وظيفته التربوية مركـزا لا يقل اهمية عن الاسرة لانه يعمل لتأهيل الطفل لصلاحية اجتماعية اوسع مدى . كذلك يجب ان ننوه بأهمية المدرس الاولى فى اثره الاجتماعى على الطفل لان عمله يبدأ فى مرحلة حاسمة بالنسبة للطفل . وهناك مايبرر الاهمية القصوى لهـــذا التطور من التربية الاجتماعية مما يهيئ مركزا خاصا لمعلم المرحلة الاولى الــــذى يجب الاهتمام بشانه وتحسين مركزه الاجتماعى بين طبقات المربين . والحقيقــة التى لا تقبل الشك ان الوضع المهنى لهذه الطبقة الهامة فى كثير من بلاد الاقليم - أى السودان - قد لا يحسدون عليه ، فقد كان لاحساسهم بعدم الرضـــى بحالهم انعكاس قد اتخذ مظهرا يتسم بالتبرم والشدة والتعصب فى بعضهـــم مما قد يهدد مستقبل السلوك فى النشئ وفى تجاربنا الخاصة ان اخطر ماتتعــرض له سيكولوجية الاطفال فى هذا الصدد هو التعصب الدينى ". (١)

---

(١)

(١) أسس التربية فى الوطن العربى : ١٨٥

وهو متأثر بنظرية فصل الدين عن الدولة او السياسة فيقول :

" ... والدين أداة للفكر يسند المجتمع عن طريق القدوة والتعليم والارشاد والترغيب والترهيب ، والطاقة القوية التى تنطلق منه لها اكبر الاثر فى الشعور بالمشاركة الاجتماعية . والتربية الدينية الخاطئة قد تعمل فى تزييف الاهداف وفى جعلها اداة لنشر الفريزى ، وكثيراً ما يستغل الدين لاغراض السياسة الحزبية وربما نتج عن هذا الارتباط بين الدين والسياسة اخطر مايهدد العلاقات والروابط القومية ". (١)

فوصف الالتزام بالدين بالتعصب ، والاعتقاد بأن الارتباط بين الدين والسياسة اخطر مايهدد العلاقات أثر من آثار الفكر العلمانى بلا ريب ، لان الاوربيين كان رجال الكنيسة عندهم هم المسيطرون بطغيان على امور الناس ، كما مر بيان ذلك فتخلصوا منهم فاعتقدوا ان كل التزام بدين كدينهم المحرف يساوى التعصب ثم انتقل هذا المعنى الى أبناء المسلمين نتيجة للاحتكاك بالغربيين .

وهكذا الامر بالنسبة للفصل بين الدين والسياسة أو الدين والحياة عموما فقد كان رجال الكنيسة هم المسيطرون وكانوا طاغين فى سيطرتهم فلما تخلص الاوربيون من سيطرتهم اصبح فى حسهم ان كل دين يجب ان لا يكون له دخل فى شئون الحياة وانما مكانه الكنيسة ثم انتقل هذا المفهوم المنحرف الى ابناء المسلمين بطريق العدوى .

ويرى د . احمد حسن اللقانى ورفيقه ان على مدرسى المواد الاجتماعية ان يؤمن بفلسفة المجتمع واثراء مفاهيم هذه الفلسفة ثم يقول :

---

(١) اسس التربية فى الوطن العربى : ص ١٢ ، ١٩٢ ، ١٩٣ .

" ... وعلى ذلك فإن إيمانه الحى بالمفاهيم والقيم الديمقراطية والاشتراكية -باعتبارها هى فلسفة المجتمع فى الحياة - لابد أن يتضح داخل حجرة الدراسة وخارجها حيث تجرى عمليات التبسيط والتكييف والتحليل وإعمال الفكر مما يساعد على استنتاج وجهات نظر جديدة وأفكار جديدة وأساليب حياة جديدة وطرق تفكير جديدة ". (١)

ثم يوجه النقد الى مدرسى المواد الإجتماعية لأنهم لا يتناولون فلسفة المجتمع الا على مستوى الالفاظ فيقول :

" ... ولعلنا نلاحظ أن نسبة كبيرة من المدرسين لا يتناولون المفاهيم التى تتضمنها الفلسفة الديمقراطية الاشتراكية الا على مستوى الالفاظ والشعارات اللامعة ، كما أن التدريس إذا ما تعرض لها فإنه يقتصر على الجانب المعرفى منهما بمعنى أن يعرف التلاميذ مثلا ماهية الاشتراكية أو الديمقراطية وأن يعرفوا أهداف الاتحاد الإشتراكى وتنظيماته ومستوياته وهكذا ".(٢)

إن المجتمع الذى يتحدث عنه المؤلف هو المجتمع المصرى ، ونحن لا نعرف عنه الا أنه بلد من بلاد المسلمين فلا يجوز أن يكون فيه لغير الاسلام من العقائد والافكار مكان . ونحن نسأل المؤلف بعد ان صُفّى الاتحاد الاشتراكى العربى ويمّم الحكم القائم وجهه شطر واشنطن بعد أن كان الحكم السابق ميمماً وجهه شطر موسكو هل سيغير رأيه فى الموضوع ويدعو فى كتاب جديد يصدره الى ما يسمى بالانفتاح الاقتصادى أم أنه سيظل على رايه السابق اكبر الظن أنه سيغير رأيه حتى يكون له يد فى دعم الحاكم القائم .

---

(١) و (٢) تدريس المواد الاجتماعية : ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

وهكذا يفعل فقدان الهوية الفكرية بالانسان فيقول اليوم عكس ماكان يقوله بالامس ، إنّ الدعوة الى الديمقراطية والاشتراكية أثر من اثار سيطرة الفكر العلماني على الداعين الى هذين المبدأين ، لان الداعي الى هذين المبدأين لا ريب انه يعزل الدين عن الحياة ويرى ان الدين للكنيسة أو للمسجد ثم بعد ذلك لك ان تدعوا الى ماتريد خارج هذين المكانين .

ويرى د . فتحي الديب ورفيقه ان رسالات السماء كلها في جوهرها كانت ثورات انسانية . (١)

وهذا هو رأى المستشرقين الذين يزعمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم تأثر بالبيئة التي كان يعيش فيها ، ولا شك أن هذا القول من آثار الفكر العلماني ، فالعلمانيون هم الذين يرون هذا الرأى .

ويقول د . فتحي الدين ورفيقه :

" . . . . ومن هنا فإننا نرى أن تقدم مجتمعنا العربي مرتبط بمدى تمسكنا بالقيم الاساسية للعلم واتجاهاته . فليس خافياً على أحد أنّ مجتمعنا الى وقت غير بعيد كان يوصف بأنه مجتمع زراعي متواكل . . "(٢)

وقد سبق أن اوضحت أن تقسيم مراحل تاريخ المجتمعات على النسق الاتى : (١) مجتمع رعوى (٢) مجتمع زراعي (٣) مجتمع صناعي أنه من تقسيمات علماء الاجتماع الغربيين " العلمانيين " الذين تأثروا بالثورة على الكنيسة فأنتجوا هذا التقسيم ثم نقله ابناء المسلمين الى العالم الاسلامي .

ويرى الدكتور محمد لبيب النجيحي ان الاهداف الثابتة خطر على المجتمع اذ يقول :

---

(١) تدريس العلوم والتربية العملية : ٦٤ ، ٦٥ .
(٢) نفس المصدر : ١٦١

" .... فالاهداف الثابتة الدائمة المستمرة لا تكون على هذا الاساس غير مناسبة ولكنها تشكل فى رأينا خطراً عظيماً بالنسبة للمجتمع والافراد "، (١)

فالدعوة الى عدم ثبات أهداف التربية والتعليم هو الخطر على المجتمع فإنه لابد أن يكون لكل مجتمع اهداف ثابتة للتربية والتعليم لان التربية والتعليم المقصود منها هو انشاء مجتمع يؤمن بمبادئ معينة ويحققها فى واقع الحياة وفى المجتمعات الاسلامية لابد ان تكون اهداف التربية والتعليم ثابتة وساعية لانشاء مجتمع يطبق مبادئ الاسلام وشرائعه فى كل شئون حياته .

كما يرى النجيحى أن العلم هو ما يقع فى حدود الحواس فيقول :

" ... على أن اهتمامنا بالخبرة الانسانية وبالعلم الذى يقع فى حدود حواسنا لا يعنى أننا ننغمس فى الحاضر فننسى المستقبل .. " (٢)

والقول بأن العلم هو ما يقع تحت حواسنا هو أحد اتجاهات الفكر الغربى وهم يسمون " بالحسيين " .

ويرى د . احمد حسن اللقانى وزميله أن أهداف تدريس المواد الاجتماعية تتحدد حسب فلسفة الدولة وهى فى مصر الفلسفة الاشتراكية الديمقراطية بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ولذا فهى تحت اطار الفلسفة التربوية تحدد مواصفات المواطن المرغوب فيه ، وتحدد على اساسها أهداف كل مرحلة تعليمية ، ثم أهداف كل منهج ، ومن ثم يصبح على المدرس تناول هذه الاهداف على مستوى المنهج ليجعلها اكثر تحديدا .

---

(١) فلسفة التربية : ٦٩ / ٦٦
(٢) نفس المصدر السابق .

ويعتقد د . اللقانى وزميله مايعتقد علماء الاجتماع الغربيون من أن الانسان الاول عاش على الصيد ، ثم انتقل الى مرحلة الرعى ثم انتقل الى مرحلة الزراعة وفى هذه المرحلة بدأ بتعمير الارض والاستقرار وتكوين الاسرة والتملك البسيط ثم تكون المجتمع واستخدم الدين لتدعيم اركانه". (١)

ويرى ساطع الحصرى ، وهو احد فلاسفة القومية العربية ، ان القومية العربية تنبنى على الاشتراك فى اللغة والتاريخ المشترك أما الدين فلا يدخل فى ذلك الا من حيث هو جزء من التاريخ المشترك ، وأن اتخاذ اللغة أساساً فى القومية يسهل عملية تذويب النزعات الاقليمية والدينية ، وتنمية الطموح لمؤالفة قومية كبرى عمادها وحدة اللسان العربى الحاضر. ولهذا فان التربية لابد ان تضع نفسها فى خدمة هذا المجتمع القومى الكبير. (٢)

قلت : إن العرب فى العصر الحاضر تجمعوا على وحدة اللسان العربى ولكن ذلك لم ينفعهم فتيلا فهم فى مطاحنات وخلافات كما كانوا فى الجاهلية الاولى وما حرب لبنان الاهلية الا أقوى شاهد على ذلك .

ويقول الدكتور/ عبد اللطيف فؤاد ابراهيم عن العروبة والقومية العربية مايلى :

" لا يتسع مجال هذا الكتاب لمناقشة جوانب العروبة ، والقومية العربية ودعائمها ويكفى هنا (من اجل اهداف الكتاب) ان نقول ان من ابرز مظاهر مجتمعنا فى الوقت الحاضر ازدياد ايمان المواطنين بعروبتهم واعتزازهم بها .

وقد ساعد هذا الايمان بالعروبة على ازدياد المواطنين ادراكا بما يربط اجزاء الوطن العربى من لغة عربية وجوار وسهولة إتصال ووجود تشابه فى

---

(١) تدريس المواد الاجتماعية : ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) المناهج اسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها : ٦٩ .

كثير جداً من العادات والتقاليد والآمال العامة نتيجة التشابه فى كثير من الظروف والاحداث التاريخية الهامة .

ويساعد الايمان القوى بالعروبة ايضاً على زيادة اقبال المواطنين على كل مايرفع من شأن وطنهم العربى وما يساعد على استعادة امجاده والمحافظة عليها ". (١)

ويرى الدكتور الهادى عفيفى ان من اهداف التربية العامة " غرس القومية العربية فى نفوس الناشئة " اذ يقول تحت عنوان اهدافنا التربوية العامة مايلى :

" ... (٥) - تدعيم مقومات الوجود العربى واهدافه : ذلك ان مجتمعنا بحكم وجوده فى قلب الوطن العربى ، وبحكم ماضيه وتطوره ينبغى ان يتحمل مسئولية صنع التقدم وحمياته ليمتد حتى يشمل الامة العربية كلها ، فهو جزء لا يتجزأ منها ، والتربية العربية ينبغى ان تستمد اصولها واهدافها من حقيقة هذا الوجود ومن اهداف الامة العربية فى الوقت الحاضر والماضى . ولهذا فانها ينبغى ان تهدف الى تدعيم الاتجاهات القومية التى تنشد التماسك الاجتماعى والقوة الاقتصادية والتحرر ، فهدف التربية ينبغى ان يكون بناء جيل عربى واع مستنير يؤمن بالوطن العربى ويثق بنفسه وامته اى الايمان بالوطن وبالذات ولا يتأتى ذلك الا بالمعرفة الصحيحة عن الوطن العربى من حيث مواطن القوة فى موقعه السياسى والجغرافى ومن حيث امكانياته الاقتصادية وطاقاته البشرية وقيمه الروحيه ومقوماته الثقافية والتاريخية والمتناقضات المختلفة التى تعوق تقدمه وكيفية مواجهتها بالبحث والدراسة والحل والاهداف المشتركة

---

(١) المناهج اسسها وتنظيماتها وتقويم اثرها : ٦٩ .

التي تجمع جماهير العرب في سبيل تحقيق الهدف النهائي والصالح العام عن
ذلك أن وحدة الهدف عند الجماهير هي التي تستكفل بسد الفجوات الناشئة عن
اختلاف مراحل التطور . ومواجهة انواع التحديات والضغوط التي تعرقل
تقدم هذا المجتمع العربي ، ووسائل التغلب عليها ."(١)

ولعل من أكثر المغالطات التاريخية والشرعية الادعاء بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدون وبعض قادة المسلمين كانوا دعاة للقومية العربية ، والادعاء بأن العلماء من المسيحيين واليهود قد اجلسهم علماء المسلمين معهم في المساجد . هذا مايقوله الدكتور ابوالفتوح رضوان في بحث قدمه "للحلقة الاولى للتربية وعلم النفس" واليك نص قوليه :

" . . . ثم كيف ننسى القادة والزعماء الذين اكتشفوا القومية العربية ، ونادوا بالقومية العربية واقاموا سياسة العرب على اساس وحدة العرب وحاربوا في سبيل هذه الوحدة . كل هذا دون ان يتعلموا ذلك في المدرسة لانهم كانوا اسبق من اساتذتهم الى هذا الكشف وهذه الفتوح . كيف ننسى ابابكر وعمر بن الخطاب ونورالدين وصلاح الدين ، وجمال عبدالناصر بل كيف ننسى النبي صلى الله عليه وسلم وقد ارسل الكتب وبعث بالرسل ولم يمت الا بعد ان كان قد بدأ في تسيير الجيش لتحقيق وحدة العرب . "

وقد كان النبي أميا لم يدخل مدرسة وكان معهذا أستاذ الأساتذة العروبة .

ثم يقول :

" ونحن عندما نريد ان نقرر اتجاها قوميا عاما ، او اصطلاحا اجتماعيا لانستطيع ان نكتفي بالعباقرة الذين ذكرت امثلتهم وهؤلاء لاتجود بهم الطبيعة الا واحداً في كل عصر ، أو على رأس كل قرن من الزمان . وحتى هؤلاء عندما

---

(١) في اصول التربية الاسلامية (الاصول الفلسفية) : ١٢٦ ، ١٢٧ .

عند ما يوجد ون لا يمكن ان يقترر بهم اتجاه اويتحقق بهم اصلاح الا اذا استطاعوا ان يعلموا امتهم ويقنعوها بفلسفتهم فيستمر فيها الاصلاح حتى يعذروا الى هؤلاء المعلمين الافذاذ وهكذا يرتد الامر الى المواطن والى التربية "(١) .

واما النص الثانى فيقول فيه :

" ... والعربى الصحيح يضع الثقافة وراء حدود الجنس واللغة والدين إنه يطلب العلم ولو فى الصين وينقل المعرفة ولو من الزنادقة ، ويأخذ الحكمة ولو من أفواه المجانين ، وقديما اجلس العرب المسلمون العلماء من المسيحيين واليهود والصابئة فى المساجد وجلسوا أمامهم يتلقون عنهم الحكمة والطب والعلوم "(٢) .

ويرى الدكتور النجيحى ان التربية هى اعداد المواطن المتكيف مع المجتمع فيقول :

" التربية هى عطية إعداد المواطن الذى يستطيع التكيف مع المجتمع الذى ينشأ فيه ولذلك فهى تعمل على تشكل الشخصية الانسانية فى أدوار المطاوعة الاولى تشكيلاً يقوم على اساس ما يسود المجتمع من تنظيمات سياسية واجتماعية واقتصادية وهنا كان لابد للاطار الثقافى الذى يقوم عليه المجتمع من أن يحدد أبعاد العطية التربوية واتجاهاتها بحيث لا تخرج التربية عن هذا الاطار الا تطويراً له وتقدماً به فى عملية زيادة آخذة بيد المجتمع نحو مستوى أفضل وعلى هذا الاساس تحتل القيم مركزاً اساسياً فى توجيه العملية التربوية ونقله من جيل الى جيل بما فى ذلك القيم الاخلاقية . فحسب وإنما تعمل على تطوير هذا الواقع الثقافى مقترية بذلك بقدر ما تستطيع مما وضعته امامها من تصور لما يجب ان يكون "(٣) .

---

(١) اسس التربية فى الوطن العربى : ٦٤ .
(٢) نفس المصدر : ٦٩ .
(٣) فلسفة التربية : ٢٩٧ .

ان الكاتب يرى ان التربية هي العملية التي تعد المواطن الذى يتكيف مع المجتمع الذى يعيش فيه ، ان التربية فى الاسلام هى عملية اعداد الانسان الصالح الذى يطبق شرع الله فى خاصة نفسه وفى اسرته وفى مجتمعه . ومن المؤسف حقا ان يأتى ابناء المسلمين ليدعوا الى تربية تخضع الانسان لاى وضع فـــاذا طبقت المبادىء الرأسمالية والعلمانية الغربية فى بلد ما من البلاد الاسلاميـــة فترة من الزمن فعلى هذا الانسان المسلم ان يرضخ لذلك فإن تغيرت الأحـــوال وحكم هذا البلد نفسه بالمبادىء الاشتراكية فإن على هذا الانسان أن يرضـــخ لهذه المبادىء وهكذا يكون الانسان مشتتا لوجهه كما يريد الكاتب .

لقد كان حقاً على الكاتب ان يدعو الى تربية الانسان الصالح الـــذى يسير وفق هدى الله الذى شرعه لنا فى كتابه وسنة رسوله لا الى تربية علمانيـــة تجعل الانسان يسير مع اى اتجاه .

ويدعو الدكتور ابوالفتوح رضوان الى الانسانية ويرى انها لا تتعارض مـــع الوطنية او القومية فيقول :

" ..... وهناك مشكلة معنى العروبة نفسها فليست العروبة هى الاتجــــاه الوحيد الذى تريد ان نطبع عليه المواطن العربى . بل هناك وطنه الاصلـــى الصغير الذى هو مسقط رأسه من الوطن العربى الكبير فلهذا الصغير حقوق . وهناك الانسانية عامة ولها فى نفس كل انسان حق . وليس الجمع بين هذه كلها فـــرد واحد بالامر السهل . ومع ان العروبة لا تتعارض مع ولاء الانسان لاقليمه ، ولا مـع ولائه للانسانية عامة ، ولكن ليس من السهل ان تضمن الا تنقلب الاقليمية الـى تعصب او الانسانية الى لاوطنية " (١)

---

(١) اسس التربية فى الوطن العربى : ٦٦ .

ان الدعوة الى الانسانية شعار يرفع بين المسلمين لمآرب أهمها التسوية بين المسلم والكافر والله سبحانه وتعالى فرق بينهم فى محكم آياته ، وحرم على المسلمين ان يتولوا الكافرين ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فإن الدعوة الى القومية ، والوطنية ، والانسانية دعوة الى امور يستحيل التوفيق بينها وواقع المسلمين اليوم ليشهد بذلك فان المسلمين حين أراد الاستعمار تفريق كلمتهم وعدم اجتماعهم بذر فيهم بذور الوطنية والقومية ، وربى اجيالا على الوطنية والقومية ثم ربت هذه الاجيال أجيالا اخرى على ذلك فاصبحت تجد كل مسلم يقدس الوطن الذى ولد فيه حتى ولو كانوا ممن يتكلمون بلسان واحد وهذا ماهو حاصل فى البلاد العربية .

ان الدعوة الى تربية الانسان فى العالم الاسلامى على الاسلام هو الواجب وحين ذاك لا يكون هناك مجال لتقديس الوطن والقوم وانما الرابطة الوحيدة التى تجمع المسلمين هى " الاسلام " كما كان الوضع فى العصور الزاهية للاسلام .

ويرى الدكتور احمد منير صالح ان تعليم القرآن وحفظه لا جدوى منه فيقول تحت عنوان " لمحة تاريخية عن تطور التعليم فى المملكة العربية السعودية والوطن العربي " مايلى :

" .. وكان من الطبيعى ان تصاب الحركة التعليمية فى هذا البلد الامين بالركود والخمول والجمود فان ثرت فيها مراكز العلم والتعليم التى كانت قبلة الانظار فى جميع العالم الاسلامى . ولم يبق من ذلك كله سوى عدد قليل من الكتاتيب التى كانت تقدم تعليما لا جدوى منه فى القرآءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم ". (١)

---

(١) نظام التعليم فى المملكة والوطن العربى : ١١ .

فاذا كان تحفيظ القرآن الكريم لا جدوى منه فما هو التعلم الذى لـه جدوى فى نظر الكاتب ؟ !! ان هذا بلا شك اثر من اثار الفكر العلمانـى على ابناء المسلمين .ومن المحزن ان يصدر مثل هذا القول عن استاذ فـى جامعة من جامعات المسلمين . ان هذا القول لو صدر من احد دعاة النصرانية من المبشرين والمستشرقين لما كان فى ذلك ما يثير الدهشة والاستغـراب لان ذلك هو المتوقع منهم ، اما ان يصدر هذا القول من احد ابنـاء المسلمين فان ذلك هو الرزية العظمى . .

ومن الأمور التى يكثر الكتاب من ذكرها وصف الحكم العثمانى بالاستعمار فهذه الدكتوره نازلى احمد صالح تصف حكم العثمانيين بالاستعمار العثمانـى التركى وهذا الدكتور ابوالفتوح رضوان يصف حكمهم بالاستعمار المسلم. (١)

وهذا التفكير هو ايضا اثر من آثار العلمانية على العالم الاسلامى ذلـك ان القومية والوطنية لما صدرت للعالم الاسلامى وبدأت تنخر فى كيان الامـة الاسلامية خرجت مثل هذه الاوصاف وبدأ دعاة القومية يطلقونها على الحكـم العثمانى خاصة حكم عبدالحميد الذى ظلم شر الظلم بسبب تخطيط اليهـود الدعائى ضده الناتج عن حنقهم عليه لطرده لمندوبيهم الذين طلبوا السماح لهم باقامة وطن قومى فى فلسطين ،وقد اقاموه بعد ان فرقوا المسلميـن بالقوميات واحتلوا فلسطين من بين ايادى القوميين .

وفى بحث للدكتور فاروق سيد عبدالسلام بعنوان القيم وعلاقتها بالامـن النفسى اجراه على طلبة كلية التربية بجامعة الازهر وكانت العينة تضم ٩٤ طالبا من خريجى التعليم العام و ٦٨ طالبا من خريجى المعاهد الازهرية ،وكـان المقصود " معرفة هل هناك علاقة بين ما يلتزم به الافراد من القيم الدينية منهـم

---

(١) حول التعليم الابتدائى : ١٢٦ واسس التربية فى الوطن العربى : ٦٠

النفس : قال :

" ان القيم والامن النفسى نتاج لعملية اساسية واحدة هى عملية التنشئة الاجتماعية فالقيم اكتساب لمحتويات معرفية حددتها البيئة الاجتماعية وقامت بنقلها الى أبنائها ".(١)

ثم يقول فى بيان أسباب قيامه بهذا البحث مايلى :

" ... وهذا مادعانا الى دراسة طبيعة العلاقة بين المحتوى القيمى وبين حظ الفرد من الامن النفسى .

نحن اذن امام قضية نظرية بحته من ناحية وهى علاقة الجانب المعرفى للشخصية " ممثلا فى البنيان القيمى " بالجانب الانفعالى فى الشخصية " ممثلا فى الأمن النفسى " .

ومن ناحية اخرى فنحن امام مسألة تطبيقية تربوية هامة وهى " اذا كنا نريد ان نحقق لمجتمعاتنا افرادا يتمتعون باكبر قدر ممكن من الصحة النفسية . فعلى اى شىء نركز اهتمامنا ؟ أعلى المحتوى المعرفى فقط اى على صنوف معينة من القيم والاتجاهات والمعتقدات تتناسب مع العصر الذى نعيش فيه وتستمد قواها من تاريخنا ودينا وتقاليدنا الاجتماعية العربية ؟ ام نركز اهتمامنا على اسلوب تقديم هذه المحتويات المعرفية دون اهتمام بالتكوين المعرفى نفسه ؟ أم بالاثنين معا ... ؟ ... (٢)

ثم فى تساؤلات البحث يتساءل الباحث عن :

" هل هناك فروق بين الذين يتمتعون بقدر اكبر من القيم النظرية والاقتصادية والجمالية ،والسياسية والاجتماعية والدينية وبين من يتمتعون بقدر قليل منها فى درجة الطمأنينة النفسية ". (٣)

---

(١)و (٢) و(٣) مجلة كلية التربية : مكة المكرمة .العدد الرابع. السنة الرابعة رجب ١٣٩٩ هـ / ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

ثم يقول فى التعليق على نتائج الجدول رقم (٨) قيمة كا ٢ ودلالتهـا الاحصائية للقيم المختلفة يقول :

" ويتبين من الجدول رقم (٨) ان جميع قيم كا ٢ غير دالة احصائيـا وهذا يعنى انه لاتوجد علاقة بين درجة امتلاك الفرد لقيم معينة وبين حظـه من الطمأنينة الانفعالية اى ان اصحاب الدرجة الواحدة فى القيم المعينـة (اصحاب الدرجات العليا مثلا) قد ينتمون الى العديد من مستويات الطمأنينة الانفعالية . وتستطيع القول ان محتوى القيمة (نظرية - دينية - جمالية . الخ) لا يحدد درجة الامن النفسى الذى يمتنقه الفرد . اى ان العلاقة بين المحتوى المعرفى الذى يمتنقه الفرد وبين الجانب الانفعالى له علاقة صفرية ". (١)

وفى مناقشة النتائج يعترف ان هناك ثلاث مسائل على جانب كبير مـن الاهمية فى هذه القضية ولها تأثير فى تفسير النتائج هى :

(١) المحتوى المعرفى للقيم التى يقدمها المجتمع.

(٢) طريقة تقديم هذا المحتوى القيمى للافراد .

(٣) رؤية الافراد لكل من المحتوى المعرفى ولطريقة تقديمه . (٢)

ثم يقول مكررا نفس النتيجة السابقة :

" . . ان نتائج الدراسة الحالية قد اثبتت عدم وجود علاقة بين امتـلاك الفرد لقيمة معينة اوعدم امتلاكه لها وبين حظة من الامن النفسى "(٣) .

ثم يكرر هذه النتيجة فى الفقرة الاخيرة وجهة نظر فيقول :

" لقد بينت نتيجة هذه الدراسة عدم وجود علاقة بين اكتساب الفـرد لقيمة ما من القيم وبين امنه النفسى ". (٤)

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) نفس المرجع السابق صفحات ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ .

ويختم مناقشة النتائج بالتقرير ان المعتقدات لا تهمه بقدر ماتهمه كيفية تقديمها اذ يقول :

" ... لقد قال " اروكيش " ان المعتقدات لا تهمنا من اجل التعرف على شخصية الفرد بقدر ماتهمنا طريقة تعلقه بهذه المعتقدات.

ونحن نرى ان هذه المقولة ليست كافية تماما من وجهة نظر الصحة النفسية ونرى ان المعتقدات لا تهمنا من اجل التعرف على شخصية الفرد بقدر ماتهمنا كيفية تقديم هذه المعتقدات من قبل الهيئات الاجتماعية المختلفة وكيفية رؤية الفرد لتلك الاساليب". (١)

ولا بد من ابداء ملاحظات على هذا البحث " نتائجه واسسه وخطواته" وهذه الملاحظات تتلخص فى الاتى :

١ - ان هذا البحث اجرى على طلاب مسلمين فى بلد مسلم - فى جامعة اسلامية - ومن المعلوم ان المحتوى المعرفى للقيم ان صح تقسيمها الى هذه الاقسام التى قسمها الباحث - وهى من الله تعالى - وهو منزه عن الخطأ ، واذن فالباحث قد اخطأ خطأ جذريا فى اجراء هذا البحث على هذه الصورة اذ المفروض ان يجرى البحث على طريقة تقديم هذا المحتوى المعرفى وهل يؤدى الى تمثل الطلاب بالمحتوى المعرفى لهذه القيم الاسلامية أم انه لا يؤدى الى ذلك.

٢ - أن الباحث - وقد حصر بحثه لمعرفة العلاقة بين المحتوى المعرفى للقيم والامن النفسى - قد وقع فى خطأ فى خطواته البحثية واسسه التى اتبعها وهى تتلخص فى الاتى :

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ١٣٩ .

(أ) ان الباحث حين عدد القيم ذكر القيمة النظرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية . وهذا الصنيع ينم عن مفهوم خاطئ للدين اذ فى هذا التقسيم يفصل الباحث بين الدين والحياة ويجعل القيمة الدينية تسير فى خط مخالف للخط الذى تسير فيه القيم الاخرى لاعلاقة له بالدين .

ومن المعلوم ان الدين فى مفهوم الرسالات السماوية كلها هو المهيمن على كل القيم ويجب ان تنطلق منه .

" قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين " .

(ب) ان الباحث جعل القيم وليدة للبيئة الاجتماعية - وبما انه يطبق هذا البحث فى بلد اسلامى وعلى طلاب يمثلون جامعة اسلامية - فإن من المفترض أن تكون جميع القيم التى ذكرها - إن صح تقسيمها - اسلامية ، اذ القيم الاسلامية ليست وليدة البيئة الاجتماعية بل هى - وحى من الله بلفظه ومعناه " القرآن " او بمعناه " السنة " .

ان القيم التى تحددها البيئة الاجتماعية ، قيم لمجتمع لا يعرف الله سبحانه وتعالى وهى قيم تحددها ظروف الناس ورغباتهم وشهواتهم وشبهاتهم ، وهى تختلف من مجتمع لمجتمع ، وتناقض بعضها البعض لان المعرفة التى توجهها معرفة بشرية والمعرفة البشرية ناقصة وقاصرة عن الاحاطة بكل شئ .

هذا ومن ناحية اخرى فإن هذا التصور للقيم ، ومنها القيمة الدينية آو الدين من أنها نتاج لعملية التنشئة الاجتماعية وانها إكتساب لمحتويات معرفية محددة من قبل البيئة الاجتماعية - ان هذا التصور وهذا الفهم هو تصور علماء الاجتماع والفلاسفة الغربيين ، ومنهم فلاسفة الفلسفة الوضعية المنطقية ، فهو تصور غريب على المجتمع الاسلامى تاثر به الدكتور وهيمن على بحثه .

(جـ) ان الباحث انطلق فى بحثه من تساؤلات معينة هى هـل يركز على المحتوى المعرفى للقيم والاتجاهات والمعتقدات التى تناسب العصر؟ ام على طريقة تقديم المحتوى ؟ ام عليهما معا ؟ وحين يكون أحد منطلقات الباحث ان يركز على المعتقدات التى تتناسب مع العصر دون ان ينطلق من محاولة معرفة اثر الدين الاسلامى على الافراد الذين اجرى البحث عليهم ، فان النتيجة ستكون ان العلاقة بين المحتوى المعرفى والامن النفسى صفرية ، وهذا أمر مشاهد فى الغرب الذى يزخر بآخر صرعات المعتقدات - ان الافراد غير مطمئنين انفعاليا وغير آمنين نفسيا .

(د) ان الباحث مع اعترافه باثر اسلوب نقل المحتوى المعرفى ، وبأثر رؤية الافراد لكل من المحتوى المعرفى ولطريقة تقديمه الا انه ركز بحثه على " العلاقة بين المحتوى المعرفى للقيم ومنها الدينية " وخرج بهذه النتيجة وهى ان العلاقة بين المحتوى المعرفى للقيم ، ومنها الدينية والأمن النفسى علاقة صفرية .

(هـ) ان الباحث انطلق من منطلق انه لا تهمه المعتقدات من اجل التعرف على شخصية الفرد بقدر ما يهمه كيفية تقديم هذه المعتقدات وهذا منطلق خطر ، اذ هو يجرى هذا البحث فى بلد مسلم وفى جامعة اسلامية فعدم الاهتمام بالمعتقد يعنى انه لا يبالى ان كان الذى يجرى عليهم البحث مسلمين ملتزمين او يحملون اتجاهات يسارية او يحملون اتجاهات علمانية غربية ، وانما هو يركز همه على طريقة تقديم هذه المعتقدات ، فإذا كانت سليمة فان النتيجة هى الأمن النفسى للفرد ، وان لم تكن الطريقة التى تقدم بها المعتقدات سليمة فان النتيجة هـو عدم الامن النفسى ؟ .

ولا ينكر احد فالطريقة عرض القيم والمعتقدات من اثر على الاشخاص ولكن ليس لها من الأهمية او الاثر ما يساوى اهمية صحة المعتقدات والقيم او عدمه .

ان الامن النفسى لا يتوافر الا مع وجود المعتقدات والقيم الصحيحة فاذا كانت كذلك كان الامن النفسى متوافرا فى الافراد .

" الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب "(١)

ومن المعلوم ان ذكر الله يكون باللسان وبالقلب " استشعار عظمة الله " او ذكر نعمه وآلائه العظيمة .

ولقد وصف الله النفس المؤمنة بالله بانها نفس مطمئنة . فقال تعالى :

" يا ايتها النفس المطمئنة . ارجعى الى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى " الفجر : ٢٧ - ٣٠

ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن فى اطمئنانه النفسى وامنه بقوله " عجبا لامر المؤمن ان امره كله خير وليس ذاك لاحد الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له "(٢)

ان المؤمن امره كله خير له فهو ان اصابته سراء وشكر الله زاده الله فاطمئن وان اصابته ضراء وصبر انزل الله عليه السكينة فاطمئن .

اما غير المؤمن فان اصابته سراء ولم يشكر الله وانما يقول : انما اوتيته على علم عندى ... فيعيش حياته غافلا عن الله وضالا . وان اصابته الضراء لم يصبر فيعيش فى حيرة واضطراب وقلق نفسى .

...

---

(١) سورة الرعد الاية ٢٨ .

(٢) اخرجه احمد ومسلم عن صهيب وهذا لفظ مسلم . انظر ج٤ ص ٢٢٩٥ . وانظر مسند الامام احمد : ٣٣٢/٤ ، ١٥/٦٤ الاولى من رواية بهز وحجاج عن سليمان بن المغيرة والثانية من رواية عبد الرحمن بن المهدى عن سليمان مع اختلاف يسير فى الالفاظ بين الروايتين وبينهما وبين رواية مسلم .

ويؤلف الدكتور نبيه ياسين كتابا بعنوان " ابعاد متطورة للفكر التربوى " فيأتى فى اهدائه هذه العبارة :

" الى كل من يؤمن بوحدانية العلم كمعبر نحو مستقبل افضل "(١) .

ان المسلم لا يعلم ان هناك وحدانية الا لله سبحانه وتعالى . أما العلم فان له ثنائيا مقابلا هو الجهل ، واقبحه الجهل بالله سبحانه وتعالى وما يجب له من العبادة والجهل بما يجب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم من الاتباع والصبر ثنائيه عدم الصبر والصدق ثنائيه الكذب .

ولذا فان استخدام هذا الاسلوب ينبىء عن ان الكاتب يقصد العلم بما يحمل من صواب وخطأ .

ان الايمان بالعلم وحده دون ان يكون ملازما له الايمان بالله ضلال وانحراف عن الطريق المستقيم لان الله سبحانه وتعالى قرن العلم باسمه الكريم فقال تعالى " اقرأ باسم ربك الذى خلق .. " (العلق : ١) فلابد ان يكون سائرا على المنهج الاسلامى حتى يعطى الثمار السليمة التى لا تدمر البشر .

ومن يؤمن بالعلم وحده ولا يهتدى بنور الله فى هذا المجال يَضِلُّ ويُضِلُّ غيره لان فكره لا يقوم حينئذ على خلق يمده بالاخلاص والتجرد والامانة ونكران الذات وهى خلال تدعوهن يلتزم بها الى توجيه علمه لمصلحة البشر جميعا مبتغيا بذلك مرضاة الله وغفرانه .

---

(١) ابعاد متطورة للفكر التربوى : ٥ . وانظر ماسبق من البحث عند الحديث عن الافكار والنظريات التى اعتنقها التربوين المسلمون .

الفصل الثاني

أثر العلمانية في التعليم الرسمي

المبحث الاول : الجهود الفكرية والعملية التي بذلت لعلمنة التعليم

منذ أوائل عهد الاستعمار الى اوائل عهد الاستقلال .

• • •

المبحث الاول :ـ

الجهود الفكريه والعمليه التى بذلت لعلمنة التعليم منذ أوائل عهد الاستعمار الى أوائل عهد الاستقلال .

كان المسلمون فى القرون الأخيرة وخاصة القرن الميلادى الماضى يعيشون فى حالة ركود علمى وفكرى ، ولم يبق لهم غير القوة العسكرية التى حافظ بها العثمانيون على العالم الاسلامى مما جعل المسلمين فى معزل عن التأثير بالغربيين وهم فى هذه الحالة من الركود . غير أن الأمر تغير بعد أن هزمت الدولة العثمانية امام النمسا عام ١٦٩٩ م ووقعت مع النمسا اتفاقية "كرلويتز" كدولة مهزومة ففكر الحكام فى حل لهذه المعضلة فكان أن طبقوا أسلوب التسلح والتدريب الأوروبى وذلك يحتاج الى استقدام المدربين الأوروبيين ليدربوا الجيش العثمانى على السلاح الأوروبى . واستمرت الحكومة العثمانية طيلة القرن الثامن عشر فى استقدام المدربين والخبراء ، وكان هذا أول اتصال بين الأوروبيين وطائفة من المسلمين هم العسكريون ، ثم جاءت الحملة الفرنسية الى مصر ومع الحملة مائة وعشرون عالماً فى مختلف التخصصات فكان هذا الاتصال الثانى بين المسلمين والأوروبيين ولكنه أوسع من الأول وكان له تأثير واسع فى الأفكار والأخلاق ـ وان كان قد لقى مقاومة من عامة المجتمع المصرى المسلم ـ ثم جاء دور محمد على باشا الذى بعث البعثات الدراسية الى ايطاليا ثم فرنسا وانجلترا والنمسا وأنشأ المدارس الحديثة فى مصر وحارب الأزهر وضيق عليه وفعل مثله محمود الثانى الذى بعث طلابا من تركيا الى فرنسا أيضا ، ثم احتلت الدول الغربية أجزاء كثيرة من الوطن الاسلامى وكان أثر الاحتلال البريطانى على مصر والهند واضحا فى المخططات التى نفذت فى البلدين ، والتى تضمنت محاربة التعليم الاسلامى بالمعنى الواسع لهذا التعليم . وكان للأزهر النصيب الأكبر فى المحاربة والتضييق باسم التطوير ، وساعد الانجليز فى ذلك قبل رحيلهم محمد عبده ، وبعد رحيلهم طه حسين .

---

*

سوف أوضح فى الصفحات التالية ذلك :

ففى مصر حين تولى محمد على باشا حكمها مستقلا عن الدولة العثمانية عام ١٨٠٥م بعث أول بعثة دراسية عام ١٨٠٩م ، وأنشأ المدارس الحديثة على النمط الأوروبى وجعل من مهامها تخريج الأطباء والمهندسين ورجال القضاء !!! وحارب الأزهر بتجميده لاعتقاده أنه سوف يصطدم برجاله ان هو حاول تجديده .

يقول المستشرق هاملتون جب عن المدارس التى أنشأها محمد على باشا ما يلى :

"... ولا بد لنا من البحث عن جذور هذه الحركات بشىء من التفصيل ففى القرن التاسع عشر الذى أتى على العالم العربى وهو ما يزال يتلمس خطاه للنهوض من كبوته التى عقبت فترة تألقه فى القرون الوسطى مع تمسكه الشديد بتراثه القديم وفى هذا القرن كانت الأفكار الغربية آخذة فى التغلغل الى العالم العربى يوما بعد يوم ، وبينما كانت الآثار الأدبية التى ظهرت فى أوائل ذاك القرن مجرد استمرار للعصور التى سبقت كان تيار من الفكر الغربى والفرنسى منه بوجه خاص يتسرب الى عقول فئتين من تلك الجماعة فى مركزين متباعدين هما مصر وسوريا ومن مصدرين مختلفين أشد الاختلاف فى غاياتهما وطرائقهما .

أما فى مصر فقد كانت المصادر الأولى التى أخذ الفكر الأوروبى يشع منها هى المدارس المهنية التى أنشأها محمد على والبعثات العلمية التى أرسلها الى أوروبا .

كانت الغاية الأولى لتلك المدارس التى أنشأت على غرار النماذج الأوروبية وكانت فى أكثر الأحيان تحت اشراف الأوروبيين هى تخريج الأطباء والموظفين ورجال القضاء والخبراء المهنيين من كل نوع وذلك كى ينهضوا بالمشروعات العظيمة التى كان يرسمها الباشا وكان من المحتوم أن يتطلع الخريجون الى نواحى من الثقافة الغربية غير تلك التى كانوا يدرسونها

وخاصة الأدب الفرنسي كانت هذه هي الحال بوجه خاص في مدرسة الألسن التي كان يشرف عليها العالم الفذ رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣)[١]

والأمر العجيب هو أن تكون هذه المدارس تخرج رجال القضاء وتحت اشراف الأوروبيين !! فإما أن يكون المشرفون على تخريج القضاة من المستشرقين ومعلوم مدى محاربة المستشرقين للاسلام عن طريق الدراسات الاسلامية المحرفة وفي هذا ضرر كبير على هؤلاء الخريجين ، وإما أن يكون المشرفون من رجال القانون العلمانيين فهؤلاء سيدرسون الطلاب حسب ما يعرفونه من القوانين العلمانية في الأحوال الشخصية أو القانون المدني ، أو القانون الدولي وفي هذا من الشر على المجتمع الاسلامي ما بقي أثره حتى يومنا هذا في البلاد الاسلامية التي تطبق القوانين الوضعية .

ويساعد هذه المدارس والمدرسين الأوروبيين على افساد أفكار الخريجيين ما يطلع عليه الخريجون من ثقافة الغرب التي أشار اليها " جب " بلغتها الأصلية أو عن طريق الترجمة ، ومن المعلوم أن المقصود بثقافة الغرب اذا أطلقت هي أفكار الغربيين وأدبهم الذي يحمل خصائص أفكارهم .

وسوف أتتبع هذا الجزء من البحث والجهود الرئيسية التي بذلت من قبل الاستعمار ومن عاون المستعمرين لعلمنة التعليم في العالم الاسلامي منذ أوائل عهد الاستعمار الى أوائل عهد الاستقلال خاصة الجهود التي بذلت لما سمي بتطوير الأزهر . فأقول ومن الله أستمد العون :

كانت المدارس في العالم الاسلامي ومنها الأزهر تتضمن دراسة علوم شتى من العلوم الشرعية واللغوية والتاريخية والعلوم الطبيعية " التطبيقية "

يقول د . سعد مرسي احمد ورفيقه عن المدرسة الفاضلية ما يلي :

" المدرسة الفاضلية : نسبة الى القاضي الفاضل ،بناها سنة ٥٨٠ ، ولهذه المدرسة شهرة في التاريخ ، ومرجع ذلك الى المكتبة العظيمة التي

---

(١) دراسات في حضارة الاسلام : ٣٢٠ ، ٣٢١ .

الحقها القاضى الفاضل بهذه المدرسة وجمع فيها من كتب العصر الفاطمى وحده مائة الف مجلد !

واذا كان المفروض فى المدرسة فى ذلك الوقت أن تكون مركزا للعلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير وغيرها ، الا أن الأمر تغير بعد ذلك حيث دخلتها علوم أخرى ، كالنحو والفلسفة والعلوم الطبيعية "(١)

وأما الأزهر فقد كانت تدرس فيه العلوم الطبيعية - التى كانت سببا للتقدم المادى للغربيين - منذ تأسيسه فى عهد الدولة الفاطمية " العبيدية " ، ثم فى عهد الأيوبيين ، ثم فى عهد المماليك قل المشتغلون بها .

يقول د . احمد شلبى ورفيقه عن الأزهر فى عهد العبيديين :

" . . . وتستطيع أن نتبين من تاريخ علماء الأزهر ومن مؤلفاتهم علوما أخرى كانت ترس به مثل المنطق والحساب والهندسة والجبر والفلك والميقات لأن الفاطميين كانوا مشغوفين بالعلوم ، وهم الذين أنشأوا فى القاهرة مرصدا ودارا للحكمة ، ومكتبة حافظة يقال أنها تضم مائة الف كتاب فى صنوف المعرفة ، منها ستة آلاف كتاب فى الطب ، وكسرتان سماويتان احداهما من الفضة يقال أنها من صنع بطليموس ، ومنها خريطة جغرافية على الحرير فيها صورة أقاليم الأرض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها . . . "(٢)

ويذكر د . سعد مرسى احمد ورفيقه أن الأزهر فى عهد الأيوبيين ! قد بدأ بدراسة الفقه على المذاهب الأربعة وبعض العلوم الحديثة كالحساب ، والهندسة والفلك مما أكسب الأزهر أهمية كبرى وشهرة فى العالم الاسلامى أجمع . (٣)

ويحدثنا د . احمد شلبى ورفيقه عن الأزهر فى عهد المماليك فيقول :

---

(١) تاريخ التربية والتعليم : ١٦١ .
(٢) الأزهر تاريخه وتطوره : ٢٧٥ .
(٣) تاريخ التربية والتعليم : ١٨٢ .

" وكان أول ما درس فى عهد المماليك من مذاهب أهل السنة مذهب الامام الشافعى ثم أدخلت المذاهب الأخرى .

يضاف الى ذلك تدريس العلوم الدينية كلها ، وتدريس العلوم بالوسائل التى تساعد على تفهمها واتقانها مثل النحو والصرف والبلاغة ، وتفوق فيهما كثير من العلماء مثل عزالدين بن عبدالسلام ، والسبكى ، والقرافى ، وابن هشام والسيوطى والزيلعى وابن حجر .

على أن العلوم الرياضية وغيرها من العلوم كانت تدرس مع العلوم الدينية والعلوم الوسائل ، وان كان المشتغلون بها قلة "(١)

ومن الدلائل التى تدل على أن الأزهر كان يشتمل على تدريس كافة العلوم غير ما ذكرته اللائحة التى رفعها الشيخ مصطفى محمد العروسى الى الخديوى اسماعيل عام ١٢٨٢ - ١٨٦٤م . وكان مما تضمنته قوله :

" ... اذا كان الأزهر قد كسب شهرة عالمية بأنه مشحون بالعلماء المختصين والفضلاء الراسخين فى كل علم من العلوم الشرعية والعقلية والرياضية " والحال الآن بخلاف ذلك فعلا ... فقد وجب العمل على اعادة ما كان للأزهر من فضل فى مثل هذه المجالات العلمية ... "(٢)

ومن الدلائل أيضا على اهتمام الأزهر بتدريس العلوم الطبيعية " التطبيقية " ضمن ما يدرسه لتلاميذه أن الجبرتى أورد فى كتابه عجائب الآثار اسماء أشخاص كثيرين نبغوا فى هذه العلوم بالنسبة لعصرهم .

" ومنهم العلامة " رضوان أفندى الفلكى " المتوفى عام ١١٢٢هـ (١٧١٠م) ومنهم العلامة " رمضان ابن صالح بن عمر السفطى الخوانكى الفلكى المتوفى عام ١١٥٨هـ (١٧٤٥م) .

ومنهم العلامة " جمال الدين بن يوسف الذى قال عنه الجبرتى بأنه توجهت همته للعلوم الرياضية كالهيئة والهندسة والحساب والرسم .(٣)

---

(١) الأزهر تاريخه وتطوره : ٢٧٥ .

(٢) تاريخ التربية والتعليم : ٢٨٥ ، ٢٨٦

(٣) عجائب الآثار : ١/١٣٠ ، ١٣١ - ١٣٠ . ٢٤١ - ٢٤٣ . ٢٤٤ ، ٢٤٥
لترجمة كل من رضوان ، ورمضان وجمال الدين على التوالى .

ومنهم العلامة عبد السلام أفندى المتوفى عام ١١٩٢هـ(١٧٧٨) الذى قال عنه الجبرتى بأنه كان له تعلق بالرياضيات وقرأ على والد الجبرتى أشياء فى ذلك واقتنى آلات فلكية نفيسه بيعت فى تركته . (١)

ومنهم العلامة عبد الله بن خزام الفيومى الذى توفى عام ١١٩٤(١٧٨٠م) وذكر الجبرتى أن له معرفة تامة بالفنون الغربية كالفلك ، والهيئة ، والميقات وعنده آلات فى ذلك . (٢)

ومنهم والد الجبرتى الذى قال عنه " درس أشكال التأسيس فى الهندسة وتحرير أقليدس ، والمتوسطات والمبادئ والغايات والاكر وعلم الارتماطيقى والجغرافيا وعلم المساحة "(٣)

فلما تولى أمر مصر محمد على باشا أراد أن يدخل العلوم الحديثة ضمن مناهج الأزهر لكنه خشى معارضة الأزهريين فصرف النظر عن ذلك وأنشأ نظامه التعليمى الحديث ،وهكذا انقسم التعليم فى مصر الى نظام دينى ونظام مدنى حديث "(٤)

ولذا أهمل الأزهر والكتاتيب لأنهما لا يستطيعان مده بالقوى البشرية المطلوبة كما تصور بل أنه لم يقف عند هذا الحد اذا كان يتحين الفرص للنيل من الأزهر ورجاله فصادر الأراضى الموقوفة على الأزهر .

يقول " فولزر " :

" لم يتردد محمد على فى أن يصادر الأراضى الموقوفه على الأزهر وهى واسعة الرقعة بالرغم من أنها موقوفه عليه . وبذلك أوقع اضرارا بليغة بالأساتذة والطلاب. (٥)

---

(١) عجائب الآثار: ٥٢٨/١ ، ٥٢٩ .
(٢) نفس المصدر : ٥٦٣/١ ، ٥٦٤ .
(٣) نفس المصدر : ٤٥٣/١ .
(٤) تاريخ ونظام التعليم فى مصر : ٧٩ .
(٥) تاريخ التربية والتعليم : ٢٤٨ .

وقد كان لمصادرة الأراضي الموقوفة هذه أثر سيء على الأزهر فقد قـل عدد الطلاب الذين كانوا يؤمون الأزهر خاصة الذين ينتمون الى الأروقـة وهذا بالتالى ينعكس أثره على المجتمع قلة فى المتخصصين فى العلـوم الاسلامية .

يوضح ذلك ما قاله " لـين " الذى وفد الى القاهرة بعد مصادرة الأراضى اذ يقول :

" ... انه بعد أن نزعت ملكية الأراضى التى كانت مملوكة للأزهـر ، قل عدد الطلبة الذين ينتمون الى الأروقة قلة ظاهرة ." (١)

وجاء عهد اسماعيل باشا الذى كان مستغربا فرأى أن يحارب الأزهـر عن طريق عزله عن المجتمع بقصر الدراسات فيه على الد اسات الشرعيـة واللغوية اذ أصدر قانونا بتنظيم الأزهر عام ١٨٧٢ م ونصت الفقرة "ب" منه على ما يلى :

" تحديد الدراسات التى تعطى بالأزهر باحدى عشرة مادة هى : الفقه والأصول والتوحيد والحديث والتفسير والنحو والصرف والمعانى والبيـان والبديع والمنطق " (٢)

واحتل الانجليز مصر عام ١٨٨٢ م فى عهد الخديوى اسماعيل باشـا ، آنف الذكر وحاربوا الأزهر بطريقة ماكرة غير مباشرة وذلك بانشاء المدارس الحكومية التى يتخرج منها الطلاب فتعينهم الدولة فى وظائفها العامة دون طلاب الأزهر وهذا يقل عدد الطلاب الذين يتجهون الى الأزهر

---

(١) تاريخ التربية والتعليم : ٢٤٩ .

(٢) تاريخ ونظام التعليم فى مصر : ١٠٥ والأزهر تاريخه وتطوره : ٢٤٦ وفيه أن الشيخ المهدى هو الذى استصدر القانون من الخديوى .

يقول الاستاذ محمد قطب :

" وكان هدم الازهر بطريقة مباشرة أمرا لا يفكر فيه الاستعمار البريطانى بطريقته الملتوية البطيئة الماكرة ، فقد رأى كيف كانت حماقة الفرنسيين من قبل أيام الحملة الفرنسية ، حين استباحوا الازهر لخيولهم ، سببا مباشرا من أسباب ثورة الشعب ، ورأى كذلك كيف كانت حملات التبشير التى تهاجم العقيدة الاسلامية مهاجمة مباشرة تؤدى الى عكس المطلوب منها اذ تنبه المسلمين للخطر ، وتزيدهم استمساكا بالاسلام . "(١)

ثم يقول :

" لم يكن الأمر فى حاجة الى مزيد من الاغراء . فمن ذا الذى يبعث بابنه بعد اليوم الى الأزهر ـ الا الفقراء العاجزون عن دفع المصروفات ـ وهو يرى له المستقبل المضمون فى وظيفة الحكومة ، حيث يرطن بلغة السادة المستعمرين ؟

وانصرف الناس ـ القادرون ـ من ذوات أنفسهم عن الأزهر واتجهوا الى مدارس الحكومة بعد الثورة الأولى التى ثارها الحس الباطنى المسلم على هذه المدارس " الكافرة " التى لا تعلم القرآن ولا تعلم الدين ! . وأصبح هؤلاء المتعلمون طبقة جديدة ، تستمد طبقيتها من أنها من أبناء الأسو أولا ، ومن مركزها الاجتماعى فى وظيفة الحكومة ثانيا . . ومن التشجيع الظاهر والخفى الذى تلقاه من سلطات الاستعمار بعد هذا وذاك . "(٢)

ولعل أعظم من تجرأ فى القرن الماضى على الأزهر وتعاون مع الانجليز على ما سمى بتطويره وتجديده هو محمد عبده ، شعورا منه بالنقص ، وقد حقق أهداف المستعمرين من فتح المجال أمام كل داع لاصلاح الأزهر على الطريقة التى يراها ولذا نجد أن المستشرقين يثنون عليه فى عمله هذا .

---

(١) هل نحن مسلمون : ١٣٥ ، ١٣٦ .
(٢) نفس المصدر : ١٣٦ ، ١٣٧ .

ويكفى أن نعرف مقدار اعزاز محمد عبده للأزهر اذا علمنا أنه كان يطلق عليه "الاسطبل ، المارستان ، المخروب" ، وأنه اعترف أنه مكث عشر سنوات يزيل من دماغه ما علق به من وساخة الأزهر . كذا !!!

يقول الشيخ رشيد رضا :

" ولقد كان على شدة عنايته بالأزهر وأهله والدفاع عنهم ومبالغته في تكريمهم ، شديد الاحتقار لهم في نفسه ، الأفراد منهم - وكان للأزهر عنده ثلاثة ألقاب يطلقها عليه المرة بعد المرة أمام بعض الخواص ، عند شدة تألمه من فساد حالهم ، وهي : الاسطبل ، والمارستان ، والمخروب (بهذا اللفظ العامي)"(١)

" وقد أجاب محمد عبده الشيخ محمد البحيري على جملة له أنت قد تعلمت في الأزهر بقوله الدكان لي حظ من العلم الصحيح الذي تذكر فانني لم أحصله الا بعد أن مكثت عشر سنين أكنس من دماغي ما علق به من وساخة الأزهر وهو الى الآن لم يبلغ ما أريد له من النظافة"(٢)

وليت الشيخ محمد عبده سلك الطريق السليم للاصلاح المنشود للأزهر لكان لدعوته أثر جيد لاصلاح الأزهر الاصلاح السليم ، ولكن أن ينتهج الشيخ محمد عبده هذا الأسلوب فلا ريب أن الشيخ محمد عبده كان يتملكه شعور بالنقص لتخرجه من هذا المعهد الاسلامي العتيد .

وقد سر المستعمرون من رجال الادارة الانجليز في مصر والمستشرقون لهذا الطريق الذى انتهجه الشيخ محمد عبده وشجعوه حتى أصبح له تلاميذ سلكوا نفس الطريق .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : ١ /٤٩٥ .

(٢) الفكر الاسلامي المعاصر : ٣٤ ، ٣٥ .

وأكتفي هنا بذكر ما قاله " جب " عن محمد عبده وتلاميذه وطريقهم في الاصلاح :

" ان تلامذته الحقيقيين يمتزجون بالصفوف التي أنشئت انشاءً أوروبياً وينضمون للحلقات العلمانية ... ومن ناحية أخرى نجد الشيخ محمد عبده قد صنع جسراً فوق الهوة التي تفصل التعليم التقليدي عن التعليم العصري الخاضع لمذهب العقليين الذي عزا الشرق من الغرب "(١)

وانتهى الاستعمار وجلى عن مصر بجيوشه العسكرية ولكن بقي من يخلفه وللاسف في الدعوة الى علمنة التعليم وما سمي بتطوير الأزهر واصلاحه ، فقد دعا طه حسين في كتابه " مستقبل الثقافة في مصر " الذي ألفه عام ١٩٣٦ الى ما يلي :

١- تطوير تدريس الأزهر للغة العربية لأن تدريسه لها غير مجدي .

٢- اشراف وزارة المعارف على التعليم الأولي والثانوي الأزهري .

٣- ادخال الثقافة الحديثة لتدخل معها مفاهيم الوطنية والقومية الأوروبية .

٤- صياغة طلاب الأزهر صياغة أوروبية .

ومن الأفضل أن أنقل آرائه والتي سطرها بنصوصها لأنها ذات دلالة واضحة لا تحتاج الى جهد في فهم مغازيها . ومن الأمور اللفتة للنظر في أفكار هذا الرجل أن الصراع ومشتقات الصراع بين القديم والحديث هي نقطة الارتكاز لأفكاره فهو يناصر الحديث باطلاق ضد القديم باطلاق .

يقول :

" ... وقد استبقينا الأزهر الشريف نفسه . ولكن أزمة الأزهر الشريف متصلة منذ عهد اسماعيل أو قبله ، ولم تنته بعد ، حتى تنتهي الى مستقر لها في يوم من الأيام "(٢)

---

(١) الاتجاهات الحديثة في الاسلام : ٨٤ .

(٢) مستقبل الثقافة في مصر : ٣٣ .

ويقول فى دعوته الى اصلاح تعليم اللغة فى الأزهر ما يلى :

" ... وأغرب من ذلك وأشد منه خطرا أن المشرفين على الأمور فى مصر والمشرفين على التعليم خاصة يؤمنون فيما بينهم وبين خاصتهم اذا خلوا اليهم بأن احتكار الأزهر للاشراف على اللغة والقيام دونها يضر أكثر مما ينفع ويفسد اكثر مما يصلح ، لأن الأزهر لم يتهيأ بعد للنهوض بهذه المهمة الخطيرة حسب ما تقتضيه الحياة الحديثة . فلا هو الأزهر - كسب من حرية الرأى ، ولا هو حصل من العلم الحديث ، ولا هو عرف من اللغات السامية ، ولا هو أتقن من علوم اللغة ما يجعل اشرافه - على اللغة العربية - نافعا مفيدا " (١)

ويقول :

" يجب اذا أن نعرض عن هذه الأسطورة التى بعد عليها العهد وأخنى عليها الذى أخنى على اليد ، وأن ننظر الى اللغة العربية نظرة مدنية صريحة * وأن نعالج أمورها كلها على هذا النحو ، فى غير تردد ولا اضطراب وفى غير خوف ولا اشفاق !!

اننا انتهينا الى عصر يجب أن تكسد فيه سوق التجارة باتهام الناس بالخروج على الدين !! " (٢)

ويقول أيضا :

" ... فقد أحس المشرفون على شئون التعليم منذ أكثر من نصف قرن أن تعلم اللغة العربية يحتاج الى كثير من العناية ، ليصبح ملائما للتقدم الذى ظفرنا به فى التعليم المدنى ! وأحسوا أن الأزهر لا يستطيع أن ينهض بهذه المهمة لمكانة حينئذ من المحافظة ، والامتناع على التجديد ، والعجز عن أن يسيغ العلم الحديث ، عن أن يقبل التفكير فيه " (٣)

---

* أى نظرة علمانية لا ترتبط بالدين ، أى لا ترتبط بالقول أن اللغة العربية اداة للفكر الاسلامى وجزء رئيس من أجزاء الاسلام .

(١ ، ٢) مستقبل الثقافة فى مصر : ٢٣٢ ، ٣٤٠ .

(٣) نفس المصدر : ٢٧٨ .

ويقول فى الدعوة الى اشراف وزارة المعارف على التعليم الاولى والثانوى الأزهرى ما يلى :

" ولا بد من تطور طويل دقيق قبل أن يصل الأزهر الى الملاءمة بين تفكيره وبين التفكير الحديث . والنتيجة الطبيعية لهذا أننا اذا تركنا الصبية والأحداث للتعليم الأزهرى الخالص ، ولم نشملهم بعناية الدولة ورعايتها وملاحظتها الدقيقة المتصلة ، عرضناهم لأن يصاغوا صيغة قديمة ، ويكونوا تكوينا قديما ، وباعدنا بينهم وبين الحياة الحديثة التى لا بد لهم من الاتصال بها والاشتراك فيها وعرضناهم لطائفة غير قليلة من المصاعب التى تقوم فى سبيلهم حين يرشدون وحين ينهضون بأعباء الحياة العملية . فالمصلحة الوطنية العامة من جهة ومصلحة التلاميذ والطلاب الأزهريين من جهة أخرى تقضيان اشراف وزارة المعارف على التعليم الأولى والثانوى فى الأزهر "(1)

وهو بهذه الدعوة يقصد الى أن لا يكون للأزهر اشراف على شىء من التعليم العام ولكن لماذا ؟ لأن العقلية الأزهرية قديمة ـ أى محافظة ـ وسوف يصاغ التلاميذ صياغة فكرية قديمة أن بقى الأزهر بمعزل عن اشراف وزارة المعارف .

أما دعوته الى ادخال الثقافة الحديثة لتدخل معها مفاهيم التوجيه والوطنية فيمثلها قوله :

" ... شىء آخر لا بد من التفكير فيه والطلب له ، وهو أن هذا التفكير الأزهرى القديم قد يجعل من العسير على الجيل الأزهرى الحاضر اساغة الوطنية والقومية بمعناها الأوروبى الحديث .

وقد سمعت منذ عهد بعيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر يتحدث الى المسلمين من طريق الراديو فى موسم من المواسم الدينية فيعلن اليهم أن محور القضية يجب أن يكون القبلة المطهرة . وهذا صحيح حين يتحدث شيخ من شيوخ الأزهر المسلمين الى المسلمين ، ولكن الشباب الأزهريين يجب أن

---

(1) مستقبل الثقافة فى مصر : ٧٥ ، ٧٦ .

يتعلموا فى طفولتهم وشبابهم أن هناك محور الوطنية التى تحصرها الحدود الجغرافية الضيقة لأرض الوطن* ولست أرى بأسا على الشيخ الأكبر ولا على زملائه من أن يتصوروا القومية الاسلامية كما تصورها المسلمون منذ أقدم العصور الى هذه الأيام . ولكن هناك صورة جديدة للقومية الوطنية قد نشأت فى هذا العصر الحديث ، وقامت عليها حياة الأمم وعلاقاتها ، وقد نقلت الى مصر ما نقل اليها من نتائج الحضارة الحديثة . فلا بد أن ندخل هذه الصورة الحديثة فى الأزهر وهى انما تدخل فيه من طريق التعليم الأولى والثانوى على النحو الذى رسمناه وبالطريقة التى رسمناها وباشراف السلطان العام "(١)

وأما دعوته الى صياغة طلاب الأزهر صياغة أوروبية فيمثله قوله - معرضا بمن سماهم رجال الدين الأزهريين المتأثرين بعقلية القرون الوسطى - ما يلى :

" ... والشر كل الشر أن يتحدث رجل الدين الى الناس فلا يفهمون عنه لأنه " قديم " وهم " محدثون " . وان يتحدث الناس الى " رجل الدين " فلا يفهم عنهم لأنهم " محدثون " وهو " قديم " . ولا ينبغى أن يغتر الأزهر لأن الناس يسمعون له الآن ويفهمون عنه بعض الشىء فكثرة المصريين لا تزال متأثرة بعقلية القرون الوسطى . ولكن طبيعة الحياة ستخرجها غدا أو بعد غد عن هذا الطور وستصوغ الأجيال الناشئة والاجيال المقبلة صيغة أوروبية فلا بد أن يجارى الأزهر هذا التطور ليكون اتصاله بالأجيال الناشئة والأجيال المقبلة أجدى وأقوى من اتصاله بالأجيال الماضية والأجيال الحاضرة "(٢)

وهو بهذه الدعوات يحقق ما تمناه المستعمرون الانجليز - رغم أنه ليس من خريجى الأزهر - الذين كان يتمنى كرومر أن يتم على يديهم تحقيق ما أسماه بتطوير الأزهر "(٣)

---

* انظر كيف انحسر مفهوم الوطن عند المستغربين بعد أن كانت كل أرض المسلمين وطنا للمسلم .

(١) المصدر السابق : ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) مستقبل الثقافة فى مصر : ٣٥٢ .

(٣) اساليب الغزو الفكرى : ٦٢ ، ٦٣ لمعرفة ما قاله كرومر.

وفى عام ١٩٦١ صدر قانون تنظيم واصلاح الأزهر الذى بموجبه أدخلت فى كلية الشريعة دراسات مقارنة بين الشريعة الاسلامية والشرائع السابقة وبين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، وزادت العناية بالدراسات القانونية.(١)

والمقارنة بين الشريعة الاسلامية التى نزلت بالوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من رب الناس العالم بما يصلحهم ، وبين القوانين الوضعية التى وضعها البشر الناقصون تنبئ عن تساوى الشريعة والقوانين الوضعية عند من يقربمبدأ المقارنة ، ولا ريب أن الناقص لا يساوى الكامل ، وما يصدر عن الناقص من قوانين وتشريعات ، لا يساوى ولا يوازى فى كماله وشموله ما أنزله الله سبحانه وتعالى من تشريع على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
وهكذا استطاع المفسدون الوصول الى أهم معقل من معاقل الاسلام وهو كلية الشريعة ليدخلوا معها ما يزاحمها من قوانين البشر الناقصة لتدرس للطلاب كما يدرس لهم تشريع الله سبحانه وتعالى .

هذا ما كان بالنسبة للأزهر وهو أحد المعاقل الاسلامية العتيدة وأشهرها ، فماذا كان بالنسبة للمدارس الأخرى فى البلاد الاسلامية :
فى مصر كان للاستعمار البريطانى مخطط رهيب وضعه " دنلوب " وتابع تنفيذه حتى أدى أغراضه فخرج البريطانيون وقد اطمأنوا الى أنهم ربوا جماعة تقوم بتنفيذ التخريب كاملا بعد رحيلهم .

وهذه أهم معالم مخطط دنلوب التى وضعها ونفذها فى المدارس الحكومية :
١- تخريج أعداد من العبيد الذين يؤمرون فيطيعون دون مناقشة أو على الأقل تخريج موظفين .
٢- قتل روح الابتكار فى نفوس التلاميذ ليستمر المجتمع الاسلامى فى مصر وغيرها عالة على الغرب فيما يحتاج الى ابتكار.

---

(١) الأزهر تاريخه وتطوره : ٤٧٠ .

٣- قتل روح الانتماء الى الأمة الاسلامية وربط التلاميذ بأوروبا عامة وبريطانيا خاصة .

٤- اهمال تعليم القرآن وعلوم الدين عموما عن طريق وضع حصص القرآن والدين في نهاية اليوم الدراسى ، وايكال تدريسها الى أسمدرس .

٥- تدريس التاريخ الاسلامى بصورة مشوهة تؤدى الى قناعة التلاميذ بأنه قد انتهى دور الاسلام .

٦- محاربة اللغة العربية عن طريق خفض مرتبات مدرسيها .

٧- ابطال الكتب القديمة التى كانت تربى فى الشباب المصرى الذاتية .

٨- محاربة التعليم العالى .

هذه هى أهم المعالم فى سياسة دنلوب التعليمية .

يقول الأستاذ محب الدين الخطيب فى توضيح الفقرة الأولى من هذه المعالم :

"... كان الغرض الدنلوبى تخريج طبقة من الشبان تصلح لأن تكون فى دواوين الحكومة آلات ميكانيكية تديرها رؤوس انجليزية وتسير بها فى خطط لم يكن معروفا الى أين تؤدى ، والواقع أنها تؤدى الى جعل مصر بلدا دوليا (انترناشيونال) ." (١)

ويقول الأستاذ محمد قطب عن هذه الفقرة :

"... وما كان الانجليز فى ذلك الحين يجهلون أصول التربية الصحيحة ولا وسائل التعليم الحقة . ولا كانت مدارسهم فى انجلترا تدار بأساليب العبودية التى كانوا يديرون بها مدارس الحكومة فى مصر . ولكن السياسة التى رسمها دنلوب لم تكن تهدف الى تخريج متعلمين ، وانما تهدف الى تخريج عدد من العبيد يؤمرون فيطيعون ، ويشار اليهم فينفذون " (٢)

---

(١) التربية وبناء الأجيال : ٨٢ .
(٢) هل نحن مسلمون : ١٣٧

" وفى تلك المدارس كان الناظر الانجليزى يحيط نفسه بجو من القداسة والرهبة كأنه اله يعبد ، ويسرى فى النفوس منه الرعب ، وتتوجه اليه القلوب بالتوقير والتقديس ، وكانت تلك خير وسيلة ـ لا للتربية ـ وانما لزرع العبودية فى النفوس ". (١)

ويقول الأستاذ محمد قطب عن قتل روح الابتكار فى نفوس التلاميذ :

"... وفى تلك المدارس كان يدرس المقرر فى سفر واحد ، من كتاب واحد مقرر وما كان الانجليز يجهلون ان الصورة الواحدة المحددة تحدد تفكير الدارس فى صور متعددة ومن زوايا مختلفة ، فيقود الذهن على التحوير والتبديل ، وينشأ من ذلك الابتكار والتطوير . وقد كانت مدارسهم فى انجلترا ـ في ذلك الوقت ذاته ـ تربى تلاميذها على أن يطلعوا على الموضوع الواحد فى مصار مختلفة فيتربى فيهم حب الاطلاع ، من ناحية ، والقدرة على الابتكار والاختراع من ناحية ـ ثم يمتحنون فيما استفادوه عن دراستهم لا فيما حفظوه عن ظهر قلب ولكنهم ـ فى مصر ـ كانوا يحددون الأفهام والعقول خوفا من أن تنشأ فيها القدرة على التفكير! ... "(٢)

ويتحدث الأستاذ أنور الجندى عن قتل روح الانتماء الى مصر والأمة الاسلامية التى تعد مصر جزءا منها فيقول :

"... كما أنشأ جيشا ضخما من الانجليز حملة الشهادات الأهلية للعمل بالمدارس المصرية . وفق خطة ماكرة لخلق شعور عام بكراهية تاريخ المسلمين ولغتهم واثارة الشكوك حولهما وطعن روح الوطنية فى الشباب المصرى والقضاء على حماستهم ، وقد داسوا على كل عاطفة وطنية واضطهدوا كل شاب أظهر ميلا أو عاطفة نحو دين أو وطن ، وأنشأوا نظاما للتجسس فى المدارس يطاردون به الشباب الوطنى ، وحرموا على كل مدرس مصرى أن يتحدث عن تاريخ مصر أو تاريخ العرب أو تاريخ الاسلام بما يبرز عظمة أمتنا .

---

(١) هل نحن مسلمون : ١٣٨ .
(٢) هل نحن مسلمون : ١٣٧ ، ١٣٨ .

وكان أهم ما يقال أن مصر بلد زراعى ، وأنها ظلت محتله طوال تاريخها بالفرس والرومان والأتراك وأنها لن تحكم نفسها أبدا ..."(١)

ومعنى هذا أن تاريخ الاسلام فى مصر كان تاريخ احتلال والمسلمون الذين استوطنوا مصر كانوا محتلين بالفرس والرومان .

ويقول الأستاذ محمد قطب عن ذلك :

"... وفى تلك المدارس كان يلقن التلاميذ أن مصر بلد متأخر لأنه زراعى لا يمكن أن تنشأ فيه الصناعة - عنوان التقدم - لأنه ليس فيه فحم ولا حديد . وان أوروبا على وجه العموم وانجلترا بصفة خاصة بلاد متقدمة لأنها بلاد صناعية لأن فيها الفحم والحديد ..."(٢)

وعن تدريس القرآن وعلوم الدين عموما ، ونصيبهما من الجدول الدراسى والوسائل التى اتبعت فى محاربة تدريسها يقول الأستاذ محمد قطب :

"... وفى تلك المدارس لم يكن يدرس القرآن ولا الدين - الا نتفاً متنافرة تضر أكثر مما تنفع . فبينما كانت المدارس التبشيرية التى يحميها الاستعمار ويمكن لها فى الأرض تبدأ نشاطها اليومى بالصلاة فى كنيسة المدرسة والتوجه الى الله بالدعاء المسيحى - بما فى ذلك التلاميذ المسلمون قسرا عنهم - فيرتبط الدين فى وجدان التلاميذ بالنشاط والتطلع ،والحياة الباكرة القوية المستشرقة ، كانت حصص القرآن والدين فى مدارس الحكومة توضع فى نهاية اليوم المدرسى ، وقد كل التلاميذ وملوا وحنوا الى الانفلات من سجن المدرسة البغيض الى فسحة الشارع أو رحب البيت ، وكانت هذه الحصص توكل الى أسن مدرس فى المدرسة يسمل ويتفل ،ويمثل أمام التلاميذ ضعف الحياة الفانية المنهارة .. فيرتبط الدين فى وجدانهم بالعجز والفناء والشيخوخة كما يترتبط بالملل والضجر والنفور."(٣)

---

(١) التربية وبناء الأجيال : ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) هل نحن مسلمون : ١٣٨ .

(٣) نفس المصدر : ١٣٨ ، ١٣٩ .

وبذا يحقق دنلوب هدفه ان ينطبع فى أذهان التلاميذ المسلمين الذين يدرسون فى مدارس الحكومة أن الدين الاسلامى دين العجزة والخاملين فى حين يرتبط فى أذهان التلاميذ الذين يدرسون فى المدارس الأجنبية ان الدين النصرانى دين النشاط والحيوية .

أما عن أسلوب هذه المدارس " الدنلوبية " المسماة " وطنية " - فى تدريس التاريخ الاسلامى فيوضحه الأستاذ محمد قطب أيضا اذ يقول :

" . . . وتوسعت سياسة دنلوب ، فأنشأ بضع مدارس ثانوية تخطو المواجهة الصليبية خطوة الى الامام .

مدارس تسير على النهج ذاته فى كل شىء . . ولا تدرس شيئا عن حقيقة الاسلام ! .

فما التاريخ الاسلامى الذى يدرسه التلاميذ ؟

نزل الاسلام : = ١- فى قوم وثنيين يعبدون الأصنام فدعاهم الى عبادة الله الواحد . ٢- وكانوا يئدون البنات فنهاهم عن ذلك . ٣- ثم دعاهم لنشر الدعوة فكانت الغزوات والفتوح التى انتهت بانتشار الاسلام فى البقاع التى يوجد فيها اليوم ! .

ومن ثم يكون الاسلام منتهيا قد فرغت مهمته ولم يعد له مهمة يؤديها فى واقع الحياة ! .

فأولا : لم يعد هناك أولئك الوثنيون عباد الأصنام الذين يدعوهم الاسلام الى عبادة الله الواحد (وقد حجب الاستعمار افريقيا وبقاعا شاسعة من آسيا) .

وثانيا لم يعد أحد يئد البنات حتى يحتاج الى دعوة الاسلام للقضاء على هذه الفعلة الشنيعة .

وثالثا : نشر الدعوة - أو الجهاد - قد توقف بحكم الظروف الدولية الحديثة ولم يعد له محل فى العالم الحديث "(١)

أما بالنسبة لخطة دنلوب فى محاربة اللغة العربية فقد تمثلت فى الحط من قيمة مدرسى اللغة العربية عن طريق جعل مرتباتهم أقل من غيرهم وليؤدى هذا الى قلة الاقبال على التخصص فى اللغة العربية فيقل عدد مدرسيها ومن ثم يوكل تدريسها الى من ليس متخصصا فيها فتكون النتيجة ضعف المستوى اللغوى للطلاب ومن ثم المثقفين عامة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لتكون نظرة المجتمع لمدرسى اللغة العربية نظرة فيها شىء من عدم الاحترام لأنهم ليسوا مساوين لغيرهم فى المرتب ومنهم مدرسوا اللغة الانجليزية - وهذا يرمز الى عدم أهميتهم ومن ثم أهمية ما يدرسون يقول الأستاذ محمد قطب فى توضيح ذلك :

"ولم يكن ذلك كل شىء فى سياسة دنلوب القسيس . لقد كانت اللغة العربية - وما تزال - مرتبطة بالاسلام فى نفوس المسلمين العرب منهم وغير العرب سواء .

فلا بد اذن من تحقيرها والزراية بها ، حتى تنتقل الزراية والتحقير - بالطبيعة - الى ما يرتبط بها من معانى الدين .

وليكن شخص معلم اللغة العربية هو موضع الزراية والتحقير . . فبينما يقبض مدرس اللغة الانجليزية أو الجغرافيا والتاريخ أو الرياضة اثنى عشر جنيها كاملة فى الشهر تساوى فى ذلك الزمان الحياة الرغيدة والرمز الذى تتكون منه ثروات وأراضى وبيوت . . يقبض زميله مدرس اللغة العربية الذى يقوم بالعمل معه فى نفس المدرسة ، ويأخذ جدولا مماثلا من الحصص أو أكثر . . أربعة جنيهات ! "(٢)

---

(١) هل نحن مسلمون : ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٢) هل نحن مسلمون : ١٤٢ ، ١٤٣ .

ويقول الأستاذ أنور الجندى عن ذلك :

"... وفى مصر صور هذا الموقف الأستاذ محمود أبو العيون تصويرا دقيقا ،فأشار الى الدور الذى قام به القس دوجلاس دنلوب المستشار الانجليزى فى وزارة المعارف وكيف اضطهد مدرسى اللغة العربية ورجالها وهاجم لابسى العمائم وحرص على الغاء كل المقررات والكتب التى كانت تدرس قبل الاحتلال واستبدلها بأخرى تختلف من حيث القضاء على روح الوطنية والرابطة العربية والاسلامية واستهدف من ذلك اضعاف اللغة العربية توطئة للقضاء على القرآن ".

وأشار لورد دوفلين فى تقريره عام ١٨٨٢ الى هذا الاتجاه فقال ان أمل التقدم ضعيف فى مصر طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية - لغة القرآن- كما فى الوقت الحاضر ."(١) وتعاون مع المستعمرين أناس من أبناء جلدتنا ويتكلمون لغتنا من أبناء المسلمين ، فقد عارض سعد زغلول حين كان ناظرا للمعارف تدريس العلوم باللغة العربية حين نوقشت هذه القضية فى الجمعية التشريعية وكانت حجته فى هذا أنه لا يوجد معلمون يقومون بهذه المهمة ولا كتب تشتمل على هذه العلوم وليس بالامكان ايجاد ذاك سريعا"(٢)

وكان من مكملات المخطط الدنلوبى ومقتضيات نجاحه الغاء كافة الكتب التى كانت تدرس فى المدارس وتربى فى الشباب روح الذاتية والاستقلالية الاسلامية .

" وقد كشفت جريدة المؤيد (٢٥) يوليو ١٨٩٩) عن نماذج من هذا العمل وقالت ان هذه الكتب كانت معارضة لهدفه من الوجهتين الدينية والسياسية وذلك بايرادها قواعد الاسلام واركانه مصحوبة بالحكم والايات والقرآن والأحاديث التى تحث على حب الوطن* والتعاون واصلاح ذات البين وفى سبيل اعدام هذه الكتب أعلن دنلوب أن مثل هذه الكتب غير وافية بحاجات التعليم

---

(١) الفصحى لغة القرآن : ١١١.

* لا يوجد فى القرآن ولا فى السنة الحث على حب الوطن وانما الوارد فى القرآن والسنة ان الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين .

(٢) المصدر السابق : ١٦٢ ، ١١٢.

وأوعز الى بعض المدرسين الموالين له بأن يضعوا كتبا بديلة لها تضم خرافات لا فونتين وقصص مترجمة لا تمثل الروح العربي وتتعارض مع الذوق الاسلامى ، وقد قدمت هذه الكتب فى أسلوبها نازل وعبارة سقيمة ، وأشارت المؤيد الى أن الشيخ حمزه فتح الله ناضل فى سبيل احباط رأى دنلوب فأعلن الاخير أن كل كتب المطالعة يجب أن تخلو تماما من كل ما له صلة بالدين "(١)

وقد عرض كرومر ودنلوب على عدم نشر التعليم العالى وقاوما ذلك وقد سجل ذلك كرومر فى تقريره حين قال عام ١٩٠٧ :

" .. ان انجلترا لا تريد نشر التعليم العالى فى مصر وأنها لا تريد الا اعداد جمهور من طبقة الافندية ليشغلوا الوظائف الثانوية فى الحكومة وأن المصريين لا يصلحون للعلوم العالية ، وأن زيادة التعليم تصرف عن فلاحة الارض وتعود على مصر بالافلاس "(٢)

لقد كان ومازال لمخطط دنلوب فى التعليم فى مصر آثار سيئة تمثلت فى الاجيال المنحرفة التى تخرجت من المدارس التى أشرف دنلوب عليها ووضع خططها . وكان أسوأ الاثار أنها جعلت الشباب الذى تخرج فى هذه المدارس يشعرون بأن الاسلام شئ أجنبى عنهم .

يقول الشيخ محب الدين الخطيب :

" هذه الطريقة الدنلوبية كانت لا تعنى بتخريج أبناء مصر العربية المسلمة تخريجا عربيا مسلما ، ان الطريقة الدنلوبية علمت شباب مصرا أن العروبة والاسلام شئ أجنبى طرأ على مصر واحتلها كاحتلال الفرس والبطالسة والرومان والانجليز ، مع أن العروبة والاسلام هما روح مصر وكيان مصر بل هما مصر منذ نحو أربعة عشر قرنا الى الآن .

ان التعليم الدنلوبى فى المدارس الثانوية أهمل آداب الاسلام وتاريخ الاسلام وأمجاد الاسلام ، فخرج لنا أبناء مجردين من سلاح الفضائل الاسلامية(٣)

---

(١) التربية وبناء الاجيال : ٦٩ .
(٢) نفس المصدر : ٦٧ .
(٣) نفس المصدر : ٨٢ ، ٨٣ .

ويقول أحد الباحثين عن آثار سياسة دنلوب :

" ان المستر دنلوب سلك طريقا أطول فأراد أن يكتسب أولا قلوب الأطفال وانتظر ثلاثين عاما يضع فى رؤوس التلاميذ ما يريده ويمنع عنها ما يريده الى أن تخرج من وزارة المعارف الجيل الأول والجيل الثانى ، فلما صارت مقاعد الوزارات وكراسى النيابة والحكم ممتلئة بالذين رباهم مستر دنلوب انقلب السوق وطنه واطمأن قلبه على أنه صار لأوربا كل بيت مصرى من يكمل برنامج دنلوب"[1]

وهكذا أصبحت مقاليد التعليم بيد من تخرجوا من مدارس دنلوب التغريبية ، ومن هنا فقد عورضت هذه السياسة من قبل المفكرين المسلمين ونبع ما قاله هؤلاء فقد يتهمون بالتحيز أو سوء الظن بالانجليز لنقرأ ما قاله " فالنتاين شيرول " فى كتابه " المشكلة المصرية " الذى كتبه سنة ١٩٢٠ م اثر قيام ثورة ١٩١٩ .

اذ يقول :

" انه مهما اختلف المعيار الذى يمكن أن يستخدم فى الحكم على النظام التعليمى الذى أقامه الاحتلال الانجليزى للشباب المصرى فإننا نجد أنه لم يهدف الى خلاص بلادهم ، انه أسوأ نواحى فشلنا "[2]

بل قال كرومر المعتمد البريطانى فى مصر فى تقرير له عام ١٩٠٣ م :

" ... فى مصر اليوم جيل جديد يختلف عن أجداده فى أمور كثيرة ، فيمكن أن تحدثه نفسه يوما أن يمد الى تلك الأركان القديمة يدا لا تعرف حرمة القديم فتكون أشد عليها من يد حكومة تمدها اليوم طبعا لارشاد قوم لا شأن لهم فى الأمر (يعنى الانجليز) لأنهم لا يدينون بالدين الاسلامى فاذا كان لهذا الحساب نصيب من الصواب فالأجدر بأبناء اليوم ان يشرعوا فى الاصلاح ويتلافوا الأمر قبل حلوله "[3]

وقد حدث ذلك بالفعل فتحقق ما هدف اليه دنلوب وكرومر ممثلا الاستعمار الغربى ، من ازاحة هيمنة الاسلام على مناهج التعليم ، وكان

---

(١) التربية وبناء الأجيال : ٨٣ .

(٢) تاريخ ونظام التعليم فى جمهورية مصر العربية : ١١٨ .

(٣) التربية وبناء الأجيال : ٨١ .

بعض هؤلاء المنقذين من أبناء المسلمين ممن تخرج فى المدارس الاجنبية وبعضهم ممن تخرج فى مدارس التعليم الوطنى الذى وضع مناهجه دنلوب .

وكان لطه حسين رأى فى التعليم العام والتعليم الجامعى بعد أن خرج الاستعمار البريطانى من مصر بجيوشه ولكنه خلف أمثال طه حسين ممن ينمون عملية التغريب والعلمنه ، أما ما كان يراه فى التعليم العام فاكتفى هنا بذكر رأيه فى تعليم الدين فى مدارس الحكومة .

يقول :

" ... الواقع أن آراء الناس ومذاهبهم تختلف بالقياس الى هذه المسألة فمن الناس من يريد التعليم مدنيا خالصا ، وأن لا يكون الدين جزءا من أجزاء المنهج المقومة له ، على أن يترك للاسر النهوض بالتعليم الدينى ، وأن لا تقيم من يرى أن التعليم الدينى واجب كتعليم اللغة وكتعليم التاريخ القومى ، لانه جزء مؤسس للشخصية الوطنية ، فلا ينبغى اهماله ولا التقصير فى ذاته .

وواضح جدا أن هذا الرأى الاخير هو رأى المصريين وأن من غير المعقول أن نطلب الى المصريين الآن أن يقيموا التعليم العام فى بلادهم على أساس مدنى خالص ، وأن يترك تعليم الدين للاسر " (١)

وواضح من الجملة الاخيرة " وان من غير المعقول .. الخ " أن الدكتور طه حسين كان يعتقد أن الوقت لم يحن بعد للطلب من المصريين اقامة تعليمهم على أساس مدنى خالص .

ويتابع فى بيان رأيه حول تعليم الدين فى المرحلة الابتدائية هل يجب أم لا ؟

فيقول :

" وواضح جدا أن أمر الدين هنا كأمره فى الفصل الماضى ، يختلف باختلاف النظرة التى تنظرها اليه الدولة ، فان رأت اقامة التعليم على الفكرة

---

(١) مستقبل الثقافة فى مصر : ٦٩ .

المدنية الخالصة تركت أمر الدين الى الاسرة ، ولم تقم فى سبيله المصاعب والعقبات ، وان رأت اقامته على الفكرة المدنية الدينية قسمت للتعليم الدينى مكانه فى البرنامج "(١)

وهكذا فى هذه الفقرة تطور الامر الى أن يقول ان أمر تعليم الدين أو عدم تعليمه موكل الى الدولة ، وعلى هذا فالدولة ان رأت اقامة التعليم على أسس مدنى "علمانى" فلها ذلك وان رأت الدولة اقامة التعليم على أساس أن يكون للدين نصيب جعلت له نصيباً وما على الدولة الا اصدار القوانين بذلك بما أنها دولة وطنية.ثم يقول بعد ذلك :

" وما ينبغى ان نكلف المعلم الاولى تعليم الصبية تاريخ وطنهم وهو يجهل هذا التاريخ " ولا يعرفه الا مشوها منقوصا . وما ينبغى أن نكلفه تعليم الصبية جغرافيا وطنهم ، وهو يجهل هذه الجغرافيا ، ولا يعرف حدود الوطن ولا أقطاره .

وقل مثل ذلك فى اللغة ، وقيل مثل ذلك فى النظام ، وقل مثل ذلك فى الدين ان أردت أن يكون الدين جزءاً من التعليم الاولى "(٢)

وهكذا " ان أردت أن يكون الدين جزءاً من التعليم الاولى " وكأن تعليم الدين لابناء المسلمين فيه مجال للخيار فضلا عن أن تكون المناهج والمقررات تسير حسب المنهج الاسلامى الصحيح .

وطه حسين فى عرضه لآرائه يعرضها عرضاً محايداً ولا يشعر القارىء بأن له رأيا صريحاً فى الموضوع ولكن القارىء الواعى الذى يعرف مغازى الحديث ومراميه والذى يعرف أسلوب طه حسين فى عرض أفكاره لا يشك لحظة واحدة فى أنه من الداعين الى علمنة التعليم .

---

(١) نفس المصدر السابق : ٨٣ . (٢) نفس المصدر : ٨٧ .

أما بالنسبة للتعليم الجامعى فى مصر فقد أنشئت أول جامعة عام ١٩٠٨ كجامعة أهلية ثم أصبحت حكومية عام ١٩٢٥م فما ذا عن رسالتها فى المجتمع المصرى ، لندع أحمد لطفى السيد أول مدير لها يحدثنا عن ذلك . يقول :

" .. ومن رسالة الجامعة مساعدة التطور الاجتماعى بكل ما فى وسعها من ضروب التجديد فى اللغة ، التجديد فى النثر والشعر ، التجديد فى نظرة الناس الى الفنون الجميلة والبحث فى وجوه ترقيتها وشيوعها ، ولا يفوتنى أن أنبه الى أن هذه الرسالة تتناول أيضاً الموسيقى والغناء ، كما لهما من الأثر الطيب فى الأخلاق بل لأنهما كذلك لهو جميل لا بد منه أيضاً على كل أمة ترقى أسباب لهوها المرح كما عليها أن ترقى أسباب جدها العابس ... "(١)

ولا أحتاج الى توضيح المقصود بالتطور الاجتماعى ، والتجديد فى اللغة والأدب وانما أتساءل فاين التجديد فى العلوم التطبيقية بفروعها المختلفة ؟

ومع تخرج الفوج الأول من الجامعة عام ١٩٢٩م قبل أول فوج من الفتيات فى الجامعة وأحيط هذا بالتكتم الشديد فلم تنشر عنه الصحب ولم يتحدث عنه أحد حتى لا يثير ذلك يزعم أحمد لطفى السيد ثائرة الجامدين من دعاة الحجاب مما يدل على فساد النية لدى القائمين على الجامعة الذين عزموا على تطبيق الاختلاط فى التعليم منذ البداية وهذا لا شك يثير غيرة الملتزمين بالاسلام الذين أطلق عليهم الجامدين .

يقول د . حسين فوزى النجار فى بيان ذلك :

" ... وتخرج أول فوج فى الجامعة الجديدة عام ١٩٢٩م ، وفى ذلك العام تقدمت بعض الفتيات للالتحاق بالجامعة ورأى لطفى السيد قبولهن كغيرهم من الطلبة ما دمن حائزات على " البكالوريا " على أن يتم ذلك فى هدوء فلا ينشر عنه فى الصحب أو يذكره متحدث فى خطاب عام حتى لا يثير التحاقهن

---

(١) احمد لطفى السيد : ٢٧٤ .

بالجامعة ثائرة الجامدين من دعاة الحجاب والفصل بين الجنسين ، مما قد يؤدى الى حرمانهن من التعليم الجامعى لفترة تطول أو تقصر تبعاً للتطور الفكرى عند هؤلاء الجامدين وقبولهم الفكرة الاختلاط ومن عادة الحكومات أن تقف الى جانب المحافظة دون التجديد حتى لا تصدم رأى الاغلبية المحافظة "(١)

ثم يقول :

" يقول لطفى السيد أنهم أن يضعوا " الرأى العام والحكومة معا أمام الامر الواقع ، ونجحنا فى ذلك " وتخرج أول فوج من الفتيات عام ١٩٣٣م ، ثلاث فى كلية الآداب وواحدة فى كلية الحقوق " وبعد أن سرنا فى هذا النهج عشر سنوات حدث ما كنا نتوقعه فقد قامت ضجة تنكر علينا هذا الاختلاط فلم نأبه لها ،لاننا على يقين من أن التطور الاجتماعى معنا ، وأن التطور لا غالب له ، ومعنا العدل الذى يسوى بين الاخ واخته فى أن يحصل كلاهما على أسباب كماله الخاص على السواء ، ومعنا فوق ذلك منفعة الامة من تمهيد الاسباب لتكوين العائلة المصرية على وجه يأتلف مع اطماعنا فى الارتقاء القومى ،كل أولئك جعلنا لا نحفل بهذه الضجة التى ما لبثت أن ذهب بها الزمان "(٢)

وإن من يقدم على عمل ما فهو إما أن يكون محقاً أو مبطلاً فالمحق يقدم على ما يريد عمله بوضوح ودون خوف ولا وجل ، أما المبطل فإنه يحاول أن يعمل عمله على حين غفلة من الاعين أن تراه أو الآذان أن تسمعه ، ودعاة التقريب والعلمنه فى أول عهد المسلمين بهم كانوا يسلكون الطريق الثانى ، وهذا ما سلكه المسئولون فى الجامعة المصرية حين قبلوا دفعة من الفتيات وكانوا يبيتون النية السيئة فى جعل التعليم مختلطاً فى هذه الجامعة فحاولوا التكتم على هذا الامر بعدم الاعلان عنه فى الصحف ، فكانوا كالسراق الذين يتحينون الغفلة فينفذون ما خططوا لسرقته ،فهم قد سرقوا من الفتاة حياءها

---

(١) ، (٢) أحمد لطفى السيد : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

حين أجلسوها جنبا لجنب مع الفتى ، وبالتالى سرقوا عفافها وصونها وسترها .
ولذا فقد ثار ضدهم من أسماهم أحمد لطفى السيد الجامدين أو الملتزمين
فى الواقع "(١)

وهكذا بدأ التعليم الجامعى فى مصر مختلطا واستمر ، وتبعه التعليم
فى العالم الاسلامى كله ما عدا المملكة العربية السعودية أسأل الله أن
يحفظها ويحفظ أبناءها وبناتها ومجتمعها من شرور الاختلاط والدعوات
المريبة الأخرى .

وقد تابع مسيرة الدعوة الى علمنة التعليم بالكتابة عن التعليم الجامعى
بعض المستغربين اكتفى هنا بذكر آراء طه حسين فقد قدم أفكارا حول ما يجب
أن يكون عليه التعليم الجامعى فهو يقول :

"... فهى - أى مصر - انما أنشأت كلك الجامعة لترتفع بالشباب
المصرى عن ذلك التعليم الآلى الذى فرضته عليهم الظروف ، ولترقى بهم
الى تعليم حر مستقل يهيئهم أو يهيء بعضهم على الأقل ليكونوا علماء أحراراً
مستقلين ! والظاهر أن مصر لا تريد أن تعبث ولا أن تهزل حين تقرر أنها
تريد أن تكون من شبابها علماء أحراراً مستقلين ، يشبهون أمثالهم فى الأمم
الأخرى ، ويثبتون لهم ويشاركونهم فى الانتاج العلمى الحر المستقل الذى
لا تقوم الحضارة بدونه ، ولا تستطيع أن تثبت ولا تنمو الا اذا اتخذته لها
أساسا "(٢)

ومعلوم ما هو المقصود بحرية الفكر هنا فى دعوته فهى الحرية الفكرية
التى تسود فى الغرب والتى أدت الى عزل الدين النصرانى المحرف عن الحياة .

ويقول أيضا :

"٣- والوسيلة الى انشاء هذا الجيل ببية ، فيجب أن تنهض الجامعة
بتهيئة معلم اللغة العربية كما تنهض بتهيئة معلم الجغرافيا والتاريخ والطبيعة

---

(١) كان أول هؤلاء الملتزمين بالاسلام - الجامدين - فى نظر احمد لطفى السيد جماعة من طلاب الجامعة ثم أيدهم كتاب من خارج الجامعة كان على رأسهم الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ، وسوف تجد مقتطفات من مقالين للرافعى بهذا الشأن فى نهاية هذا البحث .

(٢) الفكر الاسلامى الحديث : ١٧٧ ، ١٧٨ .

والكيمياء . وعلى النحو الذى تهىء به هذين المعلمين ، أى على النحو الحديث الذى يهيأ الشباب لدرس العلوم الحية المعاصرة .

والجامعة وحدها فيما أعتقد قادرة على النهوض بهذه المهمة الخطيرة لانها :

أولا : تمثل العقل العلمى ، ومناهج البحث الحديثة وتتصل اتصالا مستمرا بالحياة العلمية الاوروبية ، وتسعى الى اقرار مناهج التفكير الحديث شيئا فشيئا فى هذا البلد "(١)

وحيث أن طه حسين كان يتوقع أن لا تؤخذ آرائه فى اصلاح الازهر ويعمل بها ، ذلك لانه سيجد من يعارض هذا الاصلاح التغريبى ، فإنه سلك طريقاً آخر للدعوة الى العلمنه ، حتى إذا فشل وعورض فى اصلاح الأزهر على النمط الذى يريد، أجدى السبيل الآخر الذى سلكه. ذلك هو دعوته الى انشاء قسم للدراسات الاسلامية فى كلية الآداب بالجامعة المصرية على النمط الاوروبى أيضا . قال :

"... وليس من شك أن طبيعة الحياة العصرية تقتضى أن تعنى كلية الآداب عناية خاصة بالدراسات الاسلامية على نحو علمى صحيح لأن كلية الآداب متصلة بالحياة العلمية الاوروبية ، وهى تعرف جهود المستشرقين فى الدراسات الاسلامية . ومن الحق عليها أن تأخذ بنصيبها من هذه الدراسات لتلائم بين جهود مصر التى ترى لنفسها زعامة البلاد الاسلامية وبين جهود الامم الاوروبية الاخرى "(٢)

وبهذا يتضح أن ما قصده طه حسين من دعوته الى انشاء قسم للدراسات الاسلامية بالجامعة المصرية - التى يجب أن تكون مشتملة على كلية متكاملة للشريعة - إنما قصد به أن يكون منبراً لعرض آراء المستشرقين فى الاسلام ، لأن هذه الكلية تعرف جهود المستشرقين ولذا فواجب عليها أن تعرض جهودهم على طلابها .

---

(١) مستقبل الثقافة فى مصر : ٢٩١ .
(٢) مستقبل الثقافة فى مصر : ٣٤٥ .

هذا ما كان عليه التعليم العام والجامعي في عهد الاستعمار وأوائل عهد الاستقلال في مصر .*

أما في البلاد الاسلامية الأخرى فلم يكن الحال بأفضل مما هو عليه في مصر فالوضع السائد كان واحداً اذ الهدف الاستعماري في التعليم كان تخريج ناشئة لا تعرف من الدين الا اسمه .

يقول الدكتور محمد منير مرسي عن ذلك ما يلي :

" . . . ومن الاشارات ذات المغزى عن دور الاستعمار في مناهج التربية في العالم الاسلامي اشارة تقول " ان السياسة الاستعمارية لما قبضت على برامج التعليم في المدارس الابتدائية حذفت منها القرآن ثم تاريخ الاسلام . وبذلك أخرجت ناشئة لا هي مسلمة ولا هي مسيحية ولا هي يهودية . ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدة ، ولا تعرف حقا ، فلا للدين كرامة ولا للوطن حرمة ."(١)

ويقول المستشرق جب في ايضاح الصورة التي كان عليها التعليم وما عمله المستعمرون ما يلي :

" . . . وفي أثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نفذت هذه الخطة لأبعد من ذلك بإنماء التعليم العلماني تحت اشراف الانجليز في مصر والهند "(٢)

ففي السودان مثلا كانت نظرة كرومر ـ المعتمد البريطاني في مصر والسودان ـ لنصيب التعليم الديني في المدارس أن تقتصر على المعلومات الأولية ، وأنه لا لزوم لأي زيادة على ذلك ، لأن الزيادة على ذلك تشكل خطورة لا مبرر لها .(٣)

---

* وانظر في مجال مدارس التعليم الحقوقي ـ أي التي تخرج القضاة ـ ماكتبه د . عبد الستار فتح الله سعيد عن أول مدرسة حقوقية انشئت بمصر في عهد اسماعيل في كتابه: الغزو الفكري و التيارات المعادية للاسلام : ١٣٠ ، ١٣١ . وانظر تقرير اللورد كرومر عن نفس القضية في كتاب الاتجاهات الوطنية : ١/ ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

(١) تاريخ التربية في الشرق والغرب : ٤١٠ . (٢) وجهة الاسلام : ٣٨ .

(٣) تطور التعليم في السودان : ٦٦ .

وفى شبه القارة الهندية يحدثنا د/ أ. ك. م أيوب على عن التعليم فى البنغال قبل الاستعمار فيقول " تحت عنوان : خصائص النظام التربوى الاسلامى :

" جـ المنهج المتناسق ما يلى :

" .. كانت مناهج الدراسة شاملة ومتناسقة بحيث أن الترابط بين الدراسات الدينية والدنيوية كان ترابطا بهيجا يعنى بحاجات المجتمع فى كل نواحى الحياة الدينية والثقافية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية ... الخ ، فكل فروع المعرفة المألوفة فى ذلك العصر كانت مدرجة على قائدة عريضة موحدة من خطة تعليمية كان الدين الاسلامى يمثل فيها مركز الصدارة . ومع أن الاسلام كان محور كل الخطة التربوية وأساسها فإن الترابط بين الدراسات الدينية والدنيوية كان موجوداً الى درجة معقولة ، أى بين المنقولات والمعقولات.

وبسبب هذا الترابط فقد كانت المدرسة دائما على صلة وثيقة بالمجتمع وكانت الدراسة التى تجرى فيها تخدم المجتمع وتقدمه من كل الوجوه . وان التاريخ الاجتماعى والثقافى للبنغال فى العصور الوسطى يحطى الدليل الأكبر على ذلك ، فالعلماء المثقفون الذين تخرجوا من هذه المدارس كانوا يخدمون القطر كقادة دينيين ومرشدين روحيين وكذلك مصلحين اجتماعيين وأطباء وقضاة ومحامين وأدباء ومهندسين ومعماريين وفنيين . وكانوا حماة للعقيدة وحماة للوطن .

وكان هذا النظام التربوى التقليدى يعتبر هو النظام التربوى القومى فى البنغال وفى غيرها من الأقطار الاسلامية حتى أخضعت القوى الأجنبية المعادية للاسلام هذه الأقطار لسلطانها ". (١)

وبعد أن احتلت بريطانيا شبه القارة الهندية ـ ومنها البنغال ـ عام ١٧٥٧م عن طريق شركة الهند الغربية ، بدأت فى محاولة تقريب التعليم

---

(١) تقارير وبحوث المؤتمر العالمى الاسلامى الأول : ٨/٢٣.

وطمنته وبدأ ذلك منذ عام ١٨٣٨ حين أدخل نظام التعليم البريطانى فى البنغال . جاء فى تقرير لجنة التربية المدرسية لعام ١٩٣٨ ص ٧ ما يلى :

"وبقى الجدل قائما بين الانجليز والمواطنين حول لغة التعليم وطبيعته سنوات عديدة ، فالانجليز كانوا يصرون على أن تكون لغة التعليم العالى هى اللغة الانجليزية وأن يتألف محتواه من الأفكار الحديثة ، بينما كان المواطنون يرغبون بالمحافظة على دراسة المواضيع الكلاسيكية الشرقية وفقا للطرق المحلية للقطر .

" وبعد سنوات من الكفاح بين الفريقين المذكورين أعلنت محكمة المديرين فى منشورها المؤرخ فى سبتمبر (أيلول) ١٨٣٠ عن آرائها المحبذة للتعليم الانجليزى تحت رعاية اللورد وليليام بينتينك الذى بعد أن اطلع على المحضر الذى كتبه ماكولى صادق على القرار التربوى لحكومة الهند بتاريخ ١٨٣٥/٣/٧ لصالح التعليم الانجليزى . وكان رأى الحاكم العام المستشار هو " أن الهدف العظيم للحكومة البريطانية هو اشاعة الآداب والعلوم الأوروبية بين مواطنى الهند وأن الموارد المخصصة للتعليم يجب أن تستخدم للتعليم الانجليزى فقط "(١)

وفى الباكستان يصف الكولونيل عثمانى الوضع التعليمى فى عهد الاستعمار البريطانى فيقول :

" وعندما احتل الانجليز شبه القارة الهندية . ألغيت اللغة الفارسية كلغة للبلاط وأدخلت اللغة الانجليزية لغة رسمية للادارة البريطانية وأصبحت اللغة الانجليزية هى لغة التعليم فى المراحل العليا من النظام التعليمى الذى أسسه البريطانيون فى شبه القارة وصار التعليم فى كل مراحل معاهد التعليم الحكومية الحاديا فى طبيعته . وعم استيراد الكتب والمراجع لكل المواضيع الهامة من انجلترا ، كما أنشئت جامعات فى كل أنحاء القطر مع السيطرة القضائية الاقليمية التامة على البرامج وعلى مستويات الامتحانات لهذه المعاهد الفرعية المرتبطة بالمعاهد الانجليزية .

---

(١) تقارير وبحوث المؤتمر العالمى الأول للتعليم الاسلامى : ٣٦/٨ من بحث تاريخ التربية الاسلامية التقليدية فى بنجلاديش.

وكان مسلموا شبه القارة الهندية لا يستطيعون أن يتصوروا تعليما لا دين فيه . ولذلك نفرت جماهير المسلمين من نظام التعليم البريطانى وقاطعته ولما كان هذا التعليم البريطانى هو الوسيلة الوحيدة للحصول على عمل أو وظيفة مثمرة فى الحكم البريطانى فقد بقى معظم المسلمين غير مؤهلين للتقدم الاجتماعى مما أدى الى حرمانهم مالياً واقتصادياً ".(١)

وفى ماليزيا فى عهد الاستقلال نرى أن التعليم الاسلامى مهمل ولهذا فان بروفيسور عبد الجليل حسن " رئيس قسم الفلسفة والعقيدة بالكلية الاسلامية يقول فى اجابة على سؤال وجه اليه عن أهمية التعليم الاسلامى ما نصه :

" ٢- نوافق على ذلك ، لأننا نرى المشكلة الكبيرة فى التعليم الاسلامى هو عدم اعتراف الحكومة بأهمية التعليم الاسلامى فى البلاد ، وأنها تعتبر التعليم الاسلامى ما هو الا صورة باهتة لا تحتاج الى العناية الحقة ولأن الروح الاسلامى أمر خاص بالافراد وهذا هو سر ما وصلنا اليه فى الوقت الحاضر فاننا لا بد لنا من التعاون مع المسئولين حتى نستطيع أن نتفاهم معهم لنيل هذا الغرض الهام ".(٢)

وفى تركيا التى لم تحتل احتلالا مباشراً بلغ التأثير الغربى العلمانى مداه فى الردة العقدية و الفكرية العنيفة التى تسلكها مصطفى كمال لانتزاع الاسلام من قلوب الناس عن طريق التعليم .

يقول لويس توماس فى بحثه - ضمن مؤتمر الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته الذى عقد فى جامعة برنستون عام ١٩٤٧ - " العلاقات الداخلية والخارجية فى تركيا - ما يلى :-

" ان مصطفى كمال فشل فى ريف الاناضول . ولكنه نجح فى (تحويل القطاع المثقف من الشعب الى حياة جديدة . . وقد مكن التعليم لهذا التحول الجديد ص ٢٧٢ ".(٣)

---

(١) نفس المصدر : ٢/٥ من بحث التعليم الحديث فى الباكستان .
(٢) نفس المصدر ٣/٨ .
(٣) حصوننا مهددة من داخلها فى أوكار الهدامين : ٣٦٦ .

ويتضح مما كتبه الكاتب نفسه ـ فى مؤتمر " الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة " الذى عقد بأمريكا صيف عام ١٩٥٣ ـ تحت عنوان الاسلام عند الاتراك ـ أن المقصود بالحياة الجديدة التحرر من الاسلام فهو يقول :

" ... ومع أن السلاطين الميالين الى تقليد الغرب قد عملوا الكثير منذ سنة ١٨٠٠ ليضعفوا الانظمة الشكلية الاسلامية العثمانية ، وأن المؤتمرات الغربية الخفية قد وجدت طريقها فى هذا الى أفراد الطبقة العليا بشكل أكبر ، فقد استمرت تلك الانظمة وبقيت لها أهميتها فى التربية والقانون وغيرهما من نواحى الحياة ، غير أنه تحت زعامة " أتاتورك " القوية أخذت تلك الانظمة الشكلية العثمانية الاسلامية تفقد سيطرتها العامة بسرعة ، وأصبح هذا المظهر من الاسلام فى الفلسفة الرسمية للدولة ـ سلاسل من الماضى الميت كان الترك قد قيدوا أنفسهم بها طويلاً ، فجرد العلماء من مظاهر القوة والنفوذ والمال ، ولم تتخذ وسائل لتربية العلماء فى المستقبل ونتيجة لهذا لم يعد لدى تركيا أى جماعة يعتد بها من الطبقة الأولى من العلماء الدينيين المثقفين " (١)

وفى مجال التعليم العالى فتح " مصطفى كمال " الباب على مصراعيه لعلماء اليهود لتنظيم الجامعة التركية .. يقول " ليفى أبو عسل " :

" ولقد قام ـ أى مصطفى كمال ـ بفتح باب تركيا على مصراعية ليدخل منه علماء اليهود الذين نبذتهم المانيا واستقبلهم بكل ما أوتى من حسن الكياسة ونبل الغرائز ... وأستعان بهم لتنظيم الجامعة التركية على الأساليب العلمية العصرية ، واستدعى ما يزيد على أربعين استاذاً منهم لتوصيع أقسام تلك الجامعة " (٢)

وقد سلك الذين خلفوه مسلكا آخر ففتحوا ما أسموه بكلية اللاهوت فما كان

---

(١) الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة : ٤٢٣ .

(٢) فصل الدين عن الدولة : ١٩٦ .

الهدف من انشائها يجيبنا على هذا التساؤل " لويس .ف توماس " الاستاذ بجامعة برنستون اذ يقول :

" ... لقد انشئت فى جامعة أنقرة كلية جديدة للاهوت ، قصد بها أن تخرج رجال دين مسلمين ، أتراكاً من الطبقة العليا ، مثقفين ، مطبوعين بالطابع الغربى ، لهم معرفة بالعلم والدين المقارن وباللغات الاوروبية وفيهم ولاء لفكرة الدولة الديمقراطية العلمانية وبيد و من غير المحتمل اطلاقاً أن تنجح هذه الكلية فى تخريج علماء يقبلهم الاتراك الذين لا يزالون تحت سلطان التقاليد الدينية . وسيكشف المستقبل عما اذا كان خريجو هذه الكلية ستكون لهم رسالة يقبلها التركى الميال للحضارة الغربية ، والذى يحاول أن يحتفظ بالاسلام دينا شخصيا فى دولة دنيوية .. "(١)

هذا هو الوضع الغالب فى العالم الاسلامى فى عهد الاستعمار ، وبدايات عهد الاستقلال غيرأن العالم الاسلامى لم يخل من المدارس الاسلامية التى كانت تسبب مضايقة لدول الاستعمار ومفكريها من المستشرقين وغيره . كما لم يخل من مفكرين مسلمين وقفوا فى وجه حركة التغريب والعلمنة ، ونقدوا نظام التعليم العلمانى الغربى وحذروا المسلمين منه ، واكتفى هنا بذكر ما قاله المستشرق " جيب " الذى يتضح به مدى ضيقه بالمدارس الاسلامية والتعليم الاسلامى .

يقول " جب " :

" ... هذا ولم تفقد كل الانظمة القديمة التى غذت الوحدة قوتها فى العصر الحديث ورغم فقدان الشريعة ما كان من استئثار بالتشريع ، ورغم أن الثقافات المحلية بدأت تزحزح الثقافة المشتركة ، ورغم أن الفوارق فى العادات الاجتماعية أصبحت أكثر ظهورا . وأن التعليم الدينى القديم أصبح قاصراً على طائفة متضائلة من الشعب فلا تزال المظاهر الدينية والعبادات باقية . أما الذى يزعم أن القرآن قد قل حظه من الدراسة الآن أو أن نظمه

---

(١) الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة : ٤٢٤ .

الذى يظل صداه يتردد فى النفوس قد فقد غلبته على عقول الرجال فلن يجد ما يؤيد زعمه الكاذب ، ولا تزال العبادات الاسلامية منبعاً للرضا والاطمئنان حتى عند من يهملون فى أدائها ....

.. ومن أكبر مميزات الاسلام الحديث شعور الولاء لذات محمد "عليه الصلاة والسلام" والحماسة التى يبعثها بين كل الطبقات ..."(١)

وواضح أن المقصود بالثقافات المحلية التى بدأت تزحزح الثقافة المشتركة - هى الثقافات الوطنية الخاصة بكل قطر من أقطار المسلمين ، وأن المقصود بالثقافة المشتركة هى الثقافة الاسلامية التى لا تفصلها الحدود الجغرافية .

وأما المفكرون الذين تصدوا لنقد التعليم العلمانى الغربى - بفضح أساليبه - وحذروا منه فأكتفى هنا بنقل بعض النصوص لبعضهم .

يقول السيد اكبر حسين بن تفضل حسين فى بيان أسلوب الغرب فى نشر العلمنة :

"... يا لبلادة فرعون الذى لم يصل تفكيره الى تأسيس الكليات ، وقد كان ذلك اسهل طريق لقتل الاولاد ، ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الاحدوثه فى التاريخ "(٢)

وهو يقصد بذلك أن الغربيين فى هذا العصر سلكوا فى نشر العلمنة أسلوب التعليم الذى يسهل به قتل الاولاد عقديا وفكريا . بينما كان فرعون فى مقابل هؤلاء يستعمل أسلوب التصفية الجسدية لمعارضيه من المؤمنين وأولادهم حتى لا ينشأ جيل مؤمن . فالاوروبيون أزكى من فرعون فهم قتلوا الاولاد معنويا ولم يلحقهم سوء الاحدوثه ممن تعلموا على أيديهم وربوا على أعينهم .

---

(١) وجهة الاسلام : ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٢) التربية الاسلامية الحرة فى البلاد الاسلامية : ٣٠ .

يوضح ذلك ما قاله فى نص آخر :

" . . . ان اهل الشرق يقضون على العدو بشرخ رأسه ، ولكن الغربى يغير طبيعته وقلبه "(١)

ويقول الدكتور الشاعر محمد اقبال وهو ممن درس فى الغرب وحصل على الدكتوراه من جامعة ميونخ بالمانيا ، ودرس فى كمبردج - فى نقد التعليم العلمانى ما يلى :

" . . . اياك أن تكون آمنا من العلم الذى تدرسه ، فانه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها "(٢)

ويقول أيضا :

" ان نظام التعليم الغربى ، انما هو مؤامرة على الدين والخلق والمروءة "(٣)

ويقول أيضا :

" أشكو اليك يا رب! من ولاة التعليم الحديث ، انهم يربون فراخ الصقور تربية بغاث الطيور ، وأشبال الأسود تربية الخروف "(٤)

أى أنهم يربون فى الانسان الخنوع والذلة بحيث يكون هؤلاء الشباب المتعلمون على منهاج الغرب كالخراف التى تساق الى حتفها دون مقاومة .

ويقول فى وصف الشباب المثقف بالثقافة الغربية " المتفرنج " :

" لا أستغرب أيها الشباب المتعلم! أنك جبان ، فان قلبك بارد لا لوعة فيه ولا حراره ونظرك غير عفيف ان الشباب المثقف الذى استنارت عينه بنور الافرنج قد يكون لبقا فى الحديث متشدقا فى الكلام ولكن عينية لا تعرف الدموع ، وقلبه لا يعرف الخشوع "(٥)

---

(١) التربية الاسلامية الحرة فى البلاد الاسلامية : ٣٠ .
(٢) نفس المصدر : ٣٠ ، ٣١ .
(٣) نفس المصدر : ٣٦ . (٤) نفس المصدر : ٤٦ .
(٥) التربية الاسلامية الحرة فى البلاد الاسلامية : ٤٥ ، ٤٦ .

هذا فى شبه القارة الهندية،أما فى العالم العربى فقد تحدث الشيخ محمد سعيد العرفى عن المدارس الأجنبية ونقدها وأوضح اضرارها علـى الطلاب المسلمين الذين يدرسون بها وعلى المجتمع الاسلامى، وتحدث الأستاذ مصطفى صادق الرافعى عن الاختلاط - وهو مظاهر التعليم العلمانى - وبين مفاسده على الطلاب والمجتمع ، وناصر طلاب جامعة القاهرة الذين طالبـوا بالفصل بين الجنسين ، كما تحدث عن تعليم الدين فى الجامعة - الـتى أهملته - وناصر الطلاب المطالبين به .

يقول الشيخ العرفى - رحمه الله - عن المدارس الأجنبية :

" يظن الناس أن المدرسة المسيحية والمدرسة العلمانية متناقضتان نظرا لاختلاف الصورة والأسماء وفى الحقيقة أنهما فرعان لأصل واحد رأوا أن الأولى لا تروج أمورها بسهولة فلم يسعهم الا احداث الثانية يتخذ ونهـا رابطة يقربون فيها وجهة ما تبغيه النصارى من دعوة المسلمين وسائر الديانات الشرقية الى الديانة المسيحية على يد مبشريها الظاهرين فى المدارس المسيحية والمتقمصين فى المدارس العلمانية التى ظاهرها هدم الديانات وهذا ما قاله زويمر فى كتابه المؤرخ فى ٢ آب سنة ١٩١١ خطابا الى الموسيو شاتيله :[1]

ثم يقـول :

" ... وفى الحقيقة أن المدارس الاجنبية قضت على كل آمال المسلمين لأنها موضوعة لنشر التربية الأوروبية النصرانية التى يقصد منها اضمحلال الاسلام باعتراف القس ويلس فى تقريره بمؤتمر لكنو الذى ترجمته جريدة المؤيد المصرية بعددها ٦٧٠٦ وفيه -

لا يشك فى أن التربية الغربية هى من قبيل قوة تنحل بها عرى الروابط الاسلامية ا هـ.

---

(١) سر انحلال الأمة العربية ووهن المسلمين : ١٦١ .

وأنه الحق والواقع ولكن المسلمين غافلون عن ذلك فيسرعون الى تقليد أعدائهم ويسعون جهدهم للاندماج فيهم ليقال عنهم مفكرون متنورون .

تبين لنا أن وظائف المدرسة الأجنبية : هي وضع النير الأوروبي في أعناق المسلمين أولا وانحلال الرابطة الاسلامية ثانيا ، والتبشير بالنصرانية ثالثا ،وهو الذى يظهر ويختفى على حسب الفرصة "(١)

وقال عن تعليم المرأة على النمط الأوروبي ما يلي :

"... لا جدال بين ذوى النهى أن تعلم الرجل وتعلم المرأة صنوان لا ينفكان عن بعضهما غير أن المرأة هي أول ملقن للطفل دروس الحياة وهي المعلم الأول فيجب أن يعنى بتعليمها وتمرينها على حب الأمة والاعتقاد الحسن فى الدين والعمل بأحكامه والا كانت عاملا قويا من عوامل الانحلال .

مسكينة الأمة العربية الاسلامية خدعها أعداؤها أولا بأن العلم يضر بالمرأة ويفسدها فأصبحت عقيدة راسخة ينفر البسطاء منها ثم جاؤوا الينابمدحه والثناء عليه بشرط أن تتعلم المرأة فى مدارسهم وأسرعوا الى تأسيس مدارس الاناث العديدة زاعمين أنهم يريدون الخير وهم يقصدون الفساد والافساد دأبهم فى كل عمل يتعلق بالشرق أو الاسلام فيجعلون الوسائل الشريفة ذريعة للوصول الى المطامع الدنيئة كي تعمى الأعين عن مشاهدة عملهم القبيح ولا تتوجه الأذهان الى التفكر فى الخطط الاستعبادية فى حين أن مؤسساتهم التى يسمونها علمية يقصرون التحصيل فيها على معرفة تاريخهم ونشر لغتهم واشراك بقية اللغات الأوروبية والثناء على أعمالهم ومدح أزيائهم وبث التعليم المسيحى بالطرق التدريجية وتعميم الألعاب والموسيقى ولزوم اتباع الطرز الغربي المتلون والذى لا يتغير الا لجمع ما بيد الشرق من المال ليصبح الشعب فقيرا من الثروة كما أصبح فقيرا من الأخلاق "(٢)

---

(١) سر انحلال الأمة العربية ووهن المسلمين : ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٢) نفس المصدر : ٢٢٦ ،٢٢٧ .

أما الأستاذ مصطفى صادق الرافعى - رحمه الله - فقد كتب مقالا بعنوان " قنبلة بالبارود لا بالماء المقطر " كتبه تأييدا لما رفعه طلبة الكليات في الجامعة المصرية آنذاك* الى مديرها وعمدائها وأساتذتها - من المطالبة بادخال التعليم الدينى فى الجامعة والفصل بين الشبان و الشابات والذى قالوا فيه " لا إصلاح الا بعد إصلاح روح الشباب الناهض ، حتى يكون له من قوة روحه وسمو اخلاقه سلاح يحارب به الرذيلة وينصر به الفضيلة " وقالوا : "ولا شك أن الأمة بأسرها قد أحست بنقص الناحية الدينية فى المجتمع المصرى ونقص أخلاق الفرد ووطنيته تباعا "

قال الأستاذ الرافعى فى مقاله هذا ما يلى :

" حياكم الله يا شباب الجامعة المصرية ، لقد كتبتم الكلمات التى يصرخ منها الشياطين ..

كلمات لو انتسبن لانتسبت كل واحدة منهن الى آية مما نزل به الوحى فى كتاب الله . فطلب ... تعليم الدين لشباب الجامعة ينتمى الى هذه الآية : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ".

وطلب الفصل بين الشبان والفتيات يرجع الى هذه الآية " ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن .

وطلب إيجاد المثل الأخلاقى لهذه الأمة من شبابها المتعلم هو معنى الآية : " هذا بصائر للناس وهدى ورحمة ... "

قوة الأخلاق يا شباب ، قوة الأخلاق ، ان الخطوة الأولى المتقدمة تبدأ من هنا .... " (١)

ثم قال :

" يريد الشباب مع حقيقة العلم حقيقة الدين ، فإن العلم لا يعلم الصبر ولا الصدق ولا الذمة .

(*) كان ذلك فى شهر مارس عام ١٩٣٧م .

(١) وحى القلم : ١٨٤ ، ١٨٥ .

يريدون قوة النفس مع قوة العقل ، فإن القانون الادبى فى الشعب لا يضعه العقل وحده ولا ينفذه وحده .

يريدون قوة العقيدة ، حتى اذا لم يتفعهم فى بعض شدائد الحياة ما تعلموه نفعهم ما اعتقدوه " .(١)

ثم قال :

" وأحس الشباب معنى كثرة الفتيات فى الجامعة ، وأدركوا معنى هذه الرقة التى خلفتها الحكمة الخالقة .

والمرأة أداة إستمالة بالطبيعة ، تعمل بغير إرادة ما تعطه بالارادة ، لأن رؤيتها أول علمها .

نعم إن المغناطيس لا يتحرك حين يجذب ، ولكن الحديد يتحرك له حين ينجذب .

ومتى فهم أحد الجنسين الآخر ، فهمه بادراكين لا بادراك واحد !

وجمال المرأة إذا إنتهى الى قلب الرجل ، وجمال الرجل اذا استقر فى قلب المرأة ..

.. هما حينئذ معنيان . ولكنهما على رغم أنف العلم معنيان . متزوجان"(٢)

ثم قال :

" لا ، لا ، يا رجال الجامعة إن كان هناك شئ اسمه حرية الفكر فليس هناك شئ اسمه حرية الأخلاق .

وتقولون : أوروبا وتقليد أوروبا ! ونحن نريد الشباب الذين يعملون لاستقلالنا لا لخضوعنا لأوروبا .

وتقولون : إن الجامعات ليست محل الدين ، ومن الذى يجهل أنها بهذا صارت محلا لفوضى الأخلاق .

=====================

(١) نفس المصدر : ١٨٥ .

(٢) نفس المصدر : ١٨٦ ، ١٨٧ .

وتزعمون أن الشباب تعلموا ما يكفي من الدين في المدارس الابتدائية والثانوية فلا حاجة اليه في الجامعة !

أفترون الاسلام دروساً ابتدائية وثانوية فقط ، أم تريدونه شجرة تقرض هناك لتقلع عندكم . . .

لا ، لا يا رجال الجامعة ، ان قنبلة الشباب المجاهد تملأ بالبارود لا بالماء المقطر " (١)

ثم كتب مقالا آخر بعنوان " شيطان وشيطانه " بعد تتبع لما تنشره الصحف من تأييد للاختلاط ومعارضة لادخال تعليم الدين في الجامعة ، أو معارضة للاختلاط وتأييد لدعوة لإدخال التعليم الديني في الجامعة وخاصة سلسلة مقالات " فلان وفلانه " التي تتضمن مناهضة دعوة الطلاب لمنع الاختلاط وادخال التعليم الديني ، وكان يعرض بهذا المقال بالدكتور طه حسين ، وأحد تلميذاته في الجامعة ، وقد جعل هذه المقالة على شكل رؤيا رآها "

قال في مقدمة المقال :

" شغلني ما شغل الناس من حديث الجامعة المصرية ، وما أراده طلبتها من ورع يحجزهم عن محارم الله ، ودين يخلص به الايمان الى قلوبهم ، فلا يكون لفظ المسلم على المسلم كأنه مكتوب على ورقة ، ثم ما ابتغوه من الفصل بين الشبان والفتيات ، تطهيراً للطباع ونوازع النفس ، واتقاءً لسوء المخالطة ، وبعداً عن مطية الاثم ، وتوفيراً لأسباب الرجولة على الرجل والصفات الأنوثية على الأنثى .

وقرأت كل ما نشرته الصحف ، واتقصيت وبالغت ، ونظرت في الألفاظ ومعانيها ومعاني معانيها ، وكنت قبل ذلك أتتبع باب " فلان وفلانه " في المجلات الاسبوعية التي تكتب عن حوادث الاختلاط في الجامعة وتسمى الأسماء وتصف الأوصاف وتذكر النوادر ، فملأ كل ذلك صدري واجتمع الكلام يترجم نفسه الى رؤيا رأيتها وها أنذا أقصها " (٢)

---

(١) وحي القلم : ١٨٧ .
(٢) نفس المصدر : ١٨٩ .

الفصل الثانى : أثر العلمانية فى التعليم الرسمى

المبحث الثانى : الوضع التعليمى بعد الاستقلال .

المطلب الاول : المؤتمرات والقرارات الرسمية حول اهداف التعليم .

المطلب الثانى : الخطط الدراسية ونصيب مواد الدين منها .

المطلب الثالث : الاختلاط فى التعليم .

المطلب الرابع : نماذج من مقررات دراسية .

المطلب الخامس : آثار العلمانية فى التربية والتعليم .

—•—

المطلب الاول:

- المؤتمرات والقرارات حول أهداف التعليم ووسائله :

يلاحظ الباحث المدقق أن مؤتمرات التربية والتعليم العربية - سواء كانت على مستوى العالم العربي ، أم على مستوى كل دولة - وأن قرارات وقوانين كل دولة تركز على معاني القومية العربية ، والوطنية ، والديمقراطية ، والاشتراكية - في الدول التي تتخذ الاشتراكية منهجا لها - ولذا فإن الباحث يقع نظره دائما على عبارات من مثل :

* اعداد المواطن الصالح ؛
* التربية الوطنية الصحيحة ؛
* الايمان بالقومية العربية ؛
* الايمان بالوطن العربي .
* خلق اجيال عربية قومية .
* خلق جيل قومي عربي متحرر تقدمي .
* ايجاد الفرد المناضل من اجل تحقيق الوحدة العربية والحرية والاشتراكية
* اعداد المواطن الاشتراكي ، وغيرها .

وسوف أستعرض قرارات بعض المؤتمرات على مستوى العالم الاسلامي ، وعلى مستوى الدول ، وسياسات بعض الاحزاب ، ثم استعرض قرارات وقوانين بعض الدول خاصة فيما يتعلق باهداف التعليم .

وأول ما أرى أنه جدير بالذكر هي التوصيات المتعلقة بالمعلم سواء من ناحية اعداده ، أو من ناحية تحديد خصائصه ، ذلك لأهمية المعلم ودوره الخطير في تربية الناشئة ، لنعرف أى جيل يراد اخراجه من المعلمين ، ثم لنعرف نتائج هؤلاء المعلمين .

جاء في ديباجة توصيات مؤتمر إعداد المعلم العربي ما يلي :

" لما كان تدعيم القومية العربية وتنمية الايمان بها ، والنهوض بالمجتمع العربي هدفاً أساسياً لكل بلد عربي ، ولما كان تحقيق هذا الهدف يتطلب أن يكون المعلم في كل بلد عربي مؤمناً بقوميته العربية ، معتزاً بتراثه العربي حتى يستطيع أن ينقل هذه الروح الى التلاميذ .

رأت الحلقة أن توصي بوجوب العناية - في اعداد المعلمين لمختلف مراحل التعليم - بما يلي :

١- ....

٢- ....

٣- دراسة الدعائم والأسس التي تقوم عليها القومية العربية ، وابراز الاتصال التاريخي والجغرافي والثقافي بين اجزاء الوطن العربي ، وبيان أنه وحدة متكاملة يتأثر كل جزء منها بما يقع في الاجزاء الاخرى ويؤثر فيها ، مع دراسة الحركات القومية التي ادت الى توحيد بعض الامم في التاريخ الحديث " "١"

٤- ....

٥- ....

٦- ....

٧- تهيئة الجو العام في معاهد اعداد المعلمين بجميع الوسائل لتشبيع الطلاب بالقومية العربية ، وايقاظ الشعور العربي في نفوسهم واكسابهم روح الاعتزاز بالقومية العربية ، بحيث ينعكس ذلك على جميع مظاهر سلوكهم الفردي والاجتماعي والمهني " "٢"

---

١) حلقة اعداد المعلم العربي : ٣٨١ .

٢) المصدر نفسه : ٣٨٢ .

وجاء في التوصية السادسة لنفس المؤتمر مايلي :

" ترى الحلقة أن التربية الوطنية والسياسية والقومية ، تهدف الى غاية واحدة ، وأن المعلم لا يستطيع أن يعد المواطن الصالح الا اذا كان هو نفسه مواطناً صالحاً قادراً على تفهم المشكلات السياسية والاجتماعية. لذلك توصي الحلقة بأن يعطى المعلم حق إبداء آرائه السياسية ضمن الحدود التي تسمح بها قوانين البلاد ، على أن يحافظ في ذلك على صفات المربي فلا يتعصب لآرائه ولا تستغل وظيفته لنشرها والدعوة اليها ، بل يعرضها كما يعرض احدى القضايا العلمية ويفسح المجال لنقدها ومناقشتها "[1]

ففي هاتين التوصيتين تركيز على إبراز أهمية القومية العربية ودعوة الى دراسة الاسس التي تقوم عليها ، وتركيز آخر على اعداد المواطن الصالح . وبين المفهومين تناقض واضح فمفهوم القومية - المخالف للاسلام - أوسع من مفهوم إعداد المواطن الصالح - المخالف للاسلام - ففي الاسلام تركيز على اعداد الانسان الصالح . الذى يكون عدلاً ، وبراً في تعامله مع قومه ، او مع بني وطنه الذى يعيش فيه ، أو مع اى جنس آخر ، فهو في تعامله ينظر للامر من نظرة إسلامية واسعة لا تفرق بين قوم وقوم أو وطن ووطن وإنما تفرق بين كل منهم بحسب عملهم الصالح الذى وضعت له في الاسلام معايير .

وجاء في توصيات المؤتمر الثقافي العربي الرابع الذى عقد في دمشق عام ١٩٥٩ من مايلي :

" خصائص معلم التربية الوطنية ومؤهلاته : "٢" أن يؤمن بالوطن العربي وبالقومية العربية ، وأن يكون سلوكه الوطني بحيث لا يتعارض مع التربية الوطنية التي يوجه اليها تلاميذه .

---

١) نفس المصدر : ٣٨٣ .

٢) مستقبل التربية في العالم العربي : ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

٢ - أن يكون على بصيرة بأهداف قومه ومكانة أمته بين الشعوب وبالعلاقات الدولية التي تربط بينها وبين بلاد العالم .

٣ - أن يكون إعتزازه بقوميته ووطنه قائماً على اساس من الفهم والادراك والمنطق لا على أساس الانفعال العاطفي ،

٤ - أن يكون متجرداً من الهوى الحزبي أو التأثر الاجنبي والتيمية لمذهب من المذاهب الوافدة أو الدخيلة .

٥ - أن يكون متصلاً بالحياة العامة في البلاد إتصالاً يساعده على الربط بين دروس التربية الوطنية وواقع الحياة الاجتماعية والسياسية فيما حوله ." "١"

وجاء في ميثاق المعلم العربي الذى وافق عليه المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب الذى عقد بالكويت (١٧ - ٢٢ فبراير ١٩٦٨م) وأقرته الجامعة العربية في مارس من نفس العام مايلي :

١ - التمسك بالمبادىء الديمقراطية الصحيحة والايمان بها .

٢ - تحريك الاجيال العربية علميا وخلقيا وثقافيا وقوميا ." "٢"

والديمقراطية مبدأ غربي في الحكم لا حاجة للمسلمين به ففي نصوص القرآن والسنة فيما يتعلق بالحكم سواء كان على مستوى الدولة ،أو على مستوى الادارة المحلية مايكفي -والشورى والعدل ركيزتان اساسيتان للحكم في الاسلام ، وفيهما غناء عن الديمقراطية - .

وبعد الحديث عن المعلم ننتقل الى الحديث عن أهداف التربية وغاياتها والوسائل الموصلة اليها كما يراها ميثاق الوحدة الثقافية العربية (١٩٦٤م) وكما يراها المؤتمرون في المؤتمر الثقافي الثالث .

جاء في ميثاق الوحدة الثقافية العربية مايلي في مادته الاولى :

---

١) مستقبل التربية في العالم العربي : ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

٢) التعليم العام في البلاد العربية : ٨٩ ، ٩٠ .

" يكون هدف التربية والتعليم تنشئة جيل عربي واع مستنير يؤمن بالله مخلص للوطن العربي ، يثق بنفسه وبامته ويدرك رسالته القومية والانسانية ومتمسك بمبادئ الحق والخير والجمال ، ويستهدف المثل العليا الانسانية في السلوك الفردي والجماعي ،جيل يهيئ لافراده أن ينموا شخصياتهم بجوانبها كافة ويملكوا ارادة النضال المشترك ، وأسباب القوة والعمل الايجابي متسلحين بالعلم والخلق كي يسهموا في تطوير المجتمع العربي والسير به قدماً في معارج التطور والرقي في تثبيت مكانة الامة العربية المجيدة وتأمين حقها في الحرية والامن والحياة الكريمة " "١"

أما وسائل تحقيق ذلك فلعل توصيات المؤتمر الثقافي العربي الثالث ـ وان كان سابقا على الميثاق في الانعقاد ـ يعطينا صورة لما يراه ـ المؤتمرون ـ من وسائل تحقق الوطنية والقومية ، وقد كان من أبرز توصياته مايلي :

" أن توضح الكتب الدراسية في التاريخ والجغرافيا .. بحيث تؤدي الى التربية الوطنية الصحيحة ، وغرس فكرة القومية العربية ،وتحقيق الايمان بمهمة الامة العربية وبيان دورها في الحضارة الانسانية في الماضي والحاضر . " "٢"

- أن تكوّن أهدافنا القومية والتربوية الاطار العام الذى تؤلف فيه الكتب المدرسية ، وهذا بالاضافة الى أهداف كل مادة والغرض من تدريسها .
- أن تعالج موضوعات الكتاب المدرسي معالجة تنمي في التلاميذ والطلاب اتجاهات روحية وعقلية واجتماعية مرغوباً فيها كالاسلوب العلمي في التفكير والرغبة في الاستزادة من القراءة والايمان بالمثل العليا وقيم الامة العربية " "٣"

---

١) التعليم العام في البلاد العربية : ٦٧

٢ - ٣) المواد الاجتماعية وتدريسها الناجح : ١٠٤ ، ١٠٦ .

ولعل مؤلفي مقررات المطالعة والاناشيد وبعض مقررات التاريخ في مدارس المملكة العربية السعودية تقيدوا بهذه التوصيات إذ هم قد حشوا هذه المقررات بالتركيز على معاني الوطنية والعروبة ، رغم أن السياسة التعليمية التي وضعتها اللجنة الفرعية للتعليم ووافقت عليها اللجنة العليا لسياسة التعليم تركز على ان السياسة العليا للتعليم تعني باعداد الشباب المسلم ، والانسان الصالح وهي في نظر تعد أفضل مارأيت من خلال قراءاتي في سياسات التعليم .

أما المؤتمرات على مستوى كل دولة فسوف أعرض لقرارات مؤتمرات عقدت في الباكستان ، والسودان .

أما الباكستان فقد عقد مؤتمر في شهر نوفمبر عام ١٩٤٧ م كان من ضمن قراراته القرار الآتي :

" يجب أن تكون العقيدة الاسلامية هي أساس التربية في باكستان ، ويجب أن تعد العدة للتعليم الابتدائي العام ، ويجب الا يغيب عن بالنا التدريب على المواطنة وضرورة الاستغناء عن اللغة الانجليزية كلغة للتعليم ، ويجب اعادة تنظيم التربية الفنية " "١"

وفي عام ١٩٥٩ م شكلت لجنة للتعليم في باكستان وقد أصدرت عدة توصيات منها :

" يجب أن تكون الدراسات الاسلامية إجبارية على كل الطلاب المسلمين للسنوات الثمان الاولى ، اى في الصفوف الابتدائية والمتوسطة ، ويجب أن تكون اختيارية وفي المرحلة الجامعية تبقى هذه المواد اختيارية" "٢"

ويظهر أن المراد بأن تكون الدراسات الاسلامية اجبارية ، اختيارية أى أن الطالب مجبر على دراسة شيء من الدراسات الاسلامية والاختيار يكون بين نوع هذه الدراسات .

(١ - ٢) تقارير وبحوث مؤتمر التعليم الاسلامي العالمي الاول : ٩/٦ ، ٨ .

وقد أكدت الخطة الخمسية الرابعة للسنوات (١٩٧٠ - ١٩٧٥) على مايلي :

" يجب أن يبقى التعليم الديني اجباريا الى حدود المرحلة الثانوية وبالاضافة الى ذلك فقد أكدت الخطة على الهدف البعيد المدى الآتي :

يجب أن يكون من الممكن التأكد من أن مواد الدراسة العامة في الكليات والجامعات تعكس روح الاسلام . " "١"

وزاد برنامج التعليم المكثف التأكيد على ذلك فقد أعلن مايلي :

" تكون الدراسات الاسلامية اجبارية حتى الصف العاشر لكل الطلبة المسلمين ، مع التأكيد من خلو الكتب المدرسية مما يتنافى مع القيم الاسلامية الاخلاقية والثقافية ، او يتنافى معها ، ويجب أن تضمن عدم بقاء هذه الدراسات الاسلامية كفقرات منعزلة في منهج المدرسة بل يجب ان تكون روح الاسلام سائدة في سدى ولحمة كل نسيجنا التربوى " "٢"

ونحن اذا عقدنا مقارنة بين ما تضمنته قرارات المؤتمرات العربية وبين قرارات المؤتمرات المحلية الباكستانية فاننا نجد ان قرارات المؤتمرات المحلية الباكستانية كانت أفضل من مقررات المؤتمرات العربية للتربية والتعليم ، فإن التركيز في مقررات المؤتمرات الباكستانية - على أن تكون الدراسات الاسلامية اجبارية ، لا بل " أن تكون روح الاسلام سائدة في سدى ولحمة النسيج التربوى " ولم يكن هناك تركيز على المواطنة والقومية بل لم يرد لهما ذكر الا في اشارة عابرة في مؤتمر عام ١٩٤٧م وذلك لتخلصهم القريب من الاستعمار البريطاني ، أما مؤتمرات التربية العربية سواء على المستوى العالم العربي أم على المستوى المحلي فإن التركيز واضح على القومية والوطنية ولا ذكر للدراسات الاسلامية ولا اهتمام بها ، ذلك لان الدراسات الاسلامية تمثل في نظر كثير من " التربويين " في العالم العربي الفكر الرجعي ، وهم يريدون التقدم والتطور والتخلص من الرجعية والتأخر .

(١ - ٢) المرجع السابق : ٩/١٤١٣

ومع كل ماسبق بالنسبة لباكستان فإن " الكولونيل عثماني " ينقد الوضع القائم لأن الاهداف التي سبق أن ذكرناها لم تتحقق يقول في ذلك :

" اذا اخذنا من التصريحات المتعلقة بالسياسة والخطط في التسع والعشرين سنة الماضية فإننا قد نفترض أن باكستان يجب أن يكون قد تحول الى مجتمع مسلم مثالي ، غير أن باكستان اليوم بعيدة عن ذلك . ولذلك فالسؤال الواضح الآن لماذا انحرف الباكستانيون عن هدفهم المعلن واتخذوا طريقاً آخر مختلفاً جداً ، وعلى الاقل هناك شيء واحد أكيد هو أنه لم يتحقق أبداً أن تتخذ التربية وسيلة لتثبيت العقيدة الاسلامية بشكل يتوافق مع العصر الحديث وفي التطبيق العملي فإن الاهداف المنوه عنها لم تتحقق .

ولقد إستمر التأثير الغربي سائداً في حقل التربية وكذلك في كل مجال آخر في المجتمع وبقي الانقسام بين العلم الحديث والدين متزايداً وإن أحد أسباب هذا الوضع هو قلة الاهتمام بالتربية في السنوات السابقة ، فالاولوية الكبرى كانت تعطى للنمو الاقتصادى بالقفزات التصنيعية والزراعية السريعة باستخدام التكنولوجيا الغربية التي كانت تستلزم تعلم المعرفة العلمية الغربية وتمثلها " "١"

وبعد هذا لننظر فيما جاء في المؤتمر المحلي الذى عقد في السودان في نهاية ١٩٦٩م فسوف نجد أن المؤتمر حدد أهداف التربية والتعليم في السودان بالعمل على تحقيق أمور منها :

١ ـ المواطنة الايجابية في نطاق قومي شامل يرتبط في نفس الوقت بالتراث العربي والاسلامي والافريقي والانسانية جميعا " "٢"

---

١) تقارير وبحوث المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي : ١٥/٩ .
٢) التعليم العام في البلاد العربية : ٢٥٧

فاذا انتقلنا الى مارسمته بعض الاحزاب من أهداف للتربية والتعليم فإننا نجدها لا تخرج عن نطاق تأكيد القومية والوطنية ، ومحاربة الرجعية وغيرها من الشعارات .

فقد جاء في دستور حزب البعث في فصل " سياسة الحزب في التربية والتعليم مايلي " :

" ترمي سياسة الحزب التربوية الى خلق جيل عربي يؤمن بوحدة أمته وخلود رسالتها ، آخذ بالتفكير العلمي ، طليق من قيود الخرافات والتقاليد الرجعية مشبع بروح التفاؤل والنضال والتضامن مع مواطنيه في سبيل تحقيق الانقلاب العربي الشامل وتقدم الانسانية . ولذا فالحزب يقرر :

* طبع كل مظاهر الحياة الفكرية والاقتصادية والسياسية والعمرانية والفنية بطابع قومي عربي يعيد للأمة صلتها بتاريخها المجيد ويحفزها الى ان تتطلع الى مستقبل أمجد وأمثل " "١"

وجاء في الميثاق الوطني للجبهة القومية في اليمن الجنوبي الذى وافق عليه المؤتمر الاول للجبهة الذى إنعقد في الفترة بين (٢٢ - ٢٥ يونية ١٩٦٥م) مايلي :

" .. ان وضع خطة تعليمية شاملة يجب أن يكون متمشياً مع أهداف الثورة لخلق اجيال عربية قومية وإعداد الكفاءات الفنية والعلمية التي تتطلبها خطط التنمية الاقتصادية وتحتاجها كافة المجالات ومختلف مرافق الحياة" "٢"

---

١) حولية الثقافة العربية : ١٩٩/٢ .

٢) التعليم العام في البلاد العربية : ٣٦١ .

وهكذا يتضح من المقارنة أبعد ماقررته المؤتمرات المحلية الباكستانية افضل - وان لم يطبق - مما قررته المؤتمرات العربية على مستوى العالم العربي أو على مستوى كل دولة .

فاذا انتقلنا الى رصد ماقررته كل دولة من دول العالم العربي من أهداف ووسائل للتعليم عموما ، او لكل مرحلة من المراحل الثلاث على حدة فاننا نجد أن نفس الامور التي تركز عليها المؤتمرات العربية للتربية والتعليم ، وهي المواطنة ، والعروبة ، والديمقراطية ، والاشتراكية ، ومحاربة الرجعية ، هي التي تركز عليها قرارات وقوانين الدول كل على حدة .

فقد جاء في الفصل الثاني من قانون التربية والتعليم في الاردن الصادر عام ١٩٦٤ م بيان الاهداف العامة للتعليم وكان من ضمنها :

" .. اعداد المواطن الصالح المؤمن بالله والمثل العليا للأمة العربية المتمسك بجميع حقوق المواطنة والمتحمل للمسئوليات المترتبة عليها " "١"

وقد حدد الدستور العراقي في المادة ٢٨ منه أهداف التربية والتعليم في الآتي :

" يستهدف التعليم رفع وتطوير المستوى الثقافي العام وتنمية التفكير العلمي واذكاء روح البحث العلمي ، وتلبية متطلبات مناهج التطوير والانماء الاقتصادية والاجتماعية وخلق جيل قومي متحرر تقدمي قوى في بنيته واخلاقه يعتز بشعبه ووطنه وتراثه ، ويتحسس بحقوق قومياته كأمة ويناضل ضد الفلسفة الرأسمالية والاستغلال والرجعية والصهيونية والاستعمار من أجل تحقيق الوحدة العربية والحرية والاشتراكية " "٢"

وجاء في التوجيهات التي كانت تصدرها المناهج في الخمسينات في القرن الميلادى الحالي مايلي في بيان أهداف التعليم الابتدائي :

---

١) ، ٢) التعليم العام في البلاد العربية : ٩٧ ، ١٩٤ .

" ١ - ان هدف التعليم الابتدائي بث الثقافة العامة في الجيل الناهض وتنشئة جيل مزود بما تتطلبه الحياة المدنية من معلومات عامة ، وتفكير صحيح وجسم قوى ، وأخلاق متينة ، وروحيات سامية ، وذوق سليم ، ويد عاملة ، واخلاص وتضحية في سبيل الامة والوطن " "١"

أما أهداف التعليم في مصر فقد حددتها السياسة التعليمية في مصر التي صدرت بقرار من مجلس الوزراء عام ١٩٧٢م ان جاء فيه مايلي :

" ١ - تكوين الطالب في مختلف مراحل التعليم وأنواعه تكوينا سليماً من النواحي العقلية والجسمية والخلقية والاجتماعية والقومية والدينية بحيث يصبح مواطناً اشتراكياً ودركاً لواجباته نحو ربه واسرته ووطنه " "٢"

وهذه الاهداف نفسها هي التي ركز عليها القانون رقم ٦٨ لعام ١٩٦٨م باختلاف يسير في الالفاظ .

أما عن أهداف التعليم الابتدائي في مصر فقد نص القانون رقم ٢١٣ لسنة ١٩٥٦م على مايلي :

" أ - مساعدة الطفل على النمو المتكامل في النواحي الجسمية والعقلية والوجدانية والاجتماعية والروحية - الى أقصى حد تمكنه قدراته واستعداداته "

ب - .....

جـ - تنشئته على الاعتزاز بالوطن وبقوميته العربية .

د - تربيته للحياة في المجتمع الديمقراطي الاشتراكي " "٣"

----

١) حولية الثقافة العربية : (١/ ٢١٩ ، ونفس الهدف لم يتغير وان اختلفت الصياغة عام ١٩٦٨م حيث صدر قانون التعليم الابتدائي برقم ٦٣ (انظر التعليم العام في البلاد العربية ١٩٦) .

٢) حول التعليم الابتدائي ونظمه : ٨٠ .

٣) نفس المصدر : ٤٦ ، وانظر التاريخ الثقافي للتعليم في مصر : ٢٣١ .

أما قانون التعليم العام الصادر في عام ١٩٦٨ م فيحدد أهداف التعليم الابتدائي في الآتي :

" تهدف مرحلة التعليم الابتدائي الى تنمية الاطفال عقليا وجسميا وخلقيا واجتماعيا وقوميا وتزويدهم بالقدر الاساسي من المعارف البشرية والمهارات الفنية والعملية التي لاغنى عنها للمواطن الصالح المستنير لشق طريقه في الحياة بنجاح بعد تأهيله مهنياً أو لمواصلة الدراسة في المرحلة التعليمية التالية " "١"

أما أهداف المدرسة الاعدادية حسب قانون " ٥٥ " لسنة ١٩٥٧ م فقد حددت في مصر بامور منها :

" ٤ - اعداد التلاميذ للحياة في المجتمع الديمقراطي الاشتراكي .

٥ - تعريف التلاميذ بمفاهيم القومية العربية وتقوية اعتزازهم بالوطن العربي " "٢"

أما أهداف التعليم الثانوى بمصر فقد حددها القانون الحالي* بالآتي :

" تهدف مرحلة التعليم الثانوى فضلا عن الارتقاء بالاعداد العام للطلاب جسميا وخلقيا واجتماعيا وقوميا الى تزويدهم بما يحتاجون اليه من العلوم والآداب والفنون والمهارات العلمية بما يمكنهم من مواصلة الدراسة بمرحلة التعليم العالي والجامعي " "٣"

وهي أخف وطأة من الاهداف التي كانت موضوعة للتعليم الثانوى قبل القانون الحالي ، فقد كان من ضمن أهداف التعليم الثانوى سابقا مايلي :

---

١) التعليم العام في البلاد العربية : ٣٠٥ .

٢) التاريخ الثقافي للتعليم في مصر : ٢٣٩ .

٣) التعليم العام في البلاد العربية : ٣٢٠ - ٣٢١

* القانون الحالي هو القانون رقم ٦٨ لسنة ١٩٦٨ م

" ٣ - اعداد الطالب للحياة في المجتمع الاشتراكي الديمقراطي .

٥ - تدعيم الثقافة القومية للطالب وايمانه بالقومية العربية " "١"

أما التعليم الفني فقد كان من اهدافه مايلي :

" ٢ - اعداد المواطن الاشتراكي الديمقراطي الذى يفكر ويتصرف في عمله ومجتمعه وفق المبادىء الاشتراكية الديمقراطية " "٢"

فاذا انتقلنا الى سوريا فإننا نرى أن المادة الاولى من قانون المعارف الصادر في ٢١/١٢/١٩٤٤ برقم ٤٠ ينص على مايلي :

" مهمة وزارة المعارف الاساسية هي تربية الجيل الجديد تربية صالحة من جميع الوجوه البدنية والخلقية والفكرية - لينشأ كل فرد من أفراده قوى البدن ، حسن الخلق وصحيح التفكير ، محباً لوطنه ، معتزاً بقوميته مدركاً لواجباته ، ومزوداً بالمعلومات التي يحتاج اليها في حياته .. " "٣"

أما الهدف من التعليم كما حدد بعد ثورة ٨ / مارس / ١٩٦٣م فانه مايلي :

" الهدف من نظام التعليم والثقافة انشاء جيل عربي قومي إشتراكي علمي التفكير مرتبط بتاريخه معتز بتراثه مشبع بروح النضال من أجل تحقيق أهداف أمته في الوحدة والحرية والاشتراكية وفي خدمة الانسانية وتقدمها .

" تشجيع الدولة الثقافة القومية الاشتراكية التي تهدف الى تحقيق المثل العليا للأمة العربية وقضايا الانسانية وتعتبرها اساسا لبناء المجتمع"

---

١) التاريخ الاجتماعي للتعليم في مصر : ٢٤٣

٢) التاريخ الثقافي للتعليم في مصر : ٢٥٢

٣) حولية الثقافة العربية : ١/ ٨٩ ، ونفس الاهداف تضمنها القرار الصادر عام ١٩٥٩م برقم ١٥٣٢ باختلاف يسير في الالفاظ .

" تعتبر العلوم والابحاث وكل مايتم التوصل اليه من منجزات علمية أساسية لتقدم المجتمع العربي الاشتراكي ، وعلى الدولة أن تقدم الدعم الشامل " "١"

أما أهداف التعليم الابتدائي في سوريا فقد حددها في النظام الداخلي للمدارس الابتدائية ـ وهو المعمول به حاليا ـ وقد تضمن الاهداف الآتية :

" ١ ـ العمل على اكساب التلاميذ العادات الصالحة والصفات المثلى وتكوين الاتجاهات القويمة فيهم ، وتنمية مهاراتهم وقدراتهم واستعداداتهم الجسمية والفكرية والفنية " .

٤ ـ ترشيح روح الاعتزاز بالامة العربية والنضال من أجل اقامة دولة عربية واحدة في وطن عربي حر " "٢"

وتتضمن اهداف المرحلة الابتدائية في ليبيا الهدفين التاليين :

" ١ـ تنمية الاطفال عقليا وجسميا وخلقيا واجتماعيا وقوميا .

٢ـ تزويد الاطفال بالقدر المناسب والاساسي لمعرفة البشرية ، والمهارات الفنية والعملية التي لاغنى عنها للمواطن الصالح المستنير لكي يشق طريقه في الحياة بعد تدريب مناسب " "٣"

أما في اليمن الشمالي فقد حددت الخطة الخمسية الاولى (١٩٧٠ ـ ١٩٧٥) أهداف التعليم الابتدائي بأنها تعمل على :

- تربية جيل صالح متسامح يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . ويتمسك بالدين ويقدس المثل العليا ويتحلى بالفضيلة ويحترم التقاليد ويؤمن بوطنه ووحدة اراضيه .

---

١) التعليم العام في البلاد العربية : ١٨٠ ، ١٨١ .

٢) نظم التعليم : ٦٥

٣) حول التعليم الابتدائي ونظمه : ١٠٧ ، ١٠٨ .

- تبصير التلاميذ بمشكلات أمتهم العربية وتعميق الايمان في نفوسهم باهمية وحدة العرب وازالة الحواجز بينهم " "١"

أما الأسس القومية والاجتماعية للمناهج بعد توحيد المناهج والخطط* بين ليبيا ومصر فقد كان منها :

٣ - ان تجلو المناهج جوانب التراث العربي الاسلامي ، باعتباره مقوماً من ابرز مقومات القومية العربية وله دوره الواضح في بناء الحضارة الانسانية .

٦ - ان تغني المناهج بدراسة التاريخ العربي والاسلامي بما يشتمل عليه من سير ونظم واتجاهات تبرز البطولة والفضائل العربية وأن تكشف الدراسة عن أمجاد العرب والمسلمين وحضارتهم ووقوفهم ضد الطغيان ومؤامرات الاستعمار عبر العصور ، كما تكشف عن ابطال العرب والمسلمين الناشئين وعلمائهم في شتى ميادين السلم والحرب " "٢"

أهداف التعليم في المملكة العربية السعودية

لم يكن يوجد قبل إصدار السياسة العامة للتعليم بالمملكة العربية السعودية - التي أعدتها اللجنة الفرعية لسياسة التعليم - أهداف عامة مكتوبة للتعليم عامة فيما أعلم ، وانما كان يذكر - في التعاميم التي يرد فيها بيان المنهج لكل مرحلة - أهداف هذه المرحلة ، ويذكر مع بيان منهج كل مادة أهداف هذه المادة ، وبعد أن أعدت اللجنة الفرعية لسياسة التعليم " السياسة العامة للتعليم في المملكة العربية السعودية " فُصّل في هذه السياسة ، الغاية من التعليم عامة ، وأهداف التعليم عامة ، وقد تضمنت ثلاثة وثلاثين هدفاً ، كما تضمنت أهداف دور الحضانة ورياض الاطفال ، وأهداف كل من المراحل " الابتدائية ، والمتوسطة ، والثانوية ، والعالية " .

---

١) التعليم العام في البلاد العربية : ٣٥٠/٣٥١

*) قد اختلف النظامان كما يبدو ، وبذا فإن توحيد المناهج قد الغي .

٢) حول تعليم الابتدائي ونظمه : ١١٠ ، ١١١

وسوف أقتصر هنا على ذكر الغاية من التعليم عامة ، ثم أذكر أهداف كل من المراحل " الابتدائية والمتوسطة والثانوية " وأهداف تعليم البنات خاصة ، واعداد المعلم واعداد المناهج والمفردات الدراسية ومايجب أن يسير عليه تعليم البنات ، واعداد المعلمين ، والمناهج والمقررات ،

أما أهداف التعليم عامة فلعل ذكر الغاية من التعليم عامة وأهداف كل مرحلة من مراحل التعليم العام يغني عن ذكر هذه الاهداف سيما وهي طويلة نسبيا ، أما اهداف التعليم العالي فإني لا اذكرها لاني رأيت أن اقتصر على ذكر أهداف التعليم العام فقط والآن ، ماهي الغاية من التعليم كما حددته السياسة العامة للتعليم ؟ وماهي أهداف كل مرحلة من مراحل التعليم؟ هذا هو ما سأذكره في الفقرات الآتية :

الغاية من التعليم :

حددت السياسة العامة للتعليم ، الغاية من التعليم في الآتي :

" ٢٨ - غاية التعليم فهم الاسلام فهماً صحيحاً متكاملاً ، وغرس العقيدة الاسلامية ونشرها وتزويد الطالب بالقيم والتعاليم الاسلامية والمثل العليا ، واكسابه المعارف والمهارات المختلفة وتنمية الاتجاهات السلوكية البناءة ، وتطوير المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، وتهيئة الفرد ليكون عضوا نافعاً في بناء مجتمعه " "١"

أهداف التعليم الابتدائي :

حددت السياسة العامة للتعليم اهداف التعليم الابتدائي في الآتي :

" ٧٣ - تعهد العقيدة الاسلامية الصحيحة في نفس الطفل ورعايته بتربية اسلامية متكاملة في خلقه وجسمه وعقله ولغته وانتمائه الى امة الاسلام "

---

(١) تاريخ التعليم في مكة المكرمة : ٣١٨ .

٧٤ - تدريبه على إقامة الصلاة وأخذه بآداب السلوك والفضائل .

٧٥ - تنمية المهارات الأساسية المختلفة وخاصة المهارة اللغوية والمهارة العددية والمهارات الحركية .

٧٦ - تزويده بالقدر المناسب من المعلومات في مختلف الموضوعات

٧٧ - تعريفه بنعم الله عليه في نفسه وفي بيئته الاجتماعية والجغرافية ليحسن استخدام النعم وينفع نفسه وبيئته .

٧٨ - تربية ذوقه البديعي وتعهد نشاطه الابتكاري ، وتنمية تقدير العمل اليدوي لديه .

٧٩ - تنمية وعيه ليدرك ماعليه من الواجبات وماله من الحقوق ، في حدود سنه وخصائص المرحلة التي يمر بها وغرس حب وطنه والاخلاص لولاة امره .

٨٠ - توليد الرغبة لديه في الازدياد من العلم النافع والعمل الصالح وتدريبه على الاستفادة من أوقات فراغه .

٨١ - اعداد الطالب لما يلي هذه المرحلة من مراحل حياته "(١)

أهداف التعليم المتوسط :

حددت السياسة العامة للتعليم أهداف التعليم المتوسط في الآتي :

٨٣ - تمكين العقيدة الاسلامية في نفس الطالب وجعلها ضابطة لسلوكه وتصرفاته ، وتنمية محبة الله وتقواه وخشيته في قلبه .

٨٤ - تزويده بالخبرات والمعارف الملائمة لسنه ، حتى يلم بالاصول العامة والمبادىء الاساسية للثقافة والعلوم .

٨٥ - تشويقه الى البحث عن المعرفة وتعويده التأمل والتتبع العلمي .

---

١) سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية نقلا عن المصدر السابق : ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

٨٦ - تنمية القدرات العقلية والمهارات المختلفة لدى الطالب وتعهدها بالتوجيه والتهذيب.

٨٧ - تربيته على الحياة الاجتماعية الاسلامية التي يسودها الاخاء والتعاون وتقدير التبعة وتحمل المسئولية .

٨٨ - تدريبه على خدمة مجتمعه ووطنه وتنمية روح النصح والاخلاص لولاة أمره .

٨٩ - حفز همته لاستعادة أمجاد أمته المسلمة التي ينتمي اليها واستئناف السير في طريق العزة والمجد .

٩٠ - تعويده الانتفاع بوقته في القراءة المفيدة واستثمار فراغه في الأعمال النافعة وتصريف نشاطه بما يجعل شخصيته الاسلامية مزدهرة قوية .

٩١ - تقوية وعي الطالب ليعرف - بقدر سنه - كيف يواجه الاشاعات المضللة ، والمذاهب الهدامة والمبادىء الدخيلة .

٩٢ - إعداده لما يلي هذه المرحلة من مراحل الحياة " "١"

أهداف التعليم الثانوى :

حددت السياسة العامة للتعليم أهداف المرحلة الثانوية بالآتي :

٩٤ - متابعة تحقيق الولاء لله وحده وجعل الاعمال خالصة لوجهه ومستقيمة - في كافة جوانبها - على شرعه .

٩٥ - دعم العقيدة الاسلامية التي تستقيم بها نظرة الطالب الى الكون والانسان والحياة الدنيا والاخرة ، وتزويده بالمفاهيم الاساسية والثقافة الاسلامية التي تجعله معتزاً بالاسلام قادراً على الدعوة اليه والدفاع عنه .

---

١) سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية ، المصدر السابق : " ٣٢٥ ، ٣٢٦ " .

٩٦ - تمكين الانتماء الحي لأمة الاسلام والحاملة لراية التوحيد .

٩٧ - تحقيق الوفاء للوطن الاسلامي العام وللوطن الخاص - (المملكة العربية السعودية) - بما يوافق هذه السن من تسام في الافق وتطلع الى العلياء وقوة في الجسم .

٩٨ - تعهد قدرات الطالب ، واستعداداته المختلفة التي تظهر في هذه الفترة وتوجيهها وفق مايناسبه وما يحقق أهداف التربية الاسلامية في مفهومها العام .

٩٩ - تنمية التفكير العلمي لدى الطالب وتعميق روح البحث والتجريب والتتبع المنهجي واستخدام المراجع والتعود على طرق الدراسة السليمة .

١٠٠ - اتاحة الفرصة أمام الطلاب القادرين واعدادهم لمواصلة الدراسة - بمستوياتها المختلفة - في المعاهد العليا والكليات الجامعية في مختلف التخصصات .

١٠١ - تهيئة سائر الطلاب للعمل في ميادين الحياة بمستوى لائق .

١٠٢ - تخريج عدد من المؤهلين مسلكيا وفنيا لسد حاجة البلاد في المرحلة الاولى من التعليم والقيام بالمهام الدينية والاعمال الفنية (من زراعية وتجارية وصناعية) وغيرها .

١٠٣ - تحقيق الوعي الاسرى لبناء اسرة اسلامية سليمة .

١٠٤ - إعداد الطلاب للجهاد في سبيل الله روحياً وبدنياً .

١٠٥ - رعاية الشباب على أساس الاسلام ، وعلاج مشكلاتهم الفكرية والانفعالية ومساعدتهم على اجتياز هذه الفترة الحرجة من حياتهم بنجاح وسلام .

١٠٦ - إكسابهم فضيلة المطالعة النافعة والرغبة في الازدياد من العلم النافع والعمل الصالح واستغلال أوقات الفراغ على وجه مفيد تزدهر به شخصية الفرد وأحوال المجتمع .

١٠٧ - تكوين الوعي الايجابي الذى يواجه به الطالب الافكار الهدامة والاتجاهات المضللة . "١"

تعليم البنات أهدافه ومايجب ان يسير عليه :

حددت السياسة العامة للتعليم ذلك في الآتي :

١٥٣ - يستهدف تعليم الفتاة تربيتها تربية صحيحة إسلامية لتقوم بمهمتها في الحياة فتكون ربة بيت ناجحة وزوجة مثالية وأما صالحة ، ولاعدادها للقيام بما يناسب فطرتها كالتدريس والتمريض والتطبيب.

١٥٤ - تهتم الدولة بتعليم البنات وتوفر الامكانيات اللازمة ما أمكن لاستيعاب جميع من يصل منهن الى سن التعليم ، واتاحة الفرصة لهن في أنواع التعليم الملائمة لطبيعة المرأة الوافية بحاجة البلاد .

١٥٥ - يمنع الاختلاط بين البنين والبنات في جميع مراحل التعليم الا في دور الحضانة ورياض الاطفال .

١٥٦ - يتم هذا النوع من التعليم في جو من الحشمة والوقار والعفة ويكون في كيفيته وأنواعه متفقاً مع احكام الاسلام . "٢"

اعداد المعلم :

حددت السياسة العامة للتعليم أهداف إعداد المعلم بعشرة أهداف أذكر منها هنا هدفين ، لان بقية الاهداف اهداف اجرائية : .

---

١) سياسة التعليم في المملكة : المصدر السابق : ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

٢) نفس المصدر : ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

" ١٦٣ - تكون مناهج إعداد المعلمين في مختلف الجهات التعليمية وفي جميع المراحل وافية بالأهداف الأساسية التي تنشدها الأمة في تربية جيل مسلم يفهم الاسلام فهماً صحيحاً عقيدة وشريعة ويبذل جهده في النهوض بأمته .

١٦٤ - يعني بالتربية الاسلامية واللغة العربية في معاهد وكليات إعداد المعلمين حتى يتمكنوا من التدريس بروح اسلامية عالية ولغة عربية صحيحة " "١"

ومن هذا القبيل نصت السياسة للتعليم في أحد موادها على قضية إختيار القائمين على التربية والتعليم " فقد جاء في المادة ١٩٥ مايلي :

" ١٩٥ - يتم اختيار القائمين على التربية والتعليم من ذوى الكفاية العلمية والتربوية والفنية والخلق الاسلامي النبيل " "٢"

المناهج والكتب الدراسية :

حددت السياسة العامة للتعليم أهداف إعداد المناهج بهدفين أذكر أحدهما لان الهدف الآخر هدف اجرائي :

" ٢٠٧ - ينبغي أن تكون هذه المناهج :

أ - منبثقة من الاسلام ومن مقومات الامة وأسس نظامها .

ب - موافقة لحاجات الامة ترمي الى تحقيق أهدافها .

جـ - مناسبة لمستوى الطلبة .

د - محققة للمستوى المطلوب في الدارسين ولأهداف التعليم .

هـ - متوازنة ، ومرنة ، توافق مختلف البيئات والاحوال " "٣"

(١ - ٣) سياسة التعليم في المملكة : المصدر السابق : " ٣٣٧ ، ٣٤٢ .

أما أهداف إعداد الكتاب المدرسي فقد حددت بثلاثة أهـــداف ، هدفان منها اجرائيان ، ولذا فلن أذكرهما بل أكتفي بالهدف الثالث :

" ٢٠٩ - يكون الكتاب المدرسي منسجما مع مقتضيات الاسلام ، سليم اللغة وافيا بأهداف المنهج ومقاصده العلمية والعمليـــة والخلقية "(١)

ولدى المقارنة بين أهداف التعليم في المملكة العربية السعودية عامة وأهداف كل مرحلة على حدة ـ بالاهداف التي وضعت في الدول التي ذكرت أهداف التعليم لديها ـ فإننا نجد أن أهداف التعليم في المملكة العربيـــة السعودية أفضل من أهداف التعليم في الدول الاخرى كلها ، ففي أهـــداف التعليم في المملكة لاتوجد أهداف من مثل " انشاء جيل عربي قومي اشتراكي " ولا هدفا مثل " اعداد الطالب للحياة في المجتمع الاشتراكي الديمقراطي " وانما هي تركز على تمكين العقيدة في نفوس الناشئة ، وتحقيق الولاء للـــه وحده سبحانه ، وتمكين الانتماء الحي الى الامة الاسلامية في نفوس الناشئة ، بشتى الوسائل .

أما مافي هذه الاهداف من مايشعر بالوطن وحبه والوفاء له ، فإن المقصود بذلك الوفاء للوطن الكبير " العالم الاسلامي " والوطن الصغير ـ " المملكة " بدرجة متساوية لا من أجل الارض والتراب ، وانما لانها ديـــار الاسلام والمسلمين الذين يؤمنون بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ، ولأن المملكة بخاصة تضم الحرمين الشريفين ، وحقها على كـــل مسلم ومنهم الطلاب في هذه البلاد حق زائد على حقوق البلاد الاخرى ، هذا هو المقصود فيما اعتقد من ذكر الوطن وحبه والوفاء له ، لأن هذا هـــو الذى ينسجم مع بقية الاهداف التي تتضمنها السياسة العامة للتعليم .

---

١) سياسة التعليم في المملكة : المصدر السابق : ٣٤٤

وهنا لابد من التأكيد على ان السياسة العامة للتعليم في المملكة العربية السعودية " تعد في نظرى أنموذجاً يجب أن نقتدى به ، وأن يعم بلاد المسلمين كلها لما تتضمنه من أهداف اذا نفذت في الواقع العملي ضمنا إعداد وتربية جيل مؤمن صالح يعمل لاصلاح حال البشر ، واذا كان الأمر كذلك فلا بد من الاستمرار في تنفيذ هذه السياسة في المملكة العربية السعودية لاسيما وأن ماتضمنته من أهداف يؤيدها الشرع والواقع ، وكمثال على ذلك الهدف الذى ينص على منع الاختلاط في التعليم في كافة مراحله هدف ورد به الشرع وأيده الواقع المعاشى في العالم كله كما سأوضح ذلك عند الحديث عن الاختلاط في التعليم .

المطلب الثاني:

الخطط الدراسية ونصيب مواد الدين فيها :

فيما ذكرت في الفقرة السابقة من قرارات المؤتمرات وقوانين الحكومات ، وفيما ذكرت من آراء التربويين في الفصل السابق يتضح أن الدين لم يكن لـه ذكر ، حتى ولا للتبرك ، ماعدا ماورد في قرارات مؤتمرات باكستان المحلية ، ورغم ذلك فهي لم تنفذ كما قال الكونوتيل عثماني - وإذا كانت المؤتمرات على مستوى العالم العربي ، وكتابات التربويين وهم الذين يشتركون في المؤتمرات التربوية التي يُوصي فيها بأمور غالبا ما تطبق. لا تهتم بالعلوم الشرعية ، بل إن بعض التربويين يصدر منهم كتابات تهاجم الدين وتصفه بالرجعية وتصف المتمسكين فيه بالرجعيين - فإن قرارات الحكومات وقوانينها فرع لهذه الاصول لان هذه الاصول - اعني التربويين - هي التي تقرر ، ولذا فان الانسان لا يتوقع من اكثر الحكومات أن تهتم بتدريس الدين - كميا أو كيفيا - وهذا هو الواقع بالفعل ، فإن نصيب مواد الشرعية في المراحل الثلاث من خطط الدراسة هو اقل الانصبة ، واحياناً في بعض الخطط قد تزيد حصص الموسيقى ، او التربية الرياضية ، او التربية الفنية ،عن حصص الدين ،واحيانا تساويها ، اما اللغة الاجنبية فإنها في أغلب الخطط تزيد على حصص المواد الشرعية هذا من الناحية الكمية . وليست الناحية الكمية هي التي تعطي هذه المسألة حجمها ووزنها الصحيح غير أنها تشكل مع الناحية الكيفية المتمثلة في تدريس هذه المواد ، وموضوعات هذه المواد ، من جهة ، ومدى هيمنة التصور الاسلامي الصحيح على كافة المقررات الدراسية ، من مواد الدين ، الى مواد العلوم والاجتماعيات ، والانجليزى واللغة العربية من جهة أخرى إطاراً واحدا يمكن من خلاله الحكم على مدى قرب المنهج من التصور الاسلامي أو بعده عنه .

والواقع المؤسف أن نصيب المواد الشرعية من الخطط في أغلب البلاد الاسلامية نصيب ضئيل من الناحيتين الكمية والكيفية ، فعدد حصص

الدين قليل ، والموضوعات التي تدرس ، قليلة ، وتقتصر على مايسمى بالجانب العبادى من الدين ، دون الجوانب الأخرى ، كالمعاملات والحدود والاحوال الشخصية ، ويدرس هذا الجانب بكيفية سيئة لا تفيد الدارسين ، ولا تنشؤهم تنشئة اسلامية صحيحة .

واليك نماذج من خطط بعض الدول العربية ، وسوف أستعرض لكل دولة مما أذكر مجموعة من الخطط لسنوات متعددة حتى نقيس مدى التحسن أو عكسه فيما خصص للمواد الشرعية من حصص في الخطط . وابدأ بالاردن :

يلاحظ أن نصيب القرآن والديانة في المرحلة الثانوية في الاردن حسب خطة عام ١٩٥١/٥٠م كانت على التوالي $\frac{٢}{٣٥}$ في السنوات الاربع أى أى مايعادل (٥ر٧٢ ٪) من عدد ساعات الدراسة الـ ٣٥ .

بينما كان نصيب اللغة الانجليزية هو $\frac{٨}{٣٥}$ في السنتين الاولى والثانية اى مايعادل (٢٢٫٨٦ ٪) من عدد ساعات الدراسة الـ ٣٥ وكان نصيبها في السنتين الثالثة والرابعة (أدبي) هو $\frac{٩}{٣٥}$ اى مايعادل (٢٥ر٧٢ ٪) وكان نصيبها في السنتين الثالثة والرابعة (علمي) هو $\frac{٦}{٣٥}$ اى مايعادل (١٧ر١٦ ٪) "١"

وبهذا يكون نصيب اللغة الانجليزية في السنوات الاربع يعادل -
(٩١ ر ٢١ ٪) من مجموع الساعات . بينما القرآن والديانة نصيبها يعادل (٥ر٧٢ ٪)

أما آخر خطة كما يذكرها صاحب كتاب (التعليم العام في البلاد العربية)* فانها تنص على الآتي :

---

١) حولية الثقافة العربية : ٢/ ٦٨ .

*) صدرت في عام ١٩٦٨/٦٧م .

* أن نصيب التربية الدينية هو $\frac{٣}{٣٩}$ من الصف الاول (بنين) أى أن نسبة حصصها الى مجموع الحصص هو (٧٠ر٧ ٪) اما نصيبهـا في مدارس البنات فهو ($\frac{٣}{٣٨}$) أى أن نسبة حصصها الى مجموع الحصص هو (٩٠ر٧ ٪) .

* أن نصيب التربية الدينية في الصف الثاني (أدبي) بنين هو ($\frac{٣}{٣٧}$) اى ماتعادل نسبته (١١ر٨ ٪) . أما نصيبها في مدارس البنات (ادبي) فهو ($\frac{٣}{٣٦}$) اى ماتعادل نسبة (٣٣ر٨ ٪)

* أن نصيب التربية الدينية في الصف الثالث (أدبي بنين) هو ($\frac{٣}{٣٧}$) اى ماتعادل نسبته (١١ر٨ ٪) أما نصيبها في الصف الثالث (ادبي بنات) فهو ($\frac{٣}{٢٦}$) اى ماتعادل نسبته (٥٤ر١١ ٪) .

* أن نصيب التربية الدينية في الصف الثاني ثانوى علمي بنين هو ($\frac{٣}{٣٨}$) اى ماتعادل نسبته (٩٠ر٧ ٪) . أما نصيبها في الصف الثاني علمي بنات فهو ($\frac{٣}{٣٧}$) اى ماتعادل نسبته (١١ر٨ ٪)

* ان نصيب التربية الدينية في الصف الثالث ثانوى علمي بنين هو ($\frac{٣}{٢٩}$) أى ماتعادل نسبته (٣٥ر١٠ ٪) أما نصيبها في الصف الثالث علمي بنات فهو ($\frac{٣}{٣٨}$) اى ماتعادل نسبته (٩٠ر٧ ٪) .

فإذا أردنا مقارنة نصيب التربية الدينية بنصيب اللغة الانجليزية فإننا نجد أن نصيب اللغة الانجليزية في الصف الاول الثانوى من مجموع الحصص هو ($\frac{٧}{٣٩}$) للبنين أى ماتعادل نسبته (٩٥ر١٧ ٪) من مجموع الحصص، أما نصيبها في الصف الاول بنات فكان ($\frac{٧}{٣٨}$) اى ماتعادل نسبته (٤٢ر١٨ ٪) .

* أما نصيب اللغة في الصف الثاني ادبي (بنين) فكان ($\frac{٨}{٣٧}$) اى ماتعادل نسبته (٦٣ر٢١ ٪) أما نصيبها في الصف الثاني أدبي بنات فكان ($\frac{٨}{٣٦}$) أى ماتعادل نسبته (٢٢ر٢٢ ٪)

* أما نصيبها في الصف الثالث ادبي بنين فكان ($\frac{٨}{٣٧}$) أى ماتعادل نسبته (٢١ر٠٥ ٪) وأما في البنات فكان نصيب اللغة من الخطة هو ($\frac{٨}{٢٦}$) اى ماتعادل نسبته (٣٠ر٧٦ ٪) .

* وكان نصيب اللغة في الصف الثاني علمي " بنين " هو ($\frac{٦}{٣٨}$) اى ماتعادل نسبته (١٥ر٧٨ ٪) وكان نصيبها في الصف الثاني علمي بنات هو ($\frac{٦}{٣٧}$) اى ماتعادل نسبته (١٦ر٢١ ٪) .

* أما نصيبها من الخطة في الصف الثالث علمي بنين فهو ($\frac{٦}{٢٩}$) أى ماتعادل نسبته (٢٠ر٦٩ ٪) وفي الصف الثالث علمي بنات ($\frac{٦}{٣٨}$) أى ماتعادل نسبته (١٥ر٧٩ ٪) "١"

* أما نصيب الدين والقرآن من خطة الدراسة للمرحلة الابتدائية في الاردن لعام ١٩٤٩/٤٨م فهو على النحو التالي :

$\frac{٤}{٢٤}$ ، $\frac{٥}{٢٦}$ ، $\frac{٥}{٢٨}$ ، $\frac{٤}{٣٧}$ ، $\frac{٤}{٣٣}$ ، $\frac{٤}{٣٣}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$

هذا في مدارس البنين .

أما نصيب الدين والقرآن في خطة الدراسة لنفس المرحلة للبنات فقد كان على النحو الآتي على التوالي :

$\frac{٤}{٢٤}$ ، $\frac{٥}{٢٨}$ ، $\frac{٥}{٣٠}$ ، $\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$

هذا في المدن .

أما نصيب الدين في مدارس القرى ذات الصفوف الخمسة من الخطة العامة فكان كالآتي على التوالي :

$\frac{٤}{٢٤}$ ، $\frac{٥}{٢٦}$ ، $\frac{٥}{٣٣}$ ، $\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٥}{٣٤}$ "٢"

وبنظرة عابرة نجد أن أعلى نسبة لحصص الدين بالنسبة للخطة هي (١٩ر٢٣ ٪) في الصف الثاني من مدارس المدن والقرى ($\frac{٥}{٢٦}$) وأن أدنى

---

١) التعليم العام في البلاد العربية : ١١٣ . والنسب من عمل الباحث .

٢) حولية الثقافة العربية : ٥٦/١ ، ٥٧ ، ٥٩ الجداول الخاصة بذلك. والنسب من عمل الباحث .

نسبة هي (٨٢ر٨ ٪) وهي للصف الخامس للبنين ،والخاس والسادس للبنات .

أما في خطة عام ٥٠/١٩٥١م فقد كان نصيب الدين من حصص الخطة مايلي :

٢/٢٤ ، ٥/٢٨ ، ٥/٣٢ ، ٤/٣٣ ، ٤/٣٣ ، ٣/٣٤ ، ٣/٣٤

وفي مقابل ذلك كان نصيب اللغة الانجليزية من الصف الرابع مايلي على التوالي :

٦/٣٣ ، ٦/٣٣ ، ٧/٣٤ ، ٧/٣٤ "٢"

وبنظرة عابرة كذلك نجد أن نصيب الدين في خطة عام ٥٠/١٩٥١م أقل من نصيبه في خطة عام ٤٨/١٩٤٩م ماعدا الصف الرابع ففي خطة عام ٥٠/١٩٥١م كان اكثر من نصيبه في عام ٤٨/١٩٤٩م ، وفي الصف الخامس والسابع متساويان .

كما أنه واضح أن اللغة الانجليزية كان لها نصيب أكثر من الدين في الخطة ـ ، إذ أن نصيبها يمثل النسب الآتية منذ السنة الرابعة :

(١٨ر١٨ ٪) من عدد الحصص (١٨ر١٨ ٪) من عدد الحصص و (٥٨ر٢٠ ٪) من عدد الحصص و (٥٨ر٢٠ ٪) من عدد الحصص . بينما نصيب الدين منذ السنة الرابعة يمثل النسب الآتية :

(١٢ر١٢ ٪) من عدد الحصص و (١٢ر١٢ ٪) من عدد الحصص و (٨٢ر٨ ٪) من عدد الحصص و (٨٢ر٨٪) من عدد الحصص .

أما نصيب القرآن والدين عموماً من خطة عام ١٩٥٦م فلم يكن بأفضل من نصيبه في الخطتين السابقتين بل هو أقل نصيباً من السابقتين يوضح ذلك نظرة الى الجدول المتضمن للخطة فمنه يتبين أن نصيب الدين كان كالاتي :

---

(١) نفس المصدر : ٢/ ٧،٦ الجدول الخاص بذلك والنسب من عمل الباحث

٣/٣٠ ، ٤/٣٢ ، ٥/٤٢ ، ٥/٣٦ ، ٤/٣٦ ، ٣/٣٦ ،

أما اللغة الاجنبية فان نصيبها من الخطة في كل من الصف الخامس والسادس مايلي : ٦/٣٦ ، ٧/٣٦ .

وكان نصيب التربية البدنية والنشاط الحر من الخطة هو الآتي :

٤/٣٠ ، ٤/٣٢ ، ٣/٣٢ ، ٥/٣٦ ، ٤/٣٦ ، ٣/٣٦ .

وكان نصيب الرسم والاشغال من الخطة هو الآتي :

٣/٣٠ ، ٣/٣٢ ، ٣/٣٢ ، ٣/٣٦ ، ٢/٣٦ ، ٣/٣٦ "١"

فاذا أردنا المقارنة بين نصيب كل من الدين ، واللغة الاجنبية ، والتربية البدنية ، والرسم والاشغال ، لوجدنا أن مواد الدين كان نصيبها من الخطة في جميع السنوات هو ٢٤/٢٠٢ أربع وعشرون حصة من مائتين واثنتين من الحصص . وهي تشكل من حيث النسبة (١٢ %) من مجموع الحصص في جميع السنوات

اما اللغة الاجنبيه وهي تدرس في سنتين فقط فان نصيبها ١٣/٢٠٢ ثلاث عشرة حصة من مائتين واثنتين من الحصص ، وهي تشكل من حيث النسبه (٦ر٥٠ %) من مجموع الحصص في جميع السنوات اي نصيب مواد الدين .

أما التربية البدنية فقد كان نصيبها من الخطة في جميع السنوات هو : (٢٣/٢٠٢) ثلاثة وعشرون حصة من مائتين واثنتين من الحصص . وهي تشكل من حيث النسبة (١١ر٥٠ %) من مجموع الحصص في جميع السنوات .

أما الرسم والاشغال فقد كان نصيب هذه المادة من الخطة في جميع السنوات هو (١٧/٢٠٢) سبعة عشرة حصة من مائتين واثنتين من الحصص . وهي تشكل من حيث النسبة (٨ر٥٠ %) .

أما نصيب التربية الدينية من الخطة الاخيرة "*" كما يذكر ذلك مؤلف كتاب التعليم العام في البلاد العربية فهو كالآتي :

---

١) دراسات في نظم التعليم : ٥٠

*) هي خطة عام ٦٧/١٩٦٨م .

$\frac{٢}{٢٨}$ ، $\frac{٣}{٣٠}$ ، $\frac{٤}{٣٢}$ ، $\frac{٤}{٣٢}$ ، $\frac{٤}{٣٥}$ ، $\frac{٤}{٣٥}$.

بينما اللغة الانجليزية كان نصيبها من الخطة هو كالاتي في السنتين الاخيرتين : $\frac{٦}{٣٥}$ ، $\frac{٦}{٣٥}$.

وأما التربية الرياضية فقد كان نصيبها كالاتي على التوالي :

$\frac{٤}{٢٨}$ ، $\frac{٥}{٣٠}$ ، $\frac{٥}{٣٢}$ ، $\frac{٥}{٣٢}$ ، $\frac{٥}{٣٥}$ ، $\frac{٥}{٣٥}$.

أما التربية الفنية فكان نصيبها من الخطة كالاتي على التوالي :

$\frac{٣}{٢٨}$ ، $\frac{٣}{٣٠}$ ، $\frac{٣}{٣٢}$ ، $\frac{٣}{٣٢}$ ، $\frac{٣}{٣٥}$ ، $\frac{٣}{٣٥}$.

أما مادة التعرف على البيئة فكان نصيبها من الخطة في السنة الثالثة كالآتي على التوالي :

$\frac{٢}{٢٨}$ ، $\frac{٣}{٣٠}$ ، $\frac{٤}{٣٢}$ ، $\frac{٤}{٣٢}$. "١"

فإذا أردنا أن نقارن بين نصيب كل من المواد المنمثل بها وهي الدين ، واللغة الانجليزية والتربية الرياضية والتربية الفنية ، والتعرف على البيئة لوجدنا أن نصيب المواد الدينية هو ($\frac{٢١}{١٩٢}$) وهو يشكل من حيث النسبة (١١ ٪) من مجموع الحصص في جميع السنوات .

وأن نصيب التربية الرياضية هو ($\frac{٢٩}{١٩٢}$) وهو يشكل من حيث النسبة (١٥٠ ٪) من مجموع الحصص في جميع السنوات .

وأن نصيب التربية الفنية هو ($\frac{١٨}{١٩٢}$) وهو يشكل من حيث النسبة (٩ر٥٠ ٪) من مجموع الحصص في جميع السنوات .

فإذا أردنا المقارنة بين نصيب مواد الدين في كل من السنوات ٤٨/١٩٤٩م و ١٩٥١/٥٠ ، ١٩٥٦م والخطة الاخيرة فإننا نجد أن نصيب المواد الدينية قد انخفضت نسبتها أخيراً . فقد كان نصيب المواد الدينية

---

١) التعليم العام في البلاد العربية : ١١٠ .

من الخطة في عام ١٩٤٩/٤٨م هو ($\frac{٢٩}{٢١٥}$) لمدارس البنين أى ماتعادل نسبته (١٣ر٧٠ ٪) و ($\frac{٢٩}{٣٠٨}$) في مدارس البنات أى و[$\frac{٢٣}{١٥١}$] في مدارس القرى أي ماتعادل نسبته [١٥ر٢]
ماتعادل نسبته (١١ر٣٠ ٪) . أى أن نسبة نصيب المواد الدينية في هذه المرحلة للانواع الثلاثة من المدارس هو (١٣ر٨٠) اذ ان عدد الحصص هو ($\frac{٨١}{٥٨٤}$) .

أما نصيب الدين في خطة عام ١٩٥١/٥٠م فقد كان ($\frac{٢٦}{٢١٨}$) أى ماتعادل نسبته ١٢ ٪ .

أما نصيب الدين في خطة عام ١٩٥٦م فقد كان ($\frac{٢٤}{٢٠٢}$) أى ماتعادل نسبته ١٢ ٪ أيضا .

أما نصيبه في الخطة الاخيرة فقد كان ($\frac{٢١}{١٩٢}$) أى ماتعادل نسبته ١١ ٪ .

وبذا يتضح أن نصيب العلوم الدينية من الخطط قد انخفض من ١٣ر٨٠ ٪ عام ١٩٤٩/٤٨ ، الى ١٢ ٪ عامي ٥٠ ، ٥١ و ١٩٥٦م الى ١١ ٪ في الخطة الاخيرة .

أما نصيب الدين في المرحلة الاعدادية بالاردن حسب آخر خطة * فقد كان كالاتي :

$\frac{٣}{٣٥}$ ، $\frac{٣}{٣٥}$ ، $\frac{٣}{٣٧}$.

وكان نصيب اللغة الانجليزية هو كالاتي :

$\frac{٦}{٣٥}$ ، $\frac{٦}{٣٥}$ ، $\frac{٦}{٣٧}$.

وكان نصيب التربية الرياضية هو كالاتي :

$\frac{٥}{٣٥}$ ، $\frac{٥}{٣٥}$ ، $\frac{٦}{٣٧}$.

---

*) هي خطة عام ١٩٦٨/٦٧م

وكان نصيب التعليم المهني هو كالاتي :

$\frac{٣}{٣٥}$ ، $\frac{٣}{٣٥}$ ، $\frac{٣}{٣٧}$. "١"

فإذا أردنا أن نقارن بين نصيب كل من المواد الممثل بها هنا فإننا نجد أن نصيب الدين في الخطة في السنوات الثلاث هو ($\frac{٩}{١٠٧}$) أى ما تعادل نسبته (٨ر٥٠ ٪) وأن نصيب اللغة الانجليزية هو ($\frac{١٨}{١٠٧}$) أى ضعف نصيب المواد الدينية وتعادل نسبته (١٧ ٪) .

وأن نصيب التربية الرياضية من الخطة هو ($\frac{١٦}{١٠٧}$) أى ماتعادل نسبته (١٥ ٪) .

وأن نصيب التربية الفنية من الخطة هو ($\frac{٦}{١٠٧}$) اى ماتعادل نسبته (٦ ٪) .

وأن نصيب التعليم المهني هو ($\frac{٩}{١٠٧}$) أى ماتعادل نسبته (٨ر٥٠ ٪) أى أن نصيبه مساو لنصيب المواد الدينية .

وفي البحرين كان نصيب القرآن والدين عموماً في المرحلة الابتدائية حسب خطة عام ١٩٥٦م كالاتي :

$\frac{٤}{٣٠}$ ، $\frac{٤}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$.

وكان نصيب الرسم كالاتي :

$\frac{٢}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$.

وكان نصيب الاشغال كالاتي :

$\frac{٢}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$.

أما التربية البدنية فكان نصيبها هو كالاتي :

$\frac{٣}{٣٠}$ ، $\frac{٣}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$.

---

١) التعليم العام في البلاد العربية : ١١٠ .

وأما نصيب الغناء فكان كالآتي :

$\frac{٢}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$.

أما النشاط الحر فكان له من الخطة مايلي :

$\frac{٢}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$.

أما اللغة الاضافية فكان لها من الخطة مايلي × :

$\frac{٦}{٣٤}$ ، $\frac{٧}{٣٤}$ ، $\frac{٧}{٣٤}$. "١"

فإذا أردنا المقارنة بين انصبة المواد الممثل بها ونسبتها الى الخطة فإننا نجد أن نصيب القرآن والدين عموما كان ($\frac{١٦}{١٩٦}$) أي ماتعادل نسبته (٨ ٪) .

وأن نصيب الرسم والاشغال معاً هو ($\frac{١٨}{١٩٦}$) أي ماتعادل نسبتـه (٩ ٪) .

وأن نصيب التربية البدنية كان ($\frac{١٢}{١٩٦}$) أي ماتعادل نسبته (٦ ٪)

وان نصيب الغناء كان ($\frac{٧}{١٩٦}$) أي ماتعادل نسبته (٣ر٥٠ ٪)

وان نصيب النشاط الحر هو ($\frac{٨}{١٩٦}$) اى ماتعادل نسبة (٤ ٪)

أما اللغة الاضافية فكان نصيبها من الخطة في السنوات الثلاث هـو :

($\frac{٢٠}{١٩٦}$) أي ماتعادل نسبته (١٠ ٪) .

وفي سوريا يلاحظ أن نصيب الدين والقرآن من الخطة الدراسية في المرحلة الابتدائية عام ٥٠/١٩٥١م هو كالآتي : *

$\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$.

---

١) دراسات في نظم التعليم : ٥٣ .

*) هذه جزء من خطة الدراسة في المدارس الابتدائية الريفية .

أما الرسم والاشغال اليدوية فكان نصيبها كالاتي :

٢/٣٤ ، ٢/٣٤ ، ٢/٣٤ ، ١/٣٤ ، ١/٣٤ .

وأما النشيد والرياضة البدنية فكان نصيبها كالاتي :

٢/٣٤ ، ٢/٣٤ ، ٢/٣٤ ، ١/٣٤ ، ١/٣٤ . "١"

فاذا أردنا المقارنة بين نصيب كل من المواد الممثل بهن فإننا نجد أن نصيب مادة الدين والقرآن الكريم في هذه المرحلة هو (١٨/١٧٠) أى ماتعادل نسبته (٥٨ ر ١٠ ٪) .

وأن نصيب الرسم والاشغال من الخطة كان (٨/١٧٠) أى ماتعادل نسبته (٧٠ر٤ ٪) .

أما نصيب النشيد والرياضة البندية فكان (٨/١٧٠) أى ماتعادل نسبتة (٧٠ر٤ ٪) .

وفي الخطة التي جاءت بعدها لعام ١٩٥٦م بقي نصيب القرآن والدين على حاله بينما زاد نصيب كل من مواد الرسم والاشغال ، والتربية الرياضية . وقد صار نصيب مادة الدين والقرآن كالاتي :

٤/٣٤ ، ٤/٣٤ ، ٤/٣٤ ، ٣/٣٤ ، ٣/٣٤ .

وصار نصيب الرسم والاشغال كالاتي :

٣/٣٤ ، ٢/٣٤ ، ٢/٣٤ ، ٢/٣٤ ، ٢/٣٤ .

وصار نصيب التربية البدنية والغناء كالاتي :

٣/٣٤ ، ٢/٣٤ ، ٢/٣٤ ، ٢/٣٤ ، ٢/٣٤ "٢"

---

١) حولية الثقافة العربية : ٢/٩٥ .

٢) دراسات في نظم التعليم : ٥٢ .

فإذا أردنا المقارنة بين هذه الخطة والخطة السابقة فإننا نجد أن نصيب مادة الدين والقرآن في هذه المرحلة هو ($\frac{١٨}{١٧٠}$) أى ماتعادل نسبته (١٠٫٥٨ ٪) أى نفس عدد الحصص من الخطة السابقة ونفس النسبة السابقة .

أما نصيب مادة الرسم والاشغال فقد صار ($\frac{١١}{١٧٠}$) اى ماتعادل نسبته (٦٫٤٧ ٪) فقد زادت عدد الحصص في هذه الخطة عن عدد الحصص في الخطة السابقة بثلاث ، وزادت النسبة تبعا لذلك .

وكذلك أصبح نصيب التربية البدنية والغناء مثل نصيب الرسم والاشغال ($\frac{١١}{١٧٠}$) أى ماتعادل نسبته (٦٫٤٧ ٪) فقد زادت عدد الحصص في هذه الخطة عن الحصص في الخطة السابقة بثلاث حصص فزادت تبعا لذلك النسبة .

أما نصيب مادة الدين في المرحلة المتوسطة * من خطة عام ١٩٥٢/٥١م فكان كالاتي :

$\frac{١}{٣٢}$ ، $\frac{١}{٣٢}$ ، $\frac{١}{٣٢}$ ، $\frac{١}{٣٢}$.

بينما اللغة الاجنبية كان نصيبها الاتي :

$\frac{٧}{٣٢}$ ، $\frac{٦}{٣٢}$ ، $\frac{٦}{٣٢}$ ، $\frac{٦}{٣٢}$.

أما مادة الاخلاق والمعلومات الوطنية فكان نصيبها هو :

$\frac{٢}{٣٢}$ ، $\frac{٢}{٣٢}$ في الصفوف الاخيرة .

أما مادة الرسم فكان نصيبها هو :

$\frac{٢}{٣٢}$ ، $\frac{٢}{٣٢}$ ، $\frac{١}{٣٢}$ ، في الصفوف الثلاثة الاولى .

اما الموسيقي فكان نصيبها هو : $\frac{١}{٣٢}$ ، $\frac{١}{٣٢}$ ، $\frac{١}{٣٢}$ في الصفوف الثلاثة الاولى

---

* كانت المرحلة المتوسطة أربع سنوات ، وهي تعد الحلقة المتوسطة من المدارس الثانوية وتبدأ من الصف السادس لان الابتدائي خمس صفوف .

أما الرياضة البدنية فكان نصيبها هو :

$\frac{٢}{٣٢}$ ، $\frac{٢}{٣٢}$ ، $\frac{١}{٣٢}$ ، $\frac{١}{٣٢}$.

فاذا أردنا عقد مقارنة بين نصيب الدين ، ونصيب غيره من المواد الممثل بها فاننا سنجد أن مادة الدين أقلهن نصيباً من الخطة ماعدا مادة الموسيقى . فقد كان نصيب الدين من الخطة هو ($\frac{٤}{١٢٨}$) أى ماتعادل نسبته (١٢ر٣ ٪) أما مادة اللغة الاجنبية فقد كان نصيبها هو ($\frac{٢٥}{١٢٨}$) أى ماتعادل نسبته (١٩٫٩٠ ٪) أما مادة الرسم فقد كان نصيبها من الخطة هو ($\frac{٥}{١٢٨}$) أى ماتعادل نسبته (٤ ٪) أما مادة الموسيقى فقد كان نصيبها هو ($\frac{٣}{١٢٨}$) اى ماتعادل نسبته (٢ ٪) . أما مادة التربية الرياضية فقد كان نصيبها هو ($\frac{٦}{١٢٨}$) أى ماتعادل نسبته (٥ ٪)

أما نصيب الدين في الحلقة الاعدادية من المدارس الثانوية[١] حسب خطة عام ١٩٥٢/٥١م فهو كالتالي :

$\frac{١}{٣٠}$ ، $\frac{١}{٣٠}$ ، $\frac{١}{٣٠}$ باقسامها العلمية والادبية .

بينما كان نصيب اللغة الاجنبية هو كالاتي :

$\frac{٦}{٣٠}$ ، $\frac{٥}{٣٠}$ ، $\frac{٥}{٣٠}$ في كلا القسمين العلميين[٢]

---

١) التعليم الثانوى ينقسم الى مرحلتين : الاولى : المرحلة المتوسطة وهي أربع سنوات ، والثانية : الاعدادية ، وهي ثلاث سنوات .

٢) القسمين هما : " العلوم الطبيعية والفيزيائية " والرياضية الفيزيائية وهذا بخلاف ساعة وضعت للنصوص الاقتصادية باللغة الاجنبية .

أما الفلسفة ودراسة المجتمع فكان نصيبها كالاتي :

$\frac{٢}{٣٠}$ ، في الصف الحادى عشر في كلا القسمين و $\frac{٤}{٣٠}$ في الصف الثاني عشر من كلا القسمين العلميين .

أما في الفرع الادبي فإن اللغة الاجنبية كان نصيبها من الخطة هو $\frac{٦}{٣٠}$ في الصف العاشر و $\frac{٥}{٣٠}$ في الصف الحادى عشر - تخصص اجتماعيات و $\frac{٦}{٣٠}$ تخصص آداب ولغات ، و $\frac{٦}{٣٠}$ في الصف الثاني عشر - آداب ولغات " .*

أما الفلسفة ودراسة المجتمع فإنها تحتل في الصف الحادى عشر $\frac{٢}{٣٠}$ في كلا الاختصاصين السابقين ، و $\frac{٤}{٣٠}$ فبي الصف الثاني عشر تخصص اجتماعيات و $\frac{٦}{٣٠}$ تخصص آداب ولغات . "٢"

فإذا أردنا عمل مقارنة بين ماخصص للدين وماخصص لغيره من المواد الممثل بها فإننا نجد أن نصيب الدين هو أقل الانصبة إذ أن نصيب الدين في الخطة في السنوات الثلاث هو ثلاث حصص في كافة الاقسام ،ولا حاجة الى عمل النسبة فان ذلك واضح بمجرد النظرة العابرة .

أما دور المعلمين فإن نصيب الدين في صفوفه الثلاث من الخطة كالاتي*

$\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{٠}{٣٤}$.

---

* هذا بخلاف ساعة وضعت للنصوص الاختصاصية باللغة الاجنبية في الصف العاشر وساعتان في الحادى عشر والثاني عشر .

٢) حولية الثقافة العربية : ٣ / ١٢٦ .

*) حسب خطة عام " ١٩٥٠ " فقد صدر مرسوم برقم ١٣٥ في ١٩٥٠/١/١٨ م بنظام جديد لدور المعلمين والمعلمات.

بينما اللغة الاجنبية كان نصيبها في الصفين الاوليين كالتالي :

$\frac{٥}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$.

وكان نصيب مادة الرسم هو كالاتي :

$\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$.

وكان نصيب مادة الاشغال هو كالاتي :

$\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$.

وكان نصيب التربية البدنية هو كالاتي :

$\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$.

أما الموسيقى فكان نصيبها هو :

$\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ "١"

ولدى المقارنة نجد أن نصيب الدين من الخطة هو أقل الانصبة اذ أن نصيبه من الحصص هو ($\frac{٢}{١٠٢}$) وهي تعادل (١ر٩٦ ٪) .

وأما اللغة الاجنبية فكان نصيبها هو ($\frac{٨}{١٠٢}$) وهي تعادل نسبة (٧ر٨٤ ٪) .

وأما مادتي الرسم والاشغال فكان نصيبها من الخطة هو ($\frac{١٢}{١٠٢}$) أى مايعادل (١١ر٧٧ ٪) .

أما التربية البدنية فكان نصيبها من الخطة في السنوات الثلاث هو ($\frac{٤}{١٠٢}$) وهي تعادل نسبة (٣ر٩٢ ٪) .

---

١) حولية الثقافة العربية : ٢/١١٥ .

وفي العراق نجد أن نصيب الدين والقرآن للمرحلة الابتدائية حسب خطة عام (١٩٤٩/٤٨م) كما يلي :

٤/٣٠ ، ٤/٣٠ ، ٣/٣٢ ، ٣/٣٢ ، ٢/٣٢ ، ٢/٣٢

وأن نصيب اللغة الانجليزية في الصفين الخامس والسادس هو مايلي :

٦/٣٢ ، ٦/٣٢ .

وأن نصيب الواجبات الاخلاقية والوطنية هو في السنوات الثلاث الاخيرة مايلي :

١/٣٢ ، ١/٣٢ ، ١/٣٢ .

أما الرسم والاعمال اليدوية فكان نصيبها مايلي :

٣/٣٠ ، ٣/٣٠ ، ٤/٣٢ ، ٤/٣٢ ، ٤/٣٢ ، ٤/٣٢ .

وكان نصيب التربية البدنية والنشيد مايلي :

٤/٣٠ ، ٣/٣٠ ، ٣/٣٢ ، ٢/٣٢ ، ٢/٣٢ ، ٢/٣٢ (١)

واذا أردنا عمل مقارنة بين نصيب ماذكر من المواد فإننا نجد أن نصيب الدين والقرآن من الخطة في السنوات الست هو (١٨/١٨٨) أى ماتعادل نسبته (٩٫٥٠ ٪) .

أما اللغة الانجليزية وهي لا تقدم الا في سنتين فإن من الواضح أن نسبة حصصها أكثر من نسبة حصص الدين الى مجموع الخطة فإن عدد حصص اللغة الانجليزية هو (١٢/١٨٨) أى ماتعادل نسبته (٦٫٥٠ ٪) .

أما نصيب الواجبات الاخلاقية والوطنية فقد كان (٣/١٨٨) أى ماتعادل نسبته (١٫٥٠ ٪) .

---

١) حولية الثقافة العربية : ٢١٨/١ جدول (٣٧) .

أما نصيب الرسم والاعمال اليدوية فقد كان ($\frac{٢٢}{١٨٨}$) أى ماتعادل نسبته (١١٫٧٥ ٪) .

وكان نصيب التربية البدنية من الخطة للسنوات الست ($\frac{١٦}{١٨٨}$) أى أى ماتعادل نسبته (٨٫٥٠ ٪) .

وبذا يتضح أن نصيب الرسم والاعمال اليدوية ~~من~~ أعلى من نصيب الدين .

وقد بقيت هذه الخطة لم تتغير فقد كانت خطة عام ١٩٥٦ م هي نفس هذه الخطة . "١"

أما في المرحلة الثانوية في العراق فإن نصيب التربية الدينية من الخطة الدراسية حسب خطة عام ١٩٤٩/٤٨م مايلي :

$\frac{٢}{٣٢}$ في الصف الرابع ، $\frac{٢}{٣٢}$ في الصف الخامس (أدبي) ، $\frac{٢}{٣٠}$ في الصف السادس (أدبي) و $\frac{٢}{٣٣}$ في الصف الخامس (علمي) و $\frac{٢}{٣١}$ في الصف السادس (علمي) .

بينما كان نصيب اللغة الانجليزية من الخطة هو مايلي :

$\frac{٥}{٣٢}$ في الصف الرابع و $\frac{٦}{٣٢}$ في الصف الخامس (أدبي و $\frac{٦}{٣٠}$ في الصف السادس (أدبي) و $\frac{٥}{٣٣}$ في الصف الخامس (علمي) و $\frac{٥}{٣١}$ في الصف السادس (علمي) .

ولا حاجة بنا للمقارنة بين نصيب كل من المادتين فالفرق واضح للنظرة العابرة .

أما عن نصيب الدين والقرآن في دور المعلمات الاولية (*) فهو مايلي :

$\frac{٢}{٣٨}$ ، $\frac{٢}{٣٨}$ ، $\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{١}{٣٨}$.

---

١) دراسات في نظم التعليم ؛ ٤٨ .
(*) الدراسة فيها اربع سنوات بعد الابتدائية .

بينما نجد أن نصيب اللغة الانجليزية يفوق نصيب الدين والقرآن فإن نصيبها من الخطة هو مايلي :

٥/٣٨ ، ٥/٣٨ ، ٥/٣٨ ، ٤/٣٨ . "١"

والفرق واضح لا يحتاج للمقارنة .

أما عن نصيب الدين في دور المعلمين الابتدائية * فهو مايلي :

١/٣٦ ، ١/٣٦ ، ٠/٣٦ .

بينما نجد أن نصيب اللغة الانجليزية يفوق نصيب الدين فإن نصيبها هـــو :

٥/٣٨ ، ٤/٣٨ ، ٣/٣٨ . "٢"

والفرق واضح لا يحتاج الى مقارنة .

---

١) حولية الثقافة العربية : ١/٢٥٦ .

*) الدراسة فيها ثلاث سنوات بعد المتوسطة . انظر حولية الثقافـــة العربية : ١/٢٥٣ .

٢) حولية الثقافة العربية : ١/. . . ٢٥٧٠ .

وفي الكويت كان نصيب التربية الدينية في معاهد إعداد المعلمين حسب خطة عام ١٩٦١ م هو مايلي :

$\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$.

بينما كان نصيب اللغة الانجليزية هو كما يلي :

$\frac{٥}{٣١}$ ، $\frac{٤}{٣١}$ ، $\frac{٤}{٣١}$ ، $\frac{٤}{٣١}$.

وأما مايسمى بالتربية الموسيقية فكان نصيبها كما يلي :

$\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{١}{٣١}$ ، $\frac{١}{٣١}$ "١"

والفرق واضح لا احتاج معه الى مقارنة بين انصبة هذه المواد الممثل بها .

أما في المرحلة الابتدائية * فاننا نجد أن نصيب القرآن الكريم والدين في احدى الخطط هو مايلي :

$\frac{٤}{٣٢}$ ، في الصف الاول الاعدادى و $\frac{٤}{٣٤}$ و $\frac{٤}{٣٤}$ في الصفين الثاني والثالث الاعدادى .

و $\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$ في الصفوف الاربعة الابتدائية .

بينما كان للغة الانجليزية من الخصص مايلي :

$\frac{٧}{٣٤}$ ، $\frac{٧}{٣٤}$ في الصفين الاول والثاني الابتدائي .

---

١) حول التعليم الابتدائي : ٣٥ ؟

* تنقسم المرحلة الابتدائية في الكويت الى قسمين :

١ - اعدادى ويشمل الصفوف الثلاثة الاولى .

٢ - ابتدائي ويشمل الصفوف الاربعة الاخيرة فتكون بذلك مرحلة التعليم الابتدائي سبع سنوات .

$\frac{٨}{٣٤}$ ، $\frac{٨}{٣٤}$ في الصفين الثالث والرابع الابتدائي .

أما الرسم والاشغال فإن نصيبها من الخطة مايلي :

$\frac{٣}{٣٢}$ في الصف الاول إعدادي و $\frac{٤}{٣٤}$ في الصف الثاني والثالث إعدادي و $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ في الصفوف الاربعة الابتدائية .

وتحتل التربية البدنية من الخطة مايلي :

$\frac{٣}{٣٢}$ في الصف الاول اعدادي $\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$ في الصفين الثاني والثالث اعدادي و $\frac{٢}{٣٤}$ في الصف الأول الابتدائي و $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ في الصفوف الثاني والثالث والرابع الابتدائي

أما مادة الغناء فإنها تحتل من الخطة مايلي :

$\frac{١}{٣٢}$ في الاول و $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ في كل من الصفين الثاني والثالث "١"

وواضح أن اللغة الانجليزية تفوق في عدد الحصص المخصصة لها مواد القرآن الكريم والدين فعدد حصص اللغة في السنوات الاربع ($\frac{٣٠}{٢٣٦}$) ثلاثون حصة من مائتين وست وثلاثين حصة هي مجموع الحصص للسنوات السبع وهي تمثل نسبته (١٢٫٧٠ ٪) بينما تصيب القرآن الكريم والدين في السنوات السبع هو ($\frac{٢٤}{٢٣٦}$) وهي تمثل مانسبته (١٠ ٪) .

---

(١) دراسات في نظم التعليم : ٥٣ .

وفي ليبيا كان نصيب الدين والقرآن في المرحلة الابتدائية في احدى الخطط كما يلي :

٣/٣٦ ، ٣/٣٦ ، ٤/٣٦ ، ٤/٣٦ ، ٣/٣٦ ، ٣/٣٦ .

بينما كان نصيب التربية البدنية ضعف نصيب الدين فهو كما يلي :

٦/٣٦ ، ٦/٣٦ ، ٦/٣٦ ، ٦/٣٦ ، ٦/٣٦ ، ٦/٣٦ .

وكان نصيب الرسم هو : ٣/٣٦ ، ٣/٣٦ ، ٢/٣٦ ، ٢/٣٦ ، ٢/٣٦ ، ٢/٣٦

وكان نصيب الاشغال اليدوية هو كما يلي :

٣/٣٦ ، ٣/٣٦ ، ٢/٣٦ ، ٢/٣٦ ، ٢/٣٦ ، ١/٣٦ .

وكان نصيب الغناء في الصفوف الثالث والرابع والخامس والسادس كما يلي :

١/٣٦ ، ١/٣٦ ، ١/٣٦ ، ١/٣٦ .

فاذا أجرينا مقارنة بين نصيب المواد الممثل بها وجدنا أن نصيب الدين منها هو (٢٠/٢١٦) اى ماتعادل نسبته (٩ر٢٥ ٪) وان التربية البدنية كان نصيبها في السنوات الست هو (٣٦/٢١٦) أى ماتعادل نسبته (١٦ر٥٠ ٪) وهو ضعف نصيب الدين تقريبا وان نصيب الرسم هو (١٤/٢١٦) أى ماتعادل نسبته (٦ر٤٨ ٪) .

وان نصيب الأشغال هو (١٣/٢١٦) وهي تعادل (٦ ٪) وان نصيب الغناء هو (٤/٢١٦) أى ما تعادل نسبته (٢ ٪) .

أما خطة عام (١٩٦٩) فقد كان نصيب الدين من الخطة الدراسية للمرحلة الابتدائية هو معا يلي :

٢/٣٤ ، ٢/٣٤ ، ٣/٣٢ ، ٣/٣٢ ، ٣/٣٦ ، ٢/٣٥ .

بينما التربية البدنية كان نصيبها من الخطة هو :

٣/٣٤ ، ٣/٣٤ ، ٣/٣٢ ، ٣/٣٢ ، ٢/٣٦ ، ٢/٣٥ . "١"

---

١) حول التعليم الابتدائية : ١١٣

فاذا قارنا بين نصيب كل من المادتين وجدنا أن مادة التربية البدنية تحظى بنصيب أكبر من مادة الدين فان نصيبها من الخطة في السنوات الست هو (١٦ / ٢٠٣) أى ماتعادل نسبته (٨ ٪) وأما نصيب الدين من الخطة في السنوات الست فهو (١٥ / ٢٠٣) أى ماتعادل نسبته (٧ر٥٠ ٪)

واذا أردنا المقارنة بين نصيب الدين من الخطة السابقة وهذه الخطة فاننا نجد أن نصيب الدين في هذه الخطة أضعف من نصيبه في الخطة السابقة فقد كان للدين من الخطة السابقة في السنوات الست (٢٠ / ٢١٦) أى ماتعادل نسبته (٩ ر ٢٥ ٪) . أما في هذه الخطة فان نصيب الدين فيها هو (١٥ / ٢٠٣) اى ماتعادل نسبته (٧ر٥٠ ٪) .

" وفي مصر كان نصيب القرآن من خطة الدراسة بالمرحلة الابتدائية في حسب خطة عام ١٩٤٩م هو مايلي :

٢ / ٣٤ ، ٢ / ٣٤ ، ٢ / ٣٨ ، ٢ / ٣٨ .

بينما كان نصيب اللغة الاجنبية هو في السنتين الثالثة والرابعة كما يلي :

٨ / ٣٨ ، ٨ / ٣٨ . "[١]"

ومن الواضح أن نصيب اللغة الاجنبية رغم أنه يدرس في سنتين ضعف نصيب الدين وهو يدرس في أربع سنوات ، فان نسبة نصيب الدين الى مجموع ساعات الخطة هو (٥ر٥٠ ٪) بينما اللغة الاجنبية كان نسبة نصيبها الى مجموع ساعات الخطة هو : (١١ ٪) .

" أما في خطة عام ١٩٥٦م فقد كان نصيب الدين من الخطة في المرحلة الابتدائية كما يلي :

٢ / ٣٤ ، ٢ / ٣٤ ، ٣ / ٣٤ ، ٣ / ٣٤ ، ٤ / ٣٨ ، ٤ / ٣٨ .

---

١) حولية الثقافة العربية : ١/ ٤٢١ ، ٤٢٢ جدول (٦٦) .

بينما كان نصيب التربية البدنية هو كما يلي :

$\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٨}$ ، $\frac{٢}{٣٨}$.

وكان نصيب الرسم والاشغال في الخطة هو كما يلي :

$\frac{٦}{٣٤}$ ، $\frac{٦}{٣٤}$ ، $\frac{٦}{٣٤}$ ، $\frac{٦}{٣٤}$ ، $\frac{١٠}{٣٨}$ ، $\frac{١٠}{٣٨}$. "[١]"

ولدى اجراء المقارنة بين انصبة كل من المواد الممثل بهن يتضح أن نصيب الدين من الخطة ادنى من نصيب الرسم والاشغال فان نصيب الرسم والاشغال هو ($\frac{٤٤}{٢١٢}$) أى ماتعادل نسبته (٢٠ر٧٥ ٪) بينما نصيب الدين من الخطة هو ($\frac{١٨}{٢١٢}$) اى ماتعادل نسبته (٨ر٥٠ ٪) وبذا يتضح أن نصيب الرسم والاشغال هو أكثر من ضعف نصيب الدين .

وأما التربية البدنية فان نصيبها أقل من نصيب الدين بشيء بسيط . اذ أن نصيب التربية البدنية هو ($\frac{١٦}{٢١٢}$) أى ماتعادل نسبته (٧ر٥٠ ٪) فالفرق بينهما هو واحد بالمائة . واذا جمعنا نصيب التربية البدنية ، والرسم والاشغال أصبح نصيبها من الخطة هو ($\frac{٦٠}{٢١٢}$) اى ماتعادل نسبته (٢٨ر٥٠ ٪) أى أن نصيب المادتين أكثر من ثلاثة اضعاف نصيب الدين .

" وكان نصيب الدين في الخطة التي صدرت عام ١٩٧١م بموجب القرار الوزاري رقم ١٧٩ في ١٩٧١/٧/١م وطبقت من عام ١٩٧٢/٧١م هو مايلي :

$\frac{٣}{٢٨}$ ، $\frac{٣}{٢٨}$ ، $\frac{٣}{٣١}$ ، $\frac{٣}{٣١}$ ، $\frac{٣}{٣٢}$ ، $\frac{٣}{٣٢}$. "[٢]"

أى ان مجموع الساعات المخصصة للدين هي ($\frac{١٨}{١٨٢}$) أى ماتعادل نسبته (١٠ ٪) .

---

١) دراسات في نظم التعليم : ٤٩ .

٢) حول التعليم الابتدائي : ٥٣ .

" أما في التعليم المتوسط فان نصيب الدين حسب خطة عام ١٩٥٧م

الصادرة بقانون رقم - ٥٥ - فهو كما يلي :

$\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$.

بيتما تحتل اللغة الاجنبية ضعف ماخصص للدين فان نصيبها هو مايلي :

$\frac{٥}{٣١}$ ، $\frac{٥}{٣١}$ ، $\frac{٥}{٣١}$.

وأما الرسم والاعمال اليدوية ، والتربية الرياضية فان نصيب كل منهـــا

مساو لنصيب الدين فأنصبتها كالاتي :

الرســم : $\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$.

المواد العملية : $\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$.

التربية الرياضية : $\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$.

وأما الموسيقى والاناشيد فكان نصيبها من الخطة هو كما يلي :

$\frac{١}{٣١}$ ، $\frac{١}{٣١}$ ، $\frac{١}{٣١}$ "(١)"

فاذا أردنا المقارنة بين هذه المواد الممثل بها يتبين لنا ان ..

اللغة الانجليزية هي أعلى هذه المواد نصيبا من الخطة فان اللغة الانجليزية لها

من الحصص ($\frac{١٥}{٩٣}$) من مجموع حصص المرحلة وهي ٩٣ وهي تعادل نسبة

(١٦٫١٣ ٪) .

وأما الدين فان نصيبه من الخطة هو ($\frac{٦}{٩٣}$) أى ماتعادل نسبتــه

(٦٫٤٥ ٪) .

وكذلك بقية المواد (الرسم) لها نفس النسبة ،والمواد العملية لهــا

نفس النسبةوالرياضية لها نفس النسبة .

---

١) التاريخ الثقافي للتعليم في مصر : ٢٣٩ .

أما في المرحلة الثانوية " * " فقد كان نصيب الدين من خطة عام ١٩٤٩ م كما يلي :

$\frac{٢}{٣٨}$ ، $\frac{٢}{٣٨}$ في سنتي القسم الاول (للبنين والبنات)

بينما كان نصيب اللغة الانجليزية هو كما يلي :

$\frac{٨}{٣٨}$ ، $\frac{٨}{٣٨}$ في سنتي القسم الاول .

وأما نصيب الدين في سنتي القسم الثاني من المرحلة الثانوية فكما يلي :

$\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{٠}{٣٨}$ ، $\frac{٠}{٣٨}$.

بينما كان نصيب اللغة الاجنبية كما يلي :

$\frac{٦}{٣٨}$ ، $\frac{٦}{٣٧}$ من السنة الثانية في الشعبتين الادبية والعلمية

و $\frac{٦}{٣٧}$ " "٢"

فاذا قارنا بين نصيب كل من المادتين " الدين " واللغة الانجليزية فاننا نجد أن نصيب اللغة الانجليزية اضاف نصيب الدين فان نصيب اللغة الانجليزية من الحصص هو (٣٤) حصة من ١٩٠ حصة وهي تمثل مانسبته (١٧ ر ٩٠ ٪) بينما الدين كان نصيبه من الخطة في السنوات الخمس هو $\frac{٥}{١٩٠}$ أى ماتعادل نسبته (٢ر٦٣ ٪) فقط .

أما في خطة عام ١٩٥٢/٥١ م فقد كان نصيب الدين في خطة المدارس الثانوية هو كما يلي :

$\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{١}{٣٦}$ ، $\frac{١}{٣٦}$ ، $\frac{٠}{٣٥}$.

بينما اللغة الاوربية كان لها من الخطة مايلي :

$\frac{٦}{٣٦}$ ، $\frac{٦}{٣٦}$ ، $\frac{٦}{٣٦}$ ، $\frac{٦}{٣٦}$ ، $\frac{٨}{٣٥}$ في السنة الخامسة (شعبة آداب) .

---

(١)
(*) المدارس الثانوية حسب القانون رقم (١٠) لسنة ١٩٤٩م في المادة العاشرة تنقسم الى قسمين الاول ومدته سنتان والثاني ومدته ثلاث سنوات.

(١) حولية الثقافة العربية : ١/ ٤٢٧-٤٢٩ جداول (٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠)

وكان نصيب اللغة الاوربية الثانية هو كما يلي :

$\frac{٤}{٣٦}$ ، $\frac{٤}{٣٦}$ ، $\frac{٤}{٣٦}$ ، $\frac{٤}{٣٦}$ ، $\frac{٨}{٣٥}$ في السنة الخامسة

(شعبة آداب و $\frac{٣}{٣٥}$ شعبة علوم في السنة نفسها .

وكان نصيب الرسم هو كما يلي :

$\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{١}{٣٦}$ ، $\frac{١}{٣٦}$ ، $\frac{٠}{٣٥}$.

وكان نصيب التربية البدنية هو كما يلي :

$\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{٠}{٣٥}$ "١"

ولدى عمل مقارنة بين المواد الممثل بها في هذه الخطة يتضح أن نصيب الدين في الخطة أقل من نصيب اللغة الاوربية الاولى ، او الثانية ، فان نصيب اللغة الاوربية الاولى من الخطة هو ($\frac{٣٢}{١٧٩}$) اى ماتعادل نسبته (١٨ ٪) في شعبة الآداب ، وفي شعبة العلوم كان نصيبها هو ($\frac{٢٩}{١٧٩}$) أى ماتعادل نسبته (١٦ ٪) .

أما نصيب اللغة الاوربية الثانية في شعبة الآداب فكان ($\frac{٢٤}{١٧٩}$) أى ماتعادل نسبته (١٣ر٥٠ ٪) وفي شعبة العلوم كان نصيبها هو $\frac{١٩}{١٧٩}$ أى ماتعادل نسبته (١٠ر٥٠ ٪) .

فاذا جمعنا ماخصص للغة الاوربية الاولى والثانية فاننا نجد أن ماخصص لها في شعبة الآداب هو ($\frac{٥٦}{٣٥٨}$) اى ماتعادل نسبته (١٥ر٥٥ ٪)

وماخصص للغة الاولى والثانية شعبة العلوم هو ($\frac{٤٨}{٣٥٨}$) أى ماتعادل نسبته (١٣ر٥٠ ٪) .

وبذا يتضح ان نصيب اللغة الاوربية الاولى والثانية كان (١٠٤) حصة وهي تعادل نسبة (٢٩ ٪) .

---

١) نفس المصدر السابق : ٣٥٦/٣ .

بينما الدين لم يخصص له في كافة السنوات الخمس بشعبها سوى (٦/١٧٩) اى ماتعادل نسبته (٣ر٥٠ ٪) .

وكان نصيب الرسم مساوية لنصيب الدين .

أما نصيب التربية البدنية فكان (٨/١٧٩) أي ماتعادل نسبته (٤ر٥٠ ٪)

" وفي خطة عام ١٩٥٣م التي سبق الحديث عنها قريبا كان نصيب الدين هو كما يلي :

٢/٣٦ ، ٢/٣٥ في الصف الثاني أدبي ، ٢/٣٦ في الثالث ادبي .

و ٢/٣٦ في الصف الثاني علمي ، ٢/٣٧ في الصف الثالث علمي .

بينما كان نصيب اللغة الاجنبية الاولى هو كما يلي :

٦/٣٦ ، ٧/٣٥ في الصف الثاني أدبي ، ٧/٣٦ في الصف الثالث أدبي .

و ٦/٣٦ في الصف الثاني علمي ، ٥/٣٧ في الصف الثالث علمي .

وكان نصيب اللغة الاجنبية الثانية هو كما يلي :

٣/٣٦ ، ٥/٣٥ في الصف الثاني أدبي ، ٥/٣٦ في الصف الثالث أدبي .

و ٣/٣٦ في الصف الثاني علمي و ٣/٣٧ في الصف الثالث علمي . "(١)

فاذا قارنا نصيب الدين بأنصبة غيره من المواد الممثل بها فاننا نجد أن نصيب الدين في القسم الادبي هو (٦/١٠٧) اى ماتعادل نسبته (٥ر٦٠ ٪) وان نصيب الدين في القسم العلمي هو (٦/١٠٩) اى ماتعادل نسبته (٥ر٥٠ ٪) .

---

(١) التاريخ الثقافي للتعليم في مصر : ٢٤٤ صدر القانون رقم (٢١١ لعام ١٩٥٣م بتنظيم التعليم الثانوى .

أما نصيب اللغة الاجنبية الاولى في القسم الادبي فهو ($\frac{٢٠}{١٠٧}$)

أى ماتعادل نسبته (١٨٫٧٠ ٪) .

أما نصيبها في القسم العلمي فهو ($\frac{١٧}{١٠٩}$) أى ماتعادل نسبتـه (١٥٫٦٠ ٪) .

وأما نصيب اللغة الاجنبية الثانية فكان في القسم الأدبي ($\frac{١٣}{١٠٧}$)

أى ماتعادل نسبته (١٢٫١٥ ٪) .

وكان نصيبها من القسم العلمي هو ($\frac{٩}{١٠٩}$) اى ماتعادل نسبتـه

أى ماتعادل نسبته (٨٫٢٥ ٪) .

واذا أردنا جمع ماخصص لمادة الدين في القسمين ومعرفة نسبتـه فاننا نجد أن ماخصص للدين في القسمين هو ($\frac{١٢}{٢١٦}$) أى ماتعادل نسبته (٥٫٥٥ ٪) .

ونجد أن ماخصص للغة الاجنبية الاولى هو ($\frac{٣٧}{٢١٦}$) اى ماتعادل نسبته (١٧٫١٥ ٪) ونجد أن ماخصص للغة الاجنبية الثانية في القسمين هو ($\frac{٢٢}{٢١٦}$) اى ماتعادل نسبته (١٠٫٢٠ ٪)

وبذا يتضح أن نصيب مادة الدين أقل بكثير من نصيب مادة اللغـة الأجنبية .

اما مدارس المعلمين فانني سوف أستعرض ثلاث خطط صدرت علـى التوالي ، الاولى عام ١٩٤٧م ، وطبقت عام ١٩٤٨/١٩٤٩م ، والثانية عام ١٩٥١/١٩٥٢م ، والثالثة وهي الاخيرة وقد صدرت عام : ١٩٦١م

* فأما الخطة الاولى فلم يكن للدين اى نصيب في الخطة بينما كـان نصيب اللغة الانجليزية هو كما يلي :

$\frac{٦}{٣٤}$ في الصف الاول ، $\frac{٤}{٣٢}$ في الصف الثاني .

و $\frac{١}{٣٠}$ في الصف الثالث (آداب) و $\frac{٢}{٣٠}$ في الصف الثالث رياضة وعلوم

و $\frac{٢}{٣٠}$ في الصف الثالث اشغال ورسم .

وكان نصيب التربية البدنية هو $\frac{٢}{٣٢}$ في الصفين الاول والثاني ،

و $\frac{٢}{٣٠}$ في الصف الثالث باقسامه كلها "[١]

ولا تحتاج هذه الخطة الى تعليق فيكفي ان واضعي الخطة لم يخصصوا للدين أي نصيب في خطتهم .

أما في خطة عام ١٩٥٢/٥١ م فقد كان نصيب الدين من مدارس المعلمين والمعلمات (القسم العام) هو كما يلي :

$\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{٠}{٣٨}$ ، $\frac{٠}{٣٨}$.

وهناك مادة دراسات قرآنية (وهي اختيارية) وكان نصيبها هو كما يلي :

$\frac{٣}{٣٨}$ ، $\frac{٣}{٣٨}$ ، $\frac{٢}{٣٨}$ ، $\frac{٢}{٣٨}$ ، $\frac{٠}{٣٨}$. ولكن يجوز اعفاء بعض الطلاب والطالبات من هذه الدراسات ويتلقون عنها دراسات اضافية في اللغة الاجنبية .

أما نصيب اللغة الاجنبية فهو كما يلي :

$\frac{٦}{٣٨}$ ، $\frac{٦}{٣٨}$ ، $\frac{٥}{٣٨}$ ، $\frac{٥}{٣٨}$ ، $\frac{٠}{٣٨}$.

ولكن نصيب التربية البدنيه : $\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{٠}{٣٨}$.(٢)

وباجراء مقارنة بين ماخصص لمادة الدين ولمواد اللغة الاجنبية والتربية البدنية الممثل بها يتضح أن نصيب مادة الدين ضئيل جدا . فقد كان نصيبها من الخطة في السنوات الخمس هو ($\frac{٢٢}{١٩٠}$) أي ماتعادل نسبته (٥٨ر١ ٪)"[٣]

---

١) حولية الثقافة العربية : ٤٧٣/١ .

٢) المصدر نفسه : ٣٥١/٣ .

٣) لم أدخل مادة الدراسات القرآنية في المقارنة لانها مادة اختيارية لا يلزم الطلاب بدراستها .

وكان نصيب اللغة الاجنبية في كافة الصفوف الخمسة هو كما يلي ($\frac{٢٢}{١٩٠}$)
أي ماتعادل نسبته (١١ر٥٨ ٪) .

وكان نصيب التربية البدنية هو كما يلي ($\frac{٤}{١٩٠}$) اى ماتعادل نسبته
(٢ر١٠ ٪) وهكذا يتضح ضعف نصيب مادة الدين في الخطة .

أما في الخطة الاخيرة فقد كان نصيب التربية الدينية في معاهد اعداد المعلمين هو كما يلي :

$\frac{٣}{٣٨}$ ، $\frac{٣}{٣٨}$ ، $\frac{٣}{٣٨}$ ، $\frac{٣}{٣٨}$ في الصف الرابع تخصص التربية الدينية والاجتماعيات و $\frac{٣}{٣٨}$ في نفس التخصص في الصف الخامس و $\frac{٢}{٣٨}$ في الصف الرابع و $\frac{٢}{٣٨}$ في الصف الخامس للتخصصات الاتية :

١) الرياضيات والعلوم .

٢) الرياضة البدنية .

٣) التربية الفنية والموسيقية .

٤) التدبير المنزلي للبنات .

أما التربية الموسيقية فكان نصيبها هو :

$\frac{٣}{٣٨}$ ، $\frac{٣}{٣٨}$ ، $\frac{٣}{٣٨}$ و $\frac{٢}{٣٨}$ في الصف الرابع و $\frac{٢}{٣٨}$ في جميع التخصصات السابقة . ماعدا تخصص التربية الموسيقية فان نصيبها هو $\frac{١٠}{٣٨}$ في الصف الرابع و $\frac{١٠}{٣٨}$ في الصف الخامس "١"

ولا تحتاج هذه الخطة الى اجراء مقارنة فان نصيب المادتين المثل بهما متساوى فالتربية الدينية مساوية لما يسمى التربية الموسيقية ؟؟ وهو أمر يدعو للاسى والاستغراب .

---

١) حول التعليم الابتدائي : ٢٢٤ .

وفي اليمن نرى أن نصيب مادة التربية الدينية في المراحل الثلاث جيد ، وذلك حسب خطط عام ٧١ / ١٩٧٢م للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة وحسب خطة عام ٦٩/١٩٧٠م للمرحلة الثانوية ، لذا لا حاجة لاستعراضها وعقد مقارنات بين أنصبتها وأنصبة بقية المواد .

نصيب العلوم الدينية من خطط الدراسة في مراحل التعليم

بالمملكة العربية السعودية

بعد أن ذكرت نصيب العلوم الدينية من خطط الدراسة في بعض البلاد الاسلامية ، وعرفنا من خلال ذلك ضآلة ماخصص لعلوم الدين في الخطط الدراسية من الحصص ، اذكر في هذه الفقرة نصيب العلوم الدينية من خطط الدراسة في المملكة العربية السعودية في مراحل التعليم العام " بنين وبنات " كما وردت في الخطط التي أقرتها اللجنة العليا لسياسة التعليم بعد أن وضعتها اللجنة الفرعية ، ثم أذكر ماطرأ عليها من تعديل بعد القرار الصادر بجعل ايام الدوام الرسمي خمسة ايام فأقول ومنه تعالى استمد العون :

أولا : المرحلة الابتدائية : " بنين " :

كان نصيب العلوم الدينية * من الخطة في المرحلة الابتدائية حسب خطة عام ١٣٨٨هـ هو كالاتي على التوالي :

١٢/٣٢ ، ١٢/٣٢ ، ١٢/٣٥ ، ١٢/٣٥ ، ٩/٣٥ ، ٩/٣٥ . "١"

فاذا أردنا معرفة نصيب المواد الدينية من الخطة للسنوات الست فاننا نجد أنه ٦٦/٢٠٤ اى ماتعادل نسبته (٣٢٫٣٥ ٪) .

---

* تشمل العلوم الدينية في هذه المرحلة المواد الآتية : القرآن ، التوحيد ، الحديث ، الفقه ، التجويد .

١) انظر تفصيل الخطة في " المجموعة الاولى منهج التعليم الابتدائي لمدارس البنين " ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م " .

وبعد أن جعل يوم الخميس يوم عطلة رسمي اعدت خطة جديدة أنقص فيها من نصيب جميع المواد ومنها المواد الدينية فأصبح نصيب العلوم الدينية من الخطة كالآتي :

٩/٢٨ ، ٩/٢٨ ، ٩/٢٨ ، ٩/٣٠ ، ٩/٣٠ ، ٩/٣٠ . "١"

فاذا أردنا معرفة نصيب المواد الدينية من الخطة في جميع السنوات فاننا نجد أنه (٥٤/١٧٤) أى ماتعادل نسبته (٣١٫٠٣ ٪)

أى أنه نقص نصيب المواد الدينية بالنسبة للخطة بـ أثنتي عشرة حصة أى ماتعادل نسبته (١٫٣٢ ٪) .

ثانيا : المرحلة المتوسطة : "بنين" : :

كان نصيب العلوم الدينية في خطة عام ١٣٩١ هـ المقرة من لاللجنة العليا لسياسة التعليم كالاتي :

٨/٣٦ ، ٨/٣٦ ، ٨/٣٦ . "٢"

فاذا أردنا معرفة نصيب العلوم الدينية في السنوات الثلاث ونسبة نصيبها الى المجموع الكلي للخطة فاننا نجد أن نصيب هذه المواد هو ٢٤/١٠٨ أى ماتعادل نسبته (٢٢٫٢٢ ٪)

المرحلة الثانوية "بنين" :

كان نصيب العلوم الدينية حسب خطة عام ١٣٩٤ هـ والمقرة من قبل اللجنة العليا لسياسة التعليم برقم ٢٣٣/٩/١ كما يلي :

---

(١) انظر التعميم الوارد بذلك من وزارة المعارف برقم ٣٢/٤/١/٥٣٥/١ ح بتاريخ ١٣٩٧/٧/١٢ هـ المبني على قرار اللجنة العليا لسياسة التعليم برقم ٢١ /خ /م في ٩٧/٦/٢٦ المبلغ للوزارة بخطاب سمو رئيس اللجنة العليا برقم ٢٣/خ / م في ١٣٩٧/٦/٢٦ هـ .

(٢) انظر منهج المرحلة المتوسطة "بنين" : (١٣٩١ - ١٩٧١م)

الأدبــــي : ٤/٣٤ ، ٤/٣٠ ، ٤/٢٩ .

العلمــــي : ٤/٣٤ ، ٤/٣٤ ، ٣/٣٢ ؛ "١"

فاذا أردنا معرفة نصيب القسم العلمي من العلوم الدينية فاننا نجـــد

انه ١١/١٠٠ اى ١١ ٪ .

واذا أردنا معرفة نصيب القسم الادبي من العلوم الدينية فاننا نجـــد

انه ١١/٩٣ اى ماتعادل نسبته (١١ر٨٣ ٪) .

أى أن نصيب العلوم الدينية من الخطة هو ٢٢/١٩٣ أى ماتعادل نسبته

(١١ر٤٠ ٪) .

تعليم البنات :

أما بالنسبة لتعليم البنات فقد كان الوضع كالاتي :

أولا : المرحلة الابتدائيـــة :

كان نصيب العلوم الدينية * في خطة عام ١٣٨٨ هـ التي أقرتهـــا

اللجنة العليا لسياسة التعليم كما يلي :

١٤/٢٨ ، ١٤/٣٢ ، ١٣/٣٤ ، ١١/٣٥ ، ١٠/٣٥ ، ٩/٣٥ .

فاذا أردنا معرفة نصيب العلوم الدينية من الخطة في هذه المرحلة ،

فاننا نجد أن نصيبها كان " ٧١/١٩٩ " أى ماتعادل نسبته (٣٥ر٦٨ ٪)

أما نصيب العلوم الدينية بعد أن جعل يوم الخميس يوم عطلة رسمـــي

فقد أصبح كالاتي :

---

(١) انظر " منهج المرحلة الثانوية ".

(*) تشمل العلوم الدينية للمواد الاتية " القرآن ، التجويد ، التوحيد ، الحديث ، الفقه ، التفسير ".

$\frac{٩}{٢٦}$ ، $\frac{٩}{٢٦}$ ، $\frac{٩}{٢٦}$ ، $\frac{٩}{٣٠}$ ، $\frac{٩}{٣٠}$ ، $\frac{٩}{٣٠}$ ، "١"

فاذا أردنا معرفة نصيب العلوم الدينية في الخطة ونسبتها الى المجموع العام للحصص لوجدنا مايلي : ($\frac{٥٤}{١٦٨}$) أى ماتعادل نسبته (٣٢ر١٤ ٪) .

المرحلة المتوسطة :

نصيب العلوم الدينية في المرحلة المتوسطة حاليا هو كالاتي :

$\frac{٨}{٣٤}$ ، $\frac{٨}{٣٣}$ ، $\frac{٨}{٣٣}$. "٢"

فاذا أردنا معرفة نصيب العلوم الدينية في الخطة ونسبتها الى المجموع العام للحصص لوجدنا مايلي : " $\frac{٢٤}{١٠٠}$ " أى ٢٤ ٪ من مجموع الحصص .

المرحلة الثانوية :

نصيب العلوم الدينية في المرحلة الثانوية حاليا هو كالاتي :

أدبي : $\frac{٤}{٣٣}$ ، $\frac{٤}{٣٩}$ ، $\frac{٣}{٢٦}$.

علمي : $\frac{٤}{٣٣}$ ، $\frac{٤}{٣٢}$ ، $\frac{٣}{٢٨}$. "٣"

فاذا أردنا معرفة نصيب القسم الادبي من العلوم الدينية فاننا نجد انه $\frac{١١}{٨٨}$ اى ماتعادل نسبته (٥٠ر١٢ ٪)

واذا أردنا معرفة نصيب القسم العلمي من العلوم الدينية فاننا نجد انه $\frac{١١}{٩٣}$ اى ماتعادل نسبته (٨٢ر١١ ٪) .

أى أن نصيب العلوم الدينية من الخطة هو $\frac{٢٢}{١٨١}$ اى مايعادل نسبته (١٥ر١٢ ٪) .

---

١) انظر " خطة الدراسة التفصيلية لمدارس البنات لعام ١٣٩٨/٩٧ هـ .
٢ ، ٣) انظر " نفس المصدر السابق " .

معاهد المعلمات :

نصيب العلوم الدينية في خطة الدراسة لمعهد المعلمات الثانوى

هو كالاتي :

٤/٣٧ ، ٧/٣٧ ، ٣/٣٧ . "١"

فاذا أردنا معرفة نصيب العلوم الدينية في كل سنوات المرحلة فاننا

نجد انه " ١١/١١١ " اى ماتعادل نسبته (٩٫٩١ ٪)

ولو ألقينا نظرة عابرة على ما مضى فاننا نرى أن نصيب العلوم الدينية من خطط الدراسة في كافة مراحل التعليم - بنين وبنات - في المملكة العربية السعودية أكثر من نصيبها في الدول الاخرى التي ذكرت بعض خططها .

فاذا أردنا أخذ المرحلة الابتدائية كنموذج للمقارنة بين المملكة وهذه الدول فاننا نجد الآتي :

١) ان نصيب العلوم الدينية في المرحلة الابتدائية بالاردن حسب آخر خطة وهي التي صدرت عام "١٩٦٨/٦٧٠" تمثل " ١١٪ من المجموع العام للحصص .

٢) كان نصيبها من الخطة في البحرين حسب خطة عام "١٩٥٦م" يمثل " ٨ ٪ " من المجموع العام للحصص .

٣) كان نصيبها في سوريا من الخطة حسب خطة عام (١٩٥٦م) يمثل " ١٠٫٥٨ ٪ " .

٤) كان نصيبها في العراق حسب خطة عام " ١٩٥٦ " يمثل نسبة (٩٫٥٠ ٪) .

٥) كان نصيبها في الكويت حسب خطة عام " ١٩٦١م " يمثل نسبة (١٢٫٧٠ ٪) من مجموع الحصص .

---

١) انظر خطة الدراسة التفصيلية لمدارس البنات لعام ١٣٩٨/٩٧ هـ .

٦) كان نصيبها في ليبيا حسب خطة عام ١٩٦٩م يمثل نسبة (٧ر٥٠ ٪)

٧) كان نصيبها في مصر من الخطة حسب خطة عام "١٩٧١م" يمثل نسبة "١٠ ٪".

أما في المملكة العربية السعودية فان نصيبها في نفس المرحلة كمايلي :

بنين : ٠٣ر٣١ ٪

بنات : ١٤ر٣٢ ٪

وذلك حسب آخر خطة بعد أن جعل يوم الخميس يوم عطلة رسمي عام ٩٧/١٣٩٨ هـ .

واليك هذه المقارنة بين نصيب مادة الدين في بعض الدول العربية تقول " تازلي احمد صالح " :

" ١ - العلوم الدينية : الفروق واضحة جدا في هذه المادة فبينما بعض الدول بها ٤٦ ساعة وهي السعودية ، فاننا نجد أن وكالة الغوث لتعليم اللاجئين الفلسطينيين لا تعطي الا ثلاث ساعات للمواد الدينية ، وهذا مؤشر خطير خصوصا وأن الذى يشرف عليها هيئة أجنبية دولية ولكنها لا تضع من اعتبارها ان الفلسطينيين الذين يدرسون بهذه المدارس الغالبية العظمي منهم يعتنقون الاسلام ، وكذلك فان نسبة عدد الساعات في اليمن والسودان تتزايد ايضا عن المتوسط العام ، وهذا يشير الى الاهتمام بالتربية الدينية في التعليم الابتدائي بهما " "١"

---

١) حول التعليم الابتدائي : ١٣٥ .

المطلب الثالث:

الاختلاط في التعليم :

كما أن عدم الاهتمام بتدريس الدين - في المدارس بمراحلها الثلاث فضلاً عن الجامعة - كماً وكيفاً مظهر من مظاهر العلمنة في التعليم التي انتقلت الينا عدواها من الغرب ، وهو في الوقت ذاته أثر من آثار الفكر العلماني فان الدعوة الى الاختلاط بين الجنسين - الذكور والاناث - في العمل ، والتعليم - بكافة مراحله - واصدار القوانين بذلك وتطبيقه في واقع الحياة ، مظهر من مظاهر العلمنة أيضا ، وهو في ذات الوقت أثر من آثار الفكر العلماني الذى يرى أن الدين محله أمكنة العبادة - الكنيسة ، الدير ، المسجد - ومن المعلوم أنه لا يوجد لهذا الفكر مشتند - في العالم الاسلامي - لا من نصوص الشريعة - القرآن والسنة - ولا من فقه علماء الأمة لهذه النصوص ولا من واقع التاريخ الاسلامي في عهوده المجيدة المطبقة لشرع الله .

فهو اذن فكر غيريب مستورد - من الغرب - ولا يصح أن يكون له مكان في العالم الاسلامي ، ولكن المؤسف حقا أنه قد أصبح له مكان بيننا نحن المسلمين ، بدءاً بالعلمنة في الحكم والتشريع ، وانتهاء بأدنى أمر من أمور حياتنا نحن المسلمين ، وما القوانين التي تشرع للمسلمين في بلاد المسلمين من اباحة الزنا ، والتساهل في عقابه ومصادمة نصوص الشريعة في ذلك يقصر العقاب على الاكراه ، فاذا لم يكن ثمة اكراه فلا عقاب ، وعقاب الاكراه حبس لمدة معينة وكفى ، او القوانين التي تبيح الربا وتقر واقعه في انشاء البنوك الربوية * الا مظهران من جملة مظاهر للعلمنة في الحكم والتشريع ، في جانبين من أهم جوانب الحياة الانسانية الجانب الاجتماعي ، والجانب الاقتصادى ، وسوف استعرض في هذا الجزء من البحث بدايات الدعوة الى الاختلاط - المتمثلة في تقارير الخبراء الاجانب والقرارات التي دعت الى

---

*) انتشرت ولله الحمد في الآونة الاخيرة عدة ممارسات لمصارف اسلامية منها - بنك دبي الاسلامي - ٢- بيت التمويل الكويتي ٣- بنك فيصل الاسلامي (مصر ، السودان) ٤- الشركة الاسلامية للاستثمار الخليجي واخيرا دار المال الاسلامي .

ذلك - ثم بيان ونقل بعض القوانين التي شرعت الاختلاط في بعض البلاد الاسلامية ، ثم بيان الواقع المطبق في التعليم في بعض البلاد الاسلامية منذ الخمسينيات من هذا القرن الميلادى الحالي ، وقبل ذلك لابد من معرفة ماهو المقصود بالتعليم المختلط أو المشترك كما يعرفه بعض رجال التربية .

ماهو التعليم المختلط أو المشترك :

يُعرِّف هذا التعليم أحد رجال التربية في العالم العربي فيقول :

" د - التعليم المشترك أو المختلط : تعرف المدارس التي يتعلم فيها البنون جنباً الى جنب مع الفتيات باسم المدارس المختلطة في معظم البلاد العربية ، وتسمى أحيانا بالمدارس المشتركة كما في جمهورية مصر العربية " (١)

واذا قال أحد من الذين يلتزمون بالاسلام عقيدة ، وشريعة ، وسلوكا ، ان للمستعمرين دور كبير في افساد العالم الاسلامي فان ذلك من الحقائق المرة - حتى بعد رحيل الاستعمار - فقد كان المتوقع أن تتخلص البلاد الاسلامية التي استعمرت بعد رحيل الاستعمار من كل آثاره ومنها آثاره الفكرية والعقائدية ولكن الاستعمار لم يرحل الا بعد أن صنع على عينيه أفراداً اصبحوا هم رسل الاستعمار والتغريب في العالم الاسلامي ، اجسامهم في بلادهم وفكرهم واعتقادهم تبع للمستعمر ، وبذا اطمأن المستعمرون على حركة التغريب الفكرى والعقائدى ، وتسنم هؤلاء المستغربون - الذين ذكرت طرفا من افكارهم في أحد فصول البحث التي مرت تحت عنوان (المنكرون المستغربون) - ذرى المناصب التوجيهية ، في التعليم وغيره . وكان من الوفاء للسيد المستعمر أن يستدعي بعض خبرائه في التربية والتعليم فاستدعى "مان" و "كلاباريد" "" * للاستفادة من خبرتهم

---

١) التعليم العام في البلاد العربية : ٧٦ .

*) مان هو مفتش المدارس وكليات المعلمين في انجلترا ، و "كلاباريد" استاذ علم النفس "السويسرى" .

في التعليم في مصر .

تقول " نازلي احمد صالح " :

" ولقد اتفق " مان " و " كلاربارير " على أن تقوم المرأة بالتدريس للاطفال بالسنوات الاولى ، بالمدارس الابتدائية ، ولقد كان هذا الاقتراح متفقا مع التطورات التربوية ، غير أن تحقيقه كان صعبا في فترة كان سلطان التقاليد فيها مازال مسيطرا وخاصة في الريف . فكان اقبال الفتيات على التعليم قليلا . . ولا يتعدى المرحلة الابتدائية . " "١"

وفي عام ١٩٥٥/٥٤م عقد مؤتمر التعليم الالزامي المجاني الاول في مكان ضمن توصياته التوظيتين الآتيتين :

" ينبغي العمل على الاكثار من تخريج معلمات المرحلة الاولى حتى يمكن بالتدريج قصر التعليم في السنوات الاولى من التعليم الابتدائي على النساء " المادة : ١٧١ " "٢"

" عدم انفراد الرجال في المدارس المشتركة بالتدريس للبنات ، لان ذلك يفقدهن أثر العنصر النسوى اللازم لحسن تكوينهن " "٣"

فهل هي الصدفة أم التبعية للغرب ؟ هي التي كانت وراء متابعة مؤتمر التعليم الالزامي المجاني الاول في توصيته الاولى (م ١٧١) لما قرره " مان " ، و " كلاباريد " وأشارا به من قصر التدريس على السنوات الاولى للتعليم الابتدائي على النساء . لا ليس ذلك من قبيل الصدفة ، ولكنه من قبيل ضياع الهوية الفكرية ، فالذى لا يعرف له هوية فكرية معينة يتابع غيره ولا يكون خياره بيده . وهذا هو واقع التعليم ومؤتمراته للاسف ، وقد سبق ان استعرضت بعض قرارات هذه المؤتمرات في بيان أهداف التعليم ووسائله .

---

١) حول التعليم الابتدائي ١٦٨ .

٢،٣) مستقبل التربية في العالم العربي : ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

وللداعين للاختلاط حيل ومزاعم سوف أفندها ان شاء الله في نهاية هـــذا الجزء من الناحيتين الشريعة والواقعية .

ومن هذا القبيل وعلى نفس المنوال كانت الدعوة الى ذلك فـــي الباكستان : يقول " الكولونيل عثماني " :

" وفي عام ١٩٥٩م اقترحت اللجنة القومية للتربية مايلي : نظـــرا للتوسع المقبل في التعليم الابتدائي فان التسهيلات الممنوحة للبنات يجب أن تكون مساوية للتسهيلات الممنوحة للاولاد . ويجب أن تعهد بتدريس الصفوف الثلاثة الاولى من المرحلة الابتدائية للبنين والبنات الى معلمات كلما توفرت المعلمات المؤهلات " "١"

ان الأمر ليس من قبيل الصدفة فالصدفة لا تكون في أكثر من بـــلد استعمرت لبلد واحد هو " انجلترا " فالمستعمر الذى صنع اتباعا له فـــي مصر ، صنع مثلهم في الباكستان .

ونتابع مسيرة التعليم المختلط فنعثر على نص يوضح ان التعليم المختلط لم يشرع في مصر الا بعد الثورة (الناصرية) فكانت هذه من انجازاته .

يقول د . محمد منير مرسي " :

" ينص القانون على أن يكون التعليم الابتدائي تعليما مشتركا للبنـــين والبنات متمشيا بذلك مع قانون التعليم الابتدائي السابق " ١٩٥٦م) الذى شرع هذا المبدأ في التعليم الابتدائي لأول مرة ... " "٢"

ولا تعارض بين هذا النص وبين الواقع الذى كان سائدا قبل تشريـــع الاختلاط فقد كان هناك مدارس مختلطة خاصة الكليات منذ عام (١٩٤٧م) ولكن لم يكن لها صفة الالزام فهناك مدارس غير مختلطة ومن لا يريد الاختـــلاط يذهب بابنه أو ابنته الى تلك المدارس اما بعد ١٩٥٦م فقد أصبح التعليم كله مختلطا .

---

١) تقارير وبحوث المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي : ٩/٢٢ .
٢) التعليم العام في البلاد العربية : ٣٠٩ .

وفي ماليزيا في أقصى العالم الاسلامي يدرس الطلاب والطالبات جنبا الى جنب من مدارس واحدة في المرحلة الابتدائية ، ثم ينفصل الجنسان في المرحلة الثانية ثم يشتركون في الجامعات والمعاهد العليا . "١"

ويقول ساطع الحصرى عن التعليم المختلط في أوائل "الخمسينيات"

" التعليم المختلط محدود في المدارس الابتدائية ،ونادر في المدارس الثانوية ومعتاد في المدارس العالية .

وفي العراق نوع من المدارس الابتدائية الرسمية ـ وتسمى مدارس الاحداث ـ تسير على نظام التعليم المختلط .

وفي مختلف الاقطار العربية ، يوجد بعض المدارس الابتدائيـــة الطائفية التي تسير على هذا النظام . .

. . . .

وأما المدارس العالية ، فان التعليم المختلط هو الغالب الشائع في جميع الدول العربية ان ابواب الجامعات المصرية ، والجامعة السورية مفتوحة للنساء والذكور على حد سواء ، وكذلك أبواب كليات الحقوق والطب والتجارة ودار المعلمين العالية في بغداد .

ويشاهد فعلا في معظم المدارس العالية في بغداد ودمشق وبيروت والقاهرة والاسكندرية اجتماع الطلاب والطالبات على مقاعد الدرس ، وفي معامل التجارب وفي قاعات البحث والمناقشة ، وحتى في الحقول الزراعية . . " "٢"

هذا في أوائل الخمسينيات حيث كان التعليم المختلط في المرحلـــة الابتدائية محدودا أما الان فان الوضع يوضحه أحد رجال التربية حيث يقول :

" . . . ويمكن القول بصفة عامة بالنسبة للتعليم المختلط في المرحلـــة الابتدائية بأنه آخذ في الانتشار مع وجود تفاوت كبير بين الدول العربية ،

---

١) تقارير وبحوث المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي : ٣/٨ .

٢) حولية الثقافة العربية : ١/٣٧ ، ٣٨ .

وتأتي جمهورية مصر العربية ولبنان في بداية الدول العربية التي تأخذ بالتعليم المختلط ، تليها سوريا والعراق حيث نجد أن مايزيد قليلا على نصف المدارس الابتدائية من النوع المختلط ايضا ويليها الاردن والسودان وليبيا حيث يقل فيها التعليم المختلط ولكن مع التطور الاجتماعي الذى تمر به الدول العربية يزداد الاهتمام بتعليم الفتاة ويزداد معه الاتجاه الى الاخذ بفكرة التعليم المختلط " "١"

وفي الاردن يقول " أحمد التل " عن الاختلاط في التعليم :

" ... الى جانب مشكلة ارتفاع نسبة التسرب بين الذكور ، هناك مشكلة اساسية ايضا تعترض طريقة الكفاح ضد الامية وهي مشكلة تعليم الاناث التي مازالت قائمة حتى الآن ، ورغم الادراك المتزايد من قبل جميع الحكومات الاردنية لاهمية العلاقة بين تعليم الاناث وعملية التمدن . وقد بذلت الحكومات الاردنية في عام ١٩٥٠ - ١٩٧٢م محاولات هامة لمعالجة هذه المشكلة فقد اهملت وزارة التربية والتعليم الفكرة التقليدية بتخصيص مدارس خاصة بالاناث ومدارس خاصة بالذكور ، وطبقت التعليم المختلط في الصفوف الابتدائية الاربعة الاولى ، وحتى السادس الابتدائي في كثير من المدارس الاخرى والارياف ففي عام ١٩٧٦م - ١٩٧٧ كانت نسبة المدارس المختلطة الى مجموع مدارس المملكة " ٢٦٫٧ ٪) تضم (١١٫٨ ٪) من مجموع الصفوف " "٢"

وفي السودان توجد مدارس مختلطة في المرحلة الابتدائية ، يقول احد الكتاب عن ذلك :

---

١) التعليم العام في البلاد العربية ٧٦. والحق أن التطور الصحيح لا يزداد معه الاتجاه الى الاخذ بفكرة التعليم المختلط فلا تلازم بين التطور الصحيح والتعليم المختلط ، بل التلازم بين التطور ـ المستغرب ـ والتعليم المختلط لانه من اساسياته .

٢) تطور نظام التعليم في الاردن : ٢١٩ .

" (أ) المرحلة الابتدائية : كانت مدتها أربع سنوات من ٧ - ١١ أصبحت حاليا من سن السادسة حتى الثانية عشرة والتعليم بها مجاني وبعض مدارس هذه المرحلة منفصل ، للبنين وللبنات ، وبعضها مختلط يصل الى حوالي $\frac{1}{6}$ عدد المدارس تقريبا " (١)

الواقع المطبق في التعليم منذ الخمسينيات * :

سوف أستعرض واقع التعليم في بعض البلاد الاسلامية التي استطعت أن أجمع عنها بيانات ، موضحا نسبة المدارس المختلطة الى المجموع العام في كل مرحلة على حدة ثم على مستوى المراحل كلها ، وموضحا أيضا نسبة المعلمين الى المعلمات في المدارس الخاصة بالبنات ، ونسبة المعلمات الى المعلمين في المدارس الخاصة بالبنين لان ذلك وجه آخر - لموضة الاختلاط - فالاختلاط بين المعلمين والمعلمات لا يقل سوءاً عن اختلاط الطلاب والطالبات فالقضية واحدة ، وسوف أذكر المدارس الاهلية ، والاجنبية لبيان مدى تغلغل هذه الفكرة أو عدمه في اوساط المجتمعات .

في الاردن بلغت عدد المدارس الاهلية عام ٥٢/١٩٥٣م كما يلي :

---

١) التعليم العام في البلاد العربية : ١٦١ .

*) المقصود بالخمسينات : هي الاعوام مابين (١٩٤٠ - ١٩٥٠) لا كما هو شائع من أن الخمسينيات أو الستينيات اوغيرها تبدأ بعد الخمسين أو الستين ، والجمع الصحيح لخمسين أو ستين " خمسينيات " لا خمسينات كما هو الشائع خطأ .

المدارس الاهلية الاسلامية	الضفة الشرقية	الضفة الغربية	المجموع
المدارس الخاصة بالذكور	٧٩	٣٧	١١٦
المدارس الخاصة بالاناث	٠٥	١٤	١٩
المدارس المختلطة	٣٤	٢٢	٥٦
المجموع	١١٨	٧٣	١٩١
نسبة المدارس المختلطة الى مجموع المدارس	٢٨ر٨١ ٪	٣٠ر١٤	٢٩ر٣٢ ٪
	٪ ١٧ر٨٠	١١ر٥٢	— * "١"

وفي عام ١٩٥٦/٥٥م بلغ عدد المدارس ١١٢٧ كان منها ٦٦٣ خاصة بالذكور ، و ٢٨٣ خاصة بالاناث و ١٨١ مختلطة والجدول يوضح ذلك :

عدد المدارس	الخاصة بالذكور	بالاناث	المختلطة	المجموع	النسبة
الابتدائية الرسمية	٣٢٥	١٥٧	٠٠٠	٤٨٢	
الاهلية	٠٣٩	٠٢٣	١٢٥	١٨٧	٪٦٦ر٨٤
الاجنبية	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٦	٠٠٦	٪١٠٠ر٠٠
المدارس التابعة لوكالة الغوث	٠٤٣	٠٤٧	٠٣٩	١٢٩	٪ ٣٠ر٢٣
المجموع	٤٠٧	٢٢٧	١٧٠	٨٠٤	٪ ٢١ر١٤

---

١) حولية الثقافة العربية : ٣٠/٤

*) الخط الاول لنسبة المدارس المختلطة في كل عامود الى المجموع الذى تحته ، والخط الثاني لنسبة المدارس المختلطة الى مجموع المدارس وهكذا سيكون في الجداول كلها .

نوع المدارس	الخاصة بالذكور	بالاناث	المختلطة	المجموع	النسبة
الثانوية الرسمية	١٨٦	٠٣٦	٠٠٠	٢٢٢	٠٠٠٠
الاهلية	٠٢١	٠٠٧	٥	٠٣٣	١٥ر١٥ ٪
الاجنبية	٠١٠	٠٦	٥	٢١	٢٣ر٨١ ٪
المدارس التابعة لوكالة الغوث	٣١	٦	١	٣٨	٠٢ر٦٣ ٪
المجموع	٢٤٨	٥٥	١١	٣١٤	٠٣ر٥٠ ٪
المدارس المهنية الرسمية	٤	٠٠	٠٠	٤	٠٠٠٠
غير الرسمية	١	٠٠	٠٠	١	
دور المعلمين الرسمية	٣	٠٠	٠٠	٣	٠٠٠٠٠
دور المعلمات الرسمية	٠٠	١	٠٠	١	٠٠٠٠
مجموع المدارس	٦٦٣	٢٨٣	١٨١	١١٢٧	١٦ر٠٦ ٪ "١"

وقد تطور الامر حتى أصبحت نسبة المدارس المختلطة عام ١٩٧٦ / ١٩٧٧م الى مجموع المدارس هي (٢٦ر٧ ٪) تضم فقط (١١ر٨ ٪) من مجموع الصفوف . "٢"

وننتقل الى سوريا لنتابع مسيرة الاختلاط منذ الخمسينيات من القرن الميلادى الحالي فماذا نجد ؟ نجد مايلي :

" كان عدد المدارس الرسمية الابتدائيق للبنين عام ١٩٤٨/٤٧ م هو ٨٢٣ وللبنات ١٧٩ ، والمختلطة " ٣٨ " .

وكان عدد المدارس الاهلية للبنين في نفس العام ١١٤ ، وللبنات ٢٢ ، والمختلطة ١٦٣ .

---

١) حولية الثقافة العربية : ٥٥/٥ .

٢) تطور نظام التعليم في الاردن : ٢١٩ .

أما المدارس الاجنبية فكانت في نفس العام ١٤ للبنين ، و ٨ للبنات و ١٥ مختلطة "١"

فنسبة المدارس الرسمية المختلطة الى مجموع المدارس وهو (١٠٤٠) هي " ٣ر٦٥ ٪) ونسبة المختلطة الاهلية الى مجموع المدارس هـــي (٥٤ر٥٢ ٪) ونسبة المختلطة الاجنبية الى مجموع المدارس هي (٤ر٥٤ ٪) ونسبة جميع المدارس المختلطة وهي (٢١٦) الى مجموع المدارس وهـــي (١٣٧٦) هي (١٥ر٧٠ ٪) .

وفي عام ٤٩/١٩٥٠م كان الوضع كما يوضحه الجدول الآتي :

نوع المدارس		الرسمية	الاهلية	الاجنبية	المجموع
الابتدائية	(ذكور)	١٠٤٧	١١٥	١٤	١١٧٦
	(اناث)	٠٢١٩	٠٣٦	١١	٠٢٦٦
	(المختلطة)	٨	١٤٧	١٥	١٧٠
المجموع		١٢٧٤	٢٩٨	٤٠	١٥١٢
النسبة		٠ر٦٣ ٪	٤٩ر٣٣ ٪	٣٧ر٥٠ ٪	١٠ر٥٥ ٪
		٠ر٥٠ ٪	٠٩ر١٢ ٪	٠٠ر٩٣ ٪	—
الثانوية	(ذكور)	٢٧	٣٧	٨	٧٢
	(ن)	١٧	١٥	٨	٤٠
	المختلطة	٢	٤	٢	٨
المجموع		٤٦	٥٦	١٨	١٢٠
النسب		٤ر٣٥ ٪	٧ر١٤ ٪	١١ر١١ ٪	٦ر٦٧ ٪
		١ر٦٧ ٪	٣ر٣٣ ٪	١ر٦٧ ٪	—
كليات الجامعة		٦	-	-	٦ كلها مختلطة "٢"

١) حولية الثقافة العربية : ١٠٢/١ .
٢) حولية الثقافة العربية ١٦٦/٢ جدول ٣٥

وفي عام (٥٠/١٩٥١م) كان الوضع بالنسبة لانتشار المدارس المختلطة كما يوضحه الجدول الآتي :

نوع المدارس	رسمية	اهلية	اجنبية	المجموع
ابتدائية ذكور	١٢٠٥	١٠٦	١٣	١٣٢٤
اناث	٢٥٨	٤٢	١٠	٣٢٠
مختلطة	٩	١٣٦	١٥	١٦٠
المجموع	١٤٧٢	٢٨٤	٣٨	١٧٩٤
النسب	%٠٠٫٦١	%٤٧٫٨٩	%٣٩٫٤٧	%٨٫٩٢
	%٠٠٫٥٠	%٧٫٥٨	%٠٢٫١٢	
الثانوية ذكور	٢٧	٤٣	٧	٧٧
اناث	١٧	١٧	٩	٤٣
مختلطة	٣	١٠	٢	١٥
المجموع	٤٧	٧٠	١٨	١٣٥
النسب	%٦٫٣٨	%١٤٫٢٩	%١١٫١١	%١١٫١١
	%٠٢٫٢٢	%٠٧٫٤١	%٠١٫٤٨	
الكليات الجامعية	٦			كلها مختلطة

" أما في عام ١٩٥٢م فقد زادت المدارس المختلطة ، اذ بلغ مجموع عدد المدارس هو ٢٣٧٦ ، منها ١٧٥٤ خاصة بالذكور ، ٤٢٢ خاصة بالاناث و ٢٠٠ مختلطة . ويوضح ذلك الجدول الآتي :

كما بلغ مجموع افراد الهيئات التعليمية : ١١٦٩٦ ، عدد المعلمين بينهم ٨٠٧١ وعدد المعلمات (٣٦٢٥) "(١)

---

٢) حولية الثقافة : ٢/١٦٦ .

١) حولية الثقافة العربية : ٣/١٢٤ ونسبة المعلمات الى المجموع الكلي للمدرسين هو (٣٠٫٩٩ %) .

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الاجنبية	المجموع
الابتدائية ذكور	١٥٢٤	٩٨	١٣	١٦٣٥
اناث	٣١٣	٤٦	١٠	٣٦٩
مختلطة	١٣	١٥٢	١٥	١٨٠
المجموع	١٨٥٠	٢٩٦	٣٨	٢١٨٤
النسب	٠ر٧٠ ٪	٣٥ر٥١ ٪	٤٧ر٣٩ ٪	٢٤ر٨ ٪
	٠ر٦٠ ٪	٩٦ر٦ ٪	٦٩ر٠٠ ٪	
الثانوية ذكور	٣٥	٦٥	٧	١٠٧
اناث	٢٠	١٩	٩	٤٨
مختلطة	٢	٥	٢	٩
المجموع	٥٧	٨٩	١٨	١٦٤
النسب	٥١ر٣ ٪	٦٢ر٥ ٪	١١ر١١ ٪	٤٩ر٥ ٪
	٢٢ر١ ٪	٠٥ر٣ ٪	٢٢ر١ ٪	
المهنية ذكور	٥	١	٠	٦
اناث	١	٠	٠	١
المختلطة	٠	١	٠	١
المجموع	٦	٢	٠	٨
النسب	-	٥٠ ٪	٠٠	١٢ر٥٠ ٪
	-	١٢ر٥٠ ٪	-	-

كليات الجامعة ١٠

دور المعلمين ٤

صفوف خاصة بالمعلمين ٢

خطأ مختلفه

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الأجنبية	المجموع
دور المعلمات	٢	-	-	٢
صفوف خاصة بالمعلمات .	٢	-	-	٢
المجموع	١٠	-	-	١٠
المجموع العام	١٩٣٣	٣٨٧	٥٦	٢٣٧٦
تفصيلها :				
خاصة بالذكور	١٥٧٠	١٦٤	٢٠	١٧٥٤
خاصة بالاناث	٢٣٨	٦٥	١٩	٤٢٢
مختلطة	٢٥	١٥٨	١٧	٢٠٠ "١"

وفي معهد المعلمين العالي في سوريا كان عدد طلابه عام ١٩٤٨/٤٧ مائتان وثمانية طلاب منهم مائة وثلاثة وعشرون من الذكور وخمسة وثمانون من الاناث ، ونسبتهن الى المجموع العام (٢٠٨) هو (٤٠ر٨٧ ٪)

وكان مائة وعشرون طالبا منهم داخليين وثمانية وثمانون أحرار ، من الداخلين واحد وثلاثون طالبة وهن يشكلن نسبة (٢٥ر٨٣ ٪) "٢"

وفي عام ١٩٥٣/٥٢ كان الوضع بالنسبة .. للمدارس المختلطة يمثله الجدول الآتي :

---

١) حولية الثقافة العربية : ١٣٢/٣ .

٢) المرجع نفسه : ١٧٤/١ .

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الاجنبية	المجموع	ملاحظات
ابتدائية ذكور	١٥٠٣	٩٩	٨	١٦١٠	
اناث	٣٤٣	٤٤	٧	٣٩٤	
مختلطة	٢١٨	١٦٥	١٢	٣٩٥	
المجموع	٢٠٦٤	٣٠٨	٢٧	٢٣٩٩	
النسب	٪١٠ر٥٦	٪ ٥٣ر٥٧	٪٤٤ر٤٤	٪ ١٦ر٤٧	
	٪ ٩ر٠٩	٪٠٦ر٨٨	٪ ٠ر٥٠		
الثانوية ذكور	٣٤	٥٩	٠٦	٩٩	
اناث	٢٠	٢٧	١٠	٥٧	
مختلطة	٣	٢٠	٢	٢٥	
المجموع	٥٧	١٠٦	١٨	١٨١	
النسب	٪٥ر٢٦	٪١٨ر٨٧	٪١١ر١١	٪١٣ر٨١	
	٪١ر٦٦	٪١١ر٠٥	٪٠١ر١٠	—	
المهنية ذكور	٥	١	٠	٦	
اناث	١	٠	٠	١	
مختلطة	٠	١	٠	١	
المجموع	٦	٢	-	٨	
النسب	-	٪٥٠ ٪١٢ر٥٠	-	٪ ١٢ر٥٠	
كليات الجامعة	٦	-	-	٦	كلها مختلطة
دور المعلمين	٦	-	-	٦	
دور المعلمات	٢	-	-	٢	
المجموع العام	٢١٤١	٤١٦	٤٥	٢٦٠٢	

تفصيلها :

ذكور	١٠٤٨	١٥٩	١٤	١٧٢١
اناث	٣٦٦	٧١	١٧	٤٥٤
مختلطة	٢٢٧	١٨٦	١٤	٤٢٧
النسب	١٠ر٦٠٪	٤٤ر٧١٪	٠ر٦٥٪	١٦ر٤١٪
	٠٧ر٧٢٪	١٥ر١٥٪	٠ر٥٤٪	— [1]

وفي عام ١٩٥٦/٥٥م كان الوضع كما يوضح الجدول الآتي :

نوع المدارس	ابتدائي	ثانوى	مهني	المجموع	النسب
ذكور	١٣٧٣	١٤٦	١٩	١٥٣٨	
اناث	٣٧٠	٧٢	-	٤٤٢	
مختلطة	٩٧٤	٤٩	-	١٠٢٣	٩٥ر٢١ ٪٤ر٧٩ [2]
المجموع	٢٧١٧	٢٦٧	١٩	٣٠٠٣	
النسب	٣٥ر٨٥٪	١٨ر٣٥٪	-	٣٤ر٠٧٪	[3]
	٣٢ر٤٣٪	٠١ر٦٣٪	-		

أما عدد المعلمين والمعلمات فكان كما يلي :

---

١) حولية الثقافة العربية : ٤٠/٤ .

٢) النسبة الاولى نسبة المدارس المختلطة الابتدائية لمجموع المدارس المختلطة ، والثانية نسبة المدارس الثانوية لمجموع المدارس المختلطة .

٣) نفس المصدر : ١٣٠/٥ .

نوع المدارس	المعلمين	المعلمات	المجموع	النسـب [١]	
ابتدائي	٦٥٤١	٢٨٢٣	٩٣٦٤	٣٠ر١٥٪	٢٢ر٢١٪
ثانوي	٣١٤٧	٧٩٤	٣٩٤١	٢٠ر١٥٪	٩٧ر٥ ٪
المجموع	٩٦٨٨	٣٦١٧	١٣٣٠٥		
النسب	٧٢ر٨١٪	٢٧ر١٩٪	-	[٢]	

فاذا انتقلنا الى العراق فاننا سوف نجد أن الاختلاط في التعليم تزداد نسبته كثيرها من الدول الاخرى .

يقول " ساطع الحصري" عن دور المعلمين والمعلمات.

" ... يوجد في العراق معهدان لتخريج المعلمين والمعلمات للمدارس الثانوية ، أحدهما دار المعلمين العالية - مختلط يدرس البنين والبنات معا ، وثانيهما : معهد الملكة عالية خاص بالبنات .

وكان عدد طلاب دار المعلمين العالية (خلال سنة ١٩٤٨/٤٧) ٥٣٢ منهم ١٧٨ من البنات ، وعدد طالبات معهد الملكة عالية ٢٣٢ " [٣]

أي ان نسبة البنات الى مجموع الدارسين هو (٣٣ر٤٦ ٪) .

ويقول عن معهد الملكة عاليه مايلي :

" أسس معهد الملكة عاليه سنة ١٩٤٥م لاتمام عمل دار المعلمين العاليه ، وبتعبير أدق ليكون بمثابة " دار المعلمات العالية " .

من المعلوم أن دار المعلمين العالية مؤسسة مختلطة يدرس فيها البنون والبنات معا ويناهز عدد البنات فيها ثلث مجموع الطلاب .

---

١) النسبة الاولى هي نسبة الى مجموع المعلمين في المرحلة ، والثانية هي نسبة المعلمات الى المعلمين في المرحلتين .

٢) حولية الثقافة العربية : ١٣٧/٥ .

٣) المرجع نفسه : ٢٥٥/١ ، ٢ .

ومع هذا رأت وزارة المعارف - في السنة المذكورة - أن تؤسس " معهد الملكة عاليه " على أن يكون التعليم فيها خاصا بالبنات ، وذلك بغية افساح مجال الدراسة لبنات (العائلات المحافظة " التي لا تحبذ اختلاط الجنسين على مقاعد الدرس .

ان أكثر من أربعة اخماس الهيئة التعليمية في معهد الملكة عاليه محاضرون ، ومعظم هوءلاء أساتذة في دار المعلمين العالية .

وكان عدد المدرسات فيه عام ١٩٤٧ / ١٩٤٨ م هو ٨ وعدد المحاضرين هو ٣٨ " "١"

فيكون مجموع المدرسات والمحاضرين هو (٤٦) تشكل المعلمات نسبة (١٧ر٣٩ ٪) ويشكل المحاضرون نسبة (٨٢ر٦١ ٪) .

والعجيب في أمر الكتاب هو انهم لا يعدون الاختلاط الا بين الطلاب والطالبات فالمدرسة التي تضم طلابا وطالبات تسمى مختلطة عندهم ، أما المدرسة التي تضم معلمين ومعلمات ولا تضم طلابا وطالبات فانها تسمى منفصلة عندهم ، مع أن الاضرار واحدة والجريمة واحدة (جريمة معصية الله بمخالفة أوامره) ولكن مفاهيم العلمانيين معكوسة ومغلوطة .

ويمثل الجدول الآتي عدد المدارس ومنها المختلطة في مراحل التعليم في عام ٤٩/١٩٥٠م x

---

(١) - المصدر السابق : ١ / ٣٨١

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الاجنبية	المجموع	النسب
الابتدائية ذكور	٨٠٥	٤٩	٥	٨٥٩	
اناث	١٥٥	٢٤	٠	١٧٩	
مختلطة	٨٠	٤٦	٠	١٢٦	٦٣٫٤٩ ٣٩٫٥١ *
المجموع	١٠٤٠	١١٩	٥	١١٦٤	
النسب	٧٫٩٠٪	٣٨٫٦٦٪		١٠٫٨٢ ٪	
	٦٫٨٧ ٪	٩٥٫٠٣٪		٪ :	
المهنية ذكور	٨	-	-	٨	
اناث	٢	-	-	٢	
مختلطة	١	-	-	١	
المجموع	١١	-	-	١١	
النسب	٩٫٠٩ ٪			٩٫٠٩ ٪	
المدارس العالية					
ذكور	١	=	=	١	
اناث	١	=	=	١	
مختلطة	٧	-	-	٧	
المجموع	٩	-	-	٩	
النسب	٧٧٫٧٨٪			٧٧٫٧٨ ٪	
المجموع العام	١٠٦٠	١١٩	٥	١١٨٤ "١"	

وفي عام ١٩٥٠ / ١٩٥١م زادت نسبة المدارس المختلطة ويمثله الجدول الآتي :

---

١) حولية الثقافة العربية : ٢٣٧/٢ جدول رقم (٥٤) .

* العمود الأول يمثل نسبة المدارس الرسميه المختلطه الي المجموع العام والثاني نسبة الاهليه .

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الاجنبية	المجموع	النسب	
الابتدائية ذكور	٨١٩	٤٥	٥	٨٦٩		
اناث	١٩٠	٢٢	-	٢١٢		
مختلطة	٩٢	٥٦	-	١٤٨	٦٢٫١٦٪	٣٧٫٨٤ *
المجموع	١١٠١	١٢٣	٥	١٢٢٩		
النسب	٨٫٣٦٪	٤٥٫٥٣٪		١٢٫٠٤٪		
	٧٫٤٩٪	٠٤٫٥٦٪		[illegible]٫٠٪		
المهنية ذكور	٨	-	-	٨		
اناث	٢	-	-	٢		
مختلطة	١	-	-	١		
المجموع	١١	-	-	١١		
النسب	٩٫٠٩٪			٩٫٠٩٪		
المعاهد العاليه						
ذكور	٣	-	-	٣		
اناث	١	-	-	١		
مختلطة	٧	-	-	٧		
المجموع	١٠	-	-	١٠		
النسب	٧٠٪	٧٠٪		٧٠٪	"١"	

أما في عام ١٩٥٢/٥١ فيوضح الجدول التالي نسبة المدارس المختلطة وكيف زادت عدد المدارس المختلطة الرسمية :

---

*) العمود الاول يمثل نسبة المدارس الرسمية المختلطة الى المجموع العام والثانية نسبة الاهلية .

١) حولية الثقافة العربية : ٣/٢٠٠ جدول ٣٨

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الاجنبية	المجموع	النسب	
الابتدائية ذكور	٩٠١	٣٢	٥	٩٣٨		
اناث	٢٠٤	١٨	-	٢٢٢		
مختلطة	١٠٣	٤٣	-	١٤٦	٧٠٫٥٥	٢٩٫٤٥٪
المجموع	١٢٠٨	٩٣	٥	١٣٠٦		
النسب	٨٫٥٣٪	٤٦٫٢٤٪	—	١١٫١٨٪		
	٧٫٨٩ ٪	٣٫٢٩٪	—	—		
المهنية ذكور	٦	-	-	٦		
اناث	٢	-	-	٢		
مختلطة	١	-	-	١		
المجموع	٩	-	-	٩		
النسب	١١٫١١٪			١١٫١١ ٪		
المدارس العالية						
ذكور	٣	-	-	٣		
اناث	١	-	-	١		
مختلطة	٧	-	-	٧		
المجموع	١١	-	-	١١		
النسب	٦٣٫٦٤٪	-	-	٦٣٫٦٤ ٪ "١"		

وفي عام ٥٢ / ٩٥٣ ١م زادت المدارس المختلطة ، فقد بلغ مثلاً عدد المدارس المختلطة في التعليم الابتدائي ١٥٦ من مجموع المدارس وهي ١٤٢٠ وهي تشكل نسبة (١٠٫٩٩ ٪) .

وفي التعليم المهني كان عدد المدارس المختلطة هو مدرسة واحدة من مجموع المدارس وهو ١٠ وهي تشكل نسبة (١٠ ٪) . "٢"

---

١) حولية الثقافة العربية : ٣/ ٢٠٠ .

٢) نفس المصدر : ٤/ ٨٥ ، ٩٠ ، ٩١ .

وفي عام ٥٥/١٩٥٦م كان الوضع يمثله الجدول الآتي :

نوع المدارس	ابتدائي	ثانوى	المجموع
ذكور	١٠٩١	١٥٤	١٢٤٥
اناث	٢٦٩	٥١	٣٢٠
مختلطة	٤٦٦	-	٤٦٦
المجموع	١٨٢٦	٢٠٥	٢٠٣١
النسب	٢٥ر٣٥٪	-	٢٢ر٩٤ ٪
	٢٢ر٩٤٪	-	- "١"

أما عدد المعلمين والمعلمات فيوضحه الجدول الآتي :

نوع المدارس	المعلمين	المعلمات	المجموع	النسب
ابتدائي	٧٦١٠	٣٤٧٢	١١٠٨٢	٣١ر٣٣ ٪
ثانوى	٢١٦٢	٠٧٦٤	٢٩٢٦	٢٦ر١١ ٪
المجموع	٩٧٧٢	٤٢٣٦	١٤٠٠٨	٣٠ر٢٤ ٪ "٢"

ومعنى ذلك أن نسبة المعلمات الى مجموع المعلمين هو (٣٠ر٢٤ ٪) في المرحلتين اى ثلث المدرسين تقريبا .

أما في آخر احصائية وهي الاحصائية التي نشرت بصحيفة الرياض فــان المدارس المختلطة قد زادت كثيراً ويمثلها الجدول الاتي :

---

١) نفس المصدر : ٢٤٦/٥

٢) حولية الثقافة العربية : ٢٤٦/٥ .

المرحلة الدراسية :	بنون	بنات	مختلط	المجموع	النسبة
		المـــــدارس			
الابتدائية	١٧٣٤	١٠٧٨	٨٥٠٤	١١٣١٦	٧٥ر١٥ ٪
ثانوي اكاديمي	٧٧٧	٥٠٠	٤٩٧	١٧٧٤	٢٨ر٠٠ ٪
الثانوية اعداد مهني — صناعي	٩	-	٤١	٥٠	٨٢ر٠٠ ٪
زراعي	١٠	-	١٨	٢٨	٦٥ر٠٠ ٪
تجاري	١٤	٢٧	٧	٤٨	١٥ر٠٠ ٪
معاهد الفنون الجميلة	-	-	٤	٤	١٠٠ر٠٠ ٪
دور المعلمين	١٦	١٩	-	٣٥	-
معاهد المعلمين	١	٢	١٢	١٥	٨٣ر٠٠ ٪
التعليم العالي — معاهد فنية	-	-	١٩	١٩	١٠٠ر٠٠ ٪
كليات	-	-	٤٦	٤٦	١٠٠ر٠٠ ٪
المجموع	٢٥٦١	١٦٢٦	٩١٤٨	١٣٣٣٥	٦٨ر٦٠ ٪

أما المعلمون فيمثلهم الجدول الآتي :

المرحلة الدراسية		المعلمون	المعلمات	المجموع	النسبة
	الابتدائية	٥٠٤٦٤	٤٢١٨٠	٩٢٦٤٤	٤٥ر٥٣ ٪
	ثانوي اكاديمي	١٦٨١٨	١١١٨٤	٢٨٠٠٢	٣٩ر٩٤ ٪
المرحلة الثانوية اعداد مهني	صناعي	١٩٨٧	٠٠٢٤٤	٢٢٣١	١٠ر٩٤ ٪
	زراعي	٩٠٨	٩٨	١٠٠٦	٩ر٧٤ ٪
	تجاري	٢٢٢	٤٦٩	٦٩١	٦٧ر٨٧ ٪

المرحلة الدراسية	المعلمون	المعلمات	المجموع	النسبــــة
معاهد الفنون الجميلة	١٣١	١٧	١٤٨	١١ر٤٩ ٪
دور المعلمين	٢٥٨	٥١٤	٧٧٢	٦٦ر٥٨ ٪ *
معاهد المعلمين	١٥٢	٦٩	٢٢١	٣١ر٢٢ ٪
التعليم العالي — معاهد فنية	١٢٦٩	٢٧٦	١٥٤٥	١٧ر٨٦ ٪
التعليم العالي — كليات	٣٥٢٦	٦٠٩	٤١٣٥	١٤ر٧٣ ٪
المجموع العام	٧٥٧٣٥	٥٥٦٦٠	١٣١٣٩٥	٤٢ر٣٦ ٪

أما التلاميذ فيمثلهم الجدول الآتي

المرحلة الدراسية	الطلاب	الطالبات	المجموع	النسبـــة
الابتدائية	١٤٣٤٠٦٧	١١٧٤٨٦٦	٢٦٠٨٩٣٣	٤٥ر٠٣ ٪
ثانوي اكاديمي	٦٢٦٥٨٨	٢٧١١١٢	٨٩٧٧٠٠	٣٠ر٢٠ ٪
اعداد مهني المرحلة الثانوية — صناعي	٢٨١٥٦	٢٨١٢	٣٠٩٦٨	٩ر٠٨ ٪
زراعي	٧٣٦١	١١٢٨	٨٤٨٩	١٣ر٢٩ ٪
تجاري	٣٣٩٨	١١١٧١	١٤٥٦٩	٧٦ر٦٨ ٪
معاهد الفنون الجميلة	١٠٣٦	٣٨٢	١٤١٨	٢٦ر٩٤ ٪
دور المعلمين	٥٨٢٣	١٣١٣٧	١٨٩٦٠	
معاهد المعلمين	١٩٤٤	١٨٥٧	٣٨٠١	٤٨ر٨٦ ٪
التعليم العالي — معاهد فنية	١٠٧٤٨	٤٢٣٩	١٤٩٨٧	٢٨ر٢٨ ٪
التعليم العالي — كليات	٥٧٦٦٣	٢٥٧٦٢	٨٣٤٢٥	٣٠ر٨٨ ٪
المجموع	٢١٧٦٧٨٤	١٥٠٦٤٦٦	٣٦٨٣٢٥٠	٤٠ر٩٠ ٪ "١"

---

*) دور المعلمين يقبل بها خريجو الدراسة المتوسطة ومدة الدراسة بها ٣ سنوات والنية متجهة لجعلها خمس سنوات . وانظر كيف ان المدارس ليس فيها اختلاط بين التلاميذ ولكن نسبة المعلمات الى المعلمين كافة مرتفقة جـــدا (٦٦ر٥٨ ٪) وهو اختلاط والنتيجة واحدة .

١) انظر صحيفة الرياض العدد ٤٨٨٦ / السنة السابعة عشرة الخميس ١٥ رمضان ١٤٠١ هـ ص ١٥ مقابلة وزير التربية العراقي ، والجدول المرفق وقد وزعته على الجداول الثلاثة .

أما في مصر فقد كان الوضع كما يلي عام ١٩٥٥/١٩٥٦م .

١ - كان عدد المدارس الابتدائية هو ٥٣٩٩ منها " ٣٣١٥ " مختلطة وهي تشكل نسبة (٦١ر٤٠ ٪) من عدد المدارس .

٢) كان عدد المعلمين في مدارس البنات هو " ١٥٤٧ " من عدد الهيئة التعليمية البالغة ٧٩٣٩ ، أى ان نسبتهم هي (١٩ر٤٩ ٪) من المجموع العام ،

٣) كان عدد المعلمات في مدارس البنين هو (٦٦) مدرسة من مجموع الهيئة التعليمية وهي " ١٠٧٢٦ " وهي تشكل نسبة (٦٢ و٠ ٪)

٤) كان عدد المعلمات في المدارس المختلطة هو (٣٩٧٥) من مجموع الهيئة التعليمية وهي " ١٨٤٥١ " وهي تشكل نسبة (٢١ر٥٤ ٪) ،

٥) كان عدد المعلمات في المدارس كلها " البنين " و " البنات " (المختلطة) هو " ١٠٤٣٣ " من مجموع الهيئة التعليمية وهي " ٣٧١١٦ " وهي تشكل نسبة (٢٨ر١١ ٪) .

٦) كان عدد المعلمين في المدارس الابتدائية الراقية " نسوى " (" ٣١ " معلما من مجموع الهيئة التعليمية في هذه المدارس وهي تشكل نسبة (١٨ر٧٩ ٪)"١"

أما في المرحلة الاعدادية فكان الوضع كالاتي :

* كان عدد المعلمين في مدارس البنات هو (٩٤٠) من مجموع الهيئة التعليمية في هذه المدارس وهي (٣٠٥١) وهي تشكل نسبة (٣٠ر٨١ ٪) "٢"

أما في المرحلة الثانوية فكان الوضع كالاتي :

* كان عدد المعلمين في مدارس البنات هو (٤٧٨) من مجموع الهيئة التعليمية في هذه المدارس وهي (١٤٥٩) وهي تمثل (٣٢ر٧٦ ٪)

١-٢) حولية الثقافة العربية : ٥/٥٨٤ جدول رقم (١٠٠) .

والفنية
أما في المدارس المهنية* فكان الوضع كالتالي :

١) كان عدد المعلمات هو (٤) من مجموع الهيئة التعليمية في هـذه المدارس وهي (١٨) وهي تشكل نسبة (٢٢ر٢٢ ٪) ٠

٢) كان عدد المعلمين في الثانوي التجاري (للبنات) هو (٥٠) معلما من مجموع الهيئة التعليمية وعددها (٨٦) وهي تشكل نسبة (٥٨ر١٤ ٪) ٠

٣) كان عدد المعلمين في الثانوي الفني المهني (النسوي) هو (١٣٩) من مجموع الهيئة التعليمية وعددها (٦٣٨) وهي تشكل نسبة (٢٢ر٢٠ ٪) "١"

هذا هو الوضع في المدارس الاميرية الحكومية ٠

أما في المدارس الاهلية (الحرة) فكان الوضع بالنسبة للاختلاط كالاتي :

١) كان عدد المدارس المشتركة في المدارس الابتدائية " المعانة " هو (٧٠٤) من مجموع المدارس وعددها (١١٢٩) وهو يمثل نسبة (٦٢ر٣٦ ٪)

٢) كان عدد المدارس المشتركة في المدارس الابتدائية (غير المعانة) هو (٩١٢) من مجموع المدارس وعددها (١٨٣٨) وهو يشكل نسبة (٤٩ر٦٢ ٪) ٠

أما عن المعلمين والمعلمات فان الوضع كان كالاتي :

١) كان عدد المعلمين في مدارس البنات " المعانة " هو (٣٠٠) من مجموع الهيئة التعليمية في هذه المدارس وعددهم (١٣٢٩) وهي تشكل نسبة (٢٢ر٥٧ ٪) ٠

٢) كان عدد المعلمات في المدارس المشتركة هو (٢٤٧٧) من مجموع الهيئة التعليمية وعددها (٤٣٤١) وهو يشكل نسبة (٥٧ر٠٦ ٪) وتكون نسبة المعلمين هي (٤٢ر٩٤ ٪) ٠

---

١) حولية الثقافة العربية : ٥/٨٤ جدول رقم "١٠٠" ٠

٣) كان عدد المعلمات في مدارس البنين الابتدائية "غير المعانة" هو (٥٣) معلمة من مجموع الهيئة التعليمية وعددها (٧٢١) وهو يشكل نسبة (٣٥ر٧ ٪) .

٤) كان عدد المعلمات في المدارس الابتدائية المشتركة "غير المعانة" هو (١١٩٥) معلمة من مجموع الهيئة التعليمية وعددها (٢٠٤٣) وهو يشكل نسبة (٥٨ر٥٢ ٪) وتكون نسبة المعلمين هي (٤١ر٤٨ ٪) .

٥) كان عدد المعلمات في المدارس الاعدادية المعانة "بنون" هو (٥) معلمات من مجموع الهيئة التعليمية وعددها (٣٦١٨) وهو يشكل نسبة (٠ر١٤ ٪) .

٦) كان عدد المعلمين في المدارس الاعدادية المعانة "بنات" هو (٥٠٥) من مجموع الهيئة التعليمية وعددها (١٠٢١) وهو يمثل نسبة (٤٩ر٤٦ ٪) وبذا تكون نسبة المعلمات هي (٥٠ر٥٤ ٪) .

٧) كان عدد المعلمات في المدارس الاعدادية "بنون" غير معانة هو (١٩) من مجموع الهيئة التعليمية وعددها (٤٤٤) وهو يمثل نسبة (٤ر٢٨ ٪) .

٨) كان عدد المعلمين في المدارس الاعدادية بنات غير معانة هو (٦٧) من مجموع الهيئة التعليمية وهي (١٦٦) وهو يشكل نسبة (٤٠ر٣٦ ٪)

٩) كان عدد المعلمين في الثانوى "بنات" هو (٩٠) معلما من مجموع الهيئة التعليمية وهي (١٧٦) وهو يشكل نسبة (٥١ر١٤ ٪) .

١٠) كان عدد المعلمين في الثانوى "بنات" غير معان هو (٤) معلما من مجموع الهيئة التعليمية وهي (١٣) وهو يشكل نسبة (٣٠ر٧٧ ٪) "[١]

---

١) حولية الثقافة العربية : ٥/ ٥٩٠ جدول رقم (١٠٥) .

بعد ذلك نأتي الى مناقشة مزاعم الداعين الى الاختلاط وحججهم في الدعوة إلى ذلك .

من حججهم التي يطلقونها لتبرير الاختلاط في المرحلة الاولى (الابتدائية) مايلي :

أ ـ " . . . ان الاطفال برآء ليس لديهم الا مشاعر فطرية بعيدة عن الجنس " "١"

والرد على هذا الزعم من ثلاثة أوجه :

الاول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالتفريق بين الاخوة في المضاجع وهم ابناء عشر سنين .

" عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم ابناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع . . " رواه احمد ، وابو داود ، والحاكم في المستدرك "٢".

فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بالتفريق بين الاولاد ـ وهو تعبير يشمل الذكور والاناث ـ وهم ابناء عشر سنين ، تعويدا لهم على التمايز والانفصال فإن الدعوة الى اختلاطهم على مقاعد الدراسة وهم في الثقفة يولد فيهم الشعور بعدم التمايز ، وبالتالي لا يكون للزواج في مستقبل ايامهم أى معنى ، وبالزواج تتكون الاسر ، وتنشأ المجتمعات .

الثاني : أن الآيات القرآنية نصت على وجوب إحتجاب المرأة عن الرجل ، ونصت على بيان مايجب على الرجل والمرأة في هذا الخصوص من غض البصر ، وحفظ الفرج ، وعدم ابداء الزينة ، والضرب بالخمر على الجيوب

---

(١) تقارير وبحوث المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي : ٦/١٠ ، بحث الاستاذ منير محمد الغضبان .

"٢" مسند الامام احمد : ٢/١٨٧ ، وسنن ابي داود ؛ والمستدرك على الصحيحين : ١/١٩٧ .

قال الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ذلكم كان عند الله عظيما " . ان تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ماملكت ايمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيداً " سورة الاحزاب : ٥٣ - ٥٥ .

وقال تعالى : " يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ، ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما " سورة الاحزاب : ٥٩ .

وقال تعالى : " قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إنَّ الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن آو أباء بعولتهن أو أبنائهن أو ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت ايمانهن أو التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون " سورة النور : ٣٠ ، ٣١ .

وقال تعالى في " العجائز " :

" والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم " النور : ٦٠

فالآية الأولى نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان آداب الاستئذان وآداب الوليمة وآداب دخول البيوت ، فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش ودعي الصحابة الى وليمة العرس ، فأكل قوم ثم خرجوا ثم أكل قوم آخرون وخرجوا ،لكن بقي بعض الصحابة فلم يخرجوا ،فنزلت هذه الآية ، فكان من ضمن الآداب والاحكام التي شرعت بهذه الآية :

١) وجوب الاستئذان عند إرادة الدخول الى بيوت الغير - وان كان الخطاب نص على بيوت النبي صلى الله عليه وسلم فإن العبرة كما يقول علماء الشريعة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

٢) وان يكون السوءال "للمتاع" اولاى أمر آخر من وراء حجاب .

٣) انه لا جناح على المرأة في عدم التحجّب عمن ذكرتهم الآية .

والآية الثانية تضمنت أمر جميع النساء من أزواج النبي ، وبناته وكافة نساء المؤمنين . بأن يدنين عليهن من جلابيبهن . وقد قال ابن كثير في تفسيره مايلي :

" يقول الله تعالى آمراً رسوله - صلى الله عليه وسلم تسليماً - أن يأمر النساء المؤمنات - خاصة أزواجه وبناتهن لشرفهن - بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ، ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الاماء . والجلباب هو : الرداء فوق الخمار : قاله ابن مسعود وعبيدة (وقتادة) والحسن البصرى وسعيد بن جبير ، وابراهيم النخعي وعطاء الخراساني وغير واحد ، وهو بمنزلة الازار اليوم " ثم قال :

" قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أمر الله نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة " .

ثم قال : "وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبو عبد الله الظهراني فيما كتب الي ،حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ،عن ابن خثيم ،عن صفية بنت

شيبة ، عن أم سلمة قالت : لما نزلت هذه الآية : (يدنين عليهن من جلابيبهن ، خرج نساء الانصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة ، وعليهن أكسية سود يلبسنها " "١"

وهكذا يتضح من تفسير ابن عباس وغيره من الصحابة أن المرأة مأمورة أمر وجوب بالحجاب ، ومن المعلوم أن تفسير الصحابي حجة ، بل قرر بعض علماء الاسلام أنه في حكم المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم .

أما الآية الثالثة فإنها قد تضمنت أمر الرجال بأمور ، وأمر النساء بأمور فاما الرجال فقد أوجب الله عليهم في هذه الآية أمران :

١) غض البصر .

٢) حفظ الفروج (ويشمل ستر الفروج عن الرؤية ، وحفظها من الزنا) "٢"

٣) النهي عن ابداء الزينة ، وقد كرر الامر في الآية .

٤) الامر بأن يضربن بخمرهن على جيوبهن . "٣"

قال ابن كثير في بيان معنى : " ضرب الخمر على الجيوب " :

" وقوله : (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) ، يعني : المقانع لها صنفات ضاربات على صدور النساء لتوارى ماتحتها من صدرها وترائبها ، ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية فانهن لم يكن يفعلن ذلك ، بل كانت المرأة تمر بين الرجال مفسحة بصدرها ، لا يواريه شيء وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها ، فأمر الله المؤمنات ان يستترن في هيئاتهن وأحوالهن ، كما قال الله تعالى : (يا ايها النبي ، قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين ، يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك ادنى أن يعرفن فلا يؤذين) . وقال في

---

١) تفسير ابن كثير : ٦/٤٧٠ ، ٤٧١ .

٢) الجامع لاحكام القرآن : ١٢/٢٢٩ . فقد فسر حفظ الفرج بالامرين معاً .

٣) الجيوب : هي الصدور والنحور .

هذه الآية (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) ، والخمر : جمع خمار ، وهو مايخمر به ، اى يغطى به الرأس ، وهي التي تسميها الناس المقانع.)) (١)

وقال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين في هذه الآية x

" . . . فإذا كانت مأمورة بأن تضرب بالخمار على جيبها كانت مأمورة بستر وجهها إما لانه من لازم ذلك ، او بالقياس فانه اذا وجب ستر النحر والصدر كان وجوب ستر الوجه من باب اولى لانه موضع الجمال والفتنة فإن الناس الذين يتطلبون جمال الصورة لا يسئلون الا عن الوجه فإذا كان جميلاً لم ينظروا الى ماسواه نظراً ذا أهمية ولذلك إذا قالوا فلانة جميلة لم يفهم من هذا الكلام الا جمال الوجه فتبين أن الوجه هو موضع الجمال طلباً وخبراً فإذا كان كذلك فكيف يفهم أن هذه الشريعة الحكيمة تأمر بستر الصدر والنحر ثم ترخص في كشف الوجه" ١"

وقال عن " ابداء الزينة " :

" ٣ - ان الله تعالى نهى عن ابداء الزينة مطلقاً الا ماظهر منها وهي التي لابد من أن تظهر كظاهر الثياب ولذلك قال الا ماظهر منها لم يقل الا ماظهرن منها ثم نهى مرة أخرى عن إبداء الزينة الا لمن استثناهم فدل هذا على أن الزينة الثانية غير الزنية الاولى فالزينة الاولى هي الزينة الظاهرة التي تظهر لكل احد ولا يمكن اخفاؤها . والزينة الثانية هي الزينة الباطنة التي لا يجوز ابداؤها الا لاناس مخصوصين سواء كانت من صنع الله تعالى كالوجه أم من صنع الآدميين كثياب الجمال الباطنة التي يتزين بها ولو كانت هذه الزينة جائزة لكل أحد لم يكن للتعميم في الاولى والاستثناء في الثانية فائدة معلومة "٢"

وبذا يتضح أن ستره المرأة لوجهها واجب ، وفي هذا حجب لها عن مخالطة الرجال .

وأما الآية الرابعة فقد تضمنت أن النساء العجائز اللاتي انقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد كما قاله سعيد بن جبير وجماعة "٣" ولم يبق لهن تشوق الى

---

١) ، ٢) رسالة الحجاب : ٥ ، ٦ .

٣) تفسيرابن كثير : ٦/ ٩٠ ، ٩١ .

الزواج - ليس عليهن جناح في وضع ثيابهن " أي الجلباب والرداء كما قاله ابن مسعود وجماعة . "١" بشرط أن لا يكن بذلك متبرجات بالزينة ، ومعنى ذلك أن الثواب يبقيه على الخمار والباس .

يقول الشيخ ابن عثيمين :

" .. وجه الدلالة من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى نفى الجناح وهو الاثم عن القواعد وهن العجائز اللاتي لا يرجون نكاحاً لعدم رغبة الرجال بهن لكبر سنهن نفى الله الجناح عن هؤلاء العجائز في وضع ثيابهن بشرط أن لا يكون الغرض من ذلك التبرج بالزينة ومن المعلوم بالبداهة أنه ليس المراد بوضع الثياب أن يبقين عاريات وانما المراد وضع الثياب التي تكون فوق الدرع ونحوه مما لا يستر مايظهر غالبا كالوجه والكفين فالثياب المذكورة المرخص لهؤلاء العجائز في وضعها هي الثياب السابقة التي تستر جميع البدن وتخصيص الحكم بهؤلاء العجائز دليل على أن الثواب اللاتي يرجون النكاح يخالفنهن في الحكم ، ولو كان الحكم شاملا للجميع في جواز وضع الثياب وليس درع ونحوه لم يكن لتخصيص القواعد فائدة . ومن قوله تعالى : " غير متبرجات بزينة " دليل آخر على وجوب الحجاب على الشابة التي ترجو النكاح لأن الغالب عليها اذا كشفت وجهها أنها تريد التبرج بالزينة واظهار جمالها وتطلع الرجال لها ومدحهم اياها ونحو ذلك ومن سوى هذه نادرة والنادر لا حكم له " "٢"

ومن الادلة على الحجاب من السنة مايلي :

١) " إذا خطب أحدكم إمرأة فلا جناح عليه أن ينظر اليها اذا كان إنما ينظر اليها لخطبته ، وإن كانت لا تعلم " أخرجه احمد "٣" .

---

١) تفسير ابن كثير : ٦/١٠ ، ٩١ .

٢) رسالة الحجاب : ٨

٣) مسند الامام احمد : ٥/٤٢٤ .

فنفي الجناح عن الرجل الذى يزيد خطبة امرأة من أن ينظر اليهـــا مايدعوه الى نكاحها ـ وهو الوجه ـ دليل على أن الاصل وجوب الحجاب على المرأة .

٢) " عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان الركبان يمرون بنا ونحن مع الرسول صلى الله عليه وسلم محرمات فإذا جاوزوا بنا أسدلت احدانا جلبابها على من رأسها على وجهها فاذا جاوزناه كشفناه " رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه . "١"

وجه الدلالة منه على وجوب الحجاب : " فاذا جاوزوا بنا أسدلت احدانا جلبابها على وجهها من رأسها " ومن المعلوم ان المشروع للمرأة في الحج كشف الوجه لان احرام المرأة في وجهها ، وهذا اذا لم يمر بها رجال اجانب عنها .

ومن النصوص النبوية الاخرى التي تحرم الاختلاط مايلي :

١) " عن ام حميد الساعدية رضي الله عنها قالت : " يارسول الله إني أحب الصلاة معك ، قال : لقد علمت انك تحبين الصلاة معي وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير لك من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدى فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها واظلمه فكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل . " رواه احمد والطبراني . "٢"

---

١) الفتح الرباني بترتيب مسند الامام احمد بن حنبل : ٢١٥/١١ ، وسنن أبي داود : ٤٢٥/١ ، وسنن ابن ماجه : ٩٧٩/٢ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي مع اختلاف يسير في الالفاظ عن لفظي المسند والسنن لابي داود .

٢) الفتح الرباني : ١٩٩/٥ وهذا لفظ احمد .

٢ - عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم " خير مساجد النساء قعر بيوتهن " اخرجه احمد والحاكم.(١)

٣ - عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : صلاة المرأة فى بيتها افضل من صلاتها فى حجرتها وصلاتها فى مخدعها افضل من صلاتها فى بيتها " اخرجه ابو داود والحاكم(٢) .

٤ - عن عتبة بن عامر رضى الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الانصار : أفرأيت الحمو ؟ قال : الحمو : الموت " اخرجه البخارى ومسلم(٣) .

ففى النصوص الثلاثة الاولى يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم صلاة المرأة فى بيتها او مخدعها افضل من صلاتها فى المسجد حتى ولو كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى مسجده ، ذلك لانها ستتعرض لرؤية الرجال الاجانب وهذا فى الصلاة فكيف بغير الصلاة ؟ كالعمل والتعليم .. اذا اقترن به اظهار المرأة لمفاتنها وتزينها بانواع الزينة التى تجعل الدميمة جميلة فى انظار الرجال بل كيف يكون الحكم اذا اقترن به ظهور النحر والصدر وشىء من النهدين والساقين وشىء من الفخذين .. واصبحت تتجول وتتبختر امام الشباب فى المدارس او فى العمل .

وفى النص الرابع يحرم الرسول صلى الله عليه وسلم الدخول على المرأة الاجنبية حتى ولو كان الداخل هو " الحمو " اى (اخ الزوج وما اشبهه من اقارب الزوج . ابن العم ونحوه "(٤) .

ان حرمة الاختلاط تتضح من قراءة وفهم النصوص السابقة فاذا كانت المرأة المسلمة مامورة بستر وجهها عن الرجال الاجانب واذا كانت صلاتها فى بيتها او حجرتها افضل من صلاتها فى مسجد الجماعة "اى الجامع" لانه يكثر

---

(١) مسند الامام احمد : ٢٩٧/٦ والمستدرك على الصحيحين : ٢٠٩/١ .

(٢) عون المعبود شرح سنن ابى داود : ٢٧٧/٢ . والمستدرك على الصحيحين ٢٠٩/١ .

(٣) صحيح البخارى : ١٥٨/٦ ، ١٥٩ ، كتاب النكاح ، باب لا يخلون رجل بامرأة الا ذو محرم والدخول على المغيبة . وصحيح مسلم ١٧١١/٤ ، كتاب السلام باب تحريم الخلوة بالاجنبية والدخول عليها ، وسنن البيهقى : ٣ / ١٣١ . وانظر ج ١٣٢/٣ حديث عائشة .

(٤) هذا تفسير الليث بن سعد ، انظر صحيح مسلم : ١٧١١/٤ .

فيه الرجال والصلاة من الواجبات الشرعية التي يعاقب تاركها باشد العقوبات إذا كان الامر كذلك في الصلاة فان الاختلاط بين الطلاب والطالبات على مقاعد الدرس ، والاختلاط بين المعلمين والمعلمات في مكاتب المدرسة أكبر الجرائم التي يخالف بها شرع الله مخالفة صريحة " .

ويقول : " منير محمد نجيب غضبان " بعد ذكره للحجة السابقة :

" ... ، وموقف دعاة الاختلاط في هذا الموضوع شبيه بموقف المشركين الذين يتحدثون بمنافع الخمر وينسون اثمه الكبير " .

إن المضار التربوية التي تنشأ عن اختلاط الاطفال بالمرحلة الابتدائية التي تبدأ منذ سن التمييز السادسة - حيث يبدأ التلميذ يعي على ما حوله - تجعل الحياة الطبيعية عنده هي الاختلاط ويقيم صداقاته كما يهوى مع صديقة او صديقته ويحيا معهما حياة مشتركة ، فهو يحس عند إنتهاء الاختلاط أنه فقد صديقاً عزيزاً عليه - ويحن لهذه الصديقة حنيناً منبعثاً من كيانه ويود لو يلبي هذا الحنين ، ويتابع صلته وصداقته التي بناها من قبل دون قيد . لقد صار الاختلاط جزءاً من كيانه حتى يبلغ سن المراهقة ، وتتفتح مشاعره الجنسية سوف يختلط هذا التهيج الجنسي بذلك الحنين الطفولي لدى الطرفين - يغدو هدفهما ان تتكسر الحواجز وتصبح النظرة الى عدم الاختلاط تتسم بالحقد ، ويعبر عنها بالكبت .

لقد ربينا الطفل منذ نعومة اظفاره على الاختلاط ، وزرعناه في كيانه ، ثم اردنا ان نمنعه عنه حين احس ان كيانه كله يريد الاختلاط .

انه سوف يعتبرنا اعداءه لاننا نحول بينه وبين ما زرعناه في كيانه فأي فائدة تربوية ؟ بل أية ثمرة مرة نتجرعها يوم نربي اولادنا على الاختلاط " "١"

والواقع ان اكثر التربويين الذين يحتجون كما قال الكاتب آنف الذكر

---

١) تقارير وبحوث المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي : ٦/١٠ ، ١١

بأن الاطفال ليس لديهم مشاعر جنسية ـ يعتنقون مذهب فرويد في تفسير حياة الانسان ـ الطفل والرجل ، والمرأة ـ بالجنس فكيف يحتجون بهذه الحجة للدعوة الى الاختلاط . ولو كان دعاة الاختلاط صادقين في دعواهم لدعوا الى الاختلاط بين التلاميذ والتلميذات في المرحلة الابتدائية مع جعل المدرسين لهم اما نساء أو رجالا . ولكنهم لم يكونوا صادقين في دعواهم فقد دعا مؤتمر التعليم الالزامي الى امرين اثنين ذكرتهما وهما :

١) الاكثار من تخريج المعلمات للمرحلة الاولى حتى يمكن قصر التعليم في السنوات الاولى من التعليم الابتدائي على النساء . اما السنوات الاخيرة فيكون التعليم مشتركاً بين المعلمات والمعلمين .

٢) الدعوة الى عدم إنفراد الرجال في المدارس المختلطة بالتدريس للبنات لان ذلك يفقدهن اثر العنصر النسوى اللازم لحسن تكوينهم . . " "١"

ومن الحجج التي يطلقها دعاة الاختلاط ليبرروا دعوتهم الى الاختلاط في التعليم الزعم بأن التعليم المختلط يتيح للدولة توسيع الخدمات التعليمية للأناث والزعم بأن التعليم المختلط يترتب عليه توفير كبير في معدل تكلفة التعليم بالنسبة للطالب الواحد .

يقول أحمد التل في ذلك عن الاردن :

" . . . ورغم ان هذه السياسة ـ اى سياسة التعليم المختلط ـ تتعارض مع التقاليد الاسلامية التي تقضي بفصل الاناث عن الذكور ، ولاقت مقاومة من الفئات الدينية المحافظة ، فقد أدت هذه السياسة الى توسيع الخدمات التعليمية للاناث الى درجة كبيرة . . " "٢"

ثم يقول :

" . . ومن النتائج التي ترتبت على سياسة التعليم المختلط توفير كبير

---

١) مستقبل التربية في العالم العربي : ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

٢) تطور نظام التعليم في الاردن : ٢١٩ .

في معدل تكلفة التعليم بالنسبة للطالب الواحد بعد أن توقفت ازدواجية المدارس وأصبح من الممكن تركيز صرف المخصصات السنوية بشكل أفضل ، كما أنه من الافضل من الناحية الاقتصادية أن توءسس مدارس منفصلة للذكور وأخرى للاناث " "١"

ولا حاجة بي الى التعليق على هذا القول وتفنيذه فإن الكاتب قد كفانا موءنة ذلك في الفقرة الاخيرة من قوله : " كما انه من الافضل من الناحية الاقتصادية أن توءسس مدارس منفصلة للذكور واخرى للاناث " .

بل هو الافضل دينياً فالناحية الاقتصادية يجب ان تكون في المقام الثاني بعد استمساكنا بديننا وسيرنا على منهاجه ، فليس لنا خيرة في ذلك ، بل الواجب علينا أن نفعل مايأمرنا به ديننا حتى ولو كلفنا ذلك اقواتنا .

ومن العجيب أن تردد هذه المقولة الفارغة أن تكلفة الطالب يحصل فيها توفير بالاختلاط . ذلك أن المبني المدرسي الذى يشيد ليتسع لالف طالب ، لا يمكن ان يتسع لالفين ،لمجرد اننا خلطنا البنين بالبنات ، والفصل الذى يقرر له أن يكون فيه ثلاثون طالبا لا يمكن ان يتسع لسنين لمجرد الخلط ، واذا قررنا أن يكون نسبة المدرسين مثلا الى الطلاب كنسبة ١ : ٢٥ فانه لا يمكن أن تكون النسبة كما هي مع زيادة عدد الطلاب فلا بد اذاً من زيادة عدد المدرسين والمعامل التي يستخدمها عشرون طالبا لا يمكن ان تحتمل إستخدام اربعين طالبا لمجرد الاختلاط فلا بد اذن من زيادة المعامل ، وإذا اتسعت المدرسة وكثر عدد طلابها فإن الجهاز الادارى يجب أن يزيد . فاين التوفير الكبير في معدل التكلفة .

وقد تأيدت احكام الشريعة الغراء في تحريم الاختلاط بآخر ماوصل اليه علماء " البيولوجيا " ولندع السيدة / اصلاح سهيل تحدثنا عن ذلك فهي تقول :

---

١) المصدر السابق : ٢١٩ .

" . . . في الواقع أن دعاة الحضارة الحديثة الاباحيون والشيوعيون والصهيونيون والمتمصريون قد فرضوا الاختلاط بين الجنسين واجبروا المرأة للتخلص عن دورها الحقيقي الفطرى لذلك لتفكيك وحدة العائلة ، ثم نادوا بحرية المرأة والتمرد لاى نظام بأسم " الكبت والانغلاق والكتم " الغريب في الامر ان الدراسات البيولوجية الحديثة والجوانب الجديدة في العلوم النفسية تقول :

" ان النمو البيولوجي النفسي للمرأة يتطلب منها الالتزام بالحشمة وعدم الاختلاط والحياء ، لان التركيب الحيوى والنفسي والبيولوجي للمرأة لا يمكن ان يكتمل من الناحية الانثوية البحتة اذا لم تتبع المرأة سلوكا معينا ضد الاختلاط والكشف والتعرى . سحر وجمال المرأة يزداد مع حفظ وحماية النمو الطبيعي واى نوع من الفنون والموسيقى والثقافة يسلب المرأة انوثتها - لا يعد فقط مأساة حيوية بيولوجية ، بل هذا قضاء وتمزيق لكيان المرأة على مسرح الاستعراض البشرى " "١"

اذن أين هو الكبت والانغلاق والكتم ؟؟ وعلى النقيض من ذلك يقول الدكتور " ساروكين " العالم الشهير :

" ان الكبت يأتي نتيجة للحرية اللانهائية . . اى اى فعل أو فكر يتعارض مع طبيعة المرأة أو الرجل عضويا كان أو نفسيا يؤدى الى الكبت . . ان العلم اليوم يرى ان الطبيعة ليست فوضى او انفلاق .- الطبيعة البشرية ليس بمقدورها تحمل التمتع بالحياة دون معرفة ولا الحرية دون منهج ، ولا الانطلاق بدون هدف الاختلاط بين الجنسين قد أدى الى كارثة اليمة للنمو الطبيعي للرجل والمرأة اليوم . الامراض المزمنة النفسية (phsychosis والعصبية (neorosis) لم تبلغ فقط ٨٩ ٪ في مجتمعنا الغربي لكن ايضا الامراض المستعصية العضوية اصبحت شائعة بسبب الاختلاط .

---

١) حين يزف الافق : ٤٤

محاولات
وقد باءت بالفشل كل الطب الحديث لايجاد دواء ناجح لهذه الأمراض الجديدة . واني مندهش .. هل يمكن للعلم أن يساهم حقيقة في انقاذ المجتمعات البشرية من هذا الانحطاط النفسي الاجتماعي "١"

ويقول الاستاذ " ابو الاعلى المودودي " رحمه الله :

" ... وقد ذُكِرَت في مجلة اميركية هذه الاسباب التي لاتزال تؤدي الى رواج الفحشاء وقبولها هناك بالكلمات الاتية !

" .. عوامل شيطانية ثلاثة يحيط ثالوثها بدنيانا اليوم ؛ وهي جميعها في تسعير سعير لاهل الارض + اولها ؛ الادب الفاحش الخليع الذي لا يفتأ يزداد في وقاحته ورواجه بعد الحرب العالمية بسرعة عجيبة ، والثاني : الافلام السينمائية التي لاتذكي في الناس عواطف الحب الشهواني فحسب ،بل تلقنهم دروسا عملية في بابه . والثالث : انحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء ، الذي يظهر في ملابسهن ، بل في عريهن ، وفي اكثارهن من التدخين واختلاطهن بالرجال بلا قيد ولا التزام . هذه المفاسد الثلاثة فينا الى الزيادة والانتشار بتوالي الايام ، ولابد ان يكون مآلها زوال الحضارة والاجتماع النصارنيين وفناءهما آخر الامر فان نحن لم نحد من طغيانها ،فلا جرم أن يأتي تاريخيا مشابها لتاريخ الرومان ومن تبعهم سائر الامم الذي قد اوردهم هذا الاتباع للاهواء والشهوات موارد الهلكة والفناء مع ماكانوا فيه من خمور وفساد . ومشاغل رقص ولهو وغناء .. "٢"

---

١) نفس المصدر : ٤٤١

٢) الحجاب : ١٠٥

ولننظر ماتقوله كاتبة امريكية تدعى " هيلسيان ستانسيرى " فقد كتبت مقالا في صحيفة الجمهورية القاهرية تحت عنوان " امنعوا الاختلاط وقيدوا حرية المرأة " جاء فيه : " أن المجتمع العربى مجتمع كامل وسليم ومن الخليق بهذا المجتمع ان يتمسك بتقاليده التى تقيد الفتاة والشاب فى حدود المعقول . وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الاوربى والامريكى فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة وتحتم احترام الاب والام وتحتم اكثر من ذلك عدم " الاباحية الغربية " التى تهدد اليوم المجتمع والاسرة فى اوربا وامريكا .

ان القيود التى يفرضها المجتمع العربى على الفتاة صالحة ونافعة لهذا انصح بان تتمسكوا بتقاليدكم واخلاقكم . وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة ، بل ارجعوا الى عصر الحجاب فهذا خير لكم من اباحية وانطلاق ومجون اوربا وامريكا .

امنعوا الاختلاط فقد عانينا منه فى امريكا الكثير . لقد اصبح المجتمع الامريكى مجتمعا معقدا مليئا بكل صور الاباحية والخلاعة . وان ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملأون السجون والارصفة والبارات والبيوت السرية ، ان الحرية التى اعطيناها لفتياتنا وابنائنا الصغار قد جعلت منهم عصابات احداث وعصابات " جيمس دين " وعصابات للمخدرات والرقيق " .

ان الاختلاط والاباحية والحرية فى المجتمع الاوربى والامريكى هدد الاسر وزلزل القيم والاخلاق فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين - فى المجتمع الحديث تخالط الشبان وترقص وتشرب الخمر وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والاباحية والحرية ... وهى تلهو وتتحدى والديها ومدرسيها والمشرفين عليها وتعاشر من تشاء تحت سمع اهلها وبصرها بل . . تتحداهم باسم الحرية والاختلاط تتحداهم باسم الاباحية والانطلاق تتزوج فى دقائق وتطلق بعد ساعات ولا يكلفها اكثر من امضاء وعشرين قرشا وعريس ليلة " (١)

---

(١) روائع البيان فى تفسير ايات الاحكام : ٢ / ٣٨٩ ، ٣٩٠ نقلا عن صحيفة الجمهورية القاهرة فى ١٩ يونيو ١٩٦٢ م .

هذا ماتقوله كاتبة امريكية " نصرانية " وليست مسلمة متدينة ولكنه لا يسزال معها مسكةمنعقل ولم تكن مأجورة لليهودية العالمية ، وصدق الله العظيم اذ يقول : " وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة واتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا " (الاحزاب : ٣٣ ".

ونتيجة للدعوة الى الاختلاط ظهرت فكرة التعليم المختلط .

قالت السيدة اصلاح سهيل بعد ان اوضحت ان شعار الاختلاط بين الجنسين رفعة فلاسفة اليهود - باسم اندلاع الثورة الصناعية والتكنولوجية - وذكرت قول ابن جوريون رئيس وزراء اسرائيل سابقا الى المؤتمر اليهودى العالمى عن هذا الموضوع . قالت :

" انطلق من هذا الدمار للمرأة وكيانها الطبيعى والفطرى فكرة التعليم المختلط " Co- Education " مع التطبيق والتنفيذ فى كل مجالات التعليم فى العالم المعاصر .

فى الواقع ان هدف هذه المقالة هو ايضاح من اين جاءته فكرة التعليم المختلط ومن اين فرضت علينا هذه الفكرة . ان المناقشة والبحث فى ان التعليم المختلط ضارا وليس ضارا هل لصالح المرأة ام لا . .

فى الواقع ان مثل هذا البحث ليس اكاديميا اطلاقا بل هو نوع من الاسلوب الدعائى السياسى الاعلامى البحت فقط .

نحن الآن عرفنا من أين إنطلقت وظهرت هذه الفكرة للتعليم المختلط ، وماهي الصورة الخلفية التاريخية التي ابرزته ثم فرضته على مجتمع عالمنا المعاصر " ومن المعروف لدى الباحثين الان مايلي :

١) أنَّ بحث فكرة التعليم المختلط إنبثقت من مايسمى " حرية المرأة " وقد أسست بلغة المجابهة السياسية وبأسلوب الحرب على العلاقات الانسانية الشخصية بين المرأة والرجل .

٢) أنَّ هناك فروقاً جوهرية بين التركيب النفسي البيولوجي والكيان العضوى بين المرأة والرجل .

٣) أنَّ الاحصائيات والوقائع لنتائج التعليم المختلط في المدارس والجامعات في عالمنا المعاصر تدل على زيادة الجرائم بشكل رهيب وارتفاع نسبة الانتحار - نتيجة مباشرة لهذا الاختلاط .

٤) أنَّ هناك إستغلال صريح باسم التكنولوجيا والثورة الصناعية لتهديم دور المرأة في بناء العائلة واستعمالها كبضاعة في الاسواق والتجارة والسياسة والفن والانحراف .

اذن لماذا الاصرار على فكرة التعليم المختلط ؟ اعتقد كما اشارت الآنسة " أريانا يولس " في كتابها " المرأة وانوثتها " أنهم يريدون تدمير نفسيتهن وتخريب بيولوجيتهن وأنَّ يتحيروهن الى عالم المجهول لاستقلال الكيان الانثوى للمرأة للثورات الماركسية والماسونية والصهيونية والالحادية فقط لا أقل ولا اكثر .

هل هدف فكرة التعليم المختلط أن المرأة تعرف كيف تقرأ وتكتب وتتزين وتنسق فقط ؟ إنَّ هدف التعليم المختلط أنَّ [illegible]مر وتحطم رقة أحاسيسها والجمال في معاملاتها وسلامة أنوثتها ، فضلاً لاعدادها لعدم الاستقرار في نفسيتها لتكون غير صالحة لتكوين الاسرة ، وبهذا تنهار وحدة العائلة عن نهاية المشوار " "١"

---

١) حين ينزف الافق : ٤٦ ، ٤٧ .

وهذا ما حدث بالفعل فقد تهدمت وحدة العائلة من الغرب الرأسمالي والشيوعي ، وماذا أيضا عن أضرار التعليم المختلط ؟

يقول القاضي الامريكي " لندسي " عن نتائج التعليم المختلط :

" إن خمساً وأربعين في المائة من فتيات المدارس يدنسن أعراضهن ، قبل خروجهن منها ، وترتفع هذه النسبة كثيراً في مراحل التعليم التالية "

ويقول عن المدارس الثانوية بالذات :

" إن الطالبات في المدرسة الثانوية تكون عواطفه دون عواطف الطالبة شدة والتهابا فالصبية هي التي تقدم أبداً وتأمر وما يفضل الصبي الا ان يتبع ويأتمر " "١"

ويقول أيضا :

" ٤٩٥ بنتاً في السن الباكرة من بنات المعاهد الثانوية ، إعترفن بأنهن كن جربن العلاقة الجنسية مع الصبيان . الا أنه لم تحمل منهن الا خمس وعشرون اما الباقيات فلم تسلم بعضهن الحمل بمحض الاتفاق بل كانت لاكثرهن خبرة كافية بتدابير منع الحمل . وهذه الخبرة قد عمت فيهن الى حد لا يكاد الناس يصيبون في تقديره " . "٢"

وقد تنبه بعض المسئولين عن التعليم في أوربا وأمريكا لاضرار الاختلاط فبدؤا بانشاء مدارس وجامعات منفصلة .

يقول : " وهبي سليمان غاوجي الالباني " :

" ... وكأن الآخرين أخذوا يلاحظون تدني سوية التعليم في المدارس المختلطة فقد حدثني الاستاذ الكبير احمد مظهر العظمة أنه حين ذهب منذ سنين في رحلة علمية الى بلجيكا ، لاحظ مدرسة ابتدائية هناك وهو يقوم بجولات في مدارسها - جميع طلابها بنات .. فسأل المديرة لماذا لا تخلطون البنين مع البنات في هذه المرحلة ؟ قالت : قد لمسنا اضرارا لاختلاط الاطفال في

---

١) ٢) الحجاب : ١٠٤ ، ١١٣

سن المرحلة الابتدائية " "١"

وقد نقلت مجلة المجتمع الكويتية في هذا الشأن قائمة كاملة بأسماء جامعات وكليات أمريكية غير مختلطة . وقد تضمنت هذه القائمة اسماء ٧٩ جامعة وكلية للبنات منها ٣٧ جامعة وكلية انشئت في هذا القرن منها ثلاث مابين عامي (١٩٦١ و ١٩٦٥) و ٢٧ جامعة وكلية للشبان منها ٦ انشئت في هذا القرن ، منها واحدة انشئت عام (١٩٧٠) "٢"

فاذا كان هذا في المجتمع الامريكي الكافر الذى يعتبر فيه الاختلاط هو الأصل وعدم الاختلاط هو الشاذ عن القاعدة ـ فأن دعوة الناس من يدعون الى الاختلاط دعوة باطلة لان الامة التي جربت الاختلاط بدأت تتراجع عنه فأولى بالامة التي تعقل وتتعظ ان لا تخوض غمار تجربة خاضتها أمة أخرى وبدأت تتراجع عنها .

بعد كل ذلك هل يصح لعاقل فضلا عن مسلم يلتزم بالاسلام ان يدعو الى الاختلاط في العمل او التعليم بين الطلاب والطالبات او بين المعلمين والمعلمات) ان العاقل هو من اتعظ بغيره ولم يتبع نفسه هواها وقديما قال العرب : " السعيد من اتعظ بغيره " فليس سعيدا ولا عاقلا من يرى غيره يسقط في الهاوية ، فيقلده ويتابعه ليجرب نفس النتيجة ، ان مايعانيه الغرب من اضرار ونتائج الاختلاط السيئة بين الذكور والاناث ، لهو نتيجة طبيعية ومتوقعة من الاختلاط ، فان تقريب عود الثقاب واشعاله بجانب " النفط " ليس له نتيجة الا الاشتعال . انني لا ادعى بذلك ان حياة الانسان كلها جنس كما يدعي الفرويديون ، ولكن غريزة الجنس ركبها الله في البشر ليعمر الكون عن طريق اشباع هذه الرغبة في الطريق الصحيح ، الذى ينتج عنه الولد والعائلة وتتكون الاسر ، وفي الاختلاط تدمير للاسر والروابط العائلية .

---

١) المرأة المسلمة : ٢٤٣ .
٢) مجلة المجتمع الاسلامية العدد ١٧٠ في ٦ رمضان ١٣٩٣ هـ الموافق ٣ / أكتوبر / ١٩٧٣م ص ١٨ ، ١٩ .

ومن البوادر السارة ماصرح به وزير التعليم الباكستاني حيث قال :

" ان الحكومة العسكرية الباكستانية مصممة على انهاء التعليم المختلط كجزء من مخططها لاعادة بناء المجتمع الباكستاني وفقا للشريعة الاسلامية .

وقال : ان اصلاح نظام التعليم مع الالغاء الكامل للتعليم المختلط يأتي في المرتبة الاولى لقائمة الاصلاحات .

وقال : ان الحكومة ستفتح جامعات منفصلة للفتيات في أربع مدن هي كراتشي ولاهور وبيشاور وكيتا " "١"

ونسأل الله ان يحقق ذلك وان لا يكون كا الاهداف التي وضعت للتعليم في الباكستان وآخرها ماجاء في الخطة الخمسية الرابعة (٧٠ - ١٩٧٥م) ولم تنفذ كما اوضح ذلك الكولونيل عثماني " .

لقد سار الغرب وراء تعاليم اليهود ومخططاتهم افيريد بعض أبناء المسلمين أن يسيروا بلاد المسلمين في ركاب مخططات اليهود ؟

يقول البروفسور : " هارولد لاسكي " " اليهودى " في بيان ذلك مايلي :

" ان هدفنا من منح المرأة تعليمها عاليا اليوم ماهو الا لتغيير دورها وكيانها الطبيعي في الحياة والذى فرض عليها منذ قرون من الدين والتاريخ والتراث . .

ان التعليم العالي للمرأة اليوم لابد وان يغير سلوكها الاجتماعي الى الحرية وميولها الفكرى الى الانطلاق وتكوينها البيولوجي الى الانحراف . . . . يجب استقلال الكيان الانثوى للمرأة اليوم وتحطيمه عن طريق الجامعات والصحافة والموسيقى " "٢"

من كل ماسبق يظهر لنا جليا الآثار السيئة للعلمنة في التربية والتعليم .

---

١) صحيفة الجزيرة السنة الثامنة عشرة ، العدد ٣٣٢٦ في ٦/ذو الحجة لعام ١٤٠١ هـ .

٢) حين ينزف الافق : ٣٦

المطلب الرابع :

نماذج من مقررات دراسيه : - سوف اقتصر في هذا الجزء من البحث علي استعراض نماذج من مقررات التعليم العام في المملكة العربية السعودية - الحاليه فقط - وكان في النية استعراض مقررات مجموعة من البلاد الاسلامية الاخرى ، واستعراض المقررات التى كانت تطبق في المملكة قبل عام ١٣٨٨ هـ ، وذلك كيما اعقد مقارنة بين المقررات الحاليه والمقررات السابقه لمعرفة مدى التحسن في هذه المقررات عن سابقتها ، وحسب علمي - فإن المقررات الحاليه علي ما اخذته عليها من مآخذ تـه عليها من مآخذ هي افضل من سابقتها .

كان ما ذكرت في نيتي ولكني لم استطع ذلك لأمور منها :

١- اني لم تتح لي السفر في رحلة علمية الى خارج المملكة ، للحصول علي مقررات بعض البلاد الاسلاميه ، وذلك لاني ادرس علي نظام التفرغ الجزئي واعمل موظفا فانا مرتبط بعمل لا اتمكن بسببه من السفر .

٢- اني جهدت وانا ابحث عن مقررات سابقة من مقررات التعليم العام بالمملكة ، فزرت بعض المدارس فلم احصل الا علي نزر يسير من المقررات لا يفي بالغرض من المقارنة بينها وبين الحالية .

وقبل أن أبدأ باستعراض المقررات ونقد ما أرى أنه يستحق النقد لا بد من أن أوضح ان المنهج الذى كتبت هذه المقررات علي منواله قد أعد من قبل اللجنة الفرعيه لسياسة التعليم التى شكلت بعد تشكيل اللجنة العليا لسياسة التعليم التى امر بتشكيلها الملك فيصل رحمه الله .

وقد اخبرني احد اعضاء اللجنة الفرعية لسياسة التعليم ان الملك فيصل أمر باعادة صياغة المناهج والمقررات علي اسس اسلامية واضحة وسليمة ، ولم يكن هدفه من تشكيل اللجنة تعديل المناهج فقط .

وعلي هذا سوف اناقش المؤلفين مناقشة تعتمد ان شاء الله علي نصوص الكتاب والسنه ، فما خالفها فيجب اعادة النظر فيه . ولا تعنى مناقشتى لبعض الافكار

التى اوردوها أنني اسيء الظن بهم فليس للمسلم ان يسيء الظن بأحد من المسلمين وهو لا يعلم عنهم شيئا ، فان حسن الظن بالمسلم هو الاصل ، وسوء الظن لا يكون الا بمن عرف عنه اعوجاج في السلوك أو الفكر والمعتقد ، عن اوامر الله ورسوله (ص) صلي الله عليه وسلم .

وأبدأ بمناقشة المقررات مستعينا بالله .

يلاحظ الباحث في مقررات التعليم العام في المملكة أن المؤلفين كان منهم اخطاء منهجيه في عرض الحقائق ، يمكن ذكر امثلة منها كرؤوس عناوين اسير علي نسقه في تتبع ط انقده علي هذه المقررات . وهي كما يلي :

١- تفسير حوادث التاريخ تفسيرا عنصريا .

٢- تفسير حوادث التاريخ تفسيرا ماديا .

٣- الدعوى بأن الجهاد انما شرع للدفاع .

٤- تفسير حياة الانسان تفسيرا ماديا .

٥- وصف الجاهليات بالحضاره .

٦- استخدام وصف رجال الدين واطلاقه علي علماء الاسلام ، والكهان .

٧- نسبة الحضارة الاسلامية الي غير العرب .

٨- عدم التأدب مع بعض قادة المسلمين ووصف بعض المفسدين بالمصلحين .

٩- نسبة الاشياء الي غير مسببها .

١٠- حسن الظن ببعض المنظمات.

١١- تمجيد العروبة والوطنيه والدعوة اليها .

١٢- التأثر بتقسيم الاوربيين للسلطات الى تشريعيه وتنفيذيه .

١٣- تقرير حيوانية الانسان .

١٤- مايوجد فى مقررات اللغة الانجليزية من قصص تتحدث عن الشعوذة واختلاط الرجال بالنساء وشرب الخمر كأمر طبيعي .

وابدأ باستعراض نصوص تمثل ماسبق ومن ثم بيان اوجه الخطأ فيها :

١- تفسير حوادث التاريخ تفسيرا عنصريا : في مقرر القراءة العربية للسنة السادسة الابتدائيه موضوع بعنوان " يوم ذى قار " قال فيه المؤلفون مايلي :

" من اشهر المعارك التى دارت رحاها في الجاهلية يوم ذى قار ، وقد

كان يوما مشهودا انتصر فيه العرب علي الفرس ، واصبح الفرس من ذلك اليوم يحسبون للعرب اكبر حساب بعد ان كانوا يعدونهم من سقط المخلوقات ..

ومنذ تلك المعركة غرس بنو شيبان مهابة العرب في قلوب الفرس مما جعل ابا بكر رضى الله عنه يولى أحدهم قيادة جيش المسلمين لقتال الفرس فيما بعد ، وهو المثنى بن حارثة الشيباني رضى الله عنه " . (١)

فتقرير ان ابا بكر رضى الله تعالي عنه قد اختار المثنى بن حارثة الشيباني لقتال الفرس ـ لانه كما يفهم من العبارة من القبيلة التي حاربت الفرس في يوم ذى قار وانتصرت عليه ـ خطأ محض لعدة امور.

الاول : أنه لا علاقة للمسلم بما حدث قبل اسلامه بمعنى انه لا تربطه اى رابطة بما كان منه او من قومه قبل الاسلام ، الا معرفة التاريخ ، وهو في ذكره لتاريخه قبل الاسلام يذكره ذكر تحسر على ضلاله القديم ،وابو بكر التلميذ الاول في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصاحب الاول ، والصديق هو ابعد الناس عن التعصب للعرب او لغيرهم حتى يكون هدفه من بعث الجيش الي فارس او غيرها هو لابقاء مهابة العرب ، فقد انتهي هذا العهد بالنسبة الى بكر بمجرد نطقه بالشهادتين واصبح همه هو واصحابه الاول والاخير العمل على نشر دين الله في الارض .

الثاني : ان الجهاد شرع في الاسلام لقتال المشركين والكفار على اختلاف تنوعات كفرهم ولم يشرع ليقاتل العرب غيرهم من الامم واكتفي هنا بذكر آية واحده. وحديث واحد والا فالآيات والاحاديث في بيان هذا المعنى كثيره .

قال تعالى : " ... انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون " التوبة/ ٤١

---

(١) القراءة العربية/الصف السادس/ ١٤٨-١٥٠.

فهذا النص قد حدد الله به غاية الجهاد وهو ان يكون في سبيل الله لا في سبيل العرب او الفرس او الروم .

" وعن انس ابن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" جاهدوا المشركين بأموالكم وانفسكم والسنتكم " اخرجه ابو داود والنسائي .

وفي اخرى للنسائى : جاهدوا بأيديكم والسنتكم واموالكم . (١)

الثالث : ان واقع التاريخ الاسلامي لا يوءيد هذا الذى ذكره الموءلفون فالتاريخ يقول ان موقعة القادسيه كانت في زمن عمر بقيادة سعد بن ابي وقاص (٢)

وفي نفس المقرر حديث عن معركة القادسية فيه مايلي :

" هذه المعركة الحاسمة في تاريخ الاسلام كانت سببا في سقوط دولة الاكاسرة واحتلال العرب للعراق وبلاد فارس .

بعد ان احتل العرب الحيرة وهزموا جيش الفرس المرابط فيها جن جنون الفرس فهاجموا المسلمين في معركة الجسر ... " (٣)

فتفسير وتحليل معركة القادسيه بهذا الاسلوب خطأ واضح فلم يكن العرب لعروبتهم فتحوا بلاد فارس فقد كانوا مستذلين قبل الاسلام للفرس (*) والروم والحبشه فلما اعتنقوا الاسلام اعزهم الله . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانيه كيف يفسر للطلاب احتلال العرب لبلاد فارس والعراق ايفسر على انه للثأر من الفرس ، او على انه لنشر دعوة الاسلام عن طريق ازالة الحواجز التى تمنع الناس من الاستماع لدعوة الاسلام ، وهذه الحواجز هي السلطة السياسية التى كابرت وعاندت حتى قضى عليها . ومن ناحية ثالثة كيف يمكن ان توفق بين زرعنا في روع الطلاب بنفي الاحتلال الانجليزى والفرنسي ، ثم تقول لهم في نفس المقررات ان العرب احتلوا بلاد فارس دون بيان لمغذى هذا الاحتلال او بالتعبير السليم الصحيح " الفتح "

---

(١) انظر سنن ابي داود (رقم ٢٥٠٤) باب كراهية ترك الغزو وسنن النسائي : ٧/٦ في الجهاد (باب وجوب الجهاد)

(٢) انظر كتاب مختصر سيرة الرسول (ص) للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص(٢٣٠)

(٣) القراءة العربيه/الصف السادس : ١٦٢

(*) انظر الحديث الذى كان [illegible] بين يزدجر وبين اعضاء الوفد الذى ارسله سعد بن ابي وقاص للفرس [illegible] ففيه بيان لهذا الامر (الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢/٣١٥ وانظر قول عمر لابي عبيده في البدايه والنهاية : ٧٠/٦٠

فان عبارة الاحتلال عبارة سيئه المعنى ، فلم تكن حروب المسلمين في واقع الحال كما يشهد بها التاريخ احتلالاً وانما كانت فتحاً للقلوب قبل البلاد . ويؤيد ذلك ماقاله احد جنود سعد بن ابي وقاص وهو " ربعي بن عامر " الذى بعثه سعد لمفاوضة الفرس قبل القتال علي الاسلام او الجزيه او الحرب، فلما دخل علي رستم " قال له ترجمان رستم ... ماجاء بكم ؟ قال : الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الي سعتها ومن جور الاديان الي عدل الاسلام فأرسلنا بدينه الي خلقه (لندعوهم اليه) فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وارضه دوننا ، ومن ابي قاتلناه حتى نقضي الي الجنه والظفر ... " (١)

وبهذا النص يتضح ان هذا الجندى لم يعرف من دينه انه يقاتل ليرفع رايـة العرب او العروبه او الوطن والوطنيه وانما عرف ان مهمتهم هي اخراج الناس من جو الاديان الي عدل الاسلام ، وليس اخراجهم من سلطان فارس" وطنى " الـي سلطان عربي غريب .

ومن هذا القبيل مايتردد في كتب التاريخ المعاصره عند الحديث عن الدولة الامويه او العباسيه ، فانهم يذكرون للدولة الامويه رفعت شأن العرب ولما جاءت الدولة العباسيه (رفعت شأن الفرس في اول الامر ثم شأن الترك في آخر الامر ، واعتبار ارتفاع شأن الاتراك والفرس انه كان سبباً من اسباب زوال العباسيين لنقرأ مايقوله مؤلفوا التاريخ في الصف الثاني المتوسط .

" ... لقد وصل العباسيون الخلافة بمساعدة الفرس ، وقد قدر الخلفاء العباسيون لهم ذلك فقلدوهم المناصب العاليه المدنيه والعسكريه ، وقد استغل الفرس ذلك وحاولوا منازعة الخلفاء واعادة المركز القديم لبلاد فارس الا أن الخلفاء وخاصة في الدور الاول كانوا لهم بالمرصاد ، حيث قتلوا بعضا منهم ونكبوا البعض الآخر .

ومع ذلك لم يكن العرب ليرضوا بتخلف مركزهم فكثيرا ماكانوا ينتهزون الفرص

---

(١) الكامل في التاريخ : ٢ / ٣٢٠ .

لاعادة مجدهم الذى كان لهم ايام الامويين ولما جاء المعتصم ابعد العرب والفرس لماذا ؟ واستعان بالترك الذين استغلوا نفوذهم أسوأ استغلال واشرفوا علي شئون الدولة حتى اصبح بيدهم تولية الخليفة او عزله مما اضعف هيئة الخلافة واضاع مكانتها . (٢)

فتحليل وتفسير هذه الحوادث بهذا التفسير تفسير عنصرى ، اذ أنه يركز علي أن العرب كان لهم المجد أيام الامويين ، واما الفرس والترك فلا يسمي توليهم لمناصب في الدولة العباسية مجدوانما يعدهم مستقلين لمراكزهم ، والحق ان التفسير والتحليل الصحيح هو الذى يقول أن الخفاء الذين اعتمدوا علي عنصر واحد من الشعوب التى انضوت تحت لواء الاسلام واهملوا العناصر الاخرى قد جانبوا الصواب ، ذلك أن دولة الاسلام للمسلمين كلهم لا لعنصر واحد من العناصر العرقيه ، فالاسلام انما جاء ليحارب التجمع حول اى شعارا ومبدأ غير الاسلام ، واما بالنسبة للعباسيين فقد كان من اسباب اعتمادهم علي الفرس انهم ساعدوهم علي الوصول الي الحكم .

(٢) تفسير حوادث التاريخ تفسيراً مادياً واقتصادياً :- ومن هذا القبيل النصوص الاتيه :

" معركة اليرموك : كانت دولة الروم دوماً تهدد الدولة الاسلاميـة وتحرض القبائل العربيه الموالية لها علي المسلمين

فلما تولي الخليفة ابو بكر الصديق رضي الله عنه ،اراد ان يؤمن حدود الدولة الاسلامية فأرسل اربعة جيوش لقتال الروم " (٢)

فالقول بأن ابا بكر ارسل الجيوش للشام ، لان دولة الروم كانت تهدد الدولة الاسلامية ، فأراد ابو بكر ان يؤمن حدود الدولة الاسلامية فأرسل أربعة جيوش لقتال الروم قول مجاف للصواب ، وتحليل وتفسير يحصر الجهاد بالماديات

---

(١) تاريخ العالم الاسلامي /٢/ متوسط/ ١١٦، ١١٧
(٢) القراءة العربية/ السادس ابتدائي / ١٢٥

والواقع ان ارسال الجيوش لقتال الروم او الفرس لم يكن لتأمين حدود الدولة الاسلامية كما ذكر المؤلفون بل لنشر الاسلام والادلة علي ذلك مايلي :

١- ان القرآن والسنة مليئان بالنصوص التى تدعوا الي الجهاد في سبيل الله وتوجيه علي المسلمين وهي عامة في الزمان والمكان ، فالجهاد ومازالت فرضيته حتى الآن ، ويختص بمكان دون مكان فالمسلمون حين حرروا الجزيرة كلها من الحواجز المادية المتمثلة في الطواغيت الذين يمنعون الناس من الاستماع الى الدعوة وقبولها او رفضها عن طواعية لم ينته دورهم وقد فهم الرسول صلي الله عليه وسلم وفهم اصحابه وعلي رأسهم ابو بكر ان الجهاد لا يحد بزمان ولا بمكان ولذا فقد ارسل ابو بكر أربعة جيوش الي الشام لنشر الاسلام بالقضاء علي الحواجز المادية التى تمنع من استماع الناس للدعوة .

٢- ان الرسول صلي الله عليه وسلم كان قد ارسل رسائل الى عدد من ملوك وعظماء العالم في ذلك الوقت فقد ارسل الى كسرى امبراطور الفرس ، والي قيصر عظيم الروم ولي المقوقس عظيم مصر ، والي النجاشي ملك الحبشة ، والى ملك اليمامة ، والي والي البحرين وغيرهم يدعوهم فيها الي الاسلام . (١)

٣- ان المؤرخين المسلمين لم يذكروا ان سبب ارسال ابي بكر الصديق رضي الله عنه للجيوش الاربعة للشام او الجيوش العراق - هو كون الروم او الفرس هددوا الدولة الاسلامية .

٤- ان هذه الجيوش لو ارسلت لتأمين الحدود لبقيه علي حدود الجزيرة المتاخمة للشام لحماية الحدود اما ان تدخل الجيوش في عمق الشام فإن ذلك ليس تأمينا للحدود وانما فتح للبلاد .

ومثل هذا المعنى نجده في كتاب تاريخ الدولة الاسلامية للصف الخامس الابتدائي اذ يقول المؤلفون .

" أولا : فتح العراق : العراق ارض خصبة يرويها نهرا دجله والفرات وكان سكان العراق خاضعين للفرس " عزم ابو بكر أن يفتح بلاد العراق لينشر

---

(١) انظر خبر هذه الرسائل في الكامل في التاريخ : ٢/١٤٣-١٤٧ .

بين سكانه الدين الاسلامي . واختار (خالد بن الوليد ، ليكون قائدا لهذا الجيش " (١)

المؤلفون
ا... ثالثا : وارض الشام كلها خصبة وترويها انهار فلماذا لم يحلل فتح بلاد الشام بهذا التعليل ، وهم قد تكلموا بعد فتح العراق مباشرة ان تعليل الفتح الاسلامي للبلاد التى فتحها المسلمون بهذا التعليل تفسير مادى اقتصادى للتاريخ ، وهو يتطابق مع نظرية الشيوعيين التى تقول ان تاريخ الانسان هو تاريخ البحث عن الطعام . والمؤلفون نربأ بهم ان يتأثروا بهذا الفكر ، ولكن قولهم هذا يفسد مفاهيم الطلاب ويجعلهم يتصورون خلاف الواقع ان الجهاد الاسلامي هو من اجل المغنم

وفي حديثهم عن فتح الشام مايرد علي كلامهم الوارد في فتح العراق فهم يقولون :

" ثانيا : فتح بلاد الشام ومعركة اليرموك : عندما فكر ابو بكر في فتح العراق وارسل خالد بن الوليد ليفتحها ،فكر ابو بكر ايضا في فتح بلاد الشا م لنشر الاسلام بين سكانها .

اعد ابو بكر أربعة جيوش لهذا الغرض ووضع علي كل جيش قائداً . . . .

. . . . وصلت اخبار الزحف العربي الى مسامع ملك الروم ، فأخذ يستعد لحربهم واعد جيشا كبيراً جداً ، وارسله الي سهل قرب نهر اليرموك حيث كانت جيوش المسلمين مجتمعة هناك " (٢)

نعم ارسل ابو بكر الجيوش الي الشا م والعراق لنشر الاسلام ، ولكنى أسأل المؤلفين لماذا لم يكن هناك زحف عربي قبل الاسلام ؟ لم يكن للعرب شأن من النواحي الدينيه او السياسيه او العسكريه ، كما كان لفارس والروم والحبشه شأن في النواحي السياسيه والعسكريه والمدنيه ومع ذلك فقد كانوا جميعا في ضلال . .

ومن قبيل التفسير الاقتصادى للتاريخ القوى بأن السبب الرئيسي في الحروب . الصليبيه هو طمع الاوربين في خيرات البلاد الاسلاميه ، وقد اتطلي هذا التفسير علي المؤلفنين لمقرر التاريخ في الصف الخامس الابتدائي اذ قالوا :

---

(١) تاريخ الدولة الاسلامية : الصف الخامس : ١٠ ، ١١

(٢) نفس المصدر : ١١ — ١٢

" اسباب الحروب الصليبيه : اطماع البابا في بسط نفوذه علي الكنائس الشرقيه ٢- طلب الامبراطور الروم البيزنطي من البابا النجده ضد المسلمين السلاجقه في تركيا . ٣- التعصب الديني عند الاوربيين .

٤- طمع الاوربيين في خيرات البلاد الاسلاميه : ان السبب الحقيقي الذي جعل هؤلاء الاوربيين يعتدون علي بلادنا هو طمعهم في خيرات البلاد الاسلاميه فقد كان تجار اوروبا يأتون الي الاسكندريه والى الموانيء السوريه ويشترون البضائع . وكانوا يعرفون ان بلادنا غنيه ، فأحبوا ان يحسنوا احوالهم الاقتصاديه السيئه بوضع بلادنا تحت حكمهم وسلب خيراتها .

٥- طمع الحكام الاوربيين في تأسيس امارات وممالك في البلاد العربيه الاسلاميه " (١)

والواقع التاريخي يؤكد ان السبب الرئيسي ليس هو ماذكر من طمع الاوربيين في خيرات البلاد الاسلاميه ، وانما هو الروح الصليبيه والحقد الصليبي والرغبة في الانتقام من المسلمين لحكمهم لبلاد الشام ومنها بيت المقدس ، ودليلي على ذلك ان " البابا اربان الثاني هو أول من دعا الي الهجوم علي البلاد الاسلاميه في مؤتمر عقد في " كليرمونت " بجنوب فرنسا عام ١٠٩٥م اى عام ٤٨٨ - وقد خطب البابا في جمع من رؤساء الاساقفه والاساقفه ورؤساء الاديره ، وفيه خطب ودعا " لاستخلاص القبر المقدس وانقاذ مسيحي الشرق " وقد اثارت هذه الخطبة حماسة السامعين وتعالت صيحاتهم " هكذا أراد الله " ! (٢)

٣- الادعاء بان الجهاد انما شرع للدفاع : وقد انطلقت هذه الدعوى على مؤلف كتاب التاريخ للصف الثالث المتوسط اذ يقول :

" ان اول جيش في الاسلام كان في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم وكانت مهمته الدفاع عن الاسلام والمسلمين من تحرشات الكافرين ومؤامراتهم وبخاصة مشركي قريش . وقد امر الله سبحانه المسلمين ان يكونوا دائما علي جانب من القوة ان يتسلحوا ليرهبوا اعداءهم ، لقوله تعالي " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة

---

(١) تاريخ الدوله الاسلاميه الصف الخامس: ص ١٠١ .

(٢) محاضرات في الحروب الصليبيه السنه الثالثه كلية الاداب جامعة الملك عبدالعزيز قسم التاريخ / ٦ ، ٧ .

ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " (١)

والحق ان الجهاد شرع لفتح البلاد وازالة الطواغيت التي تمنع الناس من استماع الحق ، ونحن نسأل المؤلف الفاضل واذا لم يتحرش الكافرون بالمسلمين فهل تبطل شرعية الجهاد وهو كما قال رسول الله (ص) " ذروة سنام الاسلام" ولو كان الامر كما ذكر المؤلف لما كان لقول الرسول (ص) الآنف الذكر اي معنى ، ومن الشواهد غير ما سبق ان ذكرته علي وجوب الجهاد دخل ابتداءا لا دفاعا فقط . هذا الحديث :

" عن ابي هريرة : ان رجلا من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم مر بشعب فيه عينة ماء عذب ،واعجبه طيبه ، فقال لو اقمت في هذا الشعب واعتزلت الناس ولا افعل حتى استأمر رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فذكر للنبي صلي الله عليه وسلم فقال : " لا تفعل فإن مقام احدكم في سبيل الله خير من صلاة ستين عاماً خالياً ، الا تحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة " رواه الترمذي ، والحاكم والبيهقي واحمد " (٢)

ع - تفسير حياة الانسان تفسيرا ماديا : في كتاب الجغرافيا للصف الاول الثانوي كتب المؤلفون تحت عنوان " التفاعل بين الانسان والبيئة " مايلي :

" كان الانسان في الماضي يخضع لتأثيرات العوامل الطبيعيه خضوعا شبه تام ، قد يموت اذا اشتد الحر أو قسا البرد وقد يفترسه حيوان . وقد لا يجد ما يأكل ، لكن الانسان بحكم طبيعته التي فطره الله عليها ظل يحاول دائما أن يقلل من التأثيرات الضارة التي يتعرض لها من العوامل الطبيعيه ، فاهتدى بفكره الذي كرمه الله به الي الاحتماء من عناصر المناخ بالالتجاء الى المأوى وبتغطيه جسمه بالملابس ، وتنقل من مكان الي مكان آخر هاربا من حيوان مفترس او قانصا لغذاء يأكله ، واخذت قدرة الانسان علي التقليل من تأثيرات العوامل الطبيعيه

---

(١) تاريخ الحضارة الاسلامية /الصف الثالث المتوسط/ (١)

(٢) سنن الترمذي : ٣/ ٨٤ مستدرك ، الحاكم : ٢/ ٦٨ سنن البيهقي ٩/ ١٦٠ ومسند احمد ٢/ ٥٢٤ .

غير المرغوب فيها تزيد شيواً فشيئاً كلما تقدم الانسان في ارتقاء الحضارة" (١)

فالقول بخضوع الانسان لتأثيرات العوامل الطبيعيه خضوعا شبه تام ، والقول بأن الانسان اهتدى بفكره الي الاحتماء من عناصر المناخ بالالتجاء الي المأوى قانصا وبتغطيه جسمه بالملابس وان الانسان تنقل من مكان الي مكان هاربا من حيوان مفترس او قانصا لغذائه . غير صحيح لان الله سبحانه وتعالي ذكر عن ابي البشر آدم عليه السلام وزوجه قبل ان يهبطهما الله من الجنه بعد ان تاب عليهما من خطيئه الاكل من الشجره انهما بدت لهما سوءاتهما ، فغطياها بورق الجنه . قال تعالي :

" ويآادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا منها من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (١٩) فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماورى عنهما من سوءاتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين (٢٠) وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين (٢١) فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنه وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين (٢٢) الاعراف" (٢)

وقال تعالي"

" ... فوسوس اليه السيطان قال يآادم هل ادلك علي شجرة الخلد وملك لا يبلي (١٢٠) فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصي آدم ربه فغوى (١٢١) ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (١٢٢) طه (٣)

هذا عن قضية تغطية الجسم باللباس ، فالله سبحانه وتعالي ذكر لنا ان آدم وحواء لما اكلا من الشجرة التى نهيا عن الاكل منها بدت لهما "سوءاتهما" ومعنى ذلك انهما كانا ساترين لها ، فالبدو لا يكون الا بعد الستر.

اما عن قنص الغذاء ، وانه بدأ الانسان الاول الصيد ، او مايسمي بمرحلة

---

(١) الجغرافيا الصف الاول الثانوى : ٦١ .
(٢) انظر تفسير هذه الايات في تفسير ابن كثير : ٣/٣٩٣ - ٣٩٤
(٣) نفس المصدر لتفسير الايات ٥/٣١٥ - ٣١٨ .

الصيد ، فإن القرآن الكريم يوضح لنا عن إبني آدم انهما قد قدما قربانا وذكر المفسرون أن قربان هابيل "كان شاة" أي أنه كان يرعي وأن قربان قابيل كان" طعامـــــا" أي أنه كان يزرع . قال تعالي .

" واتل عليهم نبأ بني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبـــل من الآخر قال لا قتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين (٢٧) لئن بسطت الي يـــدك لتقتلني ما انا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (٢٨) المائده" (١)

فالقول بخضوع الانسان في الماضي لتأثيرات العوامل الطبيعيه خضوعا شبــــه تام تفسير مادى لحياة الانسان ودعوى بأن الانسان خاضع لعوامل البيئه ، كمـــا أن القول بأن الانسان في الماضي كان يعيش علي القنص هو زعم يردده الماديون فهم يقولون إن حياة الانسان مرت بمراحل عده هي (١) مرحلة الصيد (٢) مرحلة الرعي (٣) مرحلة الزراعه (٤) مرحلة الصناعه .

وفي فقره أخرى يقول المؤلف نفسه تحت عنوان "الانسان والموقع"

" كان الانسان في الماضي يخضع لتأثيرات عامل الموقع خضوعاً كاملاً ، وقـــد أدرك الانسان بفطرته التى زوده الله بها أنه يستطيع استخدام عضلاته لتغيير موقعــه فمشي واصبح بالمشي قادرا علي التقاط غذائه من هنا وهناك ، وجرى فأصبح بالجرى قادرا في بعض الاحيان علي الهروب من الحيوانات المفترسه ، ثم اهتدى الانســان الي استخدام الحيوان في الانتقال من مكان الي مكان ، فعضلات الحيوان اقـــوى من عضلات الانسان ومن ثم يستطيع ان ينتقل لمسافات ابعد من المسافات الـــــتى يستطيع قطعها ان يقطعها الانسان ويستطيع ان يحمل علي ظهره اشياء اثقـــــل مما يستطيع ان يحمل الانسان ، واستفاد الانسان من الحيوان للتقليل من تأثيرات الموقع" (٣)

فهذا تفسير مادى واضح لحياة الانسان فالانسان ليس خاضعا خضوعا كامـــلا لتأثيرات عامله لموقع والا لما استطاع ان يزيل ويهدم ويشيد .

---

(١) تفسير ابن كثير : ٣ / ٧٥ - ٧٩ .
(٢) الجغرافيا للصف الاول الثانوى : ٦٢

٥ - وصف الجاهليات بالحضارة : ورد في كتاب التاريخ العربي والسيرة النبويه للصف الاول المتوسط مايلي :

" حضارة القساسنه : كانت حضارة القساسنه اعلي مستوى من حضارة المناذرة اذ ان حضارتهم امتزجت بالحضارتين اليونانيه والرومانيه .

وكان من ابرز مظاهر الحضارة عندهم فن البناء ...." (١)

وفي نفس المقرر جاء مايلي :

" حضارة تدمر : كانت حضارة تدمر مزيجا من حضارات عدة اقوام كالفرس واليونان والرومان والسوريين والتدمريين كانوا عربا بلاجدال الا ان لغتهم آراميه ... وأسماء الالهة عندهم هي نفس الاسماء البابليه التي كان يستعملها الانباط والسوريون ... واشهر آلهتهم الشمس ولا تزال بقايا المعبد الشمسي ماثلة للعيان في تدمر . كما كان التدمريون يعبدون القمر . اما اشهر الالهات الاناث فهي اللات ...." (٢)

فوصف هذه الجاهليات الوثنيه بالحضارة خطأ واضح ، ذلك أن الوصف بالحضارة ثناء علي من يوصف بها والوثنيون اشركوا مع الله غيره فهم لا يستحقون هذا الوصف لان من يستكف عن عبادة الله لا يستحق هذا الوصف" ذلك لان الحضاره هي مجموع المثل والقيم والمعتقدات والاعمال المدنيه كتشييد وبناء المصانع والزراعه . فعلي هذا لا يصح وصف هذه الجاهليات بالحضاره .

٦- استخدام وصف رجال الدين واطلاقه علي علماء الاسلام والكهان : من الامور التي اصبحت معروفة لدى جمهرة المثقفين أن وصف رجال الدين" كان من الاوصاف التي تطلق علي "رهبان" النصارى وقساوستها ، وقد ارتبط بهذا الوصف في العصور الوسطي في الغرب معاني الظلم والطغيان الفكرى ، والعلمي ، والسياسي ، والديني فاطلاق أى مسلم علي علماء المسلمين لفظ" رجال الدين" يوحي لهؤلاء الجمهره بأن علماء المسلمين كهؤلاء الرهبان ، هذا من ناحية ومن ناحية ثانيه فإنه لا يوجد في الاسلام أشخاص مخصصون بالدين ، واشخاص

---

(١) ، (٢) التاريخ العربي والسيره النبويه : ١٤٣ ، ١٤٤ م ١٣٠ ، ١٣٥ .

مخصوصون للدنيا . فكل مسلم يجب عليه وجوباً عينياً أن يعلم من الدين الاسلامي الكليات التى لا يعذر المسلم بجهلها في كافة شئون حياته أما تفصيلات علوم الشريعة فيتخصص فيها طائفة من الناس" وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " التوبه : ١٢٢

ويوصف هؤلاء المتخصصون بعلوم الشريعة المجتهدون فيها بعلماء الاسلام، أو الدين والعجيب ان يوجد هذا الاستعمال في كتابين من مقررات التاريخ ففي احدهما يوصف الكهان برجال الدين . وفي الآخر يوصف علماء الاسلام برجال الدين .

يقول مؤلفوا كتاب" تاريخ سيرة الرسول (ص) مايلي عند الحديث عن والد رسول الله صلي الله عليه وسلم.

" ... وكانت القرعة تقع علي عبدالله مراراً . وهنا أشار عليه -اى علي عبدالمطلب - أشار عليه احد رجال الدين - اى احد الكهان -أن يعمل القرعه بين عبدالله واعداد من الابل ... " (١)

ويقول مؤلفوا كتاب" تاريخ المملكة العربية السعودية " عند الحديث عن نظام الحكم العثماني تحت عنوان " ديوان الباشا"

" ديوان الباشا : ويتألف من كبار الموظفين المدنيين والعسكريين ومن رجال الدين " (٢)

فالوصف هنا برجال الدين لعلماء المسلمين في الدولة العثمانيه .

٧- نسبة الحضارة الاسلامية الي العرب : يكثر في المقررات المدرسية نسبة الحضارة الاسلامية التى شارك في بنائها العرب ،والبربر، والترك وغيرهم من الاجناس- او نسبة الابتكارات او غيرها من جزئيات الحضارة ، الي العرب فمثلا في كتاب المطالعة للصف الاول الثانوى موضوع " كيف ينبغ المبتكرون " وفيه الحديث عن نبوغ المسلمين في العلوم التطبيقيه،وحضارة

---

(١) تاريخ سيرة الرسول الصف الرابع الابتدائي : ٣٢
(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية : الصف الثالث المتوسط : ٣٣

العرب في الاندلس ، وفيه الحديث عن حضارة المسلمين في الاندلس .

وفي نفس الكتاب موضوع بعنوان " صفحة مشرقه من تاريخ العرب العلمي " وفيه الحديث عن تاريخ المسلمين في العلوم .

وموضوع ثالث بعنوان " الطب عند العرب " وفيه الحديث عن تطور علم الطب عند المسلمين وشيئا من اسهاماتهم في الطب . ومعارك النصر العربيه وفيه الحديث عن غزوة بدر الكبرى بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم . (١)

وفي كتاب المطالعة للصف الثالث الثانوى موضوع بعنوان " اثر العرب في الحضارة الاوربيه " وفيه الحديث عن اثر المسلمين في العلوم والمدنيه الغربيه . (٢)

وفي كتاب التاريخ للصف الخامس الابتدائي مايلي :

" تأثير العرب على اسبانيا واوروبا : جعل العرب اسبانيا على رأس الممالك الاوربيه . وكانت مدن الاندلس وجامعاتها العظيمه مقصد الطلبه في جميع انحاء اوروبا " (٣)

فنسبة الحضارة الاسلامية الي العرب خطأ واضح لامور هي :

١- انه ظلم للاجناس الاخرى التي شاركت في بناء هذه الحضارة ويكفي ان نذكر الامام البخارى (محمد بن اسماعيل) صاحب كتاب " الجامع الصحيح " فقد جمع فيه اصح ماثبت عنده من حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم وعده العلماء المسلمون اصح كتاب بعد كتاب الله ، وهو ليس عربيا ، والظلم محرم في الشرع .

٢- انه خلاف للواقع التاريخي المسطور في الكتب ، وخلاف الواقع كذب والكذب محرم في شرع الله .

---

(١) المطالعة للصف الاول الثانوى : ٦٣ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٦٠ ، ١٠٤
(٢) المطالعه للصف الثالث الثانوى : ٢٢ - ٣١ والمقال لعباس محمود العقاد
(٣) تاريخ الدولة الاسلامية الصف الخامس ٧٤

٣- أنه إنسياق وراء ادعاءات المستشرقين وايحاءاتهم بأن الحضارة الاسلامية حضارة عربية وهم أول من أطلق هذه التسمية .

٤- أن الحضارة الاسلامية ليست حضارة جنس من الاجناس وانما هي حضارة تنطلق من منطلقات دينية وفكرية حضارة اسلامية لاعنصرية .

٨ـ عدم التأدب مع بعض قادة المسلمين ، ووصف بعض المفسدين بالمصلحين/ ـ حدث خلاف بين الخليفة الراشد الرابع علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه ، بعد قتل الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان سبب الخلاف أن معاوية طلب من علي القصاص من المعتدين علي عثمان بأقصي سرعه ، ولكن عليا رضي الله عنه رأى ان يقتص منهم بعد ان تستقر الاوضاع ، وكان كلا هما مجتهداً ولكن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه كما يعتقد اهل السنه والجماعه كان مصيباً ، وكان معاوية رضي الله عنه كان مجتهداً ولكنه اخطأ ، وعلي رضي الله عنه من الصحابه السابقين الي الاسلام ومعاوية أسلم متأخراً عن علي ولكنه كان من كتاب الوحي فقد استأمنه رسول الله صلي الله عليه وسلم علي كتابة وحي الله اليه القرآن فلا مجال لسوء الظن به . ولكن العجيب أن بعض المؤلفين في التاريخ تأثراً منهم بالشيعه الذين يبغضون معاويه وغيره من الصحابه شوهو سمعته فسرى ذلك الى المسلمين في العصور المتأخره ولعل مؤلفي كتاب" الادب نصوصه وتاريخه " قد تأثروا بشيء من ذلك . فهم يقولون .

" ابتدأ العصر الاموى باستيلاء معاويه رضي الله عنه علي الخلافه سنة ٤٠ هـ وانتهي سنة ١٣٢ هـ بسقوط الدولة الامويه علي يد بنى العباس . وبهذا يكون العصر الاموى قد امتد قرابة تسعين سنه " (١)

وجاء في كتاب" تاريخ العالم الاسلامي " للصف الثاني المتوسط مايلي :

" رأيت فيما سبق كيف أن معاوية بن ابي سفيان إستغل ولايته الطويلة علي الشام في تكوين حزب يناصره ويتفاني في نصرته ، ثم رأيت معارضته لعلي بن ابي طالب وتغلبه عليه منذ موقعة صفين ، ومابعدها وبعد مقتل علي وتنازل ابنه الحسن سنة ٤١ هـ ٦٦١م تولي معاوية الخلافة وقد عرف هذا العام بأسم عام الجماعه ...... " (٢)

---

(١) الادب نصوصه وتاريخه : الصف الاول الثانوى /١٩٧ .
(٢) تاريخ العالم الاسلامي للصف الثاني المتوسط : ٥٤ .

ومن جملة الاشخاص الذين أسيء اليهم ولم يتأدب معهم السلطان عبد الحميد وذلك بتأثير اليهوديه العالميه التي حاولت اغراءه بالمال - ليسدد ديون الدوله العثمانيه ، وليأخذ شيئا لحسابه الخاص على أن يمنحهم قطعة ارض في فلسطين ولكنه رفض وابي ورد هم ردا عنيفا احقد هم عليه فأخذوا يكيدون له لاسقاطه وعزله وتشويه سمعته ورفعوا من قدر المفسدين رجال حزب الاتحاد والترقي وعلى رأسهم الطاغوت الكبير مصطفي كمال ومن المدهش أن تنطلي هذه الدعايات على كثير من مثقفي المسلمين في هذا العصر ، وقد انطلت علي مؤلفي كتاب " تاريخ المملكة العربية السعوديه للصف السادس هذه الدعايات الكاذبه فهم يقولون :

" وقد ثار احرار الاتراك علي حكامهم الضعفاء بزعامة مصطفي كمال الذى اطلق عليه اسم " كمال اتاتورك " اى ابو الاتراك . وقد استطاع ان يحارب اليونان * ويسترد الاراضي التركيه التي استولت عليها ، فكانت الحدود التركيه المعروفه حاليا . ثم قضي علي الخلافة العثمانيه وغير نظام الحكم السلطاني واسس الجمهورية التركية الحديثه " (١)

ويقولون في نفس الكتاب وعن من سموهم بالمصلحين - مصطفي كمال ورفاقه مايلي :

" قام بعض المصلحين من الاتراك في محاولة ناجحه لانقاذ الدولة العثمانيه من هوة الضعف التى انحدرت اليها ، فثاروا ضد استبداد السلطان عبد الحميد وايد هم في هذه الثورة احرار العرب . وفازت الجمعيات التركيه باعلان الدستور وخلع السلطان . وكان احرار العرب يهدفون من وراء تأييد هم هذا إصلاح بلادهم تبعاً لاصلاح الدولة العثمانيه . الا أن الاتراك اهملوا مصالح العرب واستمروا في سياسة تتريك الامة العربيه لتقوية الامبراطورية الاسلامية علي اساس العنصريه التركية . فأغضب ذلك العمل احرار العرب الذين تعصبوا لعروبتهم والفوا الجمعيات والاحزاب السريه لحفظ كيان الامة العربية ومناهضة الترك وايقظوا الشعور العربي بالخطب والمقالات . (٢)

---

(١) (٢) . تاريخ المملكة العربية السعودية للصف السادس الابتدائي : ٨ ، ٢٧ ، ٢٨ .

* لم يطلق عليه الاتراك " أتاتورك " وانما هو الذى اطلق على نفسه ذلك اللقب ، ولم يكن هو الذى استطاع هزيمة اليونان ، وانما صنعت الدعاية له . راجع في ذلك كله كتاب " الرجل الصنم "

اين هؤلاء المؤلفين من قول " ليفي ابو عسل" عن مصطفي كمال" الموسوم بالمصلح " .... ولقد قام بفتح تركيا علي مصراعيها ليدخل منه علماء اليهود الذين نبذتهم المانيا واستقبلهم بكل ما اوتي من حسن الكياسة ونبل الغرائز .... واستعاون بهم لتنظيم الجامعة التركيه علي الاساليب العلمية المصريه ،واستدعي مايزيد عن أربعين أستاذا منهم لتوسيع اقسام تلك الجامعة " (١)

أليس في حديثهم هذا عن معاوية ، وحديثهم عن عبدالحميد ،وحديثهم عن مصطفي كمال ، سوء أدب مع الاولين ، وتمجيد لا يستحقه الاخير. بلي لقد اصبح أمر مصطفي كمال واضحاً بعد أن عمي علي المسلمين في أمره فترة من الزمن ، ولا زال في تركيا من يتعرض له بنقد يتعرض للحبس والمحاكمات الجائره ، واما من يتعرض لذات الله اورسوله (ص) أوالاسلام فهو حر طليق ، وما قصة محاكمات " نجم الدين اربكان " وغيره الا شاهد علي ذلك .

غير أن كتاب التاريخ للصف الثالث الثانوى قد أنصف عبدالحميد وأوضح اعماله وفساد مصطفي كمال . فجزى الله مؤلفيه خير الجزاء.

٩- نسبة الاشياء الى غير مسببها : الاصل في الشيء ان ينسب الي مسببه فحين يمر انسان من جانب مبنى جميل ويسأل من الذى صمم هذا المبنى ؟ فانه سيجاب بأنه المهندس فلان . فاذا اجيب بغير ذلك وقيل له بأنه العامل فلان فان ذلك يعد غلطا للمهندس الذى صمم هذا المبنى . هذا في الامور الصغيره التافهه اليسيره التى لا يترتب عليها ضرر في الاعتقاد فكيف بنافي المقررات الدراسيه التى نقررها علي طلابنا ننسب ما لا يستطيع فعله الا الله الي المخلوقات انه افتراء عظيم . ومن المؤسف ان يقع شيء من هذا في بعض المقررات . واليك امثلة منوعه علي ذلك .

قال مؤلفوا علم الاحياء للصف الثاني الثانوى تحت عنوان " التوازن في الطبيعه " مايلي :

---

(١) فصل الدين عن الدولة : ١٩٦

" يحدث التوازن نتيجة عوامل طبيعيه مثل الماء والغذاء والشمس والغازات والمعادن ، ويسمي بالتوازن الطبيعي ، او يحدث نتيجة عوامل حيويه كالافتراس والتطفل . فإذا لم تتوفر الكميه اللازمة من الطاقة الشمسيه وغاز ثاني اكسيد الكربون فإن الكمية المنتجه من المواد الكربوهيدراتيه ستكون محدوده ، وبالتالي فإن ذلك سيؤثر علي المستهلكات الاوليه (آكله النبات) ومن الطبيعي ان ينعكس ذلك علي كائنات المترتبه التى تليها في السلسله الغذائيه (اى المستهلكات الثانويه او آكله اللحوم) وهكذا حتى نصل الي قمة السلسلة الغذائيه " (١)

وجاء في [illegible] عن العوامل الطبيعيه اللاحيويه التى " توثر علي حياة الكائنات الحيه " جاء مايلي :

" ... وهي مجموعة العوامل غير الحيه التى توثر علي حياة الكائنات الحية أن مجموعة هذه العوامل تحدد نوعية الكائنات الحية التى تعيش في مناطق معينه كما تحدد كذلك نوعية العلاقات بين الحيوانات والنباتات في تلك المناطق " (٢)

وفي الحديث عن عامل الرطوبه في نفس الكتاب جاء مايلي :

" ... فمثلا تختلف الكائنات التى تعيش في الصحراء عن تلك التى تعيش في مناطق عاليه الرطوبة في كونها تغطي نفسها بطبقة تمنع تبخر الماء (كما في النباتات الصحراويه) او تخزن الماء في داخلها كالجمال مثلا . وبسبب كون الماء (الرطوبه الجويه) ذا اهمية بالغة بالنسبة لحياة الكائنات الحيه فإن بعض الكائنات استطاعت التكيف ضد التغيرات التى تطرأ علي نسبة الرطوبة الجويه بحيث تحافظ علي النسبة اللازمة من الماء بداخلها .. " (٣)

وعن الضوء يقول المؤلفون مايلي :

" اما بالنسبة للحيوانات فقد لعب الضوء دوراً هاماً في نمو أعضاء خاصة للرؤيا لها معظم الحيوانات لها اعضاء حسية خاصة تستجيب للضوء ، وتتراوح هذه الاعضاء بين اجزاء بروتوبلازمية محدودة وبسيطة كما في اليوجلينيا مثلا الى اعضاء

---

(١) علم الاحياء الصف الثاني الثانوى : ١٩٨

(٢) نفس المصدر : ١٦٣

(٣) كتاب الاحياء للصف الثانوى : ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٠ ، ١٨٧

معقدة التركيب كالصين .

وللضوء تاثير على تناسل بعض الحيوان فنضوج البويضات والحيوانات المنوية لبعض الحيوانات يحصل بسرعة اكثر اذا ما تعرضت هذه الحيوانات لفترة ضوئية طويلة ولذلك فإنه من المعتاد إطالة فترة الاضاءة فى الحاضنات الحديثة لاثارة عملية تكوين البويضات "(١) .

وجاء فى نفس الكتاب عند الحديث عن حيوانات المناطق اليابسة مايلى :

" مواطن اليابسة : تتأثر الكائنات الحية التى تعيش على اليابسة بعاملين رئيسيين هما : ١- وفرة الامطار ٢ - التغيرات الحرارية

ولذا فإن الاختلاف الكمى بين هذين العاملين ينعكس على اختلاف انواع الكائنات الحية . (٢)

وجاء فى نفس الكتاب عند الحديث عن الثدييات - هذه العبارات :

" الثدييات هى ارقى الكائنات الحية وقد استطاعت بما تمتلك من مميزات وخصائص أن تسود على سطح الكرة الارضية . تمتاز الثدييات عن غيرها من الحيوانات السابقة برقى فى جهازها العصبى . كما تمتاز بطريقة تكاثرها فهى حيوانات ولودة تلد صغارها كاملة النمو ترضعها الام من حليبها المتكون فى الاثداء "(٣) .

وجاء فى كتاب الاحياء للصف الاول الثانوى عند الحديث عن التغذية الذاتية مايلى :

" ان النباتات الخضراء هى الكائنة الحية الوحيدة التى تستطيع أن تصنع غذاءها بنفسها دون الاعتماد على مصدر آخر والمقصود بصنع الغذاء هنا هو تكوين مركبات عضوية من مركبات غير عضوية .

---

(١) و (٢) و (٣) كتاب الاحياء للصف الثانى الثانوى : ١٦٩ ، ١٨٧ ، ١٥٧ .

فالنبات الاخضر يحصل على الماء وثانى اكسيد الكربون ويحولها بعملية التركيب الضوئى الى مركبات عضوية بسيطة .

وهذه المركبات تتحول بدورها الى مركبات عضوية اكثر تعقيدا . . ان مجموعة التفاعلات الكيميائية التى يتم بواسطتها تحويل المواد غير العضوية الى مواد عضوية لا تحدث الا فى النباتات التى تحتوى على البلاستيدات الخضراء "(١)

وجاء فى كتاب " الجيولوجيا - علم الارض " للصف الثانى الثانوى عند الحديث عن الزلازل مايلى :

" الزلازل هى أخطر العوامل الطبيعية التى تهدد حياة الانسان وعمران بلاده فهى من مفاجآت الطبيعة التى لا قوة للانسان عليها . صحيح ان الوسائل العلمية اصبحت تمكن من تحديد المواقع المعرضة للزلازل ولكن ليس بمقدور العلم ان يمنع حدوث الزلازل . . "(٢)

وفى كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط جاء مايلى :

" وللثعابين قدرة على تغيير الطبقة الخارجية من جلودها وتسمى هذه العملية عملية الانسلاخ وهى تحدث خمس مرات او ست مرات فى السنة وذلك عندما تنمو اجسامها دفعة واحدة "(٣) .

وفى كتاب العلوم للصف الثانى الابتدائى كتبت تحت صورة فيها ضفدعة وصغارها هذه العبارة : " بعض صغار الحيوانات كالضفادع تغير شكلها اثناء النمو "(٤)

---

(١) كتاب الاحياء للصف الاول الثانوى : ٧٣ .

(٢) الجيولوجيا (علم الارض) للصف الثانى الثانوى : ٩٠ .

(٣) كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط : ٦٧ .

(٤) كتاب العلوم للصف الثانى الابتدائى : ٥٣ .

فاذا انتقلنا الى كتب الادب والاناشيد فإننا نجد فى كتاب الادب للصف الاول الثانوى مايلى :

" ولا شك أن الانسان هو ابن الارض تطبعه بطباعها وتغذيه بخيراتها وتكوّن اخلاقه ومزاجه وعاداته بلون تضاريسها حتى لقد قال احد علماء الاجتماع صفوالى طبيعة أرض اصف لكم سكانها ومن هنا فقد طبعت الصحراء اخلاق العرب بطابعها فتحلوا منذ القديم بالشهامة والكرم والوفاء والنجدة وحب الحرية واباء الضيم وكراهة الخسة والصغار ." (١)

اما فى كتاب الاناشيد والمحفوظات للصف الثالث الابتدائى فقد جاء هذا النشيد عن " الممرضة " :

" رأيتها نظيفة	نشيطة خفيفة
فؤادها رحيم	وعطفها عظيم
لطيفة الكلام	تعمل فى نظام
تطوف بالدواء	فى الصبح والمساء
وتاخذ الحرارة	بغاية المهارة
فى كفها الشفاء	يبعثه الرجاء
فى قلبها حنان	يبثه اللسان " (٢)

---

(١) الادب نصوصه وتاريخه للصف الاول الثانوى : ١٣ .

(٢) الاناشيد والمحفوظات للصف الثالث الابتدائى : ٧٠ .

فنسبة التأثير على التناسل الى الضوء ، فحين تتعرض الحيوانات الى فترة ضوئية طويلة يتم نضوج البويضات والحيوانات المنوية بسرعة ، هو من نسبة الاشياء الى أسبابها واغفال المسبب لها . فالضوء خلق من مخلوقات الله كما ان الظلمة كذلك ولذا فإن الاصح ايضاح ما للضوء من أثر بقدرة الله المسبب للاشياء والخالق لها . ولذا فالضوء الذى تحتاجه الحيوانات قدّره الله بنسبة معينة إن زاد عنها أو نقص عنها اختل الناموس ـ القانون ـ الذى وضعه الله لهذا السبب .

قال تعالى : " قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله ياتكم بضياء أفلا تسمعون . قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون . " (القصص : ٧١ ، ٧٢) .

وقال تعالى : " انا كل شيء خلقناه بقدر " القمر : ٤٩ .

كما أن القول بتاثر كائنات اليابسة بعاملين هما وفرة الامطار والثغرات الحرارية . دون ربط ذلك بقدرة الله المنشىء للامطار والثغرات الحرارية هو من نسبة الاشياء الى اسبابها .

والقول بان الثدييات ـ ومنها الانسان كما يعتقد المؤلفون وغيرهم ممن يعتقدون بصحة فرضية دارون ـ قد استطاعت أن تسود على سطح الكرة الارضية بما تمتلك من خصائص ومميزات ، دون الاشارة الى من وهبها هذه الخصائص والمميزات ـ الله سبحانه وتعالى ـ خطأ واضح كما أن الواقع ينفي هذه المقولة فالذى يسود على سطح الكرة الارضية هو الانسان وهو الذى كرمه الله .

قال تعالى : " ولقد كرمنا بنى ادم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " (الاسراء : ٧٠) .

وسخر لهما فى السموات والارض .

قال تعالى : " الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمــــره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السموات وما فــــى الارض جميعا منه ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون " (الجاثية : ١٢ ، ١٣) .

وايضا فإن القول بأن النباتات الخضراء تصنع غذاءها بنفسها دون اعتماد على مصدر آخر بمعنى تكوين مركبات عضوية من مركبات غير عضوية الخ . فيه اغفال لذكر واضع هذه النواميس - الله جل وعلا - التى عن طريقها يتم هذا الامر .

وانظر معى الى هذه الفقرة التى تشرح نفس العملية التى شرحهـــــا مؤلفوا الكتاب دون اغفال لقدرة الله ودون اخلال بذكر الحقيقة الظاهــــرة للناس في تحول اصل الكتاب

" ومن ايات الله تكوين الغذاء فى النبات وتعرف هذه العملية بالتمثيل الكربونى يدخل ثانى اكسيد الكربون من الجو الى النبات عن طريق الثغور فيقابــــل المادة الخضراء والماء وتتكون من الكربون مواد الغذاء بفعل الحرارة والضــوء اما طريقة تكوين هذه المواد من غاز ثانى اكسيد الكربون فهى عملية كيماويـــة معقدة لم يقل العلم عنها الا ان وجود المادة الخضراء والماء والحــــرارة ينتج عنها تغييرات تنتهى بتكوين المواد الغذائية ولا يتم الا فى الضوء ولــذا فهى تسمى ايضا " بالتمثيل الضوئى "(١) .

والزعم بان الازلازل من مفاجآت الطبيعة زعم باطل ذلك لأن فيه ايضـــا اغفال لسبب هذه الزلازل - وهو الله سبحانه وتعالى - .

وكذا الادعاء بأن للثعابين قدرة على تغيير الطبقة الخارجية من جلودها وأن الضفادع تغير شكلها أثناء النمو إدعاء باطل لاغفاله لمن وضع فيها هــــذه الخاصية رب العزة سبحانه وتعالى .

---

(١) الله والعلم الحديث : ٨٩ . وانظر كتاب " ايات الله تعالى " ٢ / ٢٧٨- ٢٨٣ .

والزعم بأن الانسان يتلون بتضاريس بيئته وتؤثر فى اخلاقه ومزاجه وعاداته . فإن كانت جبلية اصبح الساكن فيها قاسيا فضا فى تعامله ، وان كانت سهلة كان رقيقا فى طباعه سمحا فى تعامله ، زعم لا يقوم عليه دليل ، ان القضية لا تتعلق بالارض التى يعيش عليها الانسان وانما تتعلق بما ركبه الله عليه من المزاج والاخلاق وما يكتسبه من اخلاق من المجتمع الذى يعيش فيه . فإننا نجد الاخوة الاشقاء يختلفون فى طباعهم بل نجد اختلافا وتفاوتا فى الطباع بين الاب وابنائه .

واما نسبة الشفاء الى المرضة فنسبة الشيء الى من لا يملكه فالشفاء بيد الله سبحانه وتعالى ولو كان الشفاء بيد البشر لوهبه كل قريب لقريبه وكم بذل الاطباء محاولات من أجل ان تعود الصحة الى اشخاص ولكنهم عجزوا فمات من حاولوا اعادة الصحة اليه أو استمروا فى عللهم دون جدوى .

إن عرض هذه المعلومات بهذه الطريقة يرسخ فى نفوس الطلاب تفسير الخلق والاحداث تفسيراً آلياً مادياً دون أن يشعروا بذلك فيقعوا فى مستقبل أيامهم فيما وقع فيه الغربيون حين فسروا الخلق تفسيرا اليا لما هربوا من الكنيسة وبالتالى من الدين .

يقول : جون هرمان راندال تحت عنوان التفسير الالى فى علم الحياة مايلى " بينما كان علماء الفيزياء والكيمياء يصيغان التعميمات التى توصلا اليها كانت ذات المبادئ الالية فى التفسير تدخل علوم الحياة وقد عنى هذا فى علم الحياة تفسير جميع اعمال العضويات الحية بمصطلحات كيماوية خالصة . وكان الكيماوى الالمانى ليبيغ Liebig رائدا فى الكيمياء العضوية وقد ادخل مع تلميذه يوحنا مولير Johannes Miillier والعالم الفرنسى كلود برنارد راسة كيمياء الكائن الحى فى منتوجاتها وعملياتها . ولم يكن بعد

هذه البداية سوى خطوة لفكرتحرى الحياة كسلسلة من التفاعلات الكيماوية المعقدة . اما الاسماء فيكثر تعدادها . فجاك لويب Jacques Loeb " مثلاً يعتبر بالنسبة للامريكيين رمزا للماثر التى تحتفى علم الحياة التجريبى مؤداها أن جميع الافعال العضوية فى الاشكال الدنيا للحياة على الاقل فى اجزائها وفى سلوكها الكلى مما يمكن تفسيرها بمصطلح كيماوى فحسب . "(١)

إن كل شىء فى هذا الكون يسير وفق نواميس وضعها الله سبحانه وتعالى لا محيد عنها ابداً حتى يأذن الله بزوال هذا الكون وقيام القيامة التى يكون بعدها الحساب والجزاء والتدبير والتقدير من خالق الكون سبحانه .

يقول اودين فامت :

" والمهم هنا هو ان جميع هذه القوانين الطبيعية التى تضعها ونستخدمها ليست الا مجرد وصف لما يحدث او مايشاهد فهى بذلك ليست تدبيراً او الزاماً فليس الوصف فى ذاته سببا لحدوث ظاهرة من الظواهر او توضيحا لاسباب حدوثها .

وعندما تحاول العلوم أن تفسر لنا منشأ الكون نجدها تبين لنا ، فى ضوء مالدينا من المعلومات عن الطبيعة النووية كيف تتفاعل الجزئيات الاساسية لكى تكون لنا جميع العناصر المعروفة . فجميع العناصر التى يتالف منها هذا الكون تبدأ ببروتونات لها خواص معينة وقوة جاذبية تجعلها تنضم بعضها الى بعض. اما كيف نشأت هذه البروتونات ذاتها ولماذا كان لها هذه الصفات بالذات فإن ذلك مالم تستطع أن تقدم له العلوم شرحا او بيانا .

---

(١) تكوين العقل الحديث : ١٣٤/٢ ، ١٣٥ .

ومهما بالغنا فى تحليل الاشياء وردها الى اصولها الاولى فلابـــد أن نصل فى نهاية المطاف الى ضرورة وجود قوانين طبيعية تخضع لها ذرات هـذا الكون . ويعد ذلك فى ذاته دليلا على وجود اله قادر مدبر هو الذى قـــدر لكل ظاهرة من ظواهر هذا الكون ان تسير فى طريقها المرسوم . وقد خلق الله الالكترونات والبروتونات والنيوترونات وجعل لها خواصها المعينة فرسم لهـــا بذلك سلوكها واقدارها "(١) .

. . .

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ، ٩٣ ، ٩٤ . وانظر ايضا كتاب : آيات الله ٢/ ٢٢٨ - ٢٣٦ .

١٠- حسن الظن ببعض المنظمات الدوليه : من المنظمات التي كُرر الحديث عنهـا

المنظمة العالميه للتربية والثقافة والعلوم " اليونسكو " فقد جاء مقـرر القراءة العربية للصف السادس الابتدائي . (١)

كذلك تكرر الحديث عنها في مقرر التاريخ للصف السادس الابتدائي (١)

وقد اشتهر أن بعض كبار من تولوا مناصب في هذه المنظمة كانوا يهـودا (٢)

ومن المعروف شدة عداوة اليهود للمسلمين " لتجدن أشد الناس عداوة للذيـن آمنوا اليهود والذين اشركوا "

وقد اصدرت هذه المنظمة كتاباً بعنوان " تاريخ الجنس البشرى " او تاريخ البشرية . وقد إمتلاء المجلد الخاص بالاسلام والمسلمين في المجلد الثالـث " الحضارات الكبرى في العصر الوسيط الفصل العاشر " امتلأ بالافتراء علي سيرة الرسول (ص) وخلفائه الراشدين ، والتشوية لتاريخ الاسلام.

من ضمن هذه الافراءات الافتراءات التالية :

١- أن الاسلام تركيب ملفق من المذاهب اليهوديه والمسيحيه بالاضافة الـى التقاليد القوميه الوثنيه العربية .. التي أبقي عليها كطقوس قبليمة .. تجعلها اكثر رسوخاً في العقيده . (٣)

٢- ان دور المرأة في المجتمع الاسلامي علي جانب كبير من الضآلة ، وان ضآلة مرتبتها كانت أمراً مسلماً به في جميع مظاهر الحياة .. حـتى أنه في مسألة الميراث لم يكن نصيبها الا نصف نصيب الرجل .. (٤)

٣- أن الاسلام لم ينصف أهل الذمة ، وأن الاسلام عمل علي أن يظل الوضع الاجتماعي للذميين وضعا سيئاً مهيناً .. (٥)

٤- ان الشريعة الاسلامية منتحله بعد القرن الاول وأنها في القرن الأول لـم يكن وجود بالمعنى الدقيق لهذه العبارة . (٦)

---

(١) القراءة العربية الصف السادس : ١١٢ وتاريخ المملكة العربية السعودية للصف السادس : ١٥٥
(٢) انظر كتاب سر الماسونيه : ٤٧ ، ٤٨
(٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) انظر كتاب مفتريات اليونسكو علي الاسلام : ١٩ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٥٣

وقد استنكر الازهر ماورد في هذه الموسوعه وفي إحدى اجتماعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تليت رسالة شيخ الازهر في ذلك . ولكنهم لم يتخذ اى قرار حاسم .

وكان الواجب علي موالفي الكتب المقرره أن يوضحوا الحقائق لهوءلاء الشباب عن هذه المنظمة فيذكروا مالها وماعليها أما ان يكون الكلام عنها يتخذ صيغه سلبيه فإن ذلك لا يليق فإن أبناء المسلمين أمانة في أعناقنا ويجب أن يعرفوا الحقائق واضحة لالبس فيها ولا غموض .

١١- تمجيد العروبة والوطنيه والدعوة المبهمة :- من الامور التى تلفت الانظار في المقررات الدراسيه تركيز المؤلفين علي العروبه والوطنيه ، حتى عند الحديث عن الاسلام ، او احد قواده ، او احدى المعارك الاسلاميه الفاصله ، فإذا تحدث بعض المؤلفين عن الاسلام تحدث عنه علي انه نتاج العروبه ، واذا تحدث آخرون عن بعض قواده تحدثوا عنهم علي انهم قادة العروبة ، واذا تحدث آخرون عن بعض المعارك الاسلاميه تحدثوا عنها علي انها معارك عربيه ، وسيمر علينا لون من هذه الافكار ، واذا تحدث بعض المؤلفين عن الوطن تحدث عنه بالمعنى الاوربي الحديث للوطن دون ربط ذلك بالمبادئ والمعقائد والقيم الاسلامية ، بل مع مخالفة المبادئ الاسلاميه فلنستعرض بعض هذه النصوص ونشير الي بعضها الآخر.

جاء في كتاب المطالعة العربيه للصف الثالث المتوسط مايلي :

" ... ان المسلم العربي عربي اينما حل وحيثما استقر العربي المسلم عربي مسلم إن أنجد اوأتهم ، وأن أمصر أو أعرق ، ان العربي المسلم وطنه بلاد العرب والاسلام ، وقومه العرب ، وبلاد الاسلام وطن لكل عربي تجرى في عروقه دم العروبة والاسلام .

ان بلاد العرب .. كل لا يتجزأ ان بلاد العرب .. قطعة واحدة لا تنفصل ولا تقطع .. وان الامة العربية امة واحده لا تقبل التفرقة والانفصام.

ان الجزيرة العربية خالية من اى حاجز طبيعي يقطعها او يقسمها اويفصلها فما بالنا نخضع لتقسيم العدو الذى يرى ان تمزيقنا ضرورى لحياته ولا نرى ان القضاء عليه واجب لبقائنا وحياتنا .

ان بلاد العرب والمسلمين خلقت للوحدة فيجب ان تكون لما خلقت له اليوم وغدا وبعد غد ، والي ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

ان العرب من اصل واحد ، ومن سلالة واحدة و من دم واحد وان من العار المشين ان يتفرق العرب او يتجزأ بلاد العرب وان تفرق العرب قضاء علي العروب وان تجزئة بلاد العرب ضياع لبلاد العرب والاسلام ، وان تقسيم البلاد العربيه داء فتاك سيذهب ببلاد العرب من ايدى العرب .

وعند ذلك ويل للعرب من اعداء العرب .

ان كل ابناء الامة العربية العريقة ، كل الذين يعيشون على ارض الوطن العربي الكبير الممتد من ساحل الاطلسي الى الخليج العربي ، قد أقسموا أن يعيشوا كما يريدون لانفسهم لاكما يريد لهم عدوهم " (١)

وجاء في نفس المقرر مايلي :

" ان الامه العربية - وهي مائه مليون من البشر - تريد أن تحقق وجودها وان تشعر بمكانها ، وان تنتفع بكل امكاناتها ، لتكون بين الامم امة موحدة حرة ذات رأى وارادة ، ذات جيش وراية ، ذات قوة يعتدل بها ميزان السلام في العالم .

العربي في الجزائر ، وفي تونس ، وفي ليبيا ، والمصرى والسودانى في وادى النيل . والسورى واللبناني والفلسطينى ، والاردني ، والعراقي ، والسعودى ، واليمنى ، كل اولئك امة واحدة ، ليس بين ارض بعضهم وبعض حدود ولا فواصل ،ابوهم واحد ، ولسانهم واحد ، وعقيدتهم واحده، واهدافهم واحده فمن حقهم ان يعيشوا امة واحدة .

وذلك هو هدفنا الاول : امة عربية متحدة في وطن عربي [illegible] " (٢)

ان الدعوة الي التجمع حول العروبة وغيرها من الشعارات دعوة جاهلية وذلك لامور منها :

١- ان الله سبحانه وتعالي ورسوله (ص) حرما الاجتماع حول هذه الشعارات وجعلا الوحيد الذى يفلح به البشر في حياتهم هو الاجتماع حول الدين الحق" الاسلام " وقد امتن الله سبحانه وتعالي علي العرب الذين بعث فيهم رسول الله صلي الله عليه واسلموا امتن عليهم بالاسلام الذى خرجوا بسببه من الفرقه ، ووقاهم الله من النار باسلامهم . قال تعالي :

" واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم علي شفا حفرة من النار

---

(١) المطالعة العربيه للصف الثالث المتوسط : ٣٠، ٣١.
(٢) نفس المصدر ص ٦٨

فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون " آل عمران : ١٠٣

وبين رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الاعتصام بالكتاب والسنة هو المخرج والمنجي للامة من الضلال .

" عن مالك ... انه بلغه ، أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنة نبيه " اخرجه في الموطأ (١)

٢- ان القرآن الكريم ملئ ببيان ان لا رابطة تربط المسلم بالكافر ، لا في شئون الحياة الدنيا من الميراث والنفقة ونحوها ، ولا في الشئون الخالصة والخاصة بالآخرة ، من الحب والموالاه . وسوف اذكر بعضا من هذه النصوص .

قال تعالي :" لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون" المجادلة : ٢٢

واذا علمنا ان سبب نزول هذه الاية هو قتل ابوعبيده لابيه اتضح لنا فساد دعوة القوميين عربا كانوا اوغيرهم ، فقد كان ابو عبيده يقاتل اباه في احدى الغزوات فحاول ابو عبيده تجنب ابيه ولكن اباه صار يلاحقه فلما لم يكن بد من مقاتله ابيه قاتله فقتله فنزلت هذه الايه توضح السبيل وتثني علي ابي عبيده صنيعه وتعده الجنه ، لقد نفت الايه الايمان عن كل من يحارب الله ورسوله وابتدأت باقرب الناس الاب ، فالابن ، فالاخ ، ثم العشيرة ، فكيف يصبح التجمع حول العروبة ، وهي تجمع المسلم والنصارى واليهودى أمرا سويا بعد هذا . ان للنصارى واليهود في المجتمع الاسلامي اذا دفعوا الجزيه حقوقا مضمونه في شريعة الاسلام اذا لم يضاهوا علي المسلمين .

(١) موطأ مالك برواية يحي بن يحي الليثي : ٦٤٨ الحديث رقم ١٦١٩

وقال تعالي : " تبت يد ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وماكسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد " سوره المسد .

نزلت هذه الايه في الذم والوعيد لاقرب الناس لرسول الله(ص) وهو عمه ابا لهب .

وقد بينت آية من سورة الفتح ، وأخرى من سورة الحجرات ، وثالثة من سورة الانفال أن الرسول (ص) والذين معه وهم المسلمون اشداء علي الكفار حتى ولو كانوا من اقاربهم رحماء بينهم ، وان المؤمنون اخوه ، وليس العرب ولا العجم ولا الترك لمجرد هذه الاوصاف الجنسيه اخوه ، وان الله قد الف بين العرب ببعثه رسول الله (ص) وماكان بالامكان التأليف بينهم .

قال تعالي :" محمد رسول الله والذين معه اشداء علي الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود وذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فأستغلظ فاستوى علي سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما " سورة الفتح : ٢٩ .

فهذه الايه تنص علي ان المؤمنين اشداء علي الكفار ورحماء بينهم عربا كانوا او فرسا او احباشا او روما او اي جنس.

وقال تعالي : " انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون " الحجرات : ١٠.

وقال تعالي :" وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين . والف بين قلوبهم لو انفقت مافي الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم " الانفال : ٦٢ ، ٦٣ .

فهذه الايه اوضحت ان ماكان بين المؤمنين من الاضغان والاحقاد وعدم الائتلاف قبل اسلامهم وكان اكثرهم من العرب لم يكن ليستطيع الرسول صلى الله عليه وسلم ان يؤلف بينهم ولو انفق مافي الارض جميعا ، ولكن الله الف

بين قلوبهم .

٣- ان الواقع التاريخي للامم كلها يشهد أنها لم تجتمع وتتحد لمجرد اتحاد العنصر العرفي في البلد ، وانما كان اتحادها لرابط آخر هو المعتقد سواء كان صحيحا او فاسدا كما ان الاحزاب السياسيه " وهي موضة هذا العصر" لم يجتمع المنتسبون لها الا علي معتقد معين يسير الجميع وفقا له وما الاحزاب اليساريه في بلاد العرب التى نكبت بها امتنا المسلمه الا مثلا حيا علي ذلك ، فإن ولاءها ليس لما يسمونه العروبه رغم ان منتسبيها ينتمون الي العنصر العربي ، وهذا اكبر رد واقعي علي الدعوه القومية .

ويظهر ان مؤلف المقرر متأثر بالشعار الذى رفع في عهد جمال عبدالناصر والذى صيغ في تشييد تغنى به فترة وجوده وهو :

من المحيط الهادر الــــي الخليج الثائر لبيك عبدالناصر

وأنه متأثر بشعار احد الاحزاب القوميه التى كان ومازال لها اثر سيء في حياة الامة المسلمه الا وهو " امة عربيه واحدة ذات رسالة خالده " لكن المؤلف صاغه في النص الثاني بصياغة اخرى (امة عربية متخذه في وطن عربي موحد) .

وهكذا يتضح ان بذر بذور القومية في نفوس الشباب عن طريق المقررات الدراسيه خطأ ، شرعا ، وواقعا ، فالواجب تربيتهم علي معاني الاسلام ومبادئه التى لا تفرق بين عرب وعجم .

علي ان هذين النصين رغم ملاحظته عليهما اهون مماكنا ندرسه في الفترة التى كنت ادرس فيها في المرحلة الابتدائية ، وهي عشر الثمانينات . فقد كنا ندرس هذا التشيد .

بلاد العرب اوطانــــي	من شام لبغــــدان
ومن نجد الي يمــــن	الي مصر فتطـــوان
فلاحد يفرقنـــــا	ولا دين يباعدنـــا
لسان الضــــاد	يجمعنا بقحطان وعدنان *

* لقد سألت مجموعة ممن درسوا في البلاد العربية الاخرى فذكروا لي أنهم درسوا وحفظوا هذا النشيد .

ولكنه قد حذف من المقررات الدراسيه الاخيره ولله الحمد .

وفي مقرر القراءة للسنة الرابعه الابتدائية نجد موضوعا عن خالد بن الوليد (ض) وفي بدايته يقولا المؤلفون :

" قائد من اشهر قواد العرب والمسلمين . وكان علي جانب كبير من الشجاعة والاقدام . تولي قيادة الجيش في غزوة مؤتة فأنقذ الجنود من الفناء فسماه رسول الله صلي الله عليه وسلم " سيف الله المسلول " (١) وبقية الموضوع ممتاز .

وفي مقرر الاناشيد والمحفوظات للصف الخامس الابتدائي موضوع بعنوان " بطولات عربيه " وفيه الحديث عن بطولات ابناء الخنساء وموقف الخنساء رضي الله عنها بعد ماجاءها الخبر بنعيهم ، وكيف صبرت . (٢)

وفي مقرر المطالعة للسنة الثانيه المتوسطة موضوع بعنوان " المرأة العربية وآثارها العلميه " والموضوع يتحدث عن النساء المسلمات وطلبهن للعلم .

وموضوع بعنوان " المرأة العربية صانعة الابطال " وفيه حديث عن عبد الله بن الزبير وامه اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهم .

وموضوع آخر بعنوان " ذات الحجاب [illegible] وشجاعة ولدها الصغير " وفيه تركيز علي عروبتها .

وموضوع " شباب العرب " وفيه الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعن بن زائدة وقصتة في محاربة الترف مع اولاده وابن اخيه .

وموضوع " شجاعة الصغار عند العرب " وفيه الحديث عن قصة علي بن ابي طالب رضي الله عنه مع النبي (صلي الله عليه وسلم) حين تآمر المشركون علي قتل الرسول صلي الله عليه وسلم فوجد في علي رضي الله عنه الفتى الشجاع الذى قام محله .

---

(١) القراءة العربية للصف الرابع الابتدائي : ١٢٦ .
(٢) الاناشيد والمحفوظات للصف الخامس : ١٦ .

وموضوع " اولئك آبائي " (١) وفيه الحديث عن العلوم التي اتقنهـــا المسلمون من علوم الطبيعه والطب وغيرها وقد ركز علي نسبة ذلك التقدم الـــي العرب فقط دون الاجناس الاخرى التي شاركت في صنع الحضارة الاسلامية .

ان البطولة من ابناء الخنساء ، والصبر منها علي فراقهم وهو منتهي البطولة ليس السبب فيها كونها عربية أو كونهم عربا ، فقد كانت الخنساء عربية قبل ان تسلم ومن المعروف أنها جزعت حين توفي أخوها صخر وبقيت عاما كاملاً شعثاء لا تمتشط ولا تهتم بنفسها ، فلما دخلت الاسلام تغير حالها ودعت الجزع جانبا . وفـــي معركة القادسيه ودعت ابنائها الاربعة واوصتهم بالثبات فلما نعوا اليها لم تجزع بل قالت :

" احمد الله الذى شرفني بقتلهم وارجوان يجمعني الله بهم في مستقـــر رحمته " ومن المعلوم ان الابن بالنسبة للوالد اقرب الى القلب من الاخ .

ان العروبة ليست دينا ولكنها عنصر ونسب ، فكون الانسان عربيا ، وغيـــره لا يقدم في امره شيئا انما التقوى او ضدها هي التي تقدم او تؤخر . ولقـــد فهم الصحابه من قوله تعالي :

" يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليهم خبير " الحجرات : ١٣

ان الاختلاف في العنصر ليس مدعاة للتناكر والتنابذ ، ولذا قال عمر (ض) " اعرفوا من انسابكم ما تتصلون به ارحامكم " ليتفاخر به الانسان علي غيـــره من البشر .

اما فيما يتعلق بالوطنيه فسوف استعرض بعض النصوص ، واشير الي الاخرى مع بيان وجه الحق في القضيه ان شاء الله .

يقول مؤلفوا كتاب القراءة العربية للصف السادس الابتدائي ما يلي :

" ان حب الوطن من الايمان . والقتال في سبيل الدفاع عنه من الجهاد

---

(١) المطالعة للصف الثاني المتوسط : ٩٥ - ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٣٥ وانظر الاناشيد والمحفوظات للصف السادس : ٥٧

١٤٧ - ١٥٢

وحبه والدفاع عنه لا يكون بالادعاء الاجوف ، والاماني النائمة ، وانما يكون بالاخلاص في العمل ، والامانة في الحقوق وتقدير المسئولية .

واذا حق للانسان ان يحب وطنه ويفديه ، فقد حق لابناء المملكة العربية السعوديه ان يتفانوا في حب وطنهم ، وان يفدوه بكل غال . وفيه الاراضي المقدسة الي جانب ماضي عظيم يقف الزمان امامه مطأطيء الرأس اعجابا واكبارا" (١)

وجاء في كتاب المطالعة للصف الثالث الثانوى مايلي :

" وليس ماورد في القرآن الكريم حول الديار التى هي الاوطان الا من الحمية فقد ذكر الله تعالي علي لسان نبيه الكريم الديار عشر مرات في عشر آيات . فكان مما قال تعالي :

" واذا اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون (٨٤) ثم انتم هوءلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتوءمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامه يردون الي اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون (٨٥) .

ولقد صور لنا القرآن الكريم في تلك الايات كلها صورة الوطن كيف تكون واحلها من القلوب مكانها ، ومن الانفس منزلتها ، فاذا هي كما يصورها القرآن الكريم الوجود كله لانها مناط الامن . ومن لا امن له لاحياة له . ومن اجل ذلك حض القرآن الكريم علي الهجرة وامر بها حين يفقد الانسان امنه حيث هو في موطنه ، وهو يريد له بهذا الخروج قوة يرتد بها علي العادى عليه في ارضه وهو لهذا جعلنا هجرة كتلك التى خرج اليها نفر من الصحابة الي الحبشة حين لم يأمنوا علي انفسهم في ديارهم . وما نظن الرسول العظيم وما نظن القرآن الكريم ارادها خروجا كما يخرج الذليل ، وانما ارادها نزوحا الي حين ، آمنا

---

(١) القراءة العربية للصف السادس الابتدائي : ٥٩

علي رأى ودين ، ثم عودة بعد حين بعد ان يكتب الله لهم قوة ولعدوهم صنما (١)

ورأى في النص الاول يتلخص في الآتي :

بالنسبة " لمسألة ان حب الوطن من الايمان " ان كان المؤلف يعتقد انها حديثا كما هو شائع بين طبقات من الناس ، فالواقع انه ليس حديثا بل وقد اختلفت عبارات العلماء في الحكم عليه ولكنها اتفقت علي انه ليس حديثا عن الرسول صلي الله عليه وسلم، فقد قال بعضهم " لم اقف عليه " اى في احاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم . (٢)

وقال بعضهم انه موضوع . (٣) وقال بعضهم : لا اصل له عند الحفاظ (٤)

واما بالنسبة لفدائه بكل غال . فأن حديث رسول الله (ص) يوضح لنا غاية القتال عند المسلم ومتى يكون في سبيل الله فقد قال (ص) حين سأله رجل عن الرجل يقاتل حمية او الرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانة في الصف أى ذلك في سبيل الله فقال (ص) من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " (٥)

فالواجب تنجيه معنى الجهاد في سبيل الله لنشر دعوة الاسلام وللدفاع عن ديار المسلمين ومنها هذه البلاد اذا دهمها عدو يريد استباحة بيضة الاسلام ودياره ، وهذه الديار في مقدمتها لوجود قبلة المسلمين ومسجد رسول الهدى صلي الله عليه وسلم فيها .

وهذا مانصت عليه السياسه العامه للتعليم في المادة "٢٦" والمادة "٦٠" .

واما بالنسبة للنص الثاني فان مايؤخذ عليه هو دعوى المؤلف بأن ماورد

---

(١) المطالعة للصف الثالث الثانوي : ١٠٣ .

(٢) انظر الكتب الاتيه : تذكرة الموضوعات ١١، المقاصد الحسنه في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة علي الالسنه : ١٨٣ ، تمييز الطيب من الخبيث فيما ورد علي السنه الناس من الحديث : ٦٨ ، والفوائد الموضوعه في الاحاديث الموضوعه : ١٠٣ .

(٣) سلسلة الاحاديث الضعيفه والموضوعه : ١/ ٥٥ وكشف الخفاء : ١/ ٣٤٥ ، ٣٤٦ . (٤) المصنوع في معرفة الموضوع (١١) ، ١٥١ (٥) جامع الاصول : ٢/ ٥٨١ باختلاف يسير في الالفاظ

في القرآن حول الديار هو من باب الحمية ، وهذا من اعجب الامور ،فما ورد انما حكاية حالهم انهم اخرجوا من بلادهم التى يعيشون فيها ولهم فيها اهل ورحم لاغير ، وقد نقض المؤلف من حيث يريد ان يبني للوطنية منارا ، نقضها بايضاحه ان الانسان يهاجر من ارضه حين يفقد امنه ، ولا شك ان أمن الانسان على عقيدته هو اعز مايسمو اليه .

وجاء في النصوص الادبية للصف الثاني المتوسط عن الوطن مايلي :

" ... انت ياوطني تاج رصعته يد الله بلالئ القداسة والخلود وتوجت به جبين الانسانيه .(*)

منك ياوطني انبثق الفجر الذى بدد ليل الهمجيه والوحشيه الذى ظلت تتخبط في دياجيره الانسانيه قرونا طوالا" . (١)

"ابطالنا العرب في التاريخ خلدوا بشيء واحد فقط ... هوان بطولاتهم لم تكن وراء دوافع ضرر او اضرار . كانت اعمالهم -كل اعمالهم- تتسم بنزاهة القصد وقوة الارادة ، ونيل الهدف واقتحام الصعاب في سبيل المبدأ الصاعد والعقيدة الراسخة ، وعلى هذا الاساس وحدة تستطيع أن تحدد مفهوم البطولة وترسم شخصيتها ونهتف ونصفق لاصحابها في كل زمان ومكان .

وماكانت بطولة الفتح في تاريخنا العربي الاسبية الي ، اسعاد البشرية وانقاذها من براثن العبودية والانحلال والوثنيه " (٢)

ولي على هذا النص ملاحظات ثلاث .

١- اطلاق لفظ القداسة على الوطن قول مجاوز لحدود الادب والشرع فالقداسة لله تقدست اسمائه .

٢- القول بأن الاسلام انبثق من الجزيرة قول يوافق دعوى المستشرقين ان

(*) اذا كان كل عربي يسكن في مصر من الامصار العربيه يدعي ان وطنه تاج رصعته يد الله ، واذا كان الفارسي كذلك او التركي كذلك ،والامريكي كذلك فمن المحق ياترى اوان يحي وصلا ب" ليلي " ولكنها لا تقر لهم بذلك

(١،٢) انظر ص ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٨

الاسلام انما نشأ في البيئة العربية فصار يمثل البيئة العربية فقط ينكرون عموم رسالة النبي (ص) فلايصح هذا الاطلاق ذلك لان الاسلام وما نـــزل به الروح الامين علي قلب محمد صلي الله عليه وسلم . وكونه نزل عليـــــه في الجزيرة العربية لا يغير من الامر شيئا فقد نزل جبريل بوحي اللـــــه علي الانبياء الاخرين في الشا م والعراق ومصر .

٣- ان نسبة الفتح الاسلامي للبلاد التى فتحت الي العرب يوحي للطـــلاب ان الفتوحات الاسلاميه انما هي لاجل العروبه ، وواقع التاريخ يشهـــد بأن العرب لم يكن لهم فتوحات قبل الاسلام . فلماذا هذه الدعـــوى التى لا أساس لها ، ان العرب الذين فتحوا البلاد انما فتحوها بصفتهم مسلمين ، ولذلك كانوا يخيرونهم بين الاسلام او الجزيه اوالقتال ، ولـــم يطلبوا منهم الايمان بعروبتهم .

وفي مقرر الاناشيد والمحفوظات للصف الرابع الابتدائي نفس المعاني السابقه

في نشيد بلادى :

قالوا : أتحبُّ بـــــلادِي | اليك ؟ قلت : بــــــلادى
ابي وامي فيهـــــــا | ومهجيتي وفــــــؤادى
وقد حماها جــــــدودى | بعزمه وعتــــــــاد
فكل شبر عزيــــــز | تفديه بالاجســـــاد
وقد نذرنا لتحيـــــا | ماقد غلاقي العبـــــاد
فليس في الكــــون ارض | تفوق شأن بــــــلادى (١)

وفي نفس المقرر ايضا جاء هذا النشيد :

نشيد الطيار

" فداك الروح ياوطـــــني | سلمت علي مدى الزمـــــن
عشقت لاجلك الخطـــــرا | ونلت بفضلك الظفـــــرا
اطرت بمسبح النســـــر | بلاخوف ولا ذعـــــر

١- الاناشيد والمحفوظات الابتدائية : ١٨

أردد في اناشيـدى ولست امل ترديدى
فداك الروح ياوطني سلمت على مدى الزمن
عقاب الجو تصحبني ونسر الجو يرهبني
وعصف والريح يسجيني وقصف الرعد يحيني
اقود السحب من خلف ولا اخشي بها حتفي
فداك الروح ياوطني سلمت علي مدى الزمن (١)

وفي مقرر الاناشيد والمحفوظات للصف الثالث الابتدائي جاء هذا النشيد :

جندى البلاد

انا جندى البلاد حبها مل فؤادى
انا في البر وفي البحر وفي الجوانبهادى
بدمائي سوف افدى كل شبر من بلادى
لا اهاب الموت يوما زاحفا في كل وادى
كم سهرت الليل في الجبهه ارعي في سهادى
موطن الاجداد من هول وشروعان
هكذا الاوطان تحيا من علو وامجاد
فاحفظوها ايها الابطال من شر الاعادى (٢)

وتعليقي علي ذلك : ان الجنود المسلمين في العصور الاسلامية الزاهيه كانوا يجاهدون في سبيل الله في كل البلاد ، وكان الجندى يغترب عن موطنه الذى ولد فيه اقاربه ليجاهد في سبيل الله .

وفي مقرر علم الاجتماع للصف الثالث الثانوى حديث عن شروط او مواصفات المواطن الصالح . اكتفي بأحد بنوده .

٤- احترام القانون ورأى الغير مع التسامح وتقرير مبدأ الشورى والطاعه والتواضع وتقبله لواجباته الوطنيه " (٣)

ان من اهداف التربية الغربية اعداد المواطن الصالح بمنط الهدف

---

(١) الاناشيد والمحفوظات الابتدائية : ... ، ٥٩
(٢) الاناشيد والمحفوظات للصف الثالث الابتداعي : ٣٣
(٣) علم الاجتماع للصف الثالث الثانوى : ١٠٦ ، ١٠٧

الاساسي للتربية الاسلامية هي اعداد الانسان الصالح وتربيته ، ونصوص القـرآن والسنة توضح ذلك ، وما الامر حتى مع الاعداء الاجزء من هذه التربية :

" ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا عدلوا اهو اقرب للتقوى "

اما احترام القانون فانه لا احترام الا لقانون الله وشريعته اما ماسواهـا مما يحكم شئون الناس وفي غير الامور المادية " المدنيه " الصرفة فلا احـترام له ولا طاعة .

وجاء في نفس المقرر كذلك ان هدف التربية الاجتماعية هو تكوين المواطـن الصالح . (١)

وماذكرته في هذه الفقره قليل من كثير ولكنه يمثل اخطرها معان وفكرا ، ولا في اناشيد الصف السادس ص ٥٧ اعتزاز وافتخار بيوم العروبه وهو نشيد قصيـده الحديث عن فلسطين ، وماضيها الا العرب حين انحرفوا عن دين الله ، وفـي الصفحه ٦٠ من مقرر الصف الخامس نشيد بعنوان " بلاد العرب " فيه التغـنى ببلاد العرب وفداءها .

اما مايتعلق بالوطنيه . ففي الهجاء للصف الاول نشيدان في الصفحـه ٨٨ ، ٩٠ .

وفي القراءة للصف الثاني نشيد بعنوان حصاني ص ٢٥ ، وفي مقرر القـراءة العربية للصف الثالث موضوع بعنوان " الوطن " ص ٩ ، ١٠ وفي مقرر الاناشيد للصـف الثالث نشيد بعنوان " يارب " وفيه الدعاء للوطن والعرب فقط ص ٣٧ .

وفي مقرر القراءة للصف الثالث في الصفحه ٣٩ ، ٤٠ نشيد بعنوان رجـال الغد . وفيه مايبذر في الاطفال معاني البروز والظهور والسعي لذلك .

وفي مقرر القراءة العربية للصف الرابع موضوع بعنوان وطني ص ١٩ .

وفي مقرر الاناشيد للصف الخامس نشيد " الجندى " وفيه ان الجنـدى يمهد للوطن ص ٢٨ .

وفي مقرر الاناشيد للصف الخامس ص ٩٧ ، ٩٨ نشيد بلادى .

---

(١) نفس المرجع السابق . ص١٢٥

وفي الاناشيد للصف السادس ص ٣٣ موضوع نثرى بعنوان " الوطـن " وفيه بيان حدود الوطن الذى يعرف للتلاميذ .

وفي مقرر القراءة العربية للصف السادس موضوع بعنوان من قصص الوطنيه ص ١٥٣ - ١٥٦ .

ونريد ان نعرف الان هل الدعوة الي الوطنيه ، او السعي لاعداد المواطن الصالح ؟ هل هي من اهداف التربية الاسلاميه ام لا ؟ وهل تصح الدعـــوه الي الوطنيه .

والاجابه علي ذلك كالاجابه علي حكم الدعوة الى العروبه ، فالدعوة الـــي الوطنيه لا تصح وهي دعوة غريبه علي المجتمعات الاسلاميه (وان شاع بين النـاس ان حب الوطن من الايمان ، وهو كلام لا تصح نسبته للرسول (ص) (كما بينــت) فالايمان انما يكون بمدى تمثل الانسان بالشريعة فيتمذر ما يتمثل من شريعــة يكون حظه من الايمان ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان حب الوطن لذاتـه ليس امرا مشروعا ، ولا هو واقعي .

١- اما انه ليس مشروعا فلعل النصوص التى ذكرتها في موضوع العروبـــه كافيه لهذا الموضوع فاذا كان الله سبحانه جعل الرابطه بين الناس رابطـــة العقيده " انما المؤمنون " اخوه " وذم رب العزة اقرب الناس الى رسول اللـه (ص) ابا لهب ، ومن المعروف ان ارتباط الانسان بأقاربه اشد من ارتباطـــه بالوطن فاذا كان القريب غير مسلم فلا رابطه تربط بين المسلم وقريبه الكافـــر ولعل اصدق مثل علي ذلك سير الصحابه فقد كان الواحد منهم يكون مسلمـــا ويكون اباه او ابنه او اخاه من المشركين وعلي ملتهم فلا يمنعه ذلك من قتله كما فعل ابو عبيده رضي الله عنه مع ابيه حين اخذ يتابعه يريد قتله فلما لم يجد بـــدا ان يختار بين الاسلام او ابيه اختار الاسلام فقتل اباه ولم يبالي بذلك .

٢- واما انه غير واقعي فلامور عدة منها :

(أ) ان الانسان يسير مع مايعتقد من مبادىء وافكار ، ولا يرتبط بالارض ارتباطـا

تعظيم ، وما الهجرة النبوية الي المدينه وهجرتي الصحابة الي الحبشة وهجرة الصحابة الي المدينة ، واللجوء السياسي - الذى شاع في هذا العصر- الي دول اخرى الا دليل علي ان الانسان يرتبط بما يعتقد ويسعي لتحقيقه فالرسول (ص) واصحابة كان بامكان قريش ان ترضي لهم بأن يقوموا بشعائر التعبد كما يحلو لهم دون دعوه الناس الي هذا الدين الجديد الذى يشرع لكل نواحي الحياة ، وفعلا عرض علي رسوله (ص) مغريات الدنيا ، وعرض عليه ان يعبد اله قريش يوما ويعبدوا الهه يوما (اى يأدون الطقوس العبادية وتبقي حياتهم سائره علي النسق السابق ، ولو كان الرسول يهتم بان يبقي في وطنه لقبل ذلك من قريش ولكن الرسول (ص) [illegible]ن يبلغ الرسالة لكافة الناس ، وهكذا اللاجئون السياسيون اذا لم يتح لهم في بلادهم تحقيق مايعتقدون من افكار وحوربوا في افكارهم ومعتقداتهم فانهم يتركون وطنهم ويسعون من خلال ذلك لتحقيق مايريدونه في وطنهم .

(ب) ان حب الوطن مرتبط في واقع الناس المعاشي ببقاء اقارب الشخص في الوطن الذى عاش فيه الانسان او عاش فيه والده او احد اقاربه ويتمثل ذلك في الزيارات المتكرره ، فاذا لم يبق للانسان اى قريب في البلد فمن النادر ان يزور ذلك البلد وقديما قال الشاعر العربي .

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وعامة الناس يقولون " بلدك هي ماترزق فيها وليست ماتولد فيها "

(ج) ان هذا المفهوم مفهوم غربي جديد علي المسلمين ، فلم يكن المسلمون يعرفون الوطن المحدود بحدود جغرافيه معينه بل كان كل مسلم يستطيع ان يسافر عن اقصي الصين الي اقصي المغرب ، ومن قصي آسيا الصغرى وبلاد التركستان الي الحبشه واليمن دون ان يجد حرجا في ذلك . ولم يكن الجيش الاسلامي الذى فتح البلاد ليقتصر في الدفاع عن بلد معين دون آخر ، بل كانت كل بلاد الاسلام سواء في حمايتها ودفع الاعداء عنها

وقد سبق ان اوضحت ان هذا المفهوم غربي في عند استعراض " افكار التربويين

(د) ان اول من رفع مفهوم حب الوطن من الايمان كشعار المسيحي اللبناني

" ابطرس البستاني " اذ جعلها شعارا لجلته الجنان التى انشأها عام ١٨٦٠م .

(هـ) ان الدعوة الي العروبة او الوطنيه والتجمع حولها أو حول احدهما

لا يفترق في شيء عن مدلوله العربي الجاهلي الذى قال

" وهل انا الا من غزيه ان غوت غزيه غويت وان ترشد غزيه ارشد "

ولقد اتضح للاوربيين وهم الذين سبقونا في هذا الامر ، وبدأوا يجتمعون

علي الافكار والمبادىء هذا المعنى فهذا احدهم يقول :

" ومن ناحية اخرى نجد " الوطنيه " وقد تمثلت في معظم الاحيان

في صور تعمل علي تشجيع الناس علي اتباع سياسة بلدهم ولا نقياد لها دون جدل

او نقاش : " بلدى ان اصاب وان أخطأ " وعلي طمس الخيال فلا يستطيع

تصور حاجات غير بلده او حقوقها او اتجاهاتها . وكان من آثار ذلك ان تمخضت

روح الوطنيه عن اضعاف روابط الفهم والمشاركة والتعاون بين الامم والشعوب

وعلي تشجيع ذلك النوع من العزلة التى تغذيها مشاعر الريبة والعداء " (١)

ومن العجيب ان المسلمين تنتشر بينهم الدعوة الي القوميات والوطنيه

واليهود رشذاذ الارفاق ـ اجتمعوا في فلسطين ولا زالوا بسبب اعتقاد

ديني فقد اجتمع الشرقي والغربي من اقصي الارض وادناها ولا رابطه بينهم

ولا وطن يجمعهم وانما العقيده تجمعهم فيجتمع اليهود اصحاب العقائد المحرفه

علي الدين المحرف ولا يجتمع المسلمون علي الدين الحق ويدعوا عنهم القوميات

والوطنيات . ولكننا للاسف لا يمكننا ان نتخلص من القوميات والوطنيات المفرقة

مادامت مناهج ومقررات الدراسة في بلاد الاسلام تكرس هذه المعاني ، ومن

الغريب ان مؤلفوا كتاب تاريخ المملكة كتبوا عن الحركة الصهيونيه ووضحوا انها

حركة دينيه ، وهم في مؤلف آخر قد مجدوا العروبه والوطنيه ـ قالوا عن

---

(١) العقل الناضج : ١٥٥

الحركة الصهيونيه مايلي :

" ... والحركة الصهيونيه ماهي الا حركة الاستعمار واستغلال وتسلط من شراذم من اليهود الذين لا تربطهم وحدة الجنس ولا وحدة الوطن ، والذين يعملون علي اقامة دولة اسرائيليه في قلب الوطن العربي ، وقد وجد الاستعمار في هذه الحركة وسيلة لاضعاف العرب وتفريق جموعهم فتآمر مع هذه الحركة وايدها بنفوذه ومساعداته المادية .

وقد دوت اولي الصيحات الصهيونيه لايجاد وطن قومي لليهود في كتاب نشره يهودى فرنسي يدعو فيه ابناء دينه المشتتين في اقطار العالم الي التجمع في وطن واحد ، وقام بعده يهودى مجرى هو " هرتزل " الذى الف كتابا عام ١٨٩٦م اسماه " الدولة اليهوديه ، نادى فيه بخلق الوطن اليهودى فلسطين . وكان لكتابه هذا اثر كبير في الاوساط اليهوديه في اوروبا" (١)

---

(١) تاريخ المملكة للصف السادس الابتدائي : ١١٤ ، ١١٥ .

٣ ـ التأثر بتقييم الاوربيين للسلطان الي " تشريعية وتنفيذيه "

يعد فوتسكيو اول من قسم السلطات الي تشريعيه وتنفيذيه وقضائيـه (١) وقد تأثر العالم بهذا التقسيم ومنه للاسف العالم الاسلامي في المجالين الفكرى والتطبيقي ، ففي المجال الفكرى نجد كثيرا من الكتاب والقانونيين متأثريـن بهذا التقسيم . وفي المجال التطبيقي فإن الحكومات في البلاد الاسلامية تسير علي هذا التقسيم .

وقد جاء في كتاب علم الاجتماع للصف الثالث الثانوى تقرير لهذا المعنى اذ يقول المؤلف مايلي :

" السلطة التشريعية : تمثلها هيئة تشريعيه هي التي تشرع القوانيـن وتراقب السلطة التنفيذيه والصلطة التشريعيه في البلاد الاسلامية تختلف عن السلطة التشريعيه في الدول الاخرى لانها مقيدة بالنظام الاسلامي تستمد قوانينها من مصادر ثابته وهي القرآن الكريم ويستنبطون من الشريعة الاحكام والتشريعات التى يجب علي الدولة ان تسوس الشعب بموجبها " (١)

في الاسلام ليس هناك سلطة تشريعيه فالتشريع لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقد حفظت الشريعة بقرآنها وسنتها ، وهي صالحة لكل زمان ومكان وانما عمل المسلمين او علمائهم بالاصح هو استنباط للمسائل المستجده من عمومات النصوص القرآنيه والنبويه ، فوضع هذا الامر في مقرر علم الاجتماع يجعل الطلاب يسلمون ان بالامكان ان يشرع المسلمون لانفسهم دون النظر الي القرآن والسنه وفي هذا خطورة كبيرة .

---

(١) علم الاجتماع للصف الثالث الثانوي (ادبي) ١٤٤ ، ١٤٥

١٣- تقرير حيوانية الانسان : تقرر فرضيات التطور لدارون وولاس وغيرهما انحدار سلالة الانسان من الحيوان - علي اختلاف بينهما في الكيفية - وقد سادت هذه الفرضيات في الغرب فترة من الزمن ثم كشف علماء الاحياء والجيولوجيا زيف هذه الفرضيات وسبق ان نقلت بعضا من آراء هؤلاء العلماء في تزييفها في فصل " فرضية التولد الذاتي " وانتقلت هذه الفرضيه مع ما انتقل من جراثيم الغرب الي العالم الاسلامي ، واعتنق بعض من أبناء المسلمين هذه الفرضيه ونافحوا عن صحتها مع سقوطها في الغرب ، ولكن وجد في علماء المسلمين من فند هذه الفرضيه كان منهم مفكرون ، كالمودودي رحمه الله ، وكان منهم متخصصون في العلوم الطبيعيه مثل الدكتور زغلول راغب النجار - وسوف انقل عن الدكتور زغلول مقاطع من مقالات له مسلسله نشرت بمجلة المجتمع الاسلامية التى تصدر بالكويت لانه هو ابن بجدتها واعرف من غيره بزيف هذه الفرضيه اذ هو يتحدث من واقع مشاهد وابحاث قد يكون شارك فيها ، ولا يمكن ان يقال بانه من " رجال الدين " فلا يعرف شيئا عن هذه الفرضيات ولكنه عالم متخصص في العلوم الطبيعيه يؤمن بالاسلام ويعلم كرامة الانسان عند الله .

والكتب التى سوف استعرض نصوصا منها الفت للاسف من قبل الجامعة الامريكيه ببيروت ، ومعروف للقاصي والداني ماهي وجهة الجامعات الاجنبية ومنها الامريكيه وماهو هدفها في العالم الاسلامي . ان لدى المسلمين علماء يجمعون بين هذه العلوم وصحة الاتجاه والبعد عن هذه الانحرافات في التصور لقيمة الانسان ودوره في هذه الحياة وانه ليس حيوانا كما يزعم اصحاب فرضيات التطور ، وكما يحاول ان يقررها مؤلفوا كتب الاحياء والجيولوجيا بطريقة لا يشعر بها الا من عرف شيئا عن فرضيات التطور .

وقد اقتصرت في هذا الجزء علي استعراض نصوص من مقرر الاحياء للسنوات الثلاث وعلي مقرر الجيولوجيا و مقرر العلوم للصف الثالث الابتدائي

وابدأ بنقل فقرات من ماكتبه د . زغلول النجار ، فهو يقول في بيان حجج

الذين يكتبون العلوم من منطلق مادى صرف مايلي :

" تكتب العلوم اليوم - في غالبيتها - من منطلق مادى بحت منكر لكل ماهو فوق المادة وذلك بحجه انها : (١) بمفهومها المحدد - تتعامل مع المادة فقط . (٢) او بدعوى انه اذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعيه فلاينبغي ان تنسب الي اسباب فوق الطبيعه . (٣) او انطلاقا من قاعدة خاطئه مؤداها ان الاعتقاد بدين ما قد يفقد المشتغل بالعلوم قدراً من حريته في التفكير " (١)

وفي معرض حديثه عن الاخطاء في كتابه العلوم تحدث النجار عن قضية تطور الانسان عن حيوان ، وعن تفسير نشأة الحياة وتطورها على انها تمت بالانتخاب الطبيعي ، وعن قضية حقيقة الطبيعة وقوانين الطبيعه ، وعن التطور العضوى .

اما عن تطور الانسان من حيوان فيقول عنه النجار مايلي :

" ... وتعرض القضية في الكتب المدرسيه وتدون في اذهان طلابنا الصغار علي انها من الحقائق العلميه المسلمه علما بأن عالماً غربياً بارزاً مثل " بورن كيرتن " استاذ علم الحياة القديمة بجامعة هلسنكي يسجل في كتابه " ليس من القرده " الذى نشر في لندن سنة ١٩٧٢ . ان اصل الانسان منفصل تماما عن القرد منذ زمن طويل وان الانسان لم ينحدر عن القرد بكل تأكيد - وفي سياق عرضه للموضوع يؤكد كيرتن ان عملية التطور عملية موجهة ولا يمكن ان تكون عملية عشوائية او نتيجة للصدفه ، ثم ان البقايا الاحفوريه الرئيسيه التى تم العثور عليها والطرق التي تم استخدامها في تزييف بعضها علي صورة شاعت بين الناس ، ثم اضطروا الي التسليم لمجرد رواجها ؟ لا علي اساس علمي ملموس والاستنتاجات المستقاه منها بأن للانسان صلة مباشرة بالقرده - ليست دليلا علي صحة الدعوى بل تنقضها وتدحضها . (٢)

ويقول تحت عنوان " تفسير نشأة الحياة وتطورها على انها تمت تلقائيا بالانتخاب الطبيعي .

---

(١) مجلة المجتمع الاسلاميه . العدد / ٢٩٨ في ٥ جمادى الاولي ١٣٩٦ هـ
(٢) نفس المصدر العدد / ٢٩٩ في ٢ جمادى الاولي عام ١٣٩٦ هـ

" وماصاحب ذلك من تعبيرات مثل الانتخاب الطبيعي ، التطور بالانتخاب الطبيعي انتخاب الطبيعه . وهي عبارات انتشرت في كتابات المشتغلين بعلوم الحياة وبقضية التطور بصفة خاصة ولكن دون فهم حقيقي لمدلولها ، فمن الذى يختار وينتخب ؟ هل هي الطبيعه ؟ واذا كان ذلك فماهي الطبيعة ؟ وماهي قدرتها علي الاختيار؟ هل هي كيان عاقل يمكنه ان يختار وينتخب ؟ واذا كان كذلك فهل يعقل انها قد اوجدت نفسها بنفسها ثم وضعت من القوانين مايحدها ويحيط بها ؟

هذا كلام لو دقق فيه الانسان ماقبل ان يردده ابداً . ولكن علي الرغم من ذلك فإننا نجد هذه العبارات وامثالها تملاء صفحات كتب العلوم وتردد في مختلف مجالات العلوم الانسانيه والفلسفية بل تتناقلها الصحف والمجلات والمنابر والاذاعات دون ان يجادل كاتبوها والناطقون بها ان يقفوا عندها وقفة قصيرة متبصره " (١)

ويقول عن " الطبيعه وقوانين الطبيعه " مايلي :

" وهذه عبارات قد نقلت الي كتابات المسلمين دون وعي حقيقي لابعادها فما هي الطبيعة ؟ وماهو تعريفها ؟

يختلف العلماء في تعريف الطبيعة فمنهم من ينادى بأنها الصفات الاساسيه للاشياء ومنهم من يقول بأنها القوى الطبيعيه التى تسبب ظواهر العالم المادى ، وهنا يبدو واضحا انه قد يكون من الافضل ان تسمي فطره الله التى فطر الله الاشياء عليها ، او انها مجموع القوانين التى وضعها خالق الكون ، واودعها المادة الصماء ، وكل الاحياء ،وعلي اساسها يدور الكون كله من ادق دقائقه الي اعظم وحداته . وفي ذلك يقول احد العلماء الامريكيين ان الطبيعه لا تفسر شيئا من الكون ، وانما هي نفسها بحاجة الي تفسير .. فالعلم لا يكشف لنا كيف صارت هذه الوقائع قوانينا ؟ وكيف قامت بين الارض والسماء

---

(١) نفس المصدر العدد ٢٩٨/في ٥ جمادى الاولي ١٣٩٦

علي هذه الصورة المفيدة المدهشة حتى ان العلماء يستطيعون ان يستنبطوا منها قوانين علميه " (١)

ويقول ايضا عن التطور العضوى وتني ان يكون حقيقة علميه ثابته :

" ... وماصاحب ذلك من تعبيرات مثل - حقيقة التطور - وهو تعبير يتردد كثيرا ، ويقصد رصفحات الكتب والدوريات التخصصيه والعامه ، وهو لا يعنف لنا حقيقه ابدا ، لان عملية التطور كما يفسرها المنادون بها عمليه بطيئة جدا ، ولا يمكن اخضاعها لتجربة معملية ولا الي مشاهده حسيه مباشرة او غير مباشرة ، فكيف اذن يمكن ان تكون حقيقة ثابته ؟ انها مجرد محاولة لتفسير تدرج الحياة مع الزمن علي سطح كوكبنا الارضي ، وقد تكون صحيحه وقد لا تكون ، وعلي ذلك فمن الخطأ اشاعتها بين الناس علي انها حقيقة موءكده ، ومن التضليل من استخدامها بطريقة شيطانيه لهدم معتقدات الناس وايمانهم ، خاصة وان ادلتها في معظمها محل جدل كثير ولا مجال لاستعراضها ولكن تكفي الاشارة الي ان فكرة التطور كما قدمها داروين - ولم يكن اول المنادين بها - تقوم علي اسس ثلاثة هي - التكيف - التخصص ، الانعزال الجغرافي . وهي تعبيرات لا معنى لها في الحقيقة لان كل مخلوق متكيف مع البيئة التى يحي فيها ، وهو في نفس الوقت متخصص لنوع الحياة التى يحياها ، والا لما امكنه ان يحيا ابتداءاً ، اما فكرة الانعزال الجغرافي بذاتها فلايمكن ان تكون سببا للتطور خاصة وانه من الثابت جيولوجيا ان معظم الكتل الارضية كانت اكثر تقاربا في الماضي مما هي عليه الآن .. وان لمعظم الكائنات الحيوانيه وحتى النباتيه قدرة هائلة علي الهجرة حيث تحمل الرياح حبوب اللقاح لالاف الكيلومترات بينما تستطيع بعض الطيور الهجرة لمسافات طويله جدا . ومن ذلك يتضح أن اسس الداروينيه خاويه من وجهة النظر العلميه ، ولكن علي الرغم من ذلك نقرض علي انها من البراهين

---

(١) مجلة المجتمع الاسلاميه العدد ٢٩٨ في ٥ جمادى الاولي ١٣٩٦

العلميه علي النظريه . ومن العبارات التى ترددت كثيرا في مجال الحديث عن التطور الجملة الشهيره التى صاغها داروين بان " البقاء للاصلح" وهنا يرد التساؤل الاصلح من اى جهة ولأي شيء ؟ هل المقصود بها الاصلح للحياة من حيث القدرة ام من حيث المواءمة ؟ ام كليهما ؟ علما بأنه من المعروف عن بقايا الكائنات القديمة في طبقات القشرة الارضيه انه كلما زاد حجم نوع من انواع الحياة (وبالتالي زادت قوته) كلما قربت نهايته ، بينما كثير من المخلوقات التى عاشت لآماد طويلة كانت ضئيلة الحجم دقيقة البنيه ولم يمنعها ذلك ان تعمر.

واذا كان المقصود - بالاصلح - الانسب للبيئة ، فماذا عن الكائنات التى تموت بالحوادث الطارئه او بواسطة الامراض الداهمة او عن طريق الطوث المفاجيء او الافتراس بواسطة غيرها من الحيوانات ، او الاصطياد بواسطة الانسان ؟ كل هذه عوامل نسي دعاة التطور او تناسوا دورها الهام في بقاء كائن من الكائنات او اندثاره ، فهب ان مجموعة حية تتمتع بقوة ملحوظة وتتوائم مع البيئة التى تحيا فيها ، داهمها بركان ثائر فقضي عليها علي الرغم من قوتها ومواءمتها للبيئة فأين مكان البقاء للاصلح هنا ؟ ان كل امور هذا الكون تتحكم فيها قوة عليا هى التى توجه وهي التى تختار ولا ارادة لمخلوق مقابل ارادتها ، واذن فليس البقاء للاصلح . ولكن البقاء لمن ارادت له القوة العليا ان يبقي (١)

بعد هذه النقول الطويلة التى توضح لنا رأى واحد المتخصصين في العلوم الطبيعيه ابدا باستعراض بعض ما وجدته في كتب الاحياء مما يدل علي تقرير المؤلفين لنظرية حيوانية الانسان .

في الدرس الخامس من الوحدة الثانيه " بيئة الكائنات الحيه" من مقرر الصف الثالث الابتدائي " حيوانات فقريه وحيوانات لافقريه " ما يلي :

" اذا تحسست ظهرك تجد في وسطه العظام الفقريه " الفقرات " التى تكون العمود الفقرى في جسمك (الشكل ١١) وهناك بعض الحيوانات ايضا لها عمود فقرى في اجسامها .

---

(١) مجلة المجتمع الاسلاميه العدد ٢٩٩/في ١٢ جمادى الاولي ١٣٩٦

في الدرس السابق صنفنا الحيوانات الي داجنه وبريه

نستطيع ايضا ان نصنف الحيوانات الي فقريه ولافقريه ، من حيث وجود العمود الفقري في اجسامها ، او عدم وجوده .

فمن الحيوانات الفقريه :

الاغنام ، والثعابين ، والدجاج والاسماك ...." (١)

والشكل (١١) العمود الفقري في الانسان .

في هذا النص يراد أن يقال للطلاب بطريقة غير مباشرة ان الانسان حيوان فقري لوجود التشابه بينه وبين الحيوانات التى لها " فقار" ثم يصرح لهم بأن الانسان من الحيوانات الفقاريه ، من صف الثدييات كما سيأتي بيانه في الصفحات الاتيه :

في الفصل العاشر " التكاثر في الحيوان " يتحدث مؤلفوا مقرر الاحياء للصف الاول الثانوى عن المحافظة علي الصغار في الحيوانات . ويتحدثون عن المحافظة علي الصغار في الحيوانات البيوضه ، والحيوانات الولوده ، وفي فقره الحديث عن الحيوانات الولوده يتحدثون عن الثدييات ويقسمونها الي مجموعات منها " مجموعة الثدييات المشيميه|والحقيقيه " فيقولون مايلي :

" والمجموعة الثالثة من الثدييات هي الثدييات المشيميه او الحقيقيه ضمنها يحدث الاخصاب الداخلي وتنمو الاجنه داخل رحم الام ، وتلتصق بجدار الرحم بواسطة الحبل السرى والمشيمه ويحصل الجنين علي غذائه من دم الام بواسطة المشيمه ويطرح فيه الفضلات .

وبعد ان تقضي الاجنه في فترة داخل رحم الام تسمي فترة الحمل ، تولد كاملة النمو وتختلف مدة الحمل في افراد الثدييات فهي في الانسان ٩ أشهر وفي الحصان ١١ شهرا والبقر ٩ أشهر.

وتنتشر الثدييات انتشارا واسعا علي سطح الكرة الارضية ومن الامثلة علي الثدييات الحيوانات آكلة اللحوم مثل الاسد والنمر والقط .. والحيوانات القارضه

---

(١) العلوم للصف الثالث الابتدائي : ٤٠

مثل الارنب . والحافريات كالحصان . والرئيسيات كالانسان . وسندرس فيما يلي التكاثر والجهاز التناسلي في الانسان كمثل على التكاثر في الثدييات المشيمية (١)

ثم تحدث المؤلفون عن الجهاز التناسلي في الذكر مع وضع صورة الانسان (انظر شكل (١٠-١٥) (١٤٤ ، ١٤٥) .

وفي السنة الثانيه يتحرز المؤلفون في تعبيراتهم ويحاولون الاستدلال ببعض الايات . يقول مؤلفو مقرر الصف الثاني عن اسس تصنيف الكائنات الحيه الفصل السابع مايلي :

" ماهي الاسس والمعايير التى تستعمل لتصنيف الكائنات الحيه في مجموعات سوف لا ندرس هنا جميع الاسس وسنكتفي بأساس واحد رئيسي وهو التناظر في او الاعضاء المتشابهة في الاصل . فمثلا جميع الاطراف الاماميه في الفقاريات وان كانت تبدو مختلفة لاول وهلة ذات اصل واحد فجناح الخفاش وقدم الحصان وزعنفت الحوت مثلا لها نفس التركيب فهي تتركب بشكل عام من عضد وساعد ورسغ ويد كما تتشابه هذه الاطراف في تركيب العضلات ايضا " (٢)

وفي الشكل (٧ - ٣) الموجود اسفل هذا النص يوجد يد انسان ومن التضليل لا يمثل المؤلفون بالانسان ، وانما يضعون صوره يده .

ويقول المؤلفون في نفس المقرر في الفصل الحادى عشر " المملكة الحيوانيه"

" ومع ان الانسان يملك كثيرا من صفات الثدييات ، الا انه فريد من نوعه بين سائر الخلق قال تعالي في كتابة الكريم (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) فالانسان بماحباه الله من ميزات - سواء في دماغه النامي لدرجة كبيرة ومقدرته علي استعمال يديه في صنع الاشياء ، او استعمال اللغة للتحدث بها ونقل المعرفة والتراث من جيل الي جيل آخر استطاع ان ينشيء حضارة انسانيه علي مر العصور" (٣)

وقد كانوا في الصفحة ٥٣ من المقرر اى في نفس الفصل " المملكة الحيوانية"

---

(١) علم الاحياء الصف الثاني الثانوى : ١٤٤ .
(٢،٣) نفس المصدر : ١٠٨-١٠٩،١٥٧-١٥٨ .

الذى قسموا فيه المملكة الحيوانيه الي شعب ، قد قسموا شعبه الحبليات الي نوعين " حبليات ابتدائيه " وحبليات راقيه مثل الفقاريات . وقسموا هذه الي خمسة صفوف هي :

١ـ الاسماك ٢ـ البرمائيات ٣ـ الزواحف ٤ـ الطيور ٥ـ الثدييات ومنها الانسان طبعا كما مر.

وفي الكتاب نفسه تقرير لحيوانيه الانسان بالمقارنه بين المركبات العضويه فيه وفي الحيوان والنبات . يقول المؤلفون في ذلك .

" .. ومن ناحية اخرى تكون البروتينات نسبة عالية في الانسجة الحيوانيه مقارنة بغيرها من المركبات العضويه ففي الانسان مثلا تشكل البروتينات ١٥٪ والدهنيات ١٥٪ بينما تشكل المركبات الاخرى نسبة ١٪ ويبين الشكل (٢ - ١) مقارنة بين الخلايا الحيوانية والنباتيه بالنسبة لمحتوياتها من المركبات العضويه " (١)

ويقرر المؤلفون حيوانيه الانسان وتطوره عن الحيوان من طريق آخر هو مايسمي عند بعض التطوريين (بالطفره" يقول المؤلفون في ذلك تحت عنوان " الطفرات الجينيه" في فصل " الاساس الجزيئي في الدراسه "

" ان كلمة طفره تعني تغير مفاجيء وثابت في التركيب الكيمائي للجين يؤدى الي تغيير الصفةالوراثيه ، الناتجه عن هذا الجنين ينتقل هذا التغيير من جيل الى آخر ولذا يكون ثابتا ووراثيا" (٢)

وفي الفصل السادس من الكتاب" تحسين الانتاج الحيواني والنباتي " كلام واضح في تقريرهم لنظريه " الانتخاب الطبيعي " وبقاء الاصلح ، اذ يقولون تحت عنوان " الانتخاب "

" لاحظ الانسان في الماضي التنوعات الكبيرة في الكائنات الحيه فانتخب كآباء للجيل الثاني تلك الكائنات الحيه التى تملك الصفات المرغوبه بالنسبة له فهو انتخاب يقوم به الانسان وذلك لتركيز الجينات او الصفات الوراثيه المرغوبة والتى يريدها الانسان لاغراضه الخاصة ، ويسمي مثل هذا الانتخاب بالانتخاب

---

(١) علم الاحياء للصف الثاني الثانوى : ١٨
(٢) نفس المصدر : ٧٢

الصناعي ... تمييزا له عن الانتخاب الطبيعي ... حيث تترك الافراد هنا لتتزاوج علي حالتها الطبيعيه دون تدخل الانسان ، فتموت الافراد الضعيفه التى لا تتكيف مع البيئة وتبقى الافراد القويه . وعلي هذا الاساس كانت الطبيعة العامل الاساسي في تحسين النباتات والحيوانات منذ ملايين السنين " (١)

وفيما نقلت عن الدكتور زغلول النجار ما يوضح ان هذا الكلام هو نفس ... اصحاب فرضيات التولد الذاتي .

ومن الامور التى يذكرها المؤلفون التشابه بين العضلات القلبية في الانسان والحيوان ففي الفصل الاول من مقرر الصف الثالث الثانوى للاحياء " التنظيم التركيبي والوظيفي في الحيوانات " تحدث المؤلفون عن الانسجة الموجوده في الثقاريات ومنها " الاسد والنمر والحصان والانسان " ومن ضمن الانسجة " العضلات القلبيه "

" ... وكما في الالياف العضليه الاخرى فان الالياف القلبيه محاطة بصحيفه لحميه . ومن مميزات الالياف العضليه القلبيه انها تنقبض بانتظام ويحصل ذلك ايضا لمدة محدوده في حالة وجودها خارج جسم الانسان " (٢)

فاذا كان المؤلفون يسمون الانسان بما عرف به فلم يتحدثون عنه مع الحيوانات الفقاريه افلا يمكن الحديث عنه من كافة النواحي في باب مستقل ام انه الاتباع للفرضيات التى تدعي الانسان تطور عن حيوان .

وفي فصل آخر يتحدث المؤلفون عن القلب في الحيوانات ومنها الفقاريات فيقولون " تتركب عضلات القلب في الانسان من الياف عضلية مخططه عرضيا الا انها تختلف عن العضلات الهيكيه السابق ذكرها بأن اليافها اقصر واصغر وتتفرع هذه الالياف وتلتحم فيما بينها عن طريق هذه الفرف (انظر شكل ١-١٦) لتؤلف شبكة متصلة وكل ليفة عضيلة قلبية تحتوى علي نواه واحدة " (٣)

ويقرر المؤلفون حيوانيه الانسان عن طريق الانسجه الوظائيه والتشابه الحاصل

---

(١) نفس المصدر : ٥٨٧ .

(٢، ٣) علم الاحياء للصف الثالث الثانوى : ١٤، ١٥/ ١٦٨

بين الثدييات ومنها الانسان وهوارقها كما ذكروا . فيقولون .

" تتكون الانسجة الوعائيه (الدم) من الخلايا والمادة الهلاميه (البلازمــا)

اما الخلايا فانها نوعان ١ـ كريات الدم الحمراء ٢ـ كريات الدم البيضـــاء .

. . . . وفي الانسا ن يبلغ طـــول

الخلايا الحمراء حوالي ٧٫٥ ميكرون وعددها حوالي خمسة ملايين في الملليمتــر

الواحد من دم الرجل وحوالي (٤٫٥) مليون في الملليمتر الواحد من دم المرأة" (١)

وتحت عنوان " تلاءم تركيب الانسجه مع وظائفها " جاءت هذه العبـــارات

" ... ان الجلد في الانسان كما في الحيوانات الثدييه يحتوى علـــى

الشعر المتصل بعضلات لا اراديه لها دورها الوظيفي في احداث القشعريره التى

تعتبر امرا وظيفيا يساعد في اعطاء الجسم نوعا من الدفء عند البروده الشديده" (٢)

وفي الحديث عن انماط التغذيه في الحيوان يقسم المؤلفون الحيوانات الى

انماط ذاتيه لتغذيه ، وانماط غير ذاتيه لتغذيه . ومن النوع الاخير النقاريات

ومنها الانسان فهو عندهم من انواع النقاريات من صف " الثدييات "

" اما الكائنات غير ذاتيه التغذيه فهي الكائنات التى لا تستطيع الاعتمـــاد

علي نفسها في تجهيز غذائها من مواد بسيطه تأخذها من الوسط المحيط بهـــا

وكذلك تعتمد هذه الكائنات في تغذيتها علي النباتات الخضراء . اما بشكـــل

مباشرا وبشكل غير مباشر حيث تأخذ المواد العضوية من النبات الاخضر مباشـــرة

او تتغذى علي حيوان آخر يعتمد في تغذيته علي النبات الاخضر وتقسم الكائنات

غير ذاتيه التغذيه الى ثلاثة انواع :

١ـ الكائنات المتناوله للغذاء وهي الكائنات التى تتناول غذائها وتبتلعـــه

عن طريق الفم وينقل هذا الغذاء الي جهاز هضمي خاص يقوم بهضم الطعـــام

وامتصاصه . ومن الامثلة علي حيوان هذا النوع من التغذيه النقاريات وكثيـــر

(١،٢) علم الاحياء للصف الثالث الثانوى ٢٤/١٧،١٦

من اللافقاريات " (١)

وعند الحديث عن عطية الهضم في الحيوانات جاء هذا النص:

" ... من اى جزء في جسم الكائن الحي تفرز الانزيمات الهاضمه ؟

تفرز الانزيمات الهاضمه في دوده الارض من الخلايا ... المبطنه للامعاء .

اما في الحيوانات الاكثر تعقيدا مثل الفقاريات فتوجد اعضاء خاصة تفرز هذه الانزيمات تسمي بالغدد الملحقه بالجهاز الهضمي مثل البنكرياس والكبد تفرز الكبد مواد كيماويه تحول الدهن الي مستحلب دهني (نقاط صغيره) تمهيدا لتهضمه انزيمات البنكرياس والامعاء الدقيقه ، وبعد ان يتم هضم الطعام في جسم الكائن الحي يحدث امتصاصه في الامعاء الدقيقه ويكون سطح الامعاء عادة متموجا كثيرا ليزيد سطح الامتصاص وفي الحيوانات التى تحتوى علي جهاز دورى تكثر الشعيرات الدمويه في سطح الامعاء وتنتظم هذه الشعيرات داخل زوائد تسمي بالزغبات وتقوم الزغبات بامتصاص الغذاء المهضوم ودفعه في تيارات الدم الذى يوزعه علي جميع خلايا الجسم " (٢)

وعن الحديث عن الجهاز الدورى للحيوانات يقسمها المؤلفون الي قسمين " جهاز دورى مفتوح " و " جهاز دورى مغلق " ومن ضمن من له جهاز دورى مغلق " الانسان يقول المؤلفون في ذلك .

" .. ويمتاز الجهاز الدورى المغلق بفعاليته الوظيفيه ، ويفوق في ذلك الجهاز الدورى المفتوح ، حيث ان الدم في الحيوانات ذات الجهاز الدورى المفتوح يسير ببطء بينما يسير الدم بسرعة اكبر في الحيوانات ذات الجهاز الدورى المغلق ولذلك يحدث تبادل المواد الغذائيه والاكسجين والفضلات في الحيوانات ذات الجهاز الدورى المغلق بسرعة اكبر من الحيوانات ذات الجهاز الدورى المفتوح مما ينتج عنه قيام الحيوانات ذات الجهاز الدورى المغلق بنشاطاتها الحيويه بفعاليه ومقدره عاليه (شكل ٤ - ١٠) (٣)

وشكل (٤ - ١٠) هو شكل انسان وقد كتب تحت الشكل الجهاز الدورى

---

(١) علم الاحياء للصف الثالث الثانوى : ٦٣ ، ٦٤

(٢) نفس المصدر : ٦٨

(٣) الاحياء للصف الثالث الثانوى : ٩٣

في الانسان .

وعند الحديث عن الجهاز اللمفاوي للحيوانات جاءت هذه العبارات .

" ... يسير الدم في الحيوانات ذات الجهاز الدوري المغلق ضمن اوعية دمويه مغلقه ولا يوجد اتصال مباشر بين الشعيرات الدمويه وخلايا الجسم اذن كيف يحدث تبادل المواد بين الدم وخلايا الجسم ؟ " (١)

ثم يأتي بعد ذلك شكل (٤-١١) وهو لبيان الجهاز اللمفاوي للانسان

وعند الحديث عن الاخراج في الحيوانات يتحدث المؤلفون عن الاخراج عن طريق الكلي فيقولون :

" في اجسام الحيوانات الثدييه جهاز متخصص لتصفيه اجهزتها الدمويه من المواد الضاره وطردها للخارج ويسمي هذا الجهاز بالجهاز البولي ، وقد تؤدي بعض اعضاء الجهاز البولي وظائف اخرى اضافة الي وظيفة تجمع البول يتركب الجهاز البولي في الثدييات ومنها الانسان من كليتين وحالبين ومثانة بولية لنقل البول حيث يطرد للخارج . وقد يختلف هذه الاعضاء في اشكالها وحجومها من حيوان لاخر ويبين شكل (٦-٨) تركيب الجهاز البولي في الانسان وهو الجهاز الذى سندرسه هنا بشيء من التفصيل " (٢)

وعن تكوين البول واخراجه في الحيوانات جاءت هذه العبارات :

" ... اما الحيوانات التى تعيش علي اليابسه فلابد لها من تحويل هذه الماده السامه الي مواد اقل سما وهو البولينا او حامض البوليك . وقد تكيفت الحيوانات التى تستطيع الحصول علي كميات كبيره من الماء لتحويل الامونيا الي البولينا التى يمكن تخفيفها بالماء ، ثم طردها للخارج كما هي الحال في الانسان " (٣)

وفي فقرة الحديث عن الجهاز الدعامي في الحيوانات جاء هذان النصان

" يخدم الهيكل الدعامي في الحيوانات اغراضا مختلفه منها انه يعمل كدعامة لتقويم الجسم الهلامي وتزداد الحاجة الي الهيكل الدعامي كلما

(١ ، ٢ ، ٣) نفس المصدر السابق ، ٩٣/١٣٧/١٣٨

ازداد حجم الحيوان كما ان الهيكل الدعامي يعمل علي حماية الحيوان . وهذه المهمة تظهر جلية في الحيوانات التى تحيط نفسها بهياكل خارجيه تقيها من الصدمات الميكانيكية والهياكل الداخليه ايضا تخدم غرض الحماية فالقفص الصدرى للانسان يحمي القلب والرئتين من الصدمات الخارجيه . كما ان الجمجمه تقي الدماغ من مخاطر الصدمات الخارجيه . ايضا ، والهياكل الدعاميه ذات اهمية كبيرة في توفير حركة الحيوان الراقي وضمانها بسهولة وذلك لكون بعض اجزائها تعمل عمل الروافع ويتصل بها العضلات الهيكلية المتصله بها وانبساطها وبتحريك هذه الاطراف يستطيع الحيوان ان يمارس نشاطاته في بيئته كالسعي لتحصيل غذائه او هربه من عدوه الخ وهنا يجدر الذكر انه يجب ان يكون هناك نوع من التوازن بين كبر العظام وسماكتها لزيادة الوقاية والحماية وبين خفتها لتسهيل حركة الحيوان وسنأخذ فيما يلي أمثلة على الهياكل الدعاميه لبعض المجموعات الحيوانيه . (١)

ثم جاء الحديث عن الهيكل الدعامي العظمي في الفقاريات فقال المؤلفون :

" .. تتكون دعامة الفقاريات من جهاز عظمي داخلي ينشأ من الحبل الظهرى الجيلاتيني . وتشترك جميع الهياكل العظميه للفقاريات بوجود الجمجمه والعمود الفقرى والقفص الصدرى والاطراف ، وكمثال علي الجهاز الدعامي في الفقاريات سندرس فيما يلي الجهاز الدعامي في الانسان (شكل ٧-٨) يتكون هذا الجهاز في الانسان من جمجمه وعمود فقرى وقفص صدرى وعظام الحوض والاطراف ويبلغ عدد العظام في الجهاز الدعامي للانسان (٢٠٦) (٢)

وعن الهيكل العظمي في الحيوانات جاءت هذه العبارات .

" يتميز الجهاز العظمي في الثدييات ومن ضمنها الانسان بوجود القفص الصدرى الذى يتكون من الفقرات الصدريه خلفا ومن عظم القص اماما ومن ازواج من الاضلاع الاثني عشر تصل بين كل زوجين منها مفاصل غضروفيه ليفيه تسمح للصدر بالاتساع بعض الشيء (شكل ٧-١٠) (٣)

وفي الحديث عن التنظيم الهرموني في الحيوان جاء هذا الكلام :

(١ ، ٢ ، ٣) علم الاحياء للصف الثالث الثانوى : ١٤٩ / ١٥٣ ، ١٥٤ / ١٥٥ .

" في جسم الانسان توجد الغدد الصماء ويظهر موقعها (شكل ٩-٩)

١- الغده النخاميه ٢- الغدة الدرقيه ٣- الغدد جارات الدرقيه ٤- جزر لانجرهانز في البنكرياس .... " (١)

وفي مقرر الجيولوجيا للصف الثانوى الثانوى تحدث المؤلفون عن تصنيف الكائنات العضويه فجعلوا الانسان من الحيوانات الفقاريه :

" ان ابسط تصنيف شمولي للكائنات العضويه يتداول فيه عاده في علم الاحافير هو التصنيف المبين في الجدول (٦٠١) فمن الكائنات ما يشبه الحيوان ويتكون من خلية واحده فقط مثل المنخربات والقاعيات والحيوانات عديدة الخلايا اللافقاريه : مثل المحاريات والقشريات والحيوانات عديدة الخلايا الفقاريه مثل الاسماك والطيور والانسان " (٢)

وعن اهمية " الاحافير " وهي احد ادلة القائلين بالتطور تحدث المؤلفون عن ان هذه الاحافير دلتطي التطور الناتج عن الصراع بين الحياة والبيئة فقالوا

" برهنت الدراسات التى اجريت علي الاحافير علي وجود الحياة علي سطح الارض منذ مئات الملايين من السنين وساعد مالوحظ من تغيرات تدريجيه في اشكال الكائنات التى عاشت في الازمنه الغابرة علي فهم انواع التطور الناتج عن الصراع بين الحياة والبيئة وتوفرت من هذه الدراسات براهين عديده علي نظريه تطور الكائنات الحيه " (٣)

واقرأ هذا النص ففيه تقرير لنظرية التطور في احد حججها ان البقاء للاصلح :

" ... منذ ماقبل عصر الكامبرى حتى الوقت الحاضر ظهرت مجموعات ضخمة من الحيوانات والنبات ، بعضها أكمل مسيرة حياته وبعضها لم يقو علي الحياة وانقرض في الطريق راجع الجدول (٦-٢) (٤) ففي هذا الجدول وضع الانسان ضمن الفقاريات .

---

(١) المرجع السابق : ١٧٩ .

(٢، ٣، ٤) الجيولوجيا للصف الثالث الثانوى : ٧٨ ، ٧٢ / ٧٩ ، ،
وتقسيم العصور الى العصر الكمبرى ، والثلاثي ، والرباعي وهي تقسيمات اصحاب فرضيه التطور وهي من ادلتهم علي التطور (انظر نظرية التطور بين العلم والدين ٥٤ - ٧٧)

وعن التطور في الكائنات الحيه قال المؤلفون :

" ... وفي منتصف العصر الثلاثي نما حجم الحصان وقل عدد اصابعه وغير من طريقة تغذيته فاصبح آكل عشب وبمرور الزمن ضمرت اصابع الحصان واصبحت اصبعا واحدا اى حافزا واحدا كمافي الحصان الحديث المعروف بأسم "إكيوس" راجع الشكل (٦-١٢) " (١)

ثم يختتم المؤلفون الحديث عن تطور مجموعة الحيوانات اللبونيه الحقيقيه بالحديث عن الانسان ، ويذكرون في آخر الحديث ان الانسان سيطر بقدرة الله

" وقد نشأ الانسان في عصر الرباعي واخذ رويدا ، رويدا مكانا مرموقا بين الاحياء قاطبة حتى اصبح يسيطر على خيرات الارض بقدرة الله تعالي وفضلة " (٢)

وهكذا يتضح ان مقررات علم الاحياء والجيولوجيا قد قررت بطريقة غير مباشرة نظرية انحدار الانسان عن الحيوان ، وقد كانت في المقررات الماضيه تدرس عن طريق واضح بدراسة نظرية او فرضيه التطور والتولد الذاتي،ان هذه الفرضيه قد نقضت من قبل علماء الغرب فلم يعد لها من دليل صحيح فكيف تقرر بهذا الشكل . ان الله سبحانه وتعالي بين لنا انه خلق آدم وهو ابو البشر من تراب خلقا مباشرا ثم نأتي ونقرر نحن في مقررات الاحياء بأن الانسان انحدر من الحيوان

ان المفروض ان تؤلف العلوم (الاحياء ، الكيمياء ، الفيزياء ، الجيولوجيا) من وجهه نظر اسلاميه صافيه ، ولن يعجز المسلمون عن ذلك ، فالحقائق التي تتضمنها هذه العلوم ، تعمق ايمان الشاب المسلم بالله اذا صيغت بقوالب فكريه اسلاميه ، ولا خشية على الحقائق فالحقائق تبقي كما هي ولكن ما تدل عليه الحقائق الثابته ثبوتا صحيحا هو الذى تريد ان يصاغ صياغة صحيحه . ولعل اكبر خطأ يرتكب هو تقسيم الكائنات الحيه الى قسمين الحيوانات والنبات . والحق الذى لا مراء فيه ان اقسام الكائنات الحية ثلاثة اقسام (١) الانسان وهو اشرفها واكرمها عند الله (٢) الحيوانات (٣) النبات .

---

(١) نفس المرجع السابق . ٨٦/٨٧

(٢) الجيولوجيا للصف الثالث الثانوى : ١٠١

لقد استطاعت روسيا وهي تعتنق عقيدة مناقضة للفطره وهي الالحـــاد استطاعت عن طريق العلوم ان تبذر بذور الالحاد وفي هذا يقول :

" س . ا . فافيلوف ، رئيس اكاديميه العلوم في الاتحاد السوفيتي

" ان الفيزياء السوفيتيه ، كالعلم السوفيتي ، وخلافي حياة الدولة مـــن زمن بعيد ، ووجها كل قواها الي خدمة بلدنا هذا ، لاستيفاء كل الحاجات اللازمة لبناء مجتمع شيوعي .

والفيزياء الشيوعيه تبنى عملها علي ما اعتنق العالم من الماديه المنطقيـــه تلك التى رفع من امرها تاليف الينين وستالين ، وهي تاليف امرتهط العبقريـــه بروح منها" (١)

ويدحض الشيخ المودودي رحمه الله دعوى ان العلوم عالميه ليس لهـــا علاقة بدين : فيقول تحت عنوان " العلوم التجريبيه لها ناحيتان "

" ... اما القول بأن العلوم التجريبيه علوم عالمية لاتنحاز لدين مـــن الاديان ، فهذه غلطة كبيره وجهل فاحش . ان العلوم التجريبيه لهـــا ناحيتان الاولي : عبارة عن الحقائق وقوانين الطبيعه التى تعرف عليهـــا الانسان بعد ان اجتاز مراحل عديده من التجربه والاختبار والمشاهده ، وهذه الناحيه لا يشك في احد في كونها عالمية . والناحيه الثانيه تتمثل في العقليـــه التى تدون هذه الحقائق والمعلومات ، وتضع علي اساسها النظريات ، كمـــا تتمثل الناحية الثانيه في اللغة التى تختارها هذه العقليه كأداة للتعبيـــر عن هذه النظريات ، فهذه الناحيه ليست شيئا عالميا ، بل لكل داع من دعاة الحضارات المنوعه في العالم اسلوب يخصه وينفرد به ، وهذا امر طبيعـــي ونحن اذا دعونا الي التغيير فى العلوم التجريبية لا نريد الناحية الاولـــي ، وانما نريد الناحية الثانيه فقط .

واضرب لكم مثلا : من الحقائق العلميه ، ان كل شئ في العالم حينمـــا يبرد ويتقلص ماعدا الماء ، فانه اذا اخذ في التجمد يمتد ، واذا تحول الـــي

---

(١) مواقف حاسمه في تاريخ العلم : ٤٨٩ ، ٤٩٠

ثلج يخفف وزنا ، ولهذا السبب نفسه يطفو الثلج على سطح الماء . هـذا امر يدل عليه الواقع العلمي والتجريبي . وهناك شخصان ، يعلل احدهما الظاهرة بأن الماء له هذه الخاصية ، وهذا واقعة . والثاني يقول في تعليله : إن الله أودع في الماء هذه الخاصية بحكمته البالغة وربوبيته الشاملة لكي يستطيع أن يعيش ما في الاحواض والانهار من مخلوقات وانه لو لم يعط الماء هذه الخاصية لكان الماء كلما تجمد رسب الى الاسفل وانتهى به الامر الى تحول الاحواض والانهار والبحار بأسرها صخوراً من الثلج المتراكمة وما استطاع كائن حي أن يعيش فيها .

تفكروا : واقع بعينه يعبر عنه شخصان بإسلوبين مختلفين ووفق فكرتين متباينين كل من هذين الاسلوبين يترك في ذهن القارئ او الطالب أثرين مختلفين : اسلوب يعبر عن الواقع ، ويثبت في الوقت نفسه في ذهن الطالب عقيدة وحدانية الله وحكمته وربوبيته ، واسلوب اخر يعبر كذلك عن الواقع الا ان الفرد لا يمكنه ان يستمد منه تصورا للإلـه بل فوق ذلك يصور هذا الاسلوب في الفرد فكرة تقول : ان الذي يجري في هذا الكون يجري بنفسه ، لا يد فيه لحكمة الصانع الحكيم ، ولربوبيته الرب القدير .

ولكم ان تعرفوا من ذلك كيف أن إحدى الطريقتين لتدريس العلوم التجريبية تعد العلماء الماديين بينما الثانية تعد العلماء المسلمين"(١)

بقيت ملاحظة اخيرة على مؤلفات علم الاحياء . فعند حديث المؤلفين عن اسس تصنيف الكائنات الحية اوضحوا ان العالم السويدي " ليفيوس ١٧٠٧ - ١٧٧٩ " وضع الاسس العلمية الحديثة لتصنيف الكائنات الحية وهي كالآتي :

" ١ - اوجه الاختلاف والتشابه في المظهر والتركيب الخارجي للكائنات الحية بما في ذلك وسائل تغذيتها .

---

(١) دور الطلبة المسلمين في بناء مستقبل العالم الاسلامي : ٣٣ - ٣٦ .

٢ ـ البنية الداخلية للكائن الحى واوجه تشابهها أو اختلافها مع غيرها من الكائنات الحية (لقد كان اسهام لينيوس فى هذا المجال محدودا)

٣ ـ طرق تكاثر الكائن الحى "(١) .

هذه هى المعايير والاسس التى على اساسها تصنف الكائنات الحية ، وحين تراجع ماكتبه مؤلفوا مقررات الاحياء نجد انهم صنفوا الكائنات الحية فيماكتبه مؤلفوا مقررات الاحياء نجد انهم صنفوا الكائنات الحية فى مجموعات معتمدين فقط على اساس واحد ومن ثم قرروا جعل الانسان فى مجموعة واحدة من الحيوانات تسمى "الفقاريات " وكان الاساس الذى اعتمدوا عليه فى التصنيف هو "التشابه فى المظهر والتركيب الخارجى " وقد صرحوا بذلك فى احد الكتب المقررة فقالوا :

" ... ماهى الاسس او المعايير التى تستعمل لتصنيف الكائنات الحية فى مجموعات ؟

سوف لا ندرس هنا جميع الاسس وسنكتفى باساس واحد رئيسى وهو التناظر فى التركيب " Homology " او الاعضاء المتشابهة فى الاصل .

فمثلا جميع الاطراف الامامية فى الفقاريات (شكل ٧ - ٢) وإن كانت تبدو مختلفة لاول وهلة ذات اصل واحد ، فجناح الخفاش وقدم الحصان ، وزعنفة الحوت مثلا ، لها نفس التركيب ، فهى تتركب بشكل عام من عضو وساعد ورسغ ويد كما تتشابه هذه الاطراف فى تركيب العضلات ايضا ... "

وفى الشكل (٧ -٢ تركيب الاطراف الامامية فى بعض الفقاريات) جاءت صورة يد الانسان .؟ .(٢)

---

(١) مقرر العلوم للصف الاول المتوسط : ١٢٣ .
(٢) علم الاحياء للصف الثانى الثانوى : ١٠٨

وقد سبق ان اوضحت عند الحديث عن فرضية التطور سقوط الزعم القائـل بانحدار الانسان من اصل حيواني ، وذلك بذكر آراء علماء الاحياء المعاصرين لدارون واللاحقين له وبالتالي يسقط الزعم بتشابه الانسان مع اى من الحيوانات.

٤ ا- اما اللغة الانجليزية فقد تضمنت مقرراتها الحديث عن الشعوذة والسحر ، واختلاط الرجال بالنساء ، وشرب الخمرة ، وسوف استعـــرض باختصار شيئا مما ورد في هذه المقررات(١) .

ففي مقرر الصف الثالث الثانوي القسم الادبي "الاسهل" وهو مجموعـــة قصص جاء في الصفحة السابعة قصة فتاة اسمها اليكسندرينا زوجت من رجـــل بخيل تزور أمها وتشكو لها من معاملة زوجها ، وتقول لها : "اذا لـــم تستطيعي مساعدتي فإني سابحث عن المساعدة في مكان آخر".

" If you cannot help me , I will look for help elesewhwere ".

والمكان الاخر في عرفهم الانحراف والتحلل اى تصاحب لها رجلا يساعدها على التخلص من هذا الزوج .

وجاء في الصفحة الستين قصة عن "الشلن" الذي يحكي قصته مع من يملكـــه فيقول : "ارسلت الى دكان لشراء بعض الخمر"

" I was sent to a shop for some wine".

وفي الصفحة الحادية والستين تمكين لهذا المعنى بالسؤال عن الاتي : "لماذا ارسل الشلن الى دكان الخمر ؟"

"8" Why was the shilling sent to a wine-shop?

---

(١) تدور قصص ومسرحيات الكتب المقررة حول هذه القضايا . وقد رأيـــت ان انقل فقرات مختصرة تدل على ماتحويه بقية القصة او المسرحية .

وجاء فى الصفحة السابعة والثمانين قصة بعنوان " قصة حلم " وهى تحكى حفل رقص مختلط بين الرجال والنساء جاء فيها مانصه على لسان صاحب الحلم "كنت احد الضيوف المدعوين الى حفلة رقص خاصة فى منزل ضخم جميل"

" I was one of the guests at a private dance alarge and pleasant house ".

ثم جاء فى آخر الصفحة مايلى : "لقد تعرفت على الفتاة التى ترقص مع الرجل " .

وجاء فى الصفحة السابعة عشرة بعد المائة قصة رجل قابل امرأة جميلة فهو يصف محاسنها بقوله :

" . . رأيتها لأول مرة فى المساء عند العشاء ، كان لابد أن تكون جميلة ، وجمالها واضح - الابيض والاسمر والاحمر وجهها يشع بياضا - شعرها اسود ، شفتيها حمراوين ، وأصبعها طويل رقيق " .

" Int the evening at dinner I saw here for the first time ...."
She had to be beautiful, and herbeauty was clear white, black, red, the face was shining white , the hairvery black, the lip s very red. Her figure was tall andrather thim. "

وفى الصفحة الخامسة والاربعين بعد المائة - قصيدة شعرية جاء فى احد ابياتها مايلى :

هب للرجل فتاة يحبها كما انى يا حبيبى احبك

Give a man a girl he can love,
As I, O my love, I love thee;

وجاء فى مقرر القصة للصف الثالث ثانوى ،علمى ، وادبى وهى بعنوان " حول العالم فى ثمانين يوما " مايلى :

فى الصفحة الثالثة والاربعين يصف الكاتب عملية انقاذ امرأة هندية من الحرق من قبل الاوروبى صاحب الرحلة حيث كانت ستحرق بالنار مع جثة زوجها فى الهند ، ويقول عن الرجل الذى انقذها انه :

" توجه مسرعا نحو المسافرين حاملا المرأة بين ذراعيه وقال هيابنا " .

" in his arms , he came quickly towards thetravellers, came up to them and said " L et us go!!

وفى الصفحة الخامسة والاربعين يتحدث مؤلف القصة عن المرأة الهندية التى انقذت من الحرق فيقول :

" كانت جميلة بكل تاكيد تتكلم الانجليزية بطلاقة . امرأة فاتنة مثقفة "

" She was certainly beautiful. She spoke English per-fectly, and was in every way a charming and educatied woman".

وفى الصفحة السادسة والاربعين يقول مؤلف القصة مخاطبا القارىء :

" والتخيل افضل من الوصف - لدهشتها - اى المرأة - حين وجدت نفسها ترتدى ملابس اوربية فى عربة قطار مريحة بين رفاق غرباء عليها "

" It may be better imagined thandes cribed how surprised she was to find hereself dressed in European clothes, in a comfortable railway carriage, among companions whowere quite stangers toher !".

وتتضمن شخصيات القصة الخادم واسمه "باسبرتو" وسيده اسمه "فلك آوفوك) ورجل المباحث واسمه " فيكس " بالاضافة الى المرأة الهندية المنقذة من الحرق ومن الصفحة الخامسة والستين حتى الصفحة السبعين من الكتاب حديث عن الخادم ورجل المباحث وشربهم للخمر . فقد جاء فى الصفحة الخامسة والستين مايلى :

" ذهبا - اى الخادم ورجل المباحث - الى صالة شرب فى نهاياتها فراش كبير ينام عليه العديد من الناس ويوجد بها مايقرب من ثلاثين شخصا يشربون الخمر" .

" They went into a sort of drinking-hall. At the end of the room there was a big bed on which severa[1] people were lying a sleep. There were about thirty people here sitting at tables and drinking .

وفى الصفحة السادسة والستين جاءت هذه العبارة :

" وأمر " فيكس " بزجاجة اخرى "

" Here fix ordered another bottle."

وفى الصفحة التاسعة والستين جاءت هذه العبارة عن الخادم :

" لقد شرب " باسبرتو " حتى الثمالة

" P. 14. Passepartout has drunk too mucth".

وفى الصفحة السبعين جاءت هذه العبارة من قول رجل المباحث للخادم

" اشرب هذه الكاس " فإنها ستنفعك " .

" Drink this, it will do you good" .

وفى الصفحة الرابعة والاربعين بعد المائة جاءت هذه المحادثة بين السيد الذى انقذ المرأة الهندية والمرأة الهندية ثم حضور الخادم اليهم .

" قالت المرأة الهندية : اتقبلنى زوجة لك ؟

فأغلق عينيه ثم فتحهما وقال : انى احبك نعم انى احبك وانا لك .

ولما حضر الخادم رأى سيده والمرأة متشابكى الايدى " .

"Will you have me as your wife? ....

" I love you. Yes , I love you and am yours!"

He at once ealled passepartout. He came .

He saw his master and Aouda holding hands".

وفى مقرر الصف الثانى الثانوى القسم الادبى وهو عبارة عن " مسرحية بعنوان العكس بالعكس " وهى تتحدث عن رجل اوربى اسمه " برادين " ذهب الى الهند وحصل من رجل هندى مقدس !! على حجر الامانى وهو حجر إذا إستعمله انسان تحقق له ما يتمناه وكان لهذا الاوربى ابن أخت لا يحب الذهاب الى المدرسة ويتمنى أن يتحقق له ذلك وان يذهب عوضاً عنه والده فلما رجع الاوربى "برادين " الى بلده أخذ ابن أخته هذا الحجر واستعمله فتحول الى أب وتحول أبوه الى ابن وذهب عوضا عن الابن الى المدرسة .

وتدور مشاهد المسرحية حول الاوربى وابن اخته وحفلاتهم الراقصة المختلطة وحجر الامانى بالاضافة الى أشخاص آخرين مثل مدير المدرسة التى يدرس فيها (دك) ابن بول وابن اخت " برادين " و" بول " وابنته (بربارا) والدكتور "جريم" واكتفى هنا بنقل ترجمة نصين من المسرحية

جاءت فى الصفحة السادسة هذه المحادثة بين " برادين " وابن اخته عن الهندى المقدس !! وحجر الامانى

" انه رجل مقدس اعطانى هذا الحجر (حجر الامانى) .

الطفل يسأل : ايمكن ان يشفى المرضى .

الخال : ربما يستطيع انه يعطيك ما تتمنى " .

" He was a holy man and he gave me this stone because I helped him "

....

Dick: can it make sick people well again?

Paradine: Perhaps it can ....
this stone will give what you wish for".

وفى الصفحة السادسة والستين يدعو الاب " بول " الدكتور " جريم " لمراقصة ابنته .

" يقول "بول " الاب : إنهم يرقصون يادكتور " جريم " ستشارك فى الرقص ستر قص مع إبنتى (باربارا) ".

يجيب الدكتور جريم : لا احسن الرقص

تجيبه البنت باربارا قائلة : أنا أعلمك (ويناول ذراعه لها)

Music is heard,

" Paut: Ah, they are dancing. Dr% Grimstone, you will jointhe dance, won't you. you shall dance with my daughter, Barbara .
Grimstone: I do not dance very well,
but . He offers his arm to Barbara,
Barbara: I'll teach you Dr. Grimstone and Barbara go out.

أما مقرر الصف الثالث المتوسط فإنه يدور حول اربعة من الاخوة اثنان منهما من العرب هما "سمير وسلمى " واثنان من الانجليز هما " جورج" و " ميرى" وهم من طلاب الصف الثالث المتوسط وقد قاموا برحلات الى كل من تدمر بسوريا، وبريطانيا فقد سافر كل من جورج وميرى الى تدميروهناك التقوا بسمير وسلمى. كذلك سافر كل من سمير وسلمى الى بريطانيا وفى الايام التى لا يخرجون فيها الى رحلات كانوا يجلسون سويا وكل منهم يروى للاخر قصة.

هذا ملخص ماتدور عليه دروس الكتاب وهذه نماذج مايحتويه الكتاب .

فى الدرس التاسع من الصفحة الثامنة والخمسين الى الصفحة الثالثة والستين حديث عن رحلة قام بها الى حلب . هؤلاء الاربعة ومعهم السيد كرم زاروا خلالها الاثار وامضوا يوما ممتعا فى حلب .

وفى الدرس العاشر تاتى قصة يقصها احد هؤلاء على زملائه وهى قصة حدثت فى اسكتلندا :

مزارع له حقل وأراد أن يستصلح منطقة من هذا الحقل وهى منطقة وعرة فلما بدأ فى ذلك خرج عليه من تحت هذه الارض رجل غريب يسكن تحت الارض وهو بلحية سوداء وعينان مخيفتان وقال : ابتعد عن أرضى لقد حطمت منزلى . ولكنهما اتفقا أخيراً على زراعة المنطقة المستصلحة والواقعة فوق بيت هذا الرجل الغريب بشرط أن يكون المحصول الناتج من الزراعة فوق الارض لاحدهما فى السنة الاولى والجذور للاخر وفى السنة الثانية بالعكس وهكذا .

وفى الصفحة الرابعة والاربعين بعد المائة تأتى قصة أخرى من القصص التى يقصها هؤلاء الفتيان على بعضهم وهى قصة حدثت فى النرويج ملخصها كالاتى :

" اقطاعى غنى ولكنه بخيل له دين على فلاح والفلاح لديه بنت جميلة فأراد الاقطاعى أن يتزوج البنت مقابل الدين الذى للاقطاعى على الفلاح ولكن البنت رفضت ذلك وعزمت ووالدها على السخرية بالاقطاعى وفى ليلة الزفاف أرسل الاقطاعى خادمه الى الفلاح ليرسل معه ما اتفقا عليه وهى " البنت " فقال الفلاح للغلام اذهب الى الحقل وخذها الى سيدك فلما قابل الفتاة قالت له تلك المهرة خذها فذهب بها الى بيت سيده ودون أن يراها امره بادخالها فى غرفة خاصة وأن يلبسوها أحسن الثياب وحضر الضيوف وشاهدوا العروس " .

كانت هذه نماذج مما يدرسه الطلاب فى مقررات اللغة الانجليزية لقد تخرج عدة اجيال على دراسة مثل هذه النماذج ، حديث عن السحر والشعوذة وعن اختلاط الرجال بالنساء والمراهقين بالمراهقات وعن حفلات الرقص المختلط المصحوب بشرب الخمر كامر طبيعى لا شبهة فيه . هذا فى الوقت الذى يدرس فيه الطلاب ما يناقض ذلك فى مقررات العلوم الدينية ويعيشون واقعا ليست فيه هذه الرذائل امورا طبيعية وانما هى امور ممقوتة ممقوت من يفعلها .

يدرس الطلاب فى كتاب التوحيد حق الله على العبيد المقرر على المرحلة المتوسطة لمؤلفه الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله . حرمة السحر والشعوذة والكهانة والتنجيم واحكام من يتعاطى هذه الامور ويفعلها فى ابواب سبعة هى

الابواب الاتية : باب ماجاء فى السحر ، باب بيان شئ من انواع السحر باب ماجاء فى الكهان ونحوهم ، باب ماجاء فى النشرة ، باب ماجاء فى التطير ، باب ماجاء فى التنجيم ، باب ماجاء فى الاستسقاء ، با لانواء.

كما يدرس الطلاب فى المرحلة الابتدائية مايدل على تحريم الاختلاط بين الرجال والنساء ووجوب تستر المراة عن الرجل الاجنبى فمن ذلك حديث " مروا اولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم عليها وهم ابناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع "(١) .

الذى يدل على وجوب التفريق بين الاخوة فى المضاجع عند بلوغهم سن العاشرة ذلك فى حال النوم بالنسبة للاخوة . فكيف بالاختلاط فى حال اليقظة بين الرجال والنساء الاجانب وغيره من الاحاديث.هذا بالاضافة الى انهم ولله الحمد يدرسون منفصلين فهناك مدارس للبنين وهناك مدارس للبنات.

كما انهم يدرسون فى المقررات الدراسية للعلوم الدينية فى الفقه والحديث حكم شرب الخمر وحد شاربه ويعلم الطلاب ان من يثبت عليه شرب الخمر باقراره او الشهادة عليه فى المحاكم يقام عليه الحد .

فكيف يوفق الطلاب بين مايوجد فى مقررات اللغة الانجليزية ومقررات العلوم الدينية ؟

على انه قد غيرت مقررات اللغة الانجليزية فى السنتين الاولى المتوسطة والاولى الثانوية وهى افضل حالا من سابقتها (٢) .

---

(١) مضى تخريجه عند الحديث عن الاختلاط فى التعليم .

(٢) ستتغير بقية مقررات اللغة الانجليزية فسوف يغير عام ١٤٠٢/١٤٠٣ هـ مقرر الصف الثانى المتوسط والثانى الثانوى وعام ١٤٠٣/١٤٠٤ مقرر الصف الثالث المتوسط والثالث الثانوى .

بيد ان مؤلفى الكتابين غير مسلمين وكان المفترض ان يؤلف هذه الكتب جماعة من المسلمين ولا تعدم وزارة المعارف ان تجد المتخصصين فى اللغة الانجليزية من المسلمين. وان تكون الموضوعات التى تدرس تتفق وتنسجم مع ما يدرسه الطلاب فى مناهج العلوم الدينية وان تشتمل على موضوعات معينة مثل :

١ - الحديث عن شخصيات اسلامية مع التركيز على مواطن القدوة فى سلوكهم

٢ - معارك اسلامية مع التركيز على ان الجهاد باق الى يوم القيامة يقف عقبة فى وجه انتشار الاسلام بالدعوة وانه ذروة سنام الاسلام.

٣ - دور المسلمين فى رقى العلوم بكافة انواعها وان الغربيين قد استفادوا من المسلمين.

٤ - موضوعات عن تصرفات سلوكية ينبغى التحلى بها وتصرفات سلوكية ينبغى البعد عنها.

٥ - موضوعات عن البلاد الاسلامية من كافة النواحى مع بيان متى دخلها الاسلام.

٦ - موضوعات عن المملكة والنهضة التعليمية والزراعية والصناعية التى تعيشها.

٧ - موضوعات تنمى فى الطالب الولاء لله ولرسوله ولاخوانه المسلمين فى كافة انحاء المعمورة وهذا ما تنص عليه ايات القران الكريم واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تبنته السياسة التعليمية للمملكة فى اكثر بنودها.

وغيرها من الموضوعات وكل ذلك يكون عن طريق القصة والحوار والمسرحية لا بالاسلوب المباشر وبذا نحقق الهدف الذى نصبو اليه وتبنته السياسة التعليمية فى المملكة من اعداد الطالب كانسان صالح - والانسان الصالح هو المسلم الملتزم بدينه - دون اخلال بالمتعة الفنية فى عرض الموضوعات.

المطلب الخامس :

آثار العلمانية فى التربية والتعليم

كان لعلمنة التعليم التى بدأ بها المستعمرون ثم اكمل المسيرة بعدهم تلاميذهم كان لها آثار سيئة على المجتمع الاسلامى ، وعلى مناهج الدراسة ، وبالتالى على الدارسين على النمط الغربى . ولا أدعى ذلك جزافا ،فأقوال المستشرقين والمفكرين المسلمين الذين سبروا غور التعليم العلمانى وعايشوه توضح ذلك .

فالمستشرق " جب " يقول :

" .. واذا أردنا أن نعرف المقياس الصحيح الذى نسير به غور التأثير الذى أحدثته الثقافة الغربية فى العالم الاسلامى يجب أن ننفذ الى الباب الامور وأن ننفذ أولاً الى الحركات التى تقوم على تشرب الافكار الغربية تشرباً يبعث على الابتكار ، بعد استعداد داخلى قوى وكل ما عدا هذا فهو سطحى .

ومهما شق الامر ، فلا بد أن نبذل الجهد فى أن نتبين تلك العناصر التى تكوّن حقاً صرح ثقافة جديدة من مجموعة العناصر المنقولة ، التى تراكمت فى العالم الاسلامى ، والتى كثيرا ما تكون قشورا زائفة .

والتعليم هو اكبر العوامل التى تعمل على " الاستقراب " والحق أنه العامل الوحيد إن فهمنا من كلمة تعليم كل ما تدل عليه ، ولا تستطيع الحكم على مدى الاستقراب فى العالم الاسلامى الا بمقدار دراسته للفكر الغربى ، وللمبادىء الغربية والنظم الغربية ولكن هذا التعليم ذو انواع كثيرة وتقوم به جهات متعددة ، وبالطبع لا بد أن هناك بالفعل قليلا من التعليم على الاسلوب الاوروبى ، فى المدرسة وهى الكلية الفنية وفى الجامعة وعلى هذا التعليم يتوقف ما عداه .. "(١)

---

(١) وجهة الاسلام : ٢١٣ ، ٢١٤ .

ثم يقول : " رأينا مراحل دخول هذا التعليم فى بلاد الاسلام المختلفة ورأينا الاثر الذى احدثه فى عقول الزعماء العلمانيين وقليل من الزعماء الدينيين فى العالم الاسلامى ، ولكن إذا سلمنا بما يقال عادة من أن ٩٥ فى المائة من المسلمين أميون (وان كان هذا التقدير بخس بالنظر الى الجيل الناشىء والى سرعة نشر التعليم الأوروبى فى كل البلاد الاسلامية ، وتنبئنا أحدث الأرقام ان أكثر من خمسمائة الف طفل يتعلمون فى المدارس الأولية فى مصر) واذا لم يكن بد من التسليم ايضا بأن نصف المتعلمين على الأقل تلقوا العلم على الأسلوب القديم وحده فإن الثلة الباقية من المتعلمين على النسق الأوروبى قلية جداً حتى أنها لا تكفى ـ رغم مكانتها الفائقة فى تعليل النزوع الى الروح الغربية نزوعاً عاماً نكاد نشاهده فى كل اصقاع العالم الاسلامى ، ثم ان انتشار التعليم سيبعث بازدياد فى الظروف الحاضرة على توسيع تيار الاستغراب وتعميقة ولا سيما لاقترانه بالعوامل التعليمية الأخرى التى تدفع الشعوب الاسلامية فى نفس الطريق . . . "(١)

ويختم المستشرق " جب " حديثه بقوله :

" . . . كانت النتيجة الخالصة لهذه الحركة التعليمية أنها حررت ، بقدر ما كان لها من تأثير نزعة الشعوب الاسلامية من سلطان الدين دون أن تحس الشعوب بذلك غالبا . وهذا وحده تقريبا جوهر كل نزعة غربية فعالة فى العالم الاسلامى وهو يؤتينا المعيار الذى نقيس به قوة الرأى الحديث والرأى المحافظ أحدهما بالنسبة للاخر . ان الاسلام من حيث هو دين

قد تغير القليل منه قوته، وأوامره حيث المسيطر على الحياة الاجتماعية فإنه أضطر الى

النزول عن عرشه ، ذلك أنه الى جانبه قوى جديدة يصدر عنها سلطان يناقض تقاليد الاسلام وأوامره الاجتماعية ، بعض الأحيان ولكنه رغم هذا ـ يشق طريقه بالقوة غير مبال بتلك الأوامر ولكى نصف الموقف فى أبسط العبارات نقول ان ما حصل هو هذا : الى عهد قريب لم يكن للرجل العادى بين الرعايا المسلمين مآرب أو أعمال سياسية ولم يكن له أدب قريب المنال الا الأدب

---

(١) المصدر السابق : ٢١٤ .

الدينى ،ولم تكن له أعياد ولا حياة اجتماعية الا مقترنة بالدين ، فكان الدين عنده كل شىء ، اما الآن فقد اتسع مدى مصالحه فى كل البلاد الراقية ولم يعد نشاطه مقيداً بالدين ، وضعت المسائل السياسية تحت نظره وقرأ أو قرىء له عدد من المقالات فى موضوعات متنوعة لا علاقة لها بالدين وربما لا تتعرض لوجهة النظر الدينية مطلقاً ، كما أن الحكم عليها قد يكون مقيداً بمبدأ مختلف عن مبادىء الدين ، كل لاختلاف ، هو يجد أن الرجوع الى المحاكم الشرعية لا يغنيه شيئا فى كثير من مصاعب حياته شيئا فى كثير من مصاعب حياته ومشاكلها بل يجد نفسه خاضعا لقانون مدنى قد لا يعلم له مصدراً صحيحاً يستمد سلطانه منه ، ولكن لا شك أن هذا القانون لا يستمد سلطانه من القرآن ولا من السنة ولم يعد الدين هو الرابطة الاجتماعية الوحيدة أو على الاقل الكبرى بينه وبين اخوانه ، إذ أن مهام أخرى لا تمت الى الدين بصلة ترغمه على الالتفات اليها وهكذا ترى سلطان الاسلام قد انفصمت عرا عن حياته الاجتماعية وهذا السلطان ينحسر شيئا فشيئا حتى يقتصر على دائرة صغيرة من الاعمال حدث كثير من هذا فى غفلة من الناس ولم يفطن الى ادراكه الا عدد قليل من المتعلمين ولم يعمد الى تحقيقه الا عدد اقل من ذلك ولكن التيار سار جارفا لا يلوى على شىء وحيثما رسخت قدمه لم يعد رده ممكنا ويظهر من المستحيل الآن ولا سيما اذا راعينا ازدياد المطالبة بالتعليم والازدياد فى اتخاذ الانظمة العربية ان تنعكس الآية وان يعود الاسلام الى استئثاره بالسلطة الاجتماعية والسياسية استئثارا لا ينازع فيه .. "(1)

استمر تأثير الواقع التعليمى - المتمثل فى التعليم العلمانى - الذى تحدث عنه "جب" حتى الآن ، فالنظريات والافكار فى مجال التربية والتعليم والاجتماع وعلم النفس تدرس فى جامعات العالم الاسلامى من وجهة النظر الغربية الصرفة للأسف . ويتعصب لها معلموها كما لو أنها من بنات أفكارهم وهذه هى التبعية الفكرية بعينها . وقد ناقشت بعض أفكار وآراء المختصين بالتربية من أبناء المسلمين فيما مضى عن البحث ، وليت هؤلاء حين يدرسون

---

(1) وجهة الاسلام : ٢١٧ ، ٢١٨ .

هذه الأفكار والنظريات يدرسونها كأفكار ونظريات قابلة للنقاش لهان الأمر .

ويقول المستشرق ولفرد كانتول سميث في سياق حديثه عن حركة التحرر الاباحية التي سادت العالم الاسلامي ما يلي :

".. أن من أهم أسباب حركة الحرية الاباحية التي تسود اليوم في العالم الاسلامي ومن اكبر عواملها نفوذ الغرب ، فقد بلغت هذه الحركة أوجها في أوروبا من أواخر القرن التاسع عشر الى الحرب العالمية الأولى ، وهكذا شأن نهضة أوروبا وتقدمها ، وقد سافر كثير من الشباب المسلم الى الغرب ، واطلعوا على روح أوروبا وقيمها واعجبوا بها الى حد ، وينطبق هذا بخاصة على الطلاب الذين درسوا في جامعات أوروبا بعدد لم يزل يزداد مع الأيام وهم الذين سببوا استيراد كثير من أفكار الغرب وقيمه الى العالم الاسلامي وقد حازت قصب السبق في هذا المضمار تلك المعاهد الثقافية التي قامت بتربية جيل بأكمله على النمط الغربي الحديث ، وكان مما صدره الغرب الى العالم الاسلامي تلك الافكار المتعددة الجديدة التي تقع من الأهمية والدقة بمكان ، والاتجاهات العقلية الدقيقة الغجة والميول الحديثة التي كان في نشرها أوفر نصيب لنمط التعليم الغربي الحديث ويفوقها في ذلك تأثير معاهد الغرب الحقوقية والسياسية والاجتماعية الجديدة ، ونفوذها الزائد ومنها ما يسلط اجباراً ، وما يحاول تسليطه ، وبينما قام بعض المسلمين لمقاومة هذا التيار رحب به البعض الآخر ، ان بعضهم قد وقع تحت تأثير هذه التربية رسمياً ، وبعضهم قد رحب بهذا التيار بدافع من أنفسهم ، واتضح ذلك ان كثيراً من المسلمين اعترفوا بهذه النظريات والمعاهد كحقيقة ثابتة وخضعوا لها بالتدريج ، وهكذا استمر عمل التغريب بسرعة وقوة بالفتين "(1)

ولا يحتاج هذا النص منى الى تعليق أو اضافة فهو واضح المعنى يتأيد بما قاله الأستاذ محمد أسد محذراً من التقليد الاعمى لنظام التعليم الغربي

---

(1) التربية الاسلامية الحرة في البلاد الاسلامية : ٣٤ .

" واذا كان المسلمون قد أهملوا فيما مضى البحث العلمي فإنهم لا يستطيعون أن ينتظروا إصلاح هذا الخطأ اليوم عن طريق قبول التعليم الغربي من غير وازع ما ، ان كل تأخرنا العلمي ، وكل فقرنا لا يوزنان بذلك التأثير المميت الذى سيحدثه تقليدنا الاعمى لنظام التعليم الغربي فى قوى الاسلام الدينية الكامنة ، اذا أردنا ان نحتفظ بحقيقة الاسلام على انها عنصر ثقافى ، فيجب علينا ان نحترس من الجو الفكرى الذى أصبح على وشك أن يتغلب على مجتمعنا وعلى ميولنا وبتقليد عادات الغرب وزيه فى الحياة يصبح المسلمون تدريجيا مضطرين الى الاخذ بوجهة النظر الغربية .

ان تقليد المظاهر الخارجية يقود شيئا فشيئا الى تقبل الميل العقلى المصاحب لذلك "(١)

هذه بعض آثار العلمانية فى التربية والتعليم على مستوى العالم الاسلامى كله ، وحيث أنه قد تختلف احوال بعض البلدان الاسلامية عن البعض الآخر ، فإننى أذكر هنا بعض آثار التعليم العلمانى على بعض البلاد الاسلامية كل على حدة مستشهدا بأقوال المؤرخين لهذه الفترة وخاصة الغربيين - الذين يظهرون غبطتهم احيانا بهذه الآثار -

يقول صاحب كتاب الدين فى الشرق الاوسط عن علمنة التعليم فى تركيا - مقر الخلافة العثمانية - وعن أثره ما يلى :

" ... ان عملية علمنة التعليم التى بدأت فى القرن التاسع عشر وصلت الى نتيجة منطقية . فلقد أزيلت كل آثار التعاليم التقليدية وأغلقت المدارس القديمة فلم يعد هناك مكان لتدريس التشريع الاسلامى ومنذ هذه اللحظة فصاعداً لم يعد هناك سوى نظام واحد فقط للتعليم الاورو - أمريكى الحديث .

---

(١) نفس المصدر السابق : ٢٧ ، ٢٨ .

لقد تأكد انتصار النظام الجديد وانتصار العلمنة بشكل دراماتيكى فى عام ١٩٢٨ بالتحول عن الحرف العربى الى الحرف اللاتينى . ولقد كانت هذه خطوة أساسية أكثر مما هو ملاحظ عموما . وقد أظهرت هذه الخطوة وكأنها مجرد تكنيك للتحديث وربطت بجملة معرفية شاملة ـ وهو هدف جديد جداً بالثناء . ولكن الكثير غير هذا كان مستلزما .

لقد اعتمدت الأوجه الدينية للثقافة العثمانية ليس فقط على مجرد الكتب باللغة العثمانية التركية المكتوبة بالخط العربى ولكن أيضا على كتب عربية .

إن الأساس فى الكل وهو القرآن ، كان يدرس ويتلو باللغة العربيه . وحيث أن اللغة العثمانية التركية كانت تحتوى على نسبة كبيرة من المفردات العربية وخصوصا تلك المتعلقة بالدين والتشريع فإنه كان من السهل لمن يستطيع قراءة اللغة العثمانية التركية أن يتعلم ويقرأ اللغة العربية .

ولقد بدّل تبنى الخط اللاتينى جنبا الى جنب مع تبديل المفردات العربية بأخرى تركية بحته ، لقد بدّل ذلك كل هذا . ومن ثم أصبح القليلون فقط من المفكرين المتخصصين أو بعض الذين كرسوا أنفسهم هم فقط الذين يرغبون فى تعلم العربية . أما المثقف العادى فبالاضافة الى أنه لا يتلقى اى تعليم دينى فقد قطعت امكانية تعلمه مباشرة (بواسطة القراءة) اى شئ من التراث الدينى الاسلامى والثقافى . لقد كانت العلمنة مهيمنة "(١)

وفى اندونيسيا يحدثنا أحد أبنائها فيقول :

" ... إن خريجى التربية الاسلامية التقليدية من النمط القديم أقوياء فى ايمانهم فى المقام الأول ولديهم الاستعداد للتضحية من أجل الاسلام ، غير أنهم انعزاليون من نظرهم .

---

(١) الدين فى الشرق الأوسط : ٦١٩ ، ٦٢٠ .

Religion in the Middle East A.J. ARBERY Vol: 619; 620

غير أن خريجى التربية الحديثة قد يكونوا مثقفين ثقافة عالية ويتمتعون بآفاق فكرية واسعة ولكنهم اقل تمسكا بعقيدتهم الدينية ويميلون للتفويض عن عقائدهم الاسلامية بالاتجاهات غير الاسلامية السائدة عن محيطهم "(١)

والمقصود بخريجى التربية الحديثة الذين تعلموا على النمط العلمانى لا على النمط الاسلامى .

ويحدثنا ك.ك. برج الاستاذ بجامعة ليدن بهولندا عن أثر التعليم العلمانى فى اندونيسيا فيقول :

" ... إن التعليم الأوروبى يعمل على قلب وجهة نظر الناس قلبا لا يقف عند حد ، وقوة الضربة التى تعانيها الثقافة الأهلية كل يوم انما يحس بها تمام الاحساس الاندونوسى الذين هم اكبر سنا ، أما الجيل الجديد فقد شب بين أحضان النظام الجديد ، ولم يظهره المعلم الأوروبى على شئ من الثقافة الأهليـة ، حتى أن هذا الجيل لا يحس بما بين الثقافتين من فرق إحساساً قوياً .. "(٢)

ثم يقول فى بيان اثر التعليم العلمانى على الشباب المتعلم ما يلى :

" لكثير من صغار الشباب المثقفين مسلك إزاء الاسلام يختلف عن مسلك الجيل السابق أتم الاختلاف ، فقد اصبحوا بتأثير التعليم العلمانى لا يعبأون بالدين فى الجملة واذا احتكوا بالاسلام فكيرا ما يميلون لقبول سلطان العلم ، والعلم بما فى طبيعته من روح النقد ومن عدم اختصاصه بجماعة ما اظهر الاندونوسى على نقائض الاسلام وكثرة خداعه الدينى - ومن ثم كان تمسكهم

---

(١) تقارير وبحوث مؤتمر التعليم العالمى الاسلامى الأول : ٨/٤ ، ٥ من بحث مقدم عن اندونيسيا .

(٢) وجهة الاسلام : ١٨٩ ، ١٩٠ واما ما ادعاه المستشرق ك.ك. برج من نقائض الاسلام وخداعه الدينى فهو كلام ينبئ عن الحقد والغيظ فى نفس هذا المستشرق ولن يجد ما يستطيع ان يعده نقيصة او خداعا فيما شرعه الله سبحانه وتعالى .

ببعض التقاليد الاسلامية لا يعد وكثيرا مجرد عادات باقية .(١)

وفى ماليزيا يعترف بروفيسور/ عبد الجليل حسن رئيس قسم الفلسفة والعقيدة الاسلامية بالكلية الاسلامية ، بأن الحكومة فى مايزيا لا تعترف بأهمية التعليم الاسلامى فى البلاد ، وأنها تعتبر التعليم الاسلامى ما هو الا صورة باهتة لا تحتاج الى العناية الحقة ، ولأن الروح الاسلامى أمر خاص بالافراد . ثم يقول : " وهذا هو سر ما وصلت اليه فى الوقت الحاضر ، فاننا لا بد من التعاون مع المسئولين حتى نستطيع أن نتفاهم معهم لنيل هذا الفرض الهام"(٢)

ولا ريب أن عدم الاعتراف بالتعليم الاسلامى فى البلاد أثر من آثار العلمنه كذلك عدم الاعتراف بالقضاء الاسلامى أثر من آثار العلمنة .

وفى الهند اعترف الزعيم الهندى محمد على بأثر التعليم العلمانى فى اهمال التعليم الاسلامى - كما اعترف بذلك بروفيسور عبد الجليل فى ماليزيا - اذ قال :

" ولقد كانت الحكومة البريطانية تحمل لواء الحياد الدينى الكامل ، فقد اقصت دراسة مادة الدين حتى دراسة الاخلاق تماما من الكليات ، وطبقت هذه السياسة التعليمية عطيا فى ذلك ، ولم يبق من المعلومات الدينية والخلقية الا ما يتلقفه الطلاب بأنفسهم من الكتب الانجليزية أو الكتب الدراسية المؤلفة بلغات الشرق .

كما أن نظرية التعليم التى وصفتها الحكومة للشباب الهندى ، كانت "حديثه" وكانت تهدف بجميع ما فيها من عوامل هدامة الى أن يتربى فى الطالب شعور خاطئ بعلمه وكبريائه ، يقضى على قداسة الرواية والحجة والاسناد بأوهامه التى يرجع تاريخها الى ما قبل قرون ، ومما لا شك فيه أن هذا التعليم سبب اثارة دافع التحقيق والبحث عن الحقيقة مع مسايرته

---

(١) نفس المرجع السابق : ١٩٢

(٢) تقارير وبحوث مؤتمر التعليم العالمى الاسلامى الاول : ٣/٨ من بحث عن ماليزيا .

للزمان ، غير أنه كان هداما فى جملته على الديانة والأخلاق ، اما ما أعطاه بدلا مما قضى عليه من " الأوهام الدينية " (كما يقول الغربيون) - فلا يقوم ايضا الا على أساس من الأوهام والعقائد الخرافية ، ولكن هذه الثقافة التى يتزود بها الطالب كانت حديثة لا شك " . (١)

ويتحدث الأستاذ محمد أسد عن أثر مناهج التعليم ومقرراته على النمط الغربى العلمانى - على الناشئة المسلمة التى تعلم على هذا المنهاج فيقول :-

" ... لقد بسطنا فى الفصول الماضية بعض الأسباب المؤيدة للرأى القائل بأن الاسلام والمدنية الغربية - وهما يقومان على فكرتين فى الحياة متناقضتين تماما - لا يمكن أن يتفقا ، فاذا كان ذلك كذلك فكيف نستطيع أن نتوقع أن تظل تنشئة احداث المسلمين على أسس غربية ، تلك التنشئة القائمة فى مجموعها على التجارب الثقافية الأوربية وعلى مقتضياتها ، خالصة من شوائب النفوذ المعادى للاسلام .

ليس ثمة ما يبرر توقعنا لذلك ، وإننا إذا إستثنينا بعض الأحوال النادرة التى يتاح فيها العقل نير للغاية ان يتغلب على مادة التعليم ، فإن التنشئة الغربية لأحداث المسلمين ، ستفضى حتما الى زعزعة إرادتهم فى أن يعتقدوا أو أن ينظروا الى أنفسهم على أنهم ممثلوا الحضارة الالهية الخالصة التى جاء بها الاسلام ، وليس ثمة من ريب فى أن العقيدة الدينية آخذه فى الاضمحلال بسرعة بين " المتنورين " الذين نشأوا على أسس غربية ." (٢)

ويتحدث أسد عن تأثير تدريس الأدب الأوربى فى الجامعات الاسلامية فيقول :

" .. ان تعليم الادب الأوربى على الشكل الذى يسود اليوم الكثير من المؤسسات الاسلامية يقود الى جعل الاسلام غريبا فى عيون الناشئة

---

(١) التربية الاسلامية الحرة فى البلاد الاسلامية : ٣٢ ، ٣٣

(٢) الاسلام على مفترق الطرق : ٦٧ ، ٦٨ .

المسلمة ، ومثل هذا ـ ولكن الى حد أبعد ـ يصدق على التعليل الأوروبي للتاريخ العام ، اذ لا يزال الموقف القديم فيه : " رومانيون وبرابرة " يظهر بجلاء ، ثم أن لمثل هذا العرض فى التاريخ هدفاً خفياً ذلك أنه يدلل على أن الشعوب الغربية ومدنيتها أرقى من كل شيء جاء أو يمكن أن يجيء الى هذا العالم ، وهكذا يمكم خلق نوع من التبرير الأدبي لسعي الأوربيين الى السيطرة والى القوة المادية "(١)

ثم يتحدث عن تأثير تدريس مادة التاريخ على النمط الغربي فيقول :

" أما التأثير الوحيد الذى يمكن ان يتركه مثل هذا التثقيف التاريخي فى عقول الاحداث من غير الشعوب الأوروبية ، فإنما هو شعور هذه الشعوب بالنقص فيما يتعلق بثقافتهم الخاصة ، وبماضيهم التاريخي الخاص ، وبالفرص السائحة لهم فى المستقبل ، وهكذا يتربون تربية منظمة على احتقار ماضيهم ومستقبلهم اللهم الا اذا كان مستقبلاً مستسلماً للمثل العليا الغربية "(٢)

---

(١) نفس المصدر : ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) نفس المصدر : ٧٦ .



وتتضمن ما يلي :

١ - هل يوجد لدى دعاة العلمانية أى مبرر لدعوتهم ؟

٢ - حكم الدعوة الى العلمانية في العالم الاسلامى ؟

٣ - كيف السبيل للتخلص من العلمانية وآثارها ؟

الخاتمـه :

تحدثت في الفصول الماضيه عن عوامل العلمانيه في العالم الغربـي ، وفي العالم الاسلامي ، واوضحت انها نشأت في العالم الغربي نتيجة لعوامل أدت الى ظهورها ، وأنها من بعد ذلك انتقلت الى العالم الاسلامي نتيجـة لوجود عوامل معينة ساعدت على تقبلها بل وعلى أن يعتنقها كفكرة وعقيده نفر من ابناء المسلمين يكافحون عنها ويدعون اليها صراحة أو تحت شعارات كالقوميـة والوطنيه والديمقراطيه والاشتراكيه ، أو أي شعارات اخرى من الشعارات المطروحة على الساحة الفكريه .

وفي هذه الخاتمه لابد لي ان اجيب على تساؤلات معينة تتلخص في الاتي :-

١- هل يوجد لدى دعاة العلمانية في العالم الاسلامي أي مبرر منطقـي مقبول للدعوة الى العلمانيه ؟ واذا كان يوجد فماهي هذه المبررات ؟

٢- اذا لم يوجد لدى دعاة العلمانية في العالم اي مبرر ؟ فماحكـم الدعوة اليها في بلاد الاسلام ؟

٣- واذا كان الحكم ان الدعوة الى العلمانية مخالف لمنهج الله فكيـف السبيل للتخلص من العلمانيه وآثارها ؟

١- هل يوجد لدى دعاة العلمانيه مبررات مقبوله ؟

تبين لنا ماسبق عوامل نشوء العلمانيه في الغرب ، وعوامل انتقالهما الى العالم الاسلامي ، وعرفنا نماذج من أثر العلمانيه في المجال التربوى والتعليمي في العالم الاسلامي .

وقد كانت هذه العوامل في العالم الغربي من نوع التفسير لماحصل في الواقع الاوربى ، ولم تكن من نوع التبرير ، فإنه لا مبرر للخروج على الدين الى ال" لادين " ، فقد كان بوسع مفكرى اوربا البحث عن الدين الصحيح ، اذ أنه ليس حتما على اى مجتمع أبتلى بدين محرف قام على تحريفه من يعدون حماته - أن يخرج عنه ليصبح مجتمعا لادينيا بل الافتراض الصحيح هو ان يبحث عن الدين الصحيح بيد ان ماحصل هو خروج مفكرى اوربا عن الدين المحرف الى اللادين ، كرد فعل عاطفي ضد رجال هذا الدين المحرف ، وبهذا انتقلت اوربا بسبب هولاء المفكرين من جاهليه وانحراف يتسح بمسوح الدين الى جاهلية ترتدى مسوح التحرر من الدين ، ولو ان مفكرى اوربا فكروا بماوهبهم الله من عقول في البحث عن الدين الصحيح لاهتدوا اليه ، ولدخل الناس بسببهم في دين الله افواجا .

واذا سلمنا جدلاً بأن ماحدث في اوربا يبرر نشوء اللادينيه في تلك البلاد ، فما التبرير الذى يتعلق به دعاه العلمانيه من ابناء المسلمين ، مفكرين عامه وتربويين خاصة ، حين يرفعون عقيرتهم بالدعوة الى العلمانية بوضوح ، او تحت شعارات ، كالوطنيه والقوميه والديمقراطيه ، والاشتراكيه .

هل يوجد في الاسلام عقيده مستغلقه على الافهام ، كعقيدة التثليث هل وجد في تاريخ الاسلام امثال بولس وقسطنطين وهل وجدت مجامع تمارس التحريف في العقيده كما وجد عند النصارى ؟ هل تعرض القرآن الكريم

للتحريف كما تعرض الانجيل لذلك حتى اصبح عدة اناجيل ؟ وهل تعرضت الشريعة الإسلامية للتحريف كما تعرضت الشريعة التى ارسل بها عيسى عليه السلام؟ هل ابتداع علماء المسلمين بدعا من امثال ما ابتدعه رجال الكنيسة ؟ من بدعة رجال الدين الى بدعة الرهبنه ، الى بدعة الخطيئة الموروثة ، الى بدعة صكوك الغفران ؟ وهل يوجد في القرآن مايوحى بذلك ، فضلا عن ان يقرر ذلك ؟ وهل وجد في التاريخ الاسلامي طغيان العلماء الدين كما حصل في الغرب حيث طغى رجال الكنيسه على الناس الطغيان الذى ذكرت بعضا من صوره ؟ وهل وجد في التاريخ الاسلامي مهازل صكوك الغفران ؟ وهل يوجد في العقيده الاسلامية مايسمي بالخطيئة الموروثه ؟

وابدأ ... بالاجابة على هذه الاسئلة مرتبة مستندا الى القرآن والسنه ووقائع التاريخ ؟

لقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ارسل غيره من الانبياء بعقيدة التوحيد قال تعالى :

" ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت." النحل ٣٦

وهى عقيدة موافقة للعقل ومتسقه مع الفطرة ، بل هى الفطرة بذاتها التى يعد ماعداها ضلالا وانحرافا .

" فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون " الروم : ٣٠ .

هذه العقيده الفطريه السهله غير المستغلقه على الافهام - التوحيد - تشرحها سورة الاخلاص التى نزلت جوابا لسؤال اليهود او مشركى مكه : يامحمد هذا الله خلق الناس فمن خلقه ؟ (١)

---

(١) جامع البيان ... عن تأويل آى القرآن ٣٠/٣٤٢ ، ٣٤٣

وقد تنوعت اساليب القرآن في نفي الشرك ومنه - التثليث -

قال تعالى : " ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض" المؤمنون : ٩١ .

وقال تعالى : " أم اتخذوا آلهه من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون " سورة الانبياء : ٢١ ، ٢٢ .

ونعى الله سبحانه وتعالى على النصارى عقيدة التثليث التى اخترعها رجال الكنيسه .

قال تعالى : " قل ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسولُ الله وكلمته القاها الى مريم ، وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له مافي السموات ومافى الارض وكفى بالله وكيلا" آل عمران : "٧"

وهكذا لم يتضمن القرآن انكار الشرك عموما بل افرد الحديث عن قضية التثليث في عدة مواضيع من سورة القرآن (٢)

ولم يوجد في تاريخ الاسلام امثال بولس ولا امثال قسطنطين يحرفون العقيدة الاسلامية الصافيه - التوحيد - ولم توجد في تاريخ الاسلام ايضا مجامع تمارس مثل هذا التحريف الذى حدث في النصرانيه .

اما القرآن فلم يتعرض للتحريف كما حصل ذلك للانجيل والتوراة وذلك لان الله تكفل بحفظه قال تعالي :

" انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " الحجر : ٩

---

(٢) انظر فى هذا سورتى آل عمران والمائده .

أما الانجيل والتوراه فقد وكل الله حفظها الى علماء دينها " (١) غير انهم فرطوا في ذلك ، بل انهم حرفوا التوراة والانجيل بالزيادة والنقصان والكتمان ودليلي على عدم تحريف القرآن مايلي :

(١) لو اخذ انسان نسخة مطبوعة من القرآن من اقصى المغرب الاسلامي واخرى من اقصى المشرق وثالثه من اواسط افريقيا ، ورابعه من اوروبا أو امريكا وقارن بينها فانه لن يجد اى اختلاف بينها ، ولو قارن بين احدى هذه النسخ المطبوعه ونسخة مخطوطه من القرآن فى اى مكتبة في العالم فسيجد انها متطابقه تماما وليس بينها اى اختلاف . (٢)

(٢) اخرج البيهقي عن يحيى ابن اكثم خبر اليهودى الذى حكى للمأمون قصة إسلامه التى تتلخص في انه : اراد ان يمتحن الاديان ، فعمد الى كل من التوراة والانجيل والقرآن ، وكتب من كل ثلاث نسخ زاد فيها ونقص ، ثم ادخل الانجيل الى الكنسيه ، والتوراة الى البيعه ، والقرآن الى الوراقين ، فاشتريت التوراة والانجيل منه ولم يشتر الوراقون القرآن بل اكتشفوا الزيادة والنقصان قال : فعلمت ان هذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب اسلامي . (٣)

بل ان السنه النبويه حفظت من عبث العابثين فقد قيض الله لها رجالاً يحفظون آلافا من الاسانيد والاحاديث عن ظهر قلب حتى ان احدهم لو شك في كلمة او حرف أبين ذلك فى روايته اداء للامانه وتبرئه للذمه ، ولم يكتف العلماء بذلك بل استنبطوا علما يسمى " علم مصطلح الحديث " الذى يتضمن

---

(١) انظر سورة المائده : ٤٤

(٢) ومايؤيد ذلك ان الجهات المحاربة للاسلام تخرج بين الفينه والفينه طبعات من القرآن فيها تحريف ، او قد يحصل خطأ طباعى ولكن سرعان مايكتشف ذلك .

(٣) الخصائص الكبرى ١٢٨/٣ .

اصولاً [illegible] يسمى " علم مصطلح الحديث " الذي [illegible]

اصولا وقواعد يمكن عن طريقها كشف المزيف من الاحاديث المنسوبه الى المصطفى صلى الله عليه وسلم وبهذا استطاع علماء الامه كشف كل ماكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم وكمثال على ذلك فقد " اخرج ابن عساكر عن الرشيد انه جيء اليه بزنديق فأمر بقتله فقال يا أمير المؤمنين : اين انت عن أربعة آلاف حديث وضعتها فيكم احرم فيها الحلال ، واحل فيها الحرام ، ماقال النبى صلى الله عليه وسلم منها حرفا ؟

فقال له الرشيد : أين أنت يازنديق عن عبدالله بن المبارك ، وابى اسحاق الغزارى ينتخلانها فيخرجانها حرفا حرفا ؟؟" (١)

فالرشيد قد اوضح لهذا الزنديق ان لدى المسلمين امثال ابن المبارك وابن اسحاق الغزارى اللذان يعلمان الصحيح من المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اما بالنسبة للشريعة الاسلامية فلم تتعرض للتحريف فقد حفظها الله - بحفظ القرآن والسنه - من عبث العابثين وتحريف الضالين - اذ على الرغم من كثرة الفرق الهدامه الباطله التى اخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم فقد عجزت جميعا عن تحريف الشريعة وبقيت الشريعة الاسلامية شامخه كالطود ضد جميع المحاولات واستمرت الى هذه الساعه وستستمر الى ان يرث الله الارض ومن عليها غضه طريه .

لقد وقع في حياة الامة الاسلامية انحرافات كثيره سبق ان اوضحت شيئاً منها - ولكنها كانت انحرافات شخصيه عمليه احلتها الاهواء ولم تتخذ طابع التشريع العام للمجتمع المسلم . اذ الشريعه ظلت سليمه محفوظه وبقيت منهجا

---

(١) تحذير لخواص من احاديث القصاص: ١٦٣ ، ١٦٤

ترتقى اليه الامة فى فترات التجديد واليقظه ، ويبقى الانحراف فى حس المسلمين انحرافا وان طال عليه الزمن !

ولم تمر على الاسلام الظروف التاريخية السيئة التى مرت على النصرانيه وحالـت دون تطبيقها . (١) فلم يلحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى الا وقد قامت للاسلام دولة يقوم كل امر من امورها على هدى الله ، واستمرت تنمو وتتسع حتى شملت بحكمها ثلثى المعموره فى ذلك الحين في مدى زمنى يقـدر باقل من نصف قرن .

اما البدع فلم يحصل فى تاريخ الاسلام ان ابتدع علماء الدين بدعـاً من مثل الرهبنه وغيرها ولا يوجد في نصوص القرآن والسنه مايوحى بذلك فضـلا عن ان يقررها .

فالعلماء المسلمون لم يبتدعوا الرهبانيه وكيف يكون ذلك وهم يقرأون نعى الله وتوبيخه للنصارى الذين ابتدعوها من عند انفسهم زعما منهم انهم بذلـك يتقربون بها الى الله قال تعالى :

" ... وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ، ورهبانيه ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون .. " الحديد : ٢٧

ويقرأون نهى الرسول صلى الله عليه وسلم لمن اراد ان يترهبن في عهده عن ذلك .

عن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال : رد رسول الله صلى اللـه

---

(١) الظروف التاريخيه هى عمليات الاضطهاد التى مارسها الوثنيون حتى عام ٣٢٥م ضد النصارى مما كان سببا فى اختفاء الانجيل الاصلى ، وعدم تمكن النصارى من تطبيق مالديهم من شريعة بالاضافة الى تحريفات بولس فى التشريع وقد سبق ذكر طرف منها .

عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ،ولو اذن له لا ختصينا " اخرجه البخارى ومسلم " (١) ورواه الدارمى بلفظ .

" لما كان من امر عثمان بن مظعون الذى كان من ترك النساء بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ياعثمان انى لم أومر بالرهبانيه ،ارغبت عن سنتى ؟ قال : لا يارسول الله قال : ان من سنتى ان اصلى وانام ،واصوم واطعم ، وانكح واطلق ،فمن رغب عن سنتى فليس منى ، ياعثمان ان لاهلك عليك حقا ، ولنفسن عليك حقا "

وعن انس :" ان نفراً من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم سألوا ازواج النبى صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر ؟ ؛ فقال بعضهم : لا أتزوج النساء، وقال بعضهم لا آكل اللحم ،وقال بعضهم : لا انام على فراش ،فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : مابال اقوام كذا وكذا؟ ولكنى اصلى وانام ،واصوم وافطر ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى " متفق عليه " (٢)

واما ماحصل من انحراف عن هذا ماتحدثت عنه في الانحراف الذاتى ، فقد بقى في حجمه انحرافا وليس اصلا .

اما فيما يتعلق بالخطيئه الموروثه فإن موقف الاسلام منها واضح وصريح .

ان اصل هذه العقيده عند النصارى ناشىء عن اعتقادهم بأن آدم عليه السلام لما اكل من شجرة المعرفة التى نهى عن الاكل منها عوقب بالطرد من الجنه وانزل الى الارض ، ولم يكتف الله - تعالى عن ذلك - بهذه العقوبه

---

(١) انظر صحيح البخارى كتاب النكاح ، باب مايكره من التبتل والخصاء : ١١٨/٦، ١١٩ ، وصحيح مسلم كتاب النكاح : ١٠٢٠/٢ باختلاف يسير فى الالفاظ.

(٢) صحيح البخارى كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح : ١١٦/٦ ، وصحيح مسلم كتاب النكاح : ١٠٢٠/٢ .

لادم وانما ظل البشر يشعرون بالذنب والخطيئه فمن المحتم على الانسان ان يقتل نفسه ليمنحها الخلاص من هذه الخطيئة التى تلاحقه منذ آدم.

اما فى الاسلام فقد ذكرت قصة آدم في القرآن-المصدر الاول للاسلام - مذيلة بذكر توبة آدم واستغفاره وبيان ان الله قد قبل التوبه وغفر الخطيئه .

قال تعالى :" ... وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنه وكلا منهـــا رغداً ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حيـــن. فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم" البقره ٣٥ - ٣٧ (١)

وهكذا يتبين ان الله قد تاب على آدم وهو لا يزال في الملاء الاعلى قبل ان يهبط الى الارض ، وان خطيئة آدم ليس لها الحجم المهول الذى تعطيهمـــا اياه الكنيسه المحرفه اذ هى حادثه وقعت لادم وهى من الامور التى تتعرض للبشر حياتهم ، تمحوها التوبه والانابه الى الله .

هذا . ومن ناحية ثانيه فلو فرض جدلاً ان آدم عليه السلام لم يتب مــن ذنبه فإنه وحده المؤاخذ بذنبه ان لم يغفر الله له ولا ذنب للبشر فى ذلك لا المسيح ولا غيره .

وهذا يندرج تحت مبدأ العدل الالهى ، فالله لا يؤاخذ احداً بذنب ارتكبه غيره مهما كانت الصله بينهما ، فلايجوز حسب هذا المبدأ اذاً ان يؤاخذ احدا غير آدم بخطيئته وذنبه حتى ولو كان ابن الشيطان الى اغواه بارتكاب هذه الخطيئه فضلا عن ان يكون ابن الله - كما يقول رجال الكنيسه قاتلهم الله - او اى من بنى آدم .

يوضح ذلك عدة ايات من القرآن الكريم التى تقرر ان كل انسان يحاسـب

---

(١) وانظر سورة الاعراف : ١٨ - ٢٥ وسورة طه ١١٦ - ١٢٣ .

على سعيه فقط ، وان اوزار كل انسان عليه وحده فقط .

قال تعالى : (ولا تزروا وازرة وزر اخرى ، وان تدع مثقلة الى حملهـــا لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير " فاطر : ١٨ .

وقال تعالى : " وابراهيم الذي وفى . الا تزروا وازرة وزر اخرى . وان ليس للانسان الا ما سعى . وان سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الاوفى " النجـم ٣٧ - ٤١ . (١)

وقد سبق علماء المسلمين فلاسفة عصر الانوار في نقد هذه العقيدة وكان ممن كتب في ذلك الامام ابن القيم رحمه الله . (٢)

اما مهزلة " صكوك الغفران " التي تعد صفحة سوداء في تاريخ العالم الغربي ، فليس باستطاعة احد من اعداء الاسلام الصريحين او المختفين تحت شعار الدعوة الى العلمانية ان يزعم ان هذه المهزلة قد وقعت من علماء المسلمين كما وقعت في التاريخ الاوربي من قبل رجال الكنيسة ، ذلك لان علمـــاء المسلمين يعلمون من آيات القرآن الكريم ان الله هو المالك الوحيد لغفران الذنوب وحط الخطايا عن المذنبين ، وان رسل الله جميعا اوضحوا هذه الحقيقـــة ايضاحا كاملا لا لبس فيه .

قال تعالى : " ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم " ال عمران : ١٢٩ .

وقال تعالى : " واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى " طه : ٨٢ .

وقال تعالى : " نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم . وان عذابي هـو العذاب الاليم " الحجر : ٤٩ ، ٥٠ .

---

(١) وانظر سورة الانعام : ١٦٤ ، وسورة الاسراء : ١٥ ، وسورة الزمر : ٧ .
(٢) اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢ / ٢٨٠ .

فكيف بهم يزعمون لانفهسم مثل ذلك ، وعلى هذا فان هذه المهزلـــة لم يعرفها المسلمون حتى فى احط عصورهم .

اما بدعة رجال الدين : " الاكيلروس " التى جعلت لرجال الدين فـــي الغرب سلطة على خلق الله نشأفنها طـغيانهم ، السياسى ، والاقتصـــادى والدينى ، والعلمى فانه لا وجود لها في تاريخ الاسلام فضلا عن ان يوجد مايوحى به في نصوص القرآن والسنه . انما الذى يوجد في نصوص القرآن والسنه الدعـــوة الى ان يوجد في المسلمين طائفه تعلم شرع الله سبحانه لتوجه الناس الى اتباع هذا الشرع .

قال تعالى : " وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " التوبه : ١٢٢ .

قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : " من يرد الله به خيراً يفقه في الدين " اخرجه البخارى ومسلم . (١)

اما ان يكون لهم او يزعمون لانفسهم مازعمه رجال الكنيسه لانفسهم مــن حقوق كحق الغفران حيث يجلس المذنب على كرسى الاعتراف ليعترف بذنوبــــه ويلتمس الغفران منه ، اوان يكون لهم الحق في اعفاء من يرون من بعض الاحكام وهو مايسمي بحق التحله فليس شيئا من ذلك لهم ، ولم يزعمه احد من علمـــاء المسلمين حتى فى احلك عصور التاريخ الاسلامى ظلمة وجهلا .

---

(١) البخارى في كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين : ١/ ٢٥ ، ٢٦ ومسلم فى كتاب الزكاة باب النهى عن المسألــــة ٢/ ٧١٨ .

ان كلمة رجال الدين لم تكن تعرف عند المسلمين حتى بداية عصر الاستعمار للبلاد الاسلامية ، فقد كان الناس يطلقون على علماء الشريعة الفقهاء او العلماء او المشايخ ، بل لا زال عوام المسلمين يطلقون هذه العبارات على العلماء . واما كلمة رجال الدين فلا يستعملها الا من تأثر بالثقافه الغربيه من المثقفين المسلمين ، او من كان ساذجا لا يعلم ماذا يقصد باطلا من هذه الكلمة ، اذ التصور الاسلامي يرفض فكرة وجود اشخاص او مجالات دينيه لا علاقة لها بالحياة او دنيويه لا علاقة لها بالدين .

ان الامر كله لله ـ مايتعلق بالدنيا ـ فهو صاحب الامر كله في تصريف شئون الخلق ولا وجود لاحد يشاركه في ذلك .

قال تعالى : " ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين " الاعراف ج ٥٤ .

كما ان كل اعمال المسلم يجب ان تكون لله سبحانه وتعالى :

" قل ان صلاة ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين " الانعام ١٦٢ ، ١٦٣ .

لقد نشأ عن هذه البدعة ، سلطة كهنوتيه لرجال الكنيسه تمثلت في ادعاء رجال الكنيسه احقيتهم في تفسير الاناجيل ، وفى حق الغفران والحرمان والتحلة ، ومارس رجال الكنيسه عن طريق هذه البدعه التى ابتدعوها لانفسهم انواعا من الطغيان على جماهير البشر ـ ذكرت نماذج لها سابقا .

فهل وقع شيء من ذلك في تاريخ الاسلام ؟

لا يوجد فى نصوص القرآن ولا فى نصوص السنه مايعطى العلماء الدين سلطة كهنوتيه لا بالشكل الذى وجد في العالم الغربى ولا بغيره ، لان الاسلام يفترق عن النصرانيه المحرفه بفارقين اساسيين هما .

الاول : ان الاسلام هو عقيدة التوحيد الخالص انزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لتحرير العباد واخراجهم من عبادة العباد الى عبادة الله وحده دون سواه ، سواء في تلقى التشريع او فى الاتباع ، وجاءت النصوص القرآنيه صريحه فى تحريم صرف اى نوع من انواع العبادة لغير الله ، سواء كان ملكا مقربا او نبيا مرسلا او طاغوتا متألها ويكفى ان نقرأ الايه التاليه - التى توضح ان ممن يدعو الناس الى عبادته باتباعهم له فيما يشرع لهم كما فعل رجال الكنيسة فهو كافر .

" ماكان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوه ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون " آل عمران : ٧٩ ، ٨٠ .

فهذه الايه توضح انه لا وجود لسلطة كهنوتيه فى الاسلام تشرع لخلق الله امرا او نهيا سواء فى الاعتقاد وفى التشريع كما حدث من رجال الكنيسه فى مراسيمهم البابويه ، او قراراتهم المسكونيه ، او منشوراتهم الكنيسيه .

وخير مايوضح ذلك قوله تعالى : " يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون " ال عمران : ٦٤ وقد ضمن الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته الى هرقل عظيم الروم هذه الايه . (١)

وعن عدى بن حاتم : " أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآيه : " اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم " الآيه ، فقلت : انا لسنا نعبدهم ، قال : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ماحرم الله فتحلونه ؟ فقلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم " رواه احمد

---

(١) صحيح البخارى كتاب بدء الوحى ١/٥-٧

والترمذى وحسنه .

الثاني : انه لا يوجد في الاسلام واسطه بين الله وخلقه مطلقا ، كما هو الحال عند النصارى اذ رجال الكنيسه قد جعلوا انفسهم وسطاء بين المذنبين والله سبحانه وتعالى اذ استحدثوا كرسى الاعتراف الذى عن طريقه يعترف المذنب بذنبه فيتوسط القس فى غفران ذنب المذنب باعتباره مثل المسيح فى الارض ، الذى يملك مفاتيح الملكوت - كما يزعمون -

ان الرسل عليهم السلام ، لا يملكون هذا الحق ولم يدعه احد منهم ، لقد كانت مهمة الرسل هى التبليغ عن الله مايوحى به اليهم فاذا سماهم احد من الناس وسائط بهذا الاعتبار ، اى وسائط في تبليغ الدين فلا بأس اما ان يكونوا وسائط فى غفران الذنوب فلا .

يقول الامام بن تيميه :

" ... ومن سوى الانبياء من مشايخ العلم والدين فمن اثبتهم وسائط بين الرسول وأمته يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم فقد اصاب فى ذلك .

وهؤلاء اذا اجمعوا فاجماعهم حجة قاطعة ، لا يجتمعون على ضلالة ، وان تنازعوا فى شيء ردوه الى الله والرسول ، اذا الواحد منهم ليس بمعصوم على الاطلاق ، بل كل احد من الناس يؤخذ من كلامه ويترك الا رسول الله (ص) وقد قال النبى (ص) العلماء ورثه الانبياء فان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ، فمن اخذه فقد اخذ بحظ وافر .

وان اثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه ، فالله انما يهدى عباده ويرزقهم بتوسطهم ، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما ان الوسائط عند الملوك

يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم والناس يسألونهم ادبا منهم ان يباشروا سؤال الملك ، اولان طيلبهم من الوسائط انفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم اقرب الى الملك من الطالب للحوائج ، فمن اثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب ان يستتاب فان تاب والا قتل وهؤلاء مشبهون لله شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوا لله اندادا " (١)

لقد حفظ الله الاسلام واهله من الملابسات التى حدثت في العالم الغربي وادت الى وجود من يسمون " رجال الدين " الذين حرفوا النصرانيه التى ارسل بها عيسى ، فلم يوجد مثل هؤلاء فى واقع الحياة الاسلامية ، ولم يوجد مايبرر وجودهم في نصوص القرآن والسنه ، كما اوضحت ذلك .

وتبعا لذلك فان الطغيان الذى مارسه هؤلاء في الحياة الغربية وكان احد عوامل نشوء العلمانية لا وجود له فى التاريخ الاسلامي .

فالطغيان الدينى الذى تمثل فى تحليل ماحرم الله وتحريم ما احل الله ، وتسيير الجيوش لمحاربة المخالفين فى الرأى ولو كانوا من المسيحين كما حدث لـ " الكاثاريون " و " الوالدونيون " واقامة محاكم التفتيش لعلماء الطبيعه وللمخالفين لهم فى الدين كمحاكم التفتيش التى اقيمت للمسلمين فى الاندلس ، كل ذلك لم يوجد في التاريخ الاسلامي ولا يوجد مايوحى به في نصوص القرآن والسنه .

والطغيان السياسى الذى استذل به رجال الدين الكنيسى الافراد الحكام والامراء - والشعوب ، والذى مر ذكر نماذج منه ، لم يكن في التاريخ الاسلامي مثله ابدا ، بل ان العكس هو الصحيح فقد تعرض العلماء المسلمون للاذى من بعض الحكام المسلمين متأولين او طاغين ظالمين " (١) ولا يوجد في نصوص القرآن والسنه مايوحى بذلك فضلا عن ان يقرره كما يوجد في الاناجيل المحرفه .

---

(١) انظر نماذج من ذلك في كتاب : الاسلام بين العلماء والحكام .

وكذا الطغيان الاقتصادى الذى تمثل في الاقطاعيات الكبرى التي يستذل فيها رجال الكنيسه البشر بالعمل المجانى ، والاوقاف التى كانت توقف طمعا رجال الكنيسه من اقوات البشر ، والعشور والضرائب التى يستحصلها رجال الكنيسه من المزارعين والرعاة واصحاب الحرف وغير ذلك مما مر ذكره،كل ذلك لم يوجد مثله في التاريخ الاسلامى ، ولم يوجد مايبرره او يوحى به فى نصوص القرآن والسنه ، بل يوجد مايندد به فقد قرر الله فى القرآن ان الاحبار والرهبان يأكلون اموال الناس بالباطل .

قال تعالى : " ياايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل " التوبه : ٣٤ .

وفى ذلك معنى التحذير من سلوكه لعلماء المسلمين من سلوك سبيل النصارى واليهود في اكلهم لاموال الناس بالباطل .

اما الطغيان الفكرى والعلمى الذى تمثل في حرق مجموعة من علماء الطبيعه ومطاردة اخرين منهم والذى وقف حجر عثرة في سبيل الرقى المادى لاوروبا ، هذا الطغيان لم يوجد فى تاريخ المسلمين ، والا لمادرست العلوم التطبيقيه ـ الطب ، والهندسه ، والرياضه ـ فى مدارس المسلمين فى العصور الماضيه كالازهر وغيره ،كما مر بيان ذلك . ولا يوجد في نصوص القرآن ولا فى نصوص السنه مايوحى به فضلا عن ان يقرره .

ان العلم كما ورد فى نصوص القرآن والسنه على درجات منه مايعد تعلمه فرض عين ،ومنه مايعد تعلمه فرض كفايه ، وهذا مافهمه العلماء المسلمون من هذه النصوص . (١)

واكتفى هنا بذكر بعض آيات القرآن التى ترشد الى تعلم علوم بعينها .

ففى علم النبات قوله تعالى :

---

(١) انظر فى ذلك مثلاً كتاب : احياء علوم الدين : ١/ ١٦ .

" وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء ، فاخرجنا منه خضرا تخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانيه وجنات من اعناب . والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه . انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون " الانعام : ٩٩

والخضر هنا المقصود به مايسميه علماء الاحياء "البلاستيدات الخضراء" وهى مصانع الغذاء في النبات . التى يصل اليها مايحتاجه النبات من الماء والهواء وضوء الشمس .

وفم علم الحيوان قوله تعالى

" ... افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت " الغاشيه : ١٧

وفى علم الكيمياء قوله تعالى :

" وان لكم فى الانعام لعبرة تسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين " النحل : ٦٦ .

ففي هذه الايات اضافة الى ارشادها الى التفكر فى عجيب صنع الله بالنظر والتأمل العادى من كل انسان ، فإنها ترشد الى تعلم ومعرفة مايتعلق بالنبات ومايتعلق بالحيوان ، ومايتعلق بمعرفة مركبات الاشياء الكيماويه ليحصل بذلك نتيجتان هما :

الاولى : التفكر الواعى المتبصر في مخلوقات الله الناشيء عن العلم بها ، وذلك لا شك قدر زائد على تفكر وتدبر وتأمل الانسان العادى الذى لا يعلم عنها شيئا .

الثانيه : الاستفاده من نتائج المعرفة لهذه العلوم في خدمة البشر .

---

(١) انظر فى ذلك مثلا كتاب : احياء علوم الدين : ١٦١١ .

والاسلام لا يعارض في ذلك فليس في نصوص القرآن والسنه ما يمنع ذلك ، بل ان في نصوص القرآن ما يدعوا الانسان الى النظر الى ما حوله ومنا مثلا الطعام الذي يأكله . قال تعالى :

" ... فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الارض شقا . فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا " سورة عبس : ٢٤ .

ولا ريب ان العلم بالنبات وخصائصه ومركباته من اقوى انواع النظر، فالنظر الناشيء عن هذا العلم نظر متبصر وعميق وواعي .

وهكذا تبين لنا من خلال ماسبق أنه لا يوجد لدى دعاة العلمانيه في العالم الاسلامي اى مبرر منطقي لدعوتهم الى اتخاذ العلمانيه منهجا للحياة بديلا عن الاسلام او مع الاسلام يجعل الاسلام محصوراً في شعائر التعبد - الا اتباع الاهواء التي تأثروا بها من الثقافة الغربية . قال تعالى :

" ... ارأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا" الفرقان : ٤٣

وقال تعالى مخاطبا الرسول (ص) والحكم يشمل المسلمين :" .. ولئن اتبعت اهوائهم من بعد ماجاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين " البقره : ١٤٥

واذا كان لا يوجد لدعاة العلمانيه مبرر لدعوتهم ، فما حكم الدعوة الى العلمانيه في بلاد الاسلام ؟ هذا ماسوف اوضحه في الفقره التاليه .

٢- حكم الدعوة الى العلمانيه في العالم الاسلامي

ان العلمانيه - كماسبق بيانه[1] - تعني قيام الحياه على اساس استبعاد الدين عن التوجيه والهيمنه على الافراد والمجتمعات ودساتير وقوانين وانظمة الدول - خاصة التربية والتعليم -

وعلى هذا فهي تعني انها اتباع الغير ما انزل الله . ومن ثم فهي نظام جاهلي ومن يدعوا اليها فهو متتبع للهوى . وقد نهى الله عن اتباع الاهواء وامر باتباع ما انزل الله الينا في القرآن وامر بطاعة الله ورسوله . وحكم على الذين يتبعون اهواءهم بالضلال .

قال تعالى :" ... ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل " المائده : ٧٧ .

وقال تعالى : " اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون " الاعراف : ٣ .

وقال تعالى :" ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون " الانفال : ٢٠ .

وقال تعالى :" ... ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين " القصص : ٥٠ .

واتباع الهوى هو من التحاكم الى غير منهج الله ورسوله الذى وضح في القرآن والسنه ، والتحاكم الى غير ذلك هو من التحاكم الى الطاغوت والتحاكم الى الطاغوت كفر . قال تعالى :

" ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تأويلا ، الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك

---

(١) انظر التمهيد في تعريف العلمانيه

وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا ... الى قوله جل وعلا :

" فلا وربك لا يوءمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما " النساء ٥٩ - ٦٥ .

ولا ريب ان من يدعو الى العلمانيه منهجا للحياة في المجتمع الاسلامي ويدعي الايمان والاسلام هو ممن يتولى عن منهج الله ورسوله ، ومن يتولى عن ذلك فليس بموءمن وان ادعى الايمان .

قال تعالى :" ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالموءمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين . افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون - انما كان قول الموءمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا وأولئك هم المفلحون " النور: ٤٧ - ٥١ .

وقد وردت اكثر الايات التى نصت على تكفير من لم يقبل حكم الله ومنهجه ونفى الايمان عنه في سياق الحديث عن الذين يدعون الايمان من اهل الكتاب او الذين يتظاهرون بالاسلام من المنافقين ، ولعل الحكمة في ذلك ان من لم يدع الايمان بشيء من منهج الله الوارد في القرآن والسنه فهو كافر بالضرورة ، وقضية قبوله للتحاكم الى غير منهج الله واضحة لا ليس فيها وانما اللبس قد يصيب بعض من ينتسب الى الاسلام ويحسبون انهم موءمنون مع انهم لا يحتكمون الى ما انزل الله في القرآن بل يطيعون غير الله معه ،او من دونه .

قال تعالى : " ياايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم توءمن قلوبهم ... الى ان قال تعالى :

" اتحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون " المائدة

(٤١ - ٥٠) (١)

ان هذا الحشد من الآيات وامثالها كثير في القرآن - تدل دلالة واضحة على نفي الايمان عمن ابتغى غير منهج الله حكما في اى شأن من شئون الحياة والحكم عليه بالكفر او بالنفاق ، وان ورود اكثر هذه الايات في حق من يدعى الايمان بالله وكتبه لما يجعل هذه القضيه واضحه جلية . لا بل قد حكم الله بالشرك على من يطيع المشركين في قضية فرعيه هى الاكل مالم يذكر اسم الله عليه قال تعالى: " ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وأنه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون " الانعام : ١٢١ (٢)

فهل يبقى بعد هذه النصوص الواردة فى حكم من يحتكم الى غير شرع الله ومنهجه مجال للشك ؟

ان من يدعى الايمان او الاسلام ويرى ان بامكانه ان يتحلل من احكام الله وشرعه ومنهجه او بعضها ويكتفي من الاسلام بالتلفظ بالشهادتين يكابر حقائق التاريخ ، والا فهل تحمل الرسول صلى الله عليه وسلم الضيق والشدة والحروب من اعداء الاسلام مدة ثلاثة وعشرين عاما ؟ وهل نزل القرآن الكريم على النبى صلى الله عليه وسلم آمرا وناهيا طوال هذه الفترة من اجل ان ينطق الجاهليون بالشهادتين - باللسان فقط - ويؤدوا الشعائر التى يسمح بها دعاة العلمانية ومطبقوها ؟

ما الفرق بين ماقالته قريش للرسول صلى الله عليه وسلم : يامحمد اعبد آلهتنا سنه ونعبد الهك سنه (٣) وبين قول دعاة العلمانية بلسان حالهم

---

(١) انظر تفسير هذه الايات في : تفسير ابن كثير : ٣/١٠٥-١٢٣

(٢) انظر تفسير هذه الايه في : تفسير ابن كثير : ٣/٣١٦-٣٢٢ .

(٣) انظر في بيان ذلك تفسير ابن كثير: ٨/٥٢٧ .

او بلسان مقالهم نعبد الله في المسجد ونطيع غيره خارج المسجد ؟

لقد قال تعالى : " ياايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين " البقره : ٢٠٨ . والسلم كما قرر ابن جرير الطبري هو الاسلام . (١)

وقال : " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير" الانفال : ٣٩ .

وقال : " ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقو بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا " النساء ١٥٠، ١٥١ .

ان هذه الآيات وغيرها كثير توضح بما لا يدع مجالا للشك أن مجرد التلفظ بالشهادة لا يكفي في ان ينتسب الانسان الى الاسلام، وانما الواجب ان يلتزم الانسان بالاسلام في كل شئونه ليعد مسلما حقا . والا لو كان مجرد التلفظ او اداء بعض الشعائر هو الاسلام لمكن كفار قريش الرسول صلى الله عليه وسلم من القيام بذلك ، ولقبل الرسول منهم ذلك .

ان الشهادة لا اله الا الله وللاسلام شروطا ونواقص ،فمتى انتقى شيء من هذه الشروط ، او وجد احد النواقص . فقد انتقض الاصل .

اما شروطها فهي : " ١- العلم بمعناها نفيا واثباتا ، ٢- اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب ٣- الاخلاص المنافي للشرك . ٤- الصدق المانع من النفاق . ٥- المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور بذلك . ٦- الانقياد بحقوقها وهي الاعمال الواجبه اخلاصا لله وطلبا لمرضاته .

---

(١) انظر في بيان ذلك تفسير الطبري : ٣٢٣/٢

٧- القبول المنافي للرد " (١)

واما نواقض الاسلام فهي عشرة نواقض منها :

١- الاعتقاد بأن غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم اكمل من هديه او ان حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه .

٢- الاعتقاد بأن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما وسع الخضر الخروج على شريعة موسى عليه وسلم السلام .

فمن اعتقد ذلك فهو كافر . (٢)

افليس دعاة العلمانيه غير منقادين لحقوق لا اله الا الله ؟

اوليسوا ممن يعتقد ان غير هدى الرسول صلى الله عليه وسلم اكمل من هديه ، وانهم ممن يعتقد ان بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

لقد افتى الامام ابن تيميه بوجوب قتال كل طائفه خرجت من شرائع الاسلام الظاهرة ، كالتتار وحكم بكفرهم رغم اخذهم ببعض شرائع الاسلام ولكن لانهم شرعوا شرائع مخالفة للاسلام اعتبرهم كفارا . (٣)

واستشهد الامام محمد بن عبدالوهاب باجماع العلماء على تكفير العبيديين المعروفين بالفاطميين . (٤)

يقول الدكتور عماد الدين خليل في وصف حال المتبع لغير منهج الله ومع ذلك يدعي الاسلام مايلي :

---

(١) مجموعة التوحيد : ٣٥٩ من رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن في الكلام على لا اله الا الله ؟

(٢) نفس المصدر : ٢٧١/٢٧٢ من رسالة للامام محمد بن عبدالوهاب عن نواقض الاسلام .

(٣) انظر كلام ابن تيميه عن التتار في كتاب مجموعة التوحيد : ٢٩٦، ٢٩٧ .

(٤) نفس المصدر : ٢٢٩ .

" ... وفي الجهة المقابلة يقف الاسلام بهذا المنهج الالهي المنفرد والذى يعرف كيف يخاطب الانسان ، ويتعامل مع تكوينه المعقد ونسيجه الدقيق ، وبنيته المعجونه من طينة الارض والممزوجه بنور السماء .. المنهج الذى يتميز بخصائص تجعله يختلف - أساسا - عن كل مذهب وضعي خطه براع انسان وهي الخصائص ذاتها التي تجعل من السخف والبلادة المتناهيه مايدعيه البعض من أنهم يؤمنون بالاسلام باعتباره دينهم الروحي فحسب ، تلك هي التكامل والتداخل والتوازن .

فالذين يدركون حقيقة الاسلام ، ويعيشون تجربته ، يعرفون تماما انه نسيج وحده ، وان قطع اى خيط من خيوطه المحبوكه باعجاز رائع كفيل بتمزيق هذه الوحده المتجانسه ان الانسان الذى يؤمن بالاسلام ذلك الايمان المشوه سرعان مايجد امامه هوة سحيقه تمنعه من الاندماج والتعامل الصحيح مع هذا الدين ، ذلك انه محا الايمان -في قرارة نفسه- من بعض عناصر ومقومات الاسلام واكده في عناصر ومقومات اخرى وهو بعمله هذا لم ينل من وحدة الاسلام الدائم شيئا ، ولكنه وجه ضرباته الى صميم الكيان الانساني ،والى وحدة الذات الانسانيه ، ذلك انه سيجد نفسه مضطر الى الاستعاضه عن العناصر والقيم التي رفضها بعناصر وقيم اخرى يجيء بها من هنا وهناك ، ويرصها رصا .. عناصر لا تملك - بمجموعها - توحد القيم الاسلامية وتكاملها ، لانها لم تنبثق عن تصوره الاصيل .. ثم هي فيما بينها تعاني تناقضا محزنا لان كل عنصر او كل مجموعة من القيم جيء بها من تصور فرد من الافراد انسان من ملايين الناس ، وماهي في الحقيقه سوى نتاج ردود فعل نفسيه فكرية لهؤلاء الافراد مع واقع بامدائه المحدوده بحدود الزمان والمكان .. ومن ثم سيتشتت هذا الانسان (الآخذ) ويضيع .. انه آمن بوحدة عقائديه متكاملة ظاهرا ، لكنه - في حقيقته - تكامل زائف ، لانه سعى الى رص عناصر لاانسجام فيما بينها ولا تآلف في تركيبهما ،

وحاول - جهلا وعنادا - ان يجعل منها منهجا موحدا لحياة موحدة لا تقبل التجزئه . (١)

وبذا يتضح لنا خطورة الادعاء بأن الاسلام رابطة روحية - متمثله في شعائر التعبد فقط - بين الانسان وربه ولا صلة له بحركة الانسان في هذه الحياة - فردا او مجتمعا - وهو ادعاء باطل يكفي الاسلام من اساسه ويهدم العباده - بالمعنى الشامل - من جذورها .

ان دعاة العلمانية يقسمون نشاطات البشر الى جانبين :

الجانب الاول : مايسمى بالنشاط الروحي ويعنون به شعائر التعبد .

الجانب الثاني : مايسمى بالنشاط المادى - ويشمل حركة الانسان فى هذه الحياة .

فاما الجانب الاول فانه يسير بما جاء فى شرع الله ويسمح به ، شريطة ان لا يو أدى الى النهى عن الفحشاء والمنكر .

" ... واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ماتصنعون " العنكبوت : ٤٥ .

واما الجانب الثانى فانه يسرحب ماسن من قوانين البشر المخالفة لهدى الله . ويصدق عليهم قول الله تعالى في حكايته عن المشركين .

" .. وجعلوا الله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء مايحكمون " الانعام : ١٣٦ .

وبعد ان عرفنا آثار العلمانية في التربية والتعليم ، وعرفنا انه لا يوجد لدعاة العلمانيه في العالم الاسلامي مايبرر دعوتهم اليها تبريرا منطقيا مقبولا وعرفنا حكم الدعوة الى العلمانيه بقى ان نقول كيف السبيل الى التخلص من اثار العلمانية فى العالم الاسلامي ؟ وهذا ما ساتحدث عنه باختصار فى الفقره التاليه :

---

(١) تهافت العلمانيه : ٦٢ ، ٦٣ وانظر ايضا ص ٨١ - ٨٣

٣ـ كيف السبيل للتخلص من العلمانية وآثارها ؟

= = = = = = = = = = = = = = = = = = = =

اتضح لنا مما سبق فى الفصول الماضية مايلى :ـ

١ـ أن العلمانية مذهب فكرى وعطى مستورد من الغرب ، نشأ لظروف وملابسات ـ عوامل ـ وأن هذه العوامل هى من نوع التفسير لما حدث .

٢ـ انتقلت الفكرة العلمانية من الغرب الى العالم الاسلامى ووجدت عوامل ساعدت على تقبل المسلمين أفراداً أو احزابا وحكومات لهذا المذهب تمثلت فى ـ الانحراف الذاتى ، والمفكرون الأوائل الذين كان لهم أثر فى نقل العلمانية عن طريق الافكار التى تأثروا بها ، والمفكرون المستغربون ، والنصارى فى العالم الاسلامى ، والمخططات الصليبية واليهودية ، وأن هذه العوامل هى أيضا من نوع التفسير لما حدث فقط .

٣ـ أنه لا يوجد مبرر منطقى ولا تاريخى مقبول لاعتناق العلمانية كمذهب للافراد أو الاحزاب او الحكومات فى العالم الاسلامى .

٤ـ أن اعتناق العلمانية كمذهب فكرى للافراد او الاحزاب ومذهب للتطبيق فى الدول هو من اتباع الاهواء . واتباع الاهواء هو اتباع لغير شرع الله واتباع غير شرع الله كفر .

وبناء على ذلك فان السبيل الى التخلص من العلمانية وأثرها فى العالم الاسلامى يتمثل فى الآتى :ـ

١ - أن يقوم علماء الشرع الحنيف ومفكرو المسلمين بمحاربة كل انحراف عن العقيدة الصحيحة ، سواء أكان انحرافاً في فهم الالوهية - الطاعة والاتباع ، والعبادة - او انحرافاً في فهم معنى الايمان بالقدر أو فهم معنى التوكل .

ذلك ان الانحراف في فهم معني الالوهية ، بالانحراف في مفهوم الطاعة والاتباع يؤدى الى أن يصرف الناس هذا النوع من العبادة أو جزءاً منه الى الحكام والعلماء ، أو مشايخ الطرق الصوفية ، وهذا الذى ضل بسببه كثير من أجيال المسلمين المتأخرة .

كما أن الانحراف في فهم معنى العبادة بالمعنى الشامل لها ، يؤدى الى أن يصرف نوع من انواعها لغير الله ، كالاضرحه والقبور التى يعتبر فيها احد الاولياء او الصالحين او من يدّعى له ذلك ، وهذا ما اغرى المتقين بالثقافة الغربية المتأثرين بها الى ان يدعوا الى العلمانية زعماً منهم ان هذا هو الاسلام .

كما أن الانحراف في فهم معنى الايمان بالقدر ، وفهم معنى التوكل يترك العمل بالاسباب ، يدعوى ان ماقدر سيحصل ولو عطل الانسان السبب أغرى المثقفين بالثقافة الغربية بالدعوة الى العلمانية ، زعما منهم أن هذا الواقع الاسلامى المنحرف ، هو مايدعوا اليه الاسلام .

وكل ماسبق ساعد على تهيوء المسلمين لتقبل العلمانية كما سبق ان أوضحت ذلك .

٢- ان يقوم علماء المسلمين ومفكروهم ببيان خطأ الافكار التى دعا اليها - عن حسن نية - بعض المفكرين الاوائل الذين نشأوا فى اوائل عهد الاتصال بالغرب ، فى عهد كان المسلمون قد وصلوا فيه الى مستوى فكرى مترد ساعد على تقبلهم لهذه الافكار . وكذا بيان خطأ الافكار التى دعا اليها المستغربون من المسلمين ومخالفتها للاسلام حتى يحذر ابناء المسلمين من هذه الافكار التى تتضمنها كتبهم .

٣- ان يقوم علماء المسلمين ومفكروهم ببيان دور النصارى فى بلاد المسلمين فى نقل الفكر العلمانى الى العالم الاسلامى ، حتى يحذر ابناء المسلمين من كتابات وابحاث النصارى فى العالم الاسلامى .

٤- أن يقوم علماء المسلمين ومفكروهم ببيان دور قوى الاحتلال فى نقل تطبيقات الفكر العلمانى الى العالم الاسلامى المتمثلة فى سن القوانيين المخالفة للاسلام فى حياة الفرد والاسرة والمجتمع والدولة ، وان يقوموا برحض الافكار والمفاهيم التى يشيعها المبشرون والمستشرقون فى ابحاثهم وكتاباتهم عن الاسلام ورسوله والتى تتركز فى ادعاء عدم صلاحية الشريعة الاسلامية للتطبيق فى هذا العصر ، ومن ثم الدعوة الى اتخاذ قوانين مما يسنه البشر لتحل محل الشريعة الاسلامية أو الادعاء بان ليس هناك رابط بين الدين والحياة ، فالدين - كما هو المفهوم الغربى - عبارة عن صلة بين العبد وربه فى الكنيسة ، ثم لا علاقة له بشئون الحياة ولا هيمنه له عليها ،

ولذا فيجب أن يبحث المسلمون عن قوانين يسيرون بها حياتهم اما من تجارب الامم المتقدمة !! أو من اجتهاداتهم أو منهما معا ،وبذا يتنبه المسلمون لخطورة هذه الافكار على مجتمعاتهم .

٥- أن تعود حكومات العالم الاسلامى الى رشدها باتخاذ شريعة الله لها منهجا وتظاما ونبذ جميع الافكار والقوانين والتشريعات المخالفة للاسلام، اذ لا يصح ان تحكم بلاد المسلمين فى كافة شئونها بغير شرع الله الذى شرعه لنا فى القرآن والسنة وامرنا باتباعه ونهانا عن اتباع الهوى - والعلمانية من الهوى - قال تعالى " وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهوائهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون . افحكم الجاهليه يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون " . المائدة : ٤٩ ، ٥٠ .

تلك فى نظرى أهم السبل العامه للتخلص من آثار العلمانية فى العالم الاسلامى ، خاصة السبيل الخامس ذلك " لان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن " . كما قال عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فاذا وجد سلطان يحكم شرع الله فى كافة شئون الحياة سارت حياة الافراد والمجتمع سعيدة هنيئة مباركة .

ولكن هناك سبلاً خاصة تتعلق بالتربية والتعليم فما هى هذه السبل ؟ .

قبل أن نعرف ذلك أود أن اوضح ان الغاية الاساسية التى تسعى اليها التربية الاسلامية تتمثل فى اعداد الانسان الصالح ، بخلاف المناهج التربوية غير الاسلامية شرقية كانت ام غربية فهى تسعى لاعداد المواطن الصالح على اختلاف كبير فى مواصفات هذا المواطن ، "فبعضها يرى ان المواطن الصالح هو من يقدس العمل والانتاج ، وتقاس قيمته ومواطنيته بقدر مايعمل" .

وبعضها يرى ان المواطن الصالح هو من يكفر بالله ويقدس الحزب الحاكم فاذا كان بعكس ذلك اصبح مجرماً لا يستحق صفة المواطنة الصالحة .

وبعضها يرى ان المواطن الصالح هو من يتعصب لجنسه واصله فيرى غيره عرقاً دونه لا يستحق صفة المواطنية " (١)

لكن ماهى صفات الانسان الصالح الذى تسعى التربية الاسلامية لاعداده ؟ "لقد حددت سورة العصر صفات الانسان الصالح فى الاتى .

١- انه انسان مؤمن بالعقيدة الاسلامية وليس متبعا للاهواء .

٢- أن ايمانه يتجسد فى عمل الصالحات وهو تعبير قرآنى يعنى كل مايصلح به حال الفرد والجماعة ويصلح به الدين والدنيا .

---

(١) معالم فى التربية : ١٤٣ بتصرف .

٣ـ انه يسعى الى مد شعاع الحق الذى آمن به فى المجتمع والدعوة اليه وهذا هو معنى التواصى بالحق .

٤ـ انه مستعد ان يحمل مع اهل الحق باعباء التواصى به صابرا على البلاء موصيا بذلك وقابلا للتوصية به وهذا معنى التواصى بالصبر"(١).

اما السبل الخاصة المتعلقة بالتربية والتعليم فإنى اكتفى هنا بذكر بعض السبل .

١ـ يجب أن تتضمن مناهج التعليم تعميق روح الولاء للاسلام ،بالبراءة من كل نظام أو مبدأ يخالف الاسلام ،وذلك كما تضمن عدم انتشار امثال المذاهب التربوية المخالفة للاسلام كالمذهب البراجماسى والمذهب الوضعى المنطقى وغيرها من المذاهب ، وكالدعوة الى جعل الولاء للوطن او القومية ، او الدعوة الى اعتناق واتخاذ الاشتراكية ، او الرأسمالية او الديمقراطية أنظمة للدولة اقتصاديا وسياسيا وغير ذلك من الافكار التى تموج بها الساحة الفكرية والعقيدة ، وقد تضمنت السياسة التعليمية للملكة العربية السعودية النص على هذا فى المادة التاسعة والعشرين .

---

(١) الحل الاسلامى فريضه وضرورة : ٥٧ بتصرف .

٢-بناء المناهج فى المراحل كلها وفى شتى المواد ، بحيث تعزز التصور الاسلامى للكون والانسان والحياة ، وتوضيح دور الانسان المسلم فى هذه الارض ، وتنقيتها من كل الافكار ال " لادينيه " التى تتضمنتها هذه المناهج ، كالدعوة الى اعتناق المذاهب الفلسفية التربويه كالمذهب البراجماسى ، والمذهب الوضعى المنطقى فى التعليم الجامعى . او الدعوه الى الوطنيه والقوميه والاشتراكية والديمقراطية وغيرها من الافكار فى مراحل التعليم العام والجامعى . وتوجيه عناية خاصة الى العلوم الانسانية التى تتضمن من الافكار المخالفة للتصور الاسلامى الشئ الكثير بحيث يهيمن عليها التصور الاسلامى ، وتأليف الكتب لذلك بحيث تغرس فى انفس الناشئة العلم والايمان معا .

٣-اعادة كتابة العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية (البحته والتطبيقية) بخاصة ، بحيث تصاغ صياغة موافقة للعقيدة الاسلامية ، وذلك حتى يتعمق فى الناشئة الوجدان الدينى الذى يشعرهم بعظمة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته المعجزة ، ومن ثم يتحقق فى الناشئة المتعلمة قوله تعالى " انما يخشى الله من عباده العلماء " وتزول بذلك تلك الفرقة المصطنعة بين الدراسات الشرعية من ناحية والعلوم البحته من ناحية اخرى تلك التى سرت عدواها الى المسلمين من اتخاذ المناهج ال " لادينيه " فى تدريس

تلك العلوم بمعزل عن الدين ، ولابد من التنبه الى ضرورة الفصل بين الحقائق النهائية - وليس فيها مايخالف العقيدة الاسلامية - وبين الفروض او النظريات العلمية التى لم تثبت نهائيا ، وكمثال على ذلك فرضية التطور المتعلقة بخلق الانسان ، والتى مر مناقشة أفكارها .

والتنبه كذلك الى الفرق بين حقائق العلم ، والفلسفات العقديه والفكرية التى توجهه كما وضح ذلك فيما نقلته عن المودودى عند الحديث عن مقررات العلوم فى المملكة العربية السعودية .

وقد تضمنت سياسة التعليم فى المملكة العربية السعودية التأكيد على هذا فى المواد الثانية عشرة ، والثالثة عشر ، والرابعة عشرة " (١)

كما تبنى ذلك ودعا اليه المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى فى قراراته وتوصياته التى صدرت عنه " (٢)

---

(١) انظر كتاب تاريخ التعليم فى مكة (ملحق سياسة التعليم فى المملكة العربية السعودية) : ٣١٥ .

(٢) كتاب المؤتمر : ٩٥ ،٩٦ ، ١٢١ ، ١٣٦ ، ١٣٨ .

٤- اعداد المعلم الصالح ، والمعلم الصالح هو الانسان الملتزم بالاسلام عقيده وسلوكا اذ هو الذى يستطيع تحويل المنهج والكتاب الصالحين الى واقع ملموس . ويكون قدوة عملية لطلابه . وقد تضمنت السياسة التعليمية للملكة العربية السعودية تبنى ذلك والتأكيد عليه فى المواد الثالثة والستين بعد المائة ، والرابعة والستين بعد المائة ، والخامسة والتسعين بعد المائة " (١) كما تبنى ذلك ودعا اليه المؤتمرون فى المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى فى توصياته وقراراته . (٢)

٥- اعطاء المواد الشرعية نصيبها المناسب لمكانها وقيمتها واهميتها فى حياة الانسان والانسان المسلم على الاخص من الخطة التعليمية اقول ذلك لاننا عرفنا من استعراض نصيب المواد الشرعية فيما سبق من البحث ان نصيبها هو من اقل الانصبة فى خطط الدراسة فى كافة انحاء العالم الاسلامى ماعدا المملكة العربية السعودية . ذلك لان المواد الشرعية تتضمن المنهج الذى يجب على المسلم سلوكه .

ومن المؤسف حقا ان يعتنى اليهود وهم أهل ديانة محرفة بتعليم التلاميذ فى المدارس والجامعات الدين فى الوقت الذى تكون فيه انصبة مواد الدين فى اكثر البلاد الاسلامية ضئيلا .

---

(١) انظر كتاب تاريخ التعليم فى مكة المكرمة : ٣٣٧ ، ٣٤٢ .

(٢) انظر كتاب المؤتمر : ٩٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤٩ .

يقول رود ريك ماثيوز ورفيقه :

" ان أهم مايسترعي الانظار في المدارس الاسرائيليه في فلسطين أن لغة الدراسة في كافة المواد هي العبرية ، فيما عدا اللغات الانجليزية والفرنسية والعربية والعناية شديدة في جميع مراحل التعليم بالدراسة الدينية وجعل التعليم الديني أساس الصهيونيه ونُعَمّمها " (١)

و" جاء في مقال " التعليم العالي في اسرائيل في مجلة فلسطين مقتبسا من الدراسة التي قدمتها دائرة البحوث والدراسات في الهيئة العليا لفلسطين مايلي : " ان سياسة التعليم العالي تهدف الى تنمية العقيدة اليهودية والولاء لها ، بالاضافة الى الدعاية لاسرائيل وكسب الاصدقاء " (٢)

وقد تضمنت السياسة التعليمية للمملكة العربية السعودية تبني ذلك والتأكيد عليه في المادة الحادية عشر من السياسة " . (٣)

كما اوصى المؤتمر العالمي للتعليم الاسلامي بالعناية بالثقافة الاسلامية في جميع مراحل التعليم وفي جميع انواعه المدنيه والعسكرية " (٤)

---

(١) التربية في الشرق الاوسط العربي : ٣٥٤ .

(٢) نحو التربية الاسلامية الحره : ٧٧ .

(٣) تاريخ التعليم في مكة المكرمة : ٣١٤ ، ٣١٥ .   (٤) كتاب المؤتمر: ٩٤ .

ولا ريب ان اهمال تدريس العلوم الشرعية أثر من اثار العلمانيـــة ومظهر من مظاهرها .

٦- ازالة الانفصال بين الواقع الاسلامي الذى تعيشه الامة الاسلاميــــة وبين ماتتضمنه مقررات العلوم الشرعية من احكام تتعلق بالحياة الاجتماعية او الاقتصادية وغيرها ، يخالفها الواقع المطبق فى العالم الاسلامـــى وكمثال على ذلك يدرس الطلاب فى مقررات العلوم الشرعية حرمة الربا وانـــه من الكبائر ، وتنتشر فى واقع المسلمين المصارف الربويه . ولا يزال الانفصـــام الا بالعودة الى تحكيم شريعة الله فى كافة شئون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية ، وعندها يكون الدراسة العلوم الشرعية معنى وفائدة . اذ ما الفائدة من كثرة حصص المواد الشرعية والواقع يخالف مايدرسه الطـلاب فى هذه المقررات .

٧- الغاء التعليم المختلط الذى يعد اثراً من آثار العلمانيه ومظهراً من مظاهرها وذلك لان الاختلاط كما اوضحت محرم شرعاً فى التعليم والعمـــل ولان الامم التى طبقت لاختلاط فى التعليم والعمل بدأت تعانى من نتائـــج ذلك فساداً فى الاخلاق وتشرداً للاجيال الناشئة وهبوطاً منها الــــى الاجرام والشذوذ وهذا أمر تأباه شريعة الاسلام وتنفر منه الفطر السويه ، لـذا فلابد من أن يكون تعليم البنات مستقلاً تماماً عن تعليم البنين حتى فـــى الاشراف بحيث يكون الاشراف على التعليم النسوى خاضعا لادارة مستقلـــة

كما هو الشأن فى المملكة العربية السعودية كما يجب أن تكون مناهج التعليم للبنين والبنات بما يوافق التخصصات الوظيفية الفطرية التى خص الله بها كلاً من الذكر والانثى ، وقد سبق ان نقلت نصين للدكتور الكسيس كاريل عن الفروق بين المرأة والرجل التى ينبغى ان تلاحظ فى التعليم والعمل .

" وقد ادرك رجال التربية المسلمون اهمية الفصل بين الجنسين فأكدوا عليه . فهذا الامام سحنون يقول : " واكره للمعلم أن يعلم الجوارى ويخلطهن مع الغلمان لان ذلك فساد لهم " وهو رأى يدعمه القابسى بقوله : ومن صلاحهم (اى طلبة العلم) ومن حسن النظر لهم ، الا يخلط بين الذكران والاناث [(١)]

هذا بالاضافة الى ان بعض الامم التى سبقتنا فى تطبيق النظام المختلط قد بدأت تنشىء مدارس غير مختلطة وجامعات غير مختلطة ومن ضمن هذه البلاد امريكا كما سبق ان ذكرت عند الحديث عن الاختلاط .

وقد تبنت السياسة التعليمية للمملكة هذا واكدت عليه فى المواد : تسعه ، ومائه وثلاثة وخمسين ، ومائة واربعة وخمسين ، ومائة وخمسة وخمسين ، ومائة وستة وخمسين . كما تبنى ذلك ودعا اليه المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى [(٢)]

---

(١) التربية فى السنة النبوية : ٨٣ .

(٢) تاريخ التعليم فى مكة المكرمة : ٣١٥ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

٨ـ قصر البعثات الى خارج البلاد الاسلامية على مابعد المرحلة الجامعية وللتخصصات النادرة نظراً للاثار السيئة التى تحدثها الاقامة فى بلاد غير اسلامية على الشباب المسلم المبتعث فى سن المراهقة ،فكريا وسلوكيا ذلك أن احد المعابر التى عبر منها الفكر الغربى ـ والفكر التربوى والتعليمى منه بخاصة ـ الى العالم الاسلامى ،وأثر فى افكار المسلمين ونظمهم ، هم بعض المبتعثين الذين تأثروا بالفكر الغربى ويكفى ان نذكر بعض اوائل المفكرين الذين تأثروا تأثراً بالغاً بالفكر الغربى ، يشهد بذلك ماسطروه من افكار فى كتبهم لا عهد للمسلمين بها ،من امثال قاسم امين ، وعلى عبد الرازق ، واحمد فتحى زغلول ،وطه حسين وغيرهم ؛ (١)

ويجب ان يكون الابتعاث اجراءاً موقتا لا اجراءاً دائما مستمراً وقد تنبه المؤتمرون فى المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى الى خطورة الابتعاث نصوا ضمن احدى توصياتهم على قصر الابتعاث على الدراسات العليا للتخصصات النادرة .

---

(١) انظر لبيان اثر البعثات على فكر المبتعثين وسلوكهم وعقيدتهم كتاب : الفكر العربى فى مائة سنه : ٤٦ ،٤٧ . وكتاب وجهة الاسلام : ١٨٩ـ ١٩١ ، وكتاب الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة : ٢٧٥ .

٩- عدم السماح بفتح مدارس أو جامعات غير اسلامية فى بلاد المسلمين وذلك لأنه كان ومازال للمدارس والجامعات الاجنبية آثار سيئة على الدارسين فيها وعلى المجتمع الذى تكون فيه فكراً وعقيدة ، ويكفى ان نذكر ان المدارس الاجنبية كان لها اثر فى :

١- نشوء القومية العربية ، باعتراف المؤرخين لذلك ، والنصارى العرب منهم خاصة . (١)

٢- فى اضعاف عقيدة الولاء والبراء التى تجعل المسلم يعتز بدينه ولا يرضخ لكافراً ويفضله على مسلم ، وفى اعطاء بعض الدارسين الذين تأثروا بمناهج هذه المدارس الفكرية والعقيدة ولاءهم للغرب . (٢)

٣- اضافة الى اثرها فى اضعاف اللغة العربية (٣)

وقد تنبه الى خطر المدارس الاجنبية المؤتمرون فى المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى فنصوا فى احدى توصياتهم الى الدعوة الى عدم السماح بوجود المدارس التبشيريه والمشبوهة التى تعمل على ابعاد المسلمين عن دينهم . (٤)

---

(١) انظر لبيان اثر المدارس الاجنبية فى نشوء القومية العربية كتاب محاضرات عن القومية العربية : ٢٩ . وكتاب حصوننا مهددة : ٣٦٧ .

(٢) انظر فى بيان هذا قول اللورد لويد فى كتاب الاتجاهات الوطنية : ٢/ ٢٨٥ ، ٢٨٧ .

(٣) انظر فى بيان هذا كتاب تاريخ التعليم الاجنبى فى مصر : ١٩ ، ٢٠ ، ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٤) انظر فى هذا كتاب المؤتمر : ١٢٩ .

١٠- ان تتضمن مناهج ومقررات كليات التربية دراسة موسعة لنظرة الاسلام الى الكون والانسان والحياة ودور الانسان فى هذه الحياة ، ودراسة موسعة لفلسفة الاسلام التربوية مستخرجة من نصوص القرآن والسنة وفقه علماء الامة لهما . ذلك لان التعليم انما قصد به اعداد الانسان الصالح الذى يسعى لان ينشر الحق والخير فى اكبر قدر ممكن من البشر وهذا يتحقق مايريده الاسلام من اعداد الانسان الصالح ، لا الانسان الوطنى او القومى او الديمقراطى ، ام الاشتراكى او الليبرالى - المتحرر - .

١١- ان تتضمن مناهج كليات التربية دراسة المذاهب الفلسفية التربوية الغربية دراسة نقدية فاحصة على ضوء نظرة الاسلام الى الكون والانسان والحياة بحيث يتخرج المتخصصون فى التربية بفروعها المختلفة وقد تفهموا هذه المذاهب على حقيقتها فى نظرتها الى الانسان والكون والحياة ، وهذا يتمكن المسلمون من الاطمئنان الى أنه لن يوجد من يعتنق هذه المذاهب والنظريات ويتافح عنها ويدعوا اليها فى العالم الاسلامى كما هو الحال الان .

ولن يمكن تحقيق ماذكرت الايات تتبناه الحكومات فى العالم الاسلامى ولن يكون ذلك الا بالعودة الى اتخاذ الاسلام منهجا للحياة فى المجتمع .

هذا واكتفى بما ذكرت من السبل ، وأقف عند هذا الحد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .


المراجع

قائمة المراجع (*)

أولا : المراجع العربية

١- كتب التفسير:

١- الطبرى، ابو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آى القرآن الجزئين الثانسي والثلاثون ، مكتبه ومطبعة مصطفى البابى الحلبي واولاده ، القاهره ط٣/١٣٨٨هـ .

٢- ابن كثير، عماد الدين ابوالفداء اسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، الاجزاء الاول والثالث، والرابع والخامس ، والسادس والثامن ، دار الشعب القاهره (د.ت) حققه عبدالعزيز غنيم محمد احمد عاشور ، محمد ابراهيم البنا .

٢- كتب الحديث :

١- البخارى ، محمد بن اسماعيل ، صحيح البخارى ، الجزئين السادس والثامن ، المكتبة الاسلامية باستانبول ، ط١٩٧٩م.

٢- البيهقي ، ابو بكر احمد بن الحسين بن على ، كتاب السنن الكبرى ، دار صادر بيروت مصورة عن مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند حيدر آباد الدكن الجزء الثالث ط١/١٣٤٧هـ الجزء التاسع ط١/١٣٥٦هـ.

(*) اثبتت المراجع على اساس اسم المولف ، بذكر الاسم الاخير من اسم المولف ثم الاسم الاول ثم الثاني وهكذا ، الا اذا كان المولف مشهورا باسمه الاول فاذكره تحت اسمه الاول فمثلا ، احمد امين ، سيد قطب ، يكونان في حروف الالف ، والسين وقد اكتفيت بذكر اسماء الكتب التى نقلت عنها نصين فاكثر، اما مانقلت عنه نصا واحدا فقط فلم ادرجه في هذه القائمة ، وكذا ما اشرت اليه فقط ، ماعدا المراجع الاجنبيه فقد ذكرتها . كذلك لم ادرج في هذه القائمة اسماء المجلات والصحف .

٣- الترمذى ، ابوعيسى محمد بن عيسى بن سوره : الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى الجزء الثانى الجزء الثاني المكتبة الاسلامية - القاهره الجزء (د ٠ت) تحقيق وتخريج احمد محمد شاكر الجزء الثالث ، المكتبة الاسلامية - القاهره (د ٠ ت) تحقيق وتخريج وتعليق محمد فـــؤاد عبد الباقى .

٤- الحاكم النيسابورى ، محمد بن عبد الله : المستدرك على الصحيحين مكتبة النصر الحديثه الرياض مصورة عن طبعة مطبعة دائرة المعـــارف العثمانية بالهند ، حيدر آباد الدكن ط ١٣٤٤ ويذيله تلخيص المستدرك للذهبى .

٥- ابن حنبل ، ابو عبد الله احمـــد بن محمد : مسند الامام احمد ، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، الاجزاء الاول والثاني والرابع والخامس والسادس ، المكتب الاسلامي بيروت، ط ٢ / ١٣٩٨هـ

٦- ابن ماجه ، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني : سنن ابن ماجه ، مطبعه عيسى البابى الحلبـــى وشركاه القاهره (د ٠ت) حقق نصوصه ورقم كتبـــه وابوابه واحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي

٧- مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى : صحيح مسلم ، الجزئين الثالث والرابع ، دار احياء الكتب العربية ، القاهره (د ٠ت) حقق نصوصـــه وصححه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقى .

٣- الكتب العامه :

١- ابراهيم ، عبد اللطيف فؤاد : موشد تعرين المدرس ، مكتبة مصر ، القاهره ط ٢ / ١٩٧٢م

٢- ———— : المناهج اسسها وتنظيمها وتقويم اثرها ، مكتبـــة مصر ، القاهره ط ٤ / ٧٥ / ١٩٧٦م

٣- ———— : المواد الاجتماعية ، وتدريسها الناجح ، مكتبـــة النهضة المصريه ، القاهره ط ٢ / ١٩٧٤م

واحمد ، سعد مرسى

٤- ابن الاثير ، ابى الحسن على بن ابى الكرم محمد بن محمد الشيبانى . : الكامل فى التاريخ ، دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ

٥- احمد جمال : مفتريات على الاسلام ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ط ١ / ١٣٩٢ هـ .

٦- احمد ، سعد مرسى . على ، سعيد اسماعيل : تاريخ التربية والتعليم ، عالم الكتب القاهره ط / ١٩٧٤م .

٧- احمد ، سفربن عبد الرحمن : العلمانية وآثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة ، رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص الاولى "الماجستير" في العقيدة من كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز فرع مكة عام ٩٨ / ١٣٩٩هـ بإشراف الاستاذ محمد قطب .

٨- احمد ، لطفى بركات : فلسفة الوضعيه المنطقية والتربية . . . ، دار النهضة العربية ، القاهرة ط / ١٩٦٧م .

٩- احمد ، نازلى صالح : حول التعليم الابتدائي ونظمه ، دراسات مقارنة ، مكتبة الانجلو المصريه القاهره ط / ١٩٧٣م .

١٠- الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية : حلقة اعداد المعلم العربى ، المنعقدة ببيروت عام ١٩٥٧م ، مطبعة [illegible] لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهره (د . ت)

١١- آرنولد ، توماس : الدعوة الى الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهره ط ٣ / ١٩٧٠م .

١٢- الأميرى ، محمد وفا : آيات الله تعالى ، الجزء الثانى ، دار الرضوان حلب (د . ت)

١٣- انطونيوس ، جورج : يقظه العرب (تاريخ حركة العرب القومية) دار العلم للملايين بيروت ط ٤ / ١٩٧٤م ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس

١٤- الانصارى ، محمد جابر : تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي (١٩٣٠-١٩٧٠) ضمن سلسلة عالم المعرفة الصادرة عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب بالكويت رقم (٢٥) مطابع الانباء ، الكويت ط ١ / ١٩٨٠م .

١٥- برنتين ، كرين : افكار ورجال (قصة الفكر الغربي) مكتبة الانجلو المصرية القاهره ، ط ١٩٦٥م ، توجمة محمود محمود .

١٦- البهى ، محمد : العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق (ملحق مجلة الفكر الاسلامي) (د . م . ت . ن)

١٧- ———— : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، مكتبة وهبه ، القاهره ط ٤ (د . ت)

١٨- تشيس ، ستيوارت : الانسان والعلاقات البشريه ، مكتبة مصر القاهرة ط ١٩٥٥ ترجمة احمد حموده .

١٩- التل ، احمد يوسف : تطور نظام التعليم في الاردن (١٩٢١-١٩٧٧) ط ١٩٧٨م (د . م . ن)

٢٠- " ، عبدالله : جذور البلاء ، دار الارشاد ، بيروت ط ١/ ١٣٩١هـ

٢١- التوم ، بشير حاج : تأصيل تربية المعلم ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة ط ١/ ١٤٠١هـ .

٢٢- التونسي ، خير الدين : اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، مطبعة الدولة بتونس ط ١/ ١٢٨٥هـ .

٢٣- التونسي ، محمد خليفة "مترجم" : الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون) (د . م . ن . ت)

٢٤- ابن تيميه ، احمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام : العبوديه ، المكتب الاسلامي ، بيروت ط ٤/ ١٣٩٧هـ

٢٥- ———— : الواسطة بين الخلق والحق ، مطبعة الامام القاهره ط ٢/ ١٣٧٦هـ .

٢٦- جب ، هاملتون : دراسات في حضارة الاسلام ، دار العلم للملايين بيروت ، ط ٢/ ١٩٧٤م ترجمة احسان عباس ، محمد يوسف نجم ، محمود زايد .

٢٧- ———— : وجهة الاسلام ، المطبعة الاسلامية بالقاهره ط ١ ترجمة محمد عبدالهادي ابوريده (د . ت)

٢٨- الجبرتي ، عبدالرحمن بن حسن : عجائب الاثار في التراجم والاخبار ، دار الجيل بيروت الجزء الاول ط ٢/ ١٩٧٨م .

٢٩- جريشه ،علي . الزيبق ،محمد شريف : اساليب الغزو الفكرى ، دار الاعتصام القاهـــره ط١/١٣٩٧هـ .

٣٠- الجندى ،انور : التربية وبناء الاجيال فى ضوء الاسلام ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ط١/١٩٧٥م.

٣١- ———— : الفصحى لغة القرآن ، دار الكتاب اللبنانى بيروت (د.ت)

٣٢- جولد تسهير ، اجنتس : العقيدة والشريعة ، دار الكتب الحديثة القاهره ط٢ (د.ت) ترجمة محمد يوسف موسى وعلى حســن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق .

٣٣- جيلفورد ،ج . ب (إشراف) : ميادين علم النفس النظريه والتطبيقيه ، المجلــد الاول " الميادين النظرية" دار المعارف بمصــر ، القاهره ط٢/١٩٦٢م ترجمة احمد زكي صالـــح وآخرون باشراف يوسف مراد .

٣٤- حسون ، على : تاريخ الدولة العثمانية ، المكتب الاسلامي ، بيروت ط١/١٤٠٠هـ .

٣٥- الحصرى ،ساطع : البلاد العربية والدولة العثمانية ، محاضـــرات القاها على طلاب معهد الدراسات العربية العاليه مطبعة الرسالة القاهره ط/١٩٥٧م

٣٦- ———— : حولية الثقافة العربية ، طبعت على نفقة الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية .
" وليه الاولى : ١٩٤٩/٤٨ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهره ، ط ١٣٦٩هـ
الحوليه الثانيه : ١٩٥١/٥٠م دار الرياض للطبع والنشر القاهره (د.ت)
الحوليه الثالثه : ١٩٥٢/٥١م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهره ، ط ١٩٥٣م .
الحوليه الرابعه : ١٩٥٣/٥٢م مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهره (د.ت)
الحوليه الخامسه : ٥٣/٥٤، ٥٥، ١٩٥٦/٥٥م مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة (د.ت)

٣٧- الحويك ، الياس طنوس : تاريخ نابليون الاول ، مكتبة زيدان العموميه القاهره ط/ ١٩٣١م .

٣٨- خالدى ، مصطفى ، فروخ ، عمر : التبشير والاستعمار ، المكتبة المصرية صيدا ، بيروت ط٤/ ١٣٩٠هـ

٣٩- خان ، وحيد الدين : الدين في مواجهة العلم ، دار الاعتصام ، القاهره ط١/ ١٣٩٢هـ .

٤٠- ــــــــــــ : المسلمون بين الماضي والحاضر والمستقبل ، المختار الاسلامي القاهره ط١/ ١٩٧٨م .

٤١- خلف الله ، محمد احمد "جمع" : الثقافة الاسلامية والحياة المعاصره ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهره ط٢/ ١٩٦٢م .

٤٢- خليل ، عماد الدين : تهافت العلمانية ، موسسة الرسالة ، بيروت ط١/ ١٣٩٥هـ .

٤٣- " " " " : مأساتنا في افريقيا ، موسسة الرسالة ، بيروت ط١/ ١٩٧٨م .

٤٤- دوس ، جيمس . س : الاسس العامه لنظريات التربية ، مكتبة النهضة المصريه القاهره (د .ت) ترجمة صالح عبد العزيز محمد السيد غلاب .

٤٥- دروزة ، محمد عزة : القرآن والمبشرون ، المكتب الاسلامي بيروت ط٢/ ١٣٩٢هـ

٤٦- الديب ، فتحي . عميرة ، ابراهيم بسيوني : تدريس العلوم والتربية العمليه ، دار المعارف القاهره ط٢/ ١٩٧٠م .

٤٧- [illegible] ، [illegible] ديورانت ، ول : قصة الحضارة ، واختارته وانفقت على ترجمتة الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، الاجزاء الثاني والحادى عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر (د .م .ت .ن)

٤٨- راندال ، جون هرمان : تكوين العقل الحديث ، دار الثقافة ، بيروت الجزء الثاني ط٢/ ١٩٦٦م ترجمة جورج طعمه ، مراجعة برهان دجاني .

٤٩- الرافعي ، عبد الرحمن : مصطفى كامل " باعث الحركة الوطنيه " مطبعة الشرق القاهره ، ط١/ ١٣٥٧هـ .

٥٠- الرافعي ، مصطفى صادق : وحي القلم ، الجزء الثالث، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهره (د ت) .

٥١- رحمة الله خليل الرحمن الهندى : اظهار الحق ، الجزء الاول ، مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء (د ت) تعليق عمر الدسوقي .

٥٢- رسل ، برتراند : اثر العلم في المجتمع ، مكتبة نهضة مصر، القاهرة (د ت) ترجمة تمام حسان .

٥٣- رضا ، محمد رشيد : تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، مطبعة المنار، القاهرة ، الجزء الاول ، ط١/١٣٥٠هـ

٥٤- رمضان ، محمد مصطفى : الشعوبيه الجديدة (د ن) بيروت ط١/١٣٨٩هـ

٥٥- رو ، جان بول : الاسلام في الغرب ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر (د م) ط١/١٩٦٠م ترجمة نجده هاجر .

٥٦- الزركلي ، خير الدين : الاعلام ، دار العلم للملايين بيروت ط٤/١٩٧٩م

٥٧- ابوزهره ، محمد : محاضرات في النصرانيه ، دار الفكر العربي القاهره ط٥/١٣٩٧هـ .

٥٨- سلطان ، محمود السيد : بحوث في التربية الاسلامية ، موسسة على جراح الصباح ، الكويت ط/١٩٧٨م.

٥٩- ~~سليمان ، منير عطا الله~~ لبيب ، رشدي ، شفشق ، محمود عبدالرازق : تاريخ ونظام التعليم في مصر ، مكتبة الانجلو المصريه القاهره ، ط٣/١٩٧٢

٦٠- السمان ، محمد عبدالله : مفتريات اليونسكو على الاسلام ، المختار الاسلامي ، القاهره ط١/١٣٩٦هـ

٦١- سهيل ، اصلاح : حين ينزف الافق ، مطبوعات نادى الطائف الادبي (د م) ط/١٣٩٩هـ

٦٢- شابلى ، هارلو ، رايوت ، صمويل ، رايت هطين : العلم اسراره وخفاياه الجزء الثالث ، مكتبة غريب القاهره ط/١٩٧١ ترجمة محمد صابر سليم ، محمد جمال الدين الفندى ، مصطفى عبدالعزيز

٦٣- شاتليه ، ا . ل : الغارة على العالم الاسلامي ، الدار السعودية للنشر جده ط٢/١٣٨٧هـ ترجمة مساعد اليافي ، محب الدين الخطيب .

٦٤- شاخت ،جوزيف . بوزورث، كليفورد ادمون : تراث الاسلام ، القسم الثاني من سلسلة عالم المعرفة الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت العدد (١١) ترجمة حسين مؤنس ، احسان صدقي العميد

٦٥- الشحلت ،علي احمد : نظرية التطور بين العلم والدين ، مؤسسة الخانجي القاهره (د.ت)

٦٦- شقفه ، محمد فهر : التصوف بين الحق والخلق (د.م.ن) ط٢/ ١٣٩١هـ

٦٧- شلبي ، احمد : المسيحيه - ضمن سلسلة مقارنة الاديان رقم "٢" مكتبة النهضة المصريه القاهره ط٤/ ١٩٧٣م

٦٨- شلبي ،احمد وآخرون : الازهر تاريخه وتطوره ، دار ومطابع الشعب القاهره ط/ ١٣٨٣هـ.

٦٩- ال الشيخ ، عبدالرحمن بن حسن : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، مطبعة السنة المحمديه ،القاهره ، ط٧/ ١٣٧٧هـ .

٧٠- صالح العبود : فكرة القوميه العربيه على ضوء الاسلام ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة من كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز فرع مكه لعام ٩٧/ ١٣٩٨هـ باشراف الاستاذ محمد قطب .

٧١- صروف ، فؤاد "محرر" : الفكر العربي في مائة سنه ، مؤتمر هيئة الدراسات العربية المنعقد في تشرين الثاني ١٩٦٦م في الجامعة الامريكية في بيروت مطابع الدار الشرقية للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٧م.

٧٢- صليبيا ، جميل : مستقبل التربية في العالم العربي ،منشورات عويدات بيروت ط٢/ ١٩٦٧م .

٧٣- الصواف،محمد محمود : المخططات الاستعماريه لمكافحه الاسلام . (د.م.ت.ن) .

٧٤- طه حسين : مستقبل الثقافة في مصر ، مطبعة المعارف ومكتبتها القاهره (د.ت)

٧٥- الطهطاوي ، رفاعة رافع : المرشد الامين للبنات والبنين ، مطبعة المدارس الملكية القاهره ١٢٨٩هـ .

٧٦- ـــــــــــــــــــ : مناهج الالباب المصريه ، (د.م.ن) ط ١٢٨٦هـ

٧٧- الطويل ، توفيق — قصة النزاع بين الدين والفلسفة ، مكتبة مصر ، القاهره ط٢/١٩٥٨م.

٧٨- عبد الله ، عبد الرحمن صالح — تاريخ التعليم فى مكة المكرمة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، ط ١/١٣٩٣هـ

٧٩- عبد الوهاب ، احمد — المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، مكتبة وهبه ، القاهره ط١/١٣٩٨هـ

٨٠- العثيمين ، محمد صالح — رسالة الحجاب ، مطابع القصيم ، الرياض ط١/١٣٨٨

٨١- العرضى ، محمد سعيد — سر انحلال الامة العربية ووهن المسلمين ، موسسة الرسالة ط٢/١٣٨٦هـ .

٨٢- العظم ، يوسف — أين محاضن الجيل المسلم ، الدار السعودية للنشر جده ، ط٢/١٣٩٧هـ .

٨٣- عفيفي ، محمد الهادى — فى اصول التربية (الاصول الفلسفية للتربية) مكتبة الانجلو المصريه القاهره ط١٩٨٧م

٨٤- عفيفي ، محمد الهادى . جلال ، عبد الفتاح . على ، سعيد اسماعيل — التربية ومشكلات المجتمع ، مكتبة الانجلو المصرية القاهره ط٢/١٩٧٣م

٨٥- العقاد ، عباس محمود — الانسان فى القرآن ، دار الكتاب العربى ، بيروت ط٢/١٩٦٩م .

٨٦- عمارة ، محمد " دراسة وتحقيق" — الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني مع دارسة عن الافغانى ، الموسسة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهره (د . ت) .

٨٧- ———— — الاعمال الكامله لرفاعه رافع الطهطاوى ، الجزء الثاني الموسسة العربية للدراسات والنشر القاهره ٧٣/١٩٧٤م .

٨٨- ———— — الاعمال الكاملة لقاسم امين ، الجزء الثاني ، الموسسة العربية للدراسات والنشر القاهره ط/١٩٧٦م

٨٩- الغاياتى ، منيره على — مذهب النشوء والارتقاء فى مواجهة الدين ، مكتبة وهبة القاهره (د . ت)

٩٠- الغزالي ،ابو حامد / احياء علوم الدين ، الجزئين الاول والرابع مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، القاهره (د . ت)

٩١- الفاسي ، علال / دفاع عن الشريعة ،منشورات العصر الحديث بيروت ط ٢/ ١٩٧٢م

٩٢- الفاسي ،محمد بن الحسين الحجوي الثعالبي / الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي ، الجزء الثاني ، المكتبه العلميه ، المدينه المنوره ط١/ ١٣٩٧ تخريج وتعليق عبدالعزيز القارى .

٩٣- الفقي ،حسن / التاريخ الثقافي للتعليم في مصر ، دار المعارف القاهره ط٢/ ١٩٧١

٩٤- فيشر ،هـ . أ . ل / تاريخ اوربا في العصور الوسطى الجزئين الاول والثاني ، دار المعارف ، القاهره ،ط ٤/ ١٩٦٦ ترجمة محمد مصطفى زيادة ، السيا الباز العريني ،ابراهيم احمد العدوى .

٩٥- القرطاس ،قيس / نظريه داروين بين مؤيديها ومعارضيها مؤسسة الرسالة ط١/ ١٣٩١هـ .

٩٦- كاريل ، الكسيس / الانسان ذلك المجهول ، مكتبة المعارف بيروت ط/ ١٩٧٤م ترجمة شفيق سيد فريد .

٩٧- كوسون ،اندريه / المشكلة الاخلاقيه والفلاسفه ، دار الكتب الحديثة القاهره ، ط٢/ ١٣٨٤هـ ، ترجمة عبدالحليم محمود ابو بكر زكرى .

٩٨- كوثراني ،وجيه / الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي -(١٨٦٠ - ١٩٢٠) نشر معهد الانماء العربي ط٢/ ١٩٧٨م .

٩٩- كونانت ، جيمس . ب / مواقف حاسمة في تاريخ العلم ، دار المعارف القاهرة ط٢/ ١٩٦٣ ترجمة أحمد زكي .

١٠٠- كيلاني ، اسماعيل / فصل الدين عن الدولة ، المكتب الاسلامي بيروت ط١/ ١٤٠٠هـ

١٠١- / الكتاب المقدس (اى كتب العهد القديم والعهد الجديد)وقد ترجم من اللغات الاصليه وهى اللغة العبرانيه ، واللغه الكلدانيه ، واللغة اليونانيه طبع في عام ١٨٧٠م في بيروت (د . ن) .

١٠٢- اللقانى ، احمد حسين ، رضوان ، برنس أحمد : تدريس المواد الاجتماعية عالم الكتب ، القاهره ط٣/١٩٧٩م

١٠٣- لوبون ، غوستاف : حضارة العرب ، دار احياء التراث العربي بيروت ط٣/١٣٩٩هـ ترجمة عادل زعيتر

١٠٤- ـــــــــــ : حياة الحقائق ، مطبعة دار احياء الكتب العربية القاهره ط١/١٣٦٨هـ ترجمة عادل زعيتر.

١٠٥- لويس ، برنارد : الغرب والشرق الأوسط ، (د.م.ن) ١٩٦٥م ترجمة نبيل صبحي

١٠٦- ماثيوز ، رودريك وعفراوى ، متى . : التربية فى الشرق الاوسط ، المطبعة المصريه القاهره (د.ت) ترجمة امير بقطر

١٠٧- المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب : اسس التربية فى الوطن العربى ، مقررات صادره عن "الحلقة" الدراسيه العربيه الاولى للتربية وعلم النفس" المنعقده في القاهره من ١١-٢٠ محرم ١٣٨١هـ (د.م.ن) ط١/١٩٦٥م .

١٠٨- المحافظة، على : الاتجاهات الفكريه عند العرب في عصر النهضة (١٧٩٨ - ١٩١٤) الاهليه للنشر والتوزيع بيروت ط٢/١٩٧٨م.

١٠٩- المحامى ، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العليه العثمانيه ، دار الجيل بيروت ط/١٣٩٧هـ .

١١٠- محمد اسد : الاسلام على مفترق الطرق ، دار العلم للملايين بيروت ط٧/١٩٧١م .

١١١- محمد بن عبد الوهاب واخرون : مجموعة التوحيد ، مطبعة السنه المحمديه القاهره "د.ت"

١١٢- محمد الغزالي : قذائف الحق ، منشورات المكتبه العصريه بيروت (د.ت) .

١١٣- ـــــــــــ : معركة المصحف في العالم الاسلامي ، دار الكتب الحديثه القاهره ط٢/١٣٨٣هـ .

١١٤- محمد قطب : التطور والثبات في حياة البشرية ، مكتبة وهبه (د.ت) .

١١٥- محمد قطب : دراسات في النفس الانسانيه ، دار القلم "د.ت)
معركة التقاليد ، مكتبة وهبه ط٢/١٩٦٢
١١٦- محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الادب العربي المعاصر دار الارشاد بيروت ط٣/١٣٨٩هـ
١١٧- ———— : الاسلام والحضارة الغربية ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ط١/١٣٩٩هـ
١١٨- موجان ، محمد مجدى : الله واحد أم ثالوث ، دار النهضة العربية القاهره (د.ت) .
١١٩- مرسى ، محمد منير : تاريخ التربية في الشرق والغرب ، عالم الكتب القاهره ط/١٩٧٧م .
١٢٠- ———— : التعليم العام في البلاد العربيه ، عالم الكتب القاهره ط٢/١٩٧٤م مزيده ومنقحه .
١٢١- مظهر ، اسماعيل : تاريخ الفكر في نشوئه وتطوره ... دار الكاتب العربي بيروت "د.ت"
١٢٢- المودودي ، ابو الاعلى : الحجاب ، دار الفكر بيروت (د.ت)
١٢٣- موريسون ، أ. كريسى "محرر" : العلم يدعو للايمان ، مكتبة النهضة المصرية ط٥/١٩٦٥م ترجمة محمود الفلكي .
١٢٤- مونسما ، جون كلوفر "محرر" : الله يتجلى في عصر العلم ، موسسة الحلبي القاهره ، ط٣/١٩٦٨م
١٢٥- النجار ، حسين فوزى : احمد لطفى السيد (استاذ الجيل) ضمن سلسلة اعلام العرب ، رقم "٣٩" ، الموسسة المصريه العامه للتأليف والانباء والنشر القاهره (د.ت)
١٢٦- النجيحى ، محمد لبيب : مقدمة في فلسفة التربية ، مكتبة الانجلو المصريه القاهره ط٢/١٩٦٧م .
١٢٧- الندوى ابو الحسن على الحسنى : نحو التربية الاسلاميه الحره ... موسسة الرسالة بيروت ، ط٢/١٣٩٧هـ
١٢٨- ———— : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين دار الكتاب العربى ، بيروت ط ٦/١٣٨٥هـ

١٢٩- ثوار، عبدالعزيز سليمان : التاريخ الحديث (الشعوب الاسلاميه) دار النهضه العربيه بيروت ط/ ١٩٧٣م

١٣٠- نيللر، ج. ف : فى فلسفة التربية، عالم الكتب القاهره ط/ ١٩٧٢م ترجمة محمد منير موسى، محمد عزت عبدالموجود، يوسف ميخائيل

١٣١- هامرتن، جون. أ. : تاريخ العالم الاجزاء الثالث، الرابع، الخامس، مكتبة النهضة المصريه، القاهره، ترجمة ادارة الترجمة. بوزارة المعارف العموميه بمصر. (د.ت)

١٣٢- وافى، على عبدالواحد : الاسفار المقدسه في الاديان السابقه على الاسلام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهره ط/ ١٩٧١م

١٣٣- ولز، هـ. ج : معالم تاريخ الانسانيه الجزئين الثالث والرابع لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهره، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد ط٣/ ١٩٦٧م.

١٣٤- يسن، نبيه : ابعاد متطوره للفكر التربوى، مكتبة الخانجى القاهره (د.ت)

١٣٥- يوسف، محمد على : الجفوة المفتعله بين الدين والعلم، دار مكتبة الحياة بيروت ط ١٩٦٦م.

٤- المطبوعات الحكومية :

١- جامعة الملك عبدالعزيز : تقارير وبحوث المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامي المنعقد عام ١٣٩٧هـ الاجزاء السادس، الثامن، التاسع، مطبعة جامعة الملك عبدالعزيز بجده

٢- ———— : كتاب المؤتمر "يتضمن قرارات وتوصيات المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامي" المنعقد في مكة المكرمة فى الفترة من ١٢ - ٢٠ ربيع الثاني عام ١٣٩٧

٣- اللجنة العليا لسياسة التعليم : منهج المرحلة المتوسطة (بنين) (د.م.ن) ط/ ١٣٩١هـ.

٤- مصلح، احمد منير : نظم التعليم في المملكة العربية السعودية والوطن العربى، مطبوعات جامعة الرياض رقم "٨" الرياض عام ١٣٩٤هـ.

٥- وزارة الثقافة والارشاد القومى : سلسلة تراث الانسانية ... ، الجزء الاول الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع القاهره (د.ت) الجزء السادس دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهره (د.ت)
الجزء التاسع الهيئة المصريه العامه للتأليف والنشر القاهره ،ط١/ ١٩٧١م اشراف احمد آبوزيد .

٦- وزارة المعارف (ادارة الابحاث والمناهج والمواد التعليميه) : منهج المرحلة الثانوية اعتمد بموجب قرار اللجنة العليا لسياسة التعليم المبلغ لمعالى وزير المعارف برقم ١/٩/٢٣٣ ، المطابع الاهلية للاوفست الرياض (د.ت) .

٧- وزارة المعارف : المجموعة الاولى ، منهج التعليم الابتدائي لمدارس البنين ، عام ١٣٨٨هـ صادر عن اللجنة العليا لسياسة التعليم ، مطابع الرياض بالرياض (د.ت) .

٥- دواير المعارف والقواميس :

١- الياس، انطوان الياس. إلياس ادوار١. : قاموس الياس العصرى "عربى - انجليزى" دار غريب للطباعة القاهره ط١١/ ١٩٧٦م .

٢- البعلبكى ، منير : المورد "قاموس انجليزى عربى" دار العلم للملايين بيروت ط٦/ ١٩٧٣م .

٣- الريحانى ، البرت وفريق من الاساتذه (رئيس التحرير نجيب فرنجيه) : الموسوعة العربيه ، دار الريحانى للطباعة والنشر بيروت ط١ / ١٩٥٥م

٤- السايق ، جروان : الكنز قاموس انجليزى عربى" دار السابق للنشر بيروت "د.ت"

٥- ———— مجمع اللغات "عربى - فرنسى . انجليزى - انجليزى فرنسي - عربى .فرنسى - انجليزى - عربى " دار السابق للنشر بيروت "د.ت"

٦- الشنتناوى احمد وآخرون (اشراف وادارة وترجمة) : دائرة المعارف الاسلامية (د.ن.ت)

٧ - عبدالنور ،جبور ،ادريس ،سهيل : المنهل " قاموس فرنسي عربي " دار الاداب ، دار العلم للملايين بيروت ط٣/ ١٩٧٣

٨- غربال ، شفيق " اشراف" : الموسوعة العربية الميسره دار الشعب القاهـــره ط٢/١٩٧٢م.

ملاحظة : وردت في هذه القائمه رموز هي :" (١) (د .ت) اى لا يوجد للطبعه تاريـــخ (٢) (د .ن) اى لا يوجد على الكتاب بيان للناشر (٣) (د .م.ن) اى لا يوجـــــد على الكتاب بيان الناشر ولا مكان النشر (٤) (د .م.ت.ن) لا يوجد على الكتـــــاب اى بيانات عن النشر .

ثانيا : المراجع الاجنبيـــــــه :

1. ARBERY A.J. :
Religion in the Middle East (2) Islam
Cambridge University Press
CAMBRIDGE. LONDON. NEWYORK. MELBOURNE 1969.

2. BABCOCK GOVE'PHILIP AND MERRIAM WEBSTER
Editorial staff. Springfield, Mass:
Webster's third new International Dictionary
of the English Language, Unabridged.
Editor in Chief:
G & C. Merriam Co. (1971) "III"

3. HORNBY A.S., COWIE A.P. and LEWIS J. WINDSOR:
Oxford advanced Learner's Dictionary of
Current English (by) (3 ded)
London, Oxford University Press (1974)

4. THE NEW ENCYCLOPAEDIA BRITANNI Ca in 30 Volumes
AMACROPAEDIA VO HELEN HEMING WAY BENTOH,
Publisher, 1973 - 1974 (C) 1975.
Buencyclopaedia. Briannica. Inc.
Copyright under International
Copyright Union Printed in U.SA.

5. WEBSTERS NEW WORLD DICTIONARY
OF THE AMERICAN LANGUAGE
Legeed Cleveland, World Pub. Co. (1968)